



اكتشافي

لله وللإسلام ويوم القيامة

حمزة علي عباسي

نقله إلى العربية : المقداد الهاشمي ، بلال أنظر الندوي

اكتشافي لله وللإسلام
ويوم القيامة

اكتشافي لله وللإسلام ويوم القيامة

ألفه
حمزة علي عباسي

نقله إلى العربية
المقداد الهاشمي
بلال أنظر الندوي

 **مركز الغامدي**
للتعلم الإسلامي
— مبادرة من مؤسسة المورد - الولايات المتحدة — www.ghamidicenter.com

جميع الحقوق محفوظة

الناشر: مركز غامدي للتعلم الإسلامي، المورد أمريكا

الطابع: شركة الطباعة، لاهور

الطبعة الأولى: أغسطس ٢٠٢٦م

ردمك (ISBN) : 978-1-9666600-55-8

العنوان: 3620 N Josey Ln, Suite 230 Carrollton, TX 75007

الموقع الإلكتروني: www.ghamidi.org

البريد الإلكتروني: info@ghamidi.org

فهرس المحتويات

٢٣	المقدمة للمصنف
٢٨	مقدمة - بقلم الأستاذ شهزاد سليم
٣١	الفصل الأول: لماذا العناية؟
٣٣	احتمالات عواقب وخيمة لا يمكن تصورها
٣٤	حياتان محتملتان يمكن للمرء أن يعيشهما
٣٥	الوسطية (الخمول) ليست خياراً
٣٧	استكشاف هوية "والدي الحقيقي"
٣٩	الفصل الثاني: الاستعداد للرحلة
٣٩	أن نصبح لوحة بيضاء: لا مكان للتحيزات
	في مسائل الله والمسؤولية الإلهية، البساطة يجب أن تقود إلى
٤١	الحقيقة
٤٣	التواضع أمر حتمي
٤٤	ملاحظة حول الاستنتاج

- ٤٥ مساهمة العلم (Science) في فهم وجود كائن إلهي
- ٤٦ العلم: أداة واحدة من بين أدوات كثيرة
- ٤٦ فهم "كيف يعمل الشيء" لا ينفي احتمال خلقه من قبل الله؟..
- ٤٧ غياب التفسير لا يبطل التفسير
- ٤٨ **الفصل الثالث: الانفصال عن اللاأدرية والإلحاد**
- تشابه الأفكار الدينية عبر الثقافات المفصولة بالزمان والجغرافيا -
- ٤٩ سبب للتحقيق الجاد
- ٥٢ أسباب الشك في إلحادي
- ٥٢ أهمية الوعي والذكاء
- ٥٣ الحجم والقيمة
- ٥٤ الوعي - مصدر كل الأهمية
- ٥٤ الذكاء: الذكاء: أحد أقوى القوى في الكون
- ٥٤ أهمية تحول المادة غير الحية إلى حية مدركة
- فكرة الملحد عن "سبب أول بلا مسبب" ليست أبسط من فرضية
- ٥٥ الله
- ٥٨ عدم جدوى فهمنا لما هو "بسيط" وما هو "معقد"
- ٥٩ الإيمان بخالق له أوجه تشابه معنا: اعتقاد مبرر
- ٦٠ فكرة الوعي الذكي كسبب أول لكل شيء - إمكانية واقعية
- ٦٠ قد يكون الوعي جزءاً أساسياً من الواقع

٦٥ الحمض النووي (DNA) - سمات الذكاء

٦٧ المعلومات المشفرة المضمنة في نسيج الواقع هي علامة على الذكاء

٧٢ أسباب غير دينية للإيمان بالروح والحياة الآخرة

احتمالية وجود وعي مستقل عن الدماغ - مشكلة ربط الوعي: لا

٧٣ يوجد مكان في الدماغ هو "أنا"

تجربة بنفيلد - هذا "أنا" الذي ينوي فعل شيء قد يكون مستقلاً

٧٤ عن دماغي

٧٥ يمكنني تغيير دماغي بأفكاري المتعمدة

٧٧ هذا "أنا" الذي أكونه قد يستمر بعد موت الدماغ

مغالطة العبارة: "نحن موجودون لأنه بالنظر إلى فترات زمنية طويلة

٨٣ جداً، أي شيء وكل شيء يمكن أن يحدث"

الفصل الرابع: بداية إعادة اكتشافي للإسلام ودور

٨٨ جاويد أحمد غامدي

٨٩ الفلسفة، الأديان الروحية، والأديان السماوية

٩٠ الإسلام: خيارى الأول للبحث ضمن الأديان السماوية

٩٠ التحقق التاريخى من محمد ﷺ والقرآن

٩١ حفظ القرآن بلغته الأصلية

٩٢ الإسلام كان منطقياً، لكن ليس بشكل كامل

٩٥ جاويد أحمد غامدي

- كيف غير الأستاذ غامدي فهمي للإسلام بشكل أساسي..... ٩٧
- ٤ (أ) - مصادر الإسلام..... ٩٨
- محمد ﷺ - المصدر الوحيد للدين..... ١٠٠
- ما هو القرآن؟..... ١٠٠
- ما هي السنة؟..... ١٠٢
- طبيعة السنة..... ١٠٢
- السنة تسبق محمد ﷺ..... ١٠٢
- السنة خاصة بالدين..... ١٠٤
- ما هو الحديث؟..... ١٠٦
- طرق مختلفة لحفظ ونقل القرآن والسنة والحديث..... ١٠٧
- سبعة مبادئ لفهم السنة..... ١٠٩
- سبعة مبادئ لفهم الحديث..... ١١٢
- ملاحظة موجزة عن تاريخ أصحاب محمد ﷺ..... ١١٤
- ملاحظة موجزة عن الإجماع أو اتفاق العلماء..... ١١٥
- ثلاث ممارسات خاطئة في فهم الإسلام..... ١١٧
- الممارسة الخاطئة لفهم الآيات القرآنية في معزل دون فهم السياق..... ١١٨
- الممارسة الخاطئة في فهم القرآن من خلال عدسة الحديث بدلاً من العكس..... ١١٩
- الممارسة الخاطئة لاعتبار الحديث مصدراً مستقلاً للإسلام بدلاً من

١٢١.....	كونه شرحاً للقرآن والسنة.....
١٢٥ ...	٤(ب) - فهم دور الرسول - سبب مقنع لاستكشاف الإسلام ...
١٣١	مفهوم القرآن لـ "رسول" يوضح الكتب المقدسة السابقة.....
١٣٣	٤(ج) - ما هو القرآن وكيف نفهمه.....
١٣٤	لغة القرآن.....
١٣٦	علاقة القرآن بالكتب المقدسة الأخرى.....
١٣٨	أفضل طريقة لتحليل القرآن لغير المتخصص (العامي).....
١٣٩	قضية جمع القرآن وقراءاته المتنوعة
١٣٩	قدم محمد صلى الله عليه وسلم القرآن كاملاً بترتيبه الحالي لأتباعه قبل وفاته
١٤٠	المرحلة الأولى
١٤٢	المرحلة الثانية
١٤٤	المفهوم الخاطئ حول كون عثمان هو "جامع القرآن".....
١٤٤	المرحلة الثالثة
١٤٧	مسألة القراءات المتنوعة للقرآن
	الفصل الخامس: تفاصيل مخطط القرآن للأمور بشأن
١٥١	الرسول
	لماذا يتواصل الله من خلال الأنبياء والرسل بدلاً من التواصل المباشر
١٥٢	مع الجم.....

- لماذا يبدو إخفاء العالم الإلهي منطقيًا..... ١٥٥
- دعم فكرة العوالم الخفية من واقعنا القابل للمعرفة..... ١٥٥
- في البداية، كان كل البشري يؤمنون بحقيقة واحدة..... ١٥٧
- الحس الأساسي للصواب والخطأ مغروس في البشر..... ١٥٧
- أول البشر تم الاتصال بهم مباشرة من قبل الإله..... ١٥٨
- القرآن يفسر وجود العديد من الأديان المختلفة..... ١٥٩
- دعم فكرة القرآن من واقعنا القابل للمعرفة..... ١٥٩
- التشابه في المعتقدات - سبب لتصديق ادعاء القرآن بالأصل الواحد
للحقيقة ١٦١
- أنبياء الله يُرسلون إلى البشرية..... ١٧٤
- مفاهيم غامضة لأنبياء الله عبر التاريخ البشري..... ١٧٤
- رُسل الله..... ١٧٥
- النبي والرسول منصبان مختلفان..... ١٧٦
- المفهوم الصحيح لرسول الله - محكمة العدل الإلهية لله على
الأرض..... ١٧٧
- نوع الناس الذين لديهم مشكلة مع إله القرآن ولماذا يبدو ذلك
منطقيًا..... ١٨٠
- من هو الكافر؟..... ١٨٤
- من المنطقي أن يعاقب الله الراضين..... ١٨٧

- ١٨٧ملاحظة موجزة عن وصم الآخرين بالكفر
- ١٨٨نوح - الرسول الأول
- تحليل قصص الطوفان الموجودة في جميع الثقافات تقريبا في جميع
- ١٩١أنحاء العالم
- المرحلة الأولى من خطة الله المتعلقة بالرسول: رسل أفراد.....١٩٦
- ١٩٧التحقق التاريخي من الرسل قبل إبراهيم
- لماذا يذكر القرآن رسلاً محددين فقط من الشرق الأوسط ؟ ١٩٨
- المرحلة الثانية من خطة الله المتعلقة بالرسول: إخراج أمم من ذرية
- إبراهيم ١٩٨
- لماذا يبدو نهج القرآن ذو الشقين تجاه الرسل منطقياً؟ ١٩٩
- الأمة الأولى من ذرية إسحاق: موسى والخروج ٢٠٠
- الأمر التوراتي المثير للجدل وتبريره ٢٠١
- الأدلة الأثرية على يوسف وموسى والخروج ٢٠٣
- بنو إسرائيل كأمة تحت قيادة موسى ٢٠٣
- عيسى - الرسول الأخير لبني إسرائيل ٢٠٤
- الأمة الأخيرة من بني إسماعيل: محمد ﷺ - رسول الله الأخير .. ٢٠٥
- ملاحظة هامة حول رسائل محمد ﷺ إلى الملوك ٢٠٨
- توضيح موجز لحديث متعلق بالميراث ٢١٣
- توضيح حول حديث يتعلق بالصراع مع غير المسلمين ٢١٥

- توضيح حول حديث يتعلق بقتل غير المؤمن ٢١٦
- سيمر المسلمون في نهاية المطاف بتدهور أخلاقي، مشابه لذلك
الذي شهده بنو إسرائيل ٢٢٣
- خلاصة منهج القرآن فيما يتعلق بالرسل ٢٢٤
- ٥ (أ) - حل المفاهيم الإشكالية من خلال قانون الرسل في القرآن ٢٢٧
- ١ - عقوبة الردة ٢٢٧
- ٢ - قتال غير المسلمين من أجل عقيدتهم ٢٣١
- ٣ - الإسلام سيظهر على جميع الأديان الأخرى ٢٣٢
- ٥ (ب) - شخصية محمد وتنبؤات عنه - عاملان إضافيان يزيدان
من مصداقية رسالته ٢٣٤
- شخصية محمد ﷺ ٢٣٥
- رجل أمين وصادق ٢٣٥
- لا يوجد تطور في الفكر ٢٣٥
- لا اهتمام ولا خلفية في طلب أو تبشير المعرفة الدينية ٢٣٧
- لا اهتمام أو خلفية في الشعر ٢٣٩
- هل أقنع محمد ﷺ الآخرين بتأليف القرآن له؟ ٢٤١
- نبوءات عن محمد ﷺ في الكتب السماوية السابقة ٢٤٢
- نبوءات عن محمد ﷺ في الكتاب المقدس ٢٤٢
- العهد القديم - سفر التثنية ١٨:١٨ ٢٤٢

العهد الجديد - إنجيل يوحنا ٢٤٤

نبوءة محمد ﷺ في الكتب الهندوسية ٢٤٥

الفصل السادس: ماذا يريد إله القرآن مني وهل يبدو

ذلك منطقيًا؟ ٢٥٢

معيار النجاح في المحاسبة الإلهية كما هو موضح في القرآن عالمي

حقًا ويتجاوز جميع الهويات الدينية ٢٥٥

الوعي بالله موجود في داخلنا ٢٥٨

الوعي بالصواب والخطأ موجود في داخلنا ٢٦٠

بعض المبادئ التي تحكم المحاسبة الإلهية ٢٦٢

١ - الاختبارات ليست متساوية للجميع ٢٦٢

٢ - سيتم تنفيذ العدالة المطلقة، ولن يُظلم أحد، ولو في أدنى

شيء ٢٦٣

٣ - لن تحصل إلا على ما تريد وتبذل جهداً من أجله ٢٦٣

٤ - صغائر الذنوب سوف تُغفر ٢٦٤

٥ - الأهمية القصوى للعمل بناءً على ما يعتقد الشخص

بصدق أنه الحق - حتى لو كان اعتقادًا خاطئًا ٢٦٤

المعيار العالمي للمساءلة الإلهية ٢٦٧

ما هو الإسلام؟ ٢٦٨

رفض الإسلام أو "الحقيقة الإلهية" لأسباب غير مبررة: جريمة مهلكة ٢٦٩

الأخطاء الحقيقية لن تُعاقب	٢٧١
شرح الآية ٨٥: ٣ من القرآن	٢٧٢
الحقيقة الإلهية التي سلمها الرسل: اختبار للبشرية	٢٧٤
ملخص المعايير القرآنية للنجاة في يوم القيامة	٢٧٥
أشياء يريد بها الإسلام منا للنجاح في المساءلة الإلهية	٢٧٦
١ - التزكية: تزكية النفس - الهدف الوحيد لجميع البشر ...	٢٧٦
٢ - الرهينة غير مسموح بها؛ يجب أن ننخرط في آلية الاختبار	
في العالم	٢٧٧
الإجابة على الاعتراضات الشائعة	٢٧٨
١ - إذا كان الله يعلم كل شيء - فلماذا يختبر الناس؟	٢٧٨
٢ - هل كان بإمكان الله تحقيق أهدافه دون اختبار الأفراد؟	٢٨٠
كيفية تحقيق التزكية أو تطهير النفس	٢٨١
١ - طهارة البدن	٢٨٢
٢ - طهارة الطعام	٢٨٣
٣ - تطهير مفهوم المرء عن الله وعلاقته بالله	٢٨٦
٤ - تزكية الأخلاق، خاصة في التعامل مع بني البشر الآخرين ..	٣٠٧
إباحة الحرب في الإسلام	٣١٥
الخاتمة	٣٢٢

الفصل السابع (أ): أسئلة وأجوبة

- سؤال ١: كيف هو الله (ما هي صفاته)؟ ٣٢٥
- سؤال ٢: لماذا استغرق الله مليارات السنين لخلق الكون والأرض، وماذا كان يفعل الله خلال تلك المليارات من السنين من قبل؟ ٣٢٦
- سؤال ٣: لماذا يعتبر الشرك (إشراك شركاء مع الله) ذنباً لا يغتفر؟ ٣٢٧
- سؤال ٤: لماذا نرى العنف بين الحيوانات، ونعاني من الكوارث الطبيعية ونعاني من أمراض مروعة ونواجه عيوباً خلقية؟ ٣٢٩
- سؤال ٥: لماذا يسمح الله بالحق الألم بالحيوانات من أجل الطعام، وما الغرض من الأضحية في الإسلام؟ ٣٣٠
- سؤال ٦: هل ستعوض الحيوانات عن معاناتها؟ ٣٣٢
- الغرض من الأضحية في الإسلام ٣٣٣
- سؤال ٧: لماذا يحتاج الله لاختبار الناس؟ ألا يعلم مسبقاً؟ ٣٣٤
- سؤال ٨: هل كان بإمكان الله أن يحقق هدفه في اختيار الناس لجنته بدون آلية الاختبار هذه؟ ٣٣٥
- سؤال ٩: الطبيعة المزدوجة لله - الله ليس كله "لين ورخاء"!! .. ٣٣٦
- سؤال ١٠: ما هو قانون الهداية عند الله؟ ٣٣٦
- سؤال ١١: ماذا يعني القرآن عندما يخبر الأزواج أن زوجاته ممثل حقول مزارعهم؟ ٣٣٧
- سؤال ١٢: هل كان خطأ حواء (عليها السلام) أنهما أكلا من الشجرة؟ ٣٣٨

- سؤال ١٣: هل خلقت حواء (عليها السلام) من ضلع آدم؟ ... ٣٣٨
- سؤال ١٤: ما هي أهمية حديث جبريل؟ ٣٣٩
- سؤال ١٥: ما هو الإيمان بالغيب؟ ٣٤١
- سؤال ١٦: لماذا الكون شاسع جداً؟ ٣٤٢
- سؤال ١٧: لماذا يُسمّى الإله "الله"؟ ٣٤٢
- سؤال ١٨: ما هي أهمية معرفة حدودنا، وهل يمكننا حقاً فهم حقيقة الله والملائكة والروح والعالم القادم؟ ٣٤٣
- سؤال ١٩: إذا كان إله القرآن عالمياً، فلماذا توجد أديان كثيرة جداً؟ ٣٤٤
- إله القرآن - إله عالمي ٣٤٤
- القرآن يفسر وجود الأديان الأخرى ٣٤٥
- سؤال ٢٠: لماذا احتاج الله إلى إرسال الكتب المقدسة بشكل متكرر؟ ٣٤٥
- سؤال ٢١: ماذا يعني الإسلام؟ ٣٤٦
- سؤال ٢٢: إذا كان من الممكن اشتقاق الأخلاق فقط من الكتب الدينية، فلماذا يوجد ملحدون صالحون أخلاقياً؟ ٣٤٦
- سؤال ٢٣: ما هي بعض التنبؤات في القرآن التي تحققت؟ ٣٤٧
- سؤال ٢٤: هل يقتبس القرآن نصوصاً دينية سابقة بشكل غير دقيق؟ ٣٤٩
- سؤال ٢٥: إذا كان الله هو الرزاق، فلماذا يوجد جوع وجفاف و
مجاعات؟ ٣٥١
- سؤال ٢٦: لماذا العالم ناقص جداً؟ ٣٥٢

- سؤال ٢٧: ما هي توجيهات القرآن لأولئك الذين يريدون التبشير
لرسالة الله؟ ٣٥٣
- سؤال ٢٨: هل القرآن مخصص لتقديم تفسيرات علمية للظواهر
الطبيعية؟ ٣٥٤
- سؤال ٢٩: لماذا يذكر القرآن اللذات الجسدية في الجنة للرجال،
وماذا ستنال النساء؟ ٣٥٥
- سؤال ٣٠: كيف يصف القرآن الجنة، وهل هذه الأوصاف حرفية
أم رمزية؟ ٣٥٦
- سؤال ٣١: لماذا اختار الله اللغة العربية لإيصال رسالته الأخيرة؟ ٣٥٧
- سؤال ٣٢: لماذا الله غير مرئي؟ ٣٥٧
- سؤال ٣٣: هل البشر هم مركز الوجود؟ ٣٥٨
- سؤال ٣٤: ما هو موقف الإسلام من المثلية الجنسية والتحول
الجنسي؟ ٣٥٩
- الإسلام والتحول الجنسي ٣٥٩
- الإسلام والمثلية الجنسية ٣٦٠
- سؤال ٣٥: لماذا ينص القرآن على أن كل المجد والحمد لله؟ ... ٣٦٦
- سؤال ٣٦: هل كان بإمكان الله خلق كل شيء دون خلق جهنم؟
وهل جهنم أبدي؟ ٣٦٧
- سؤال ٣٧: من هو الشيطان؟ وهل نرتكب المعاصي الشيطان؟ ٣٧٠

سؤال ٣٨: لماذا يحتاج الله لعبادة الجميع؟ ٣٧٢

السؤال ٣٩: ما هي المبادئ التوجيهية التي يجب أن أتبعها كممثل/

فنان؟ ٣٧٢

الفصل السابع (ب): أسئلة وأجوبة بناءً على ما تعلمته

من جاويد أحمد غامدي ٣٧٨

مصادر الإسلام ٣٧٩

سؤال ١: هل محمد ﷺ هو آخر رسول ونبي من عند الله؟ ... ٣٨٢

سؤال ٢: لماذا انتهت جميع أشكال الرسالة والنبوة بمحمد ﷺ؟ ٣٨٥

سؤال ٣: كيف ينظر الإسلام إلى السلطة الدينية ودور محمد ﷺ

في توجيه المؤمنين؟

٣٨٧

سؤال ٤: ما هي المعجزات في الإسلام؟ ٣٨٨

سؤال ٥: ما هي أهمية الأحداث التي وقعت بعد محمد ﷺ؟ .. ٣٨٩

سؤال ٦: هل يُعتبر محمد ﷺ أفضل من جميع الأنبياء الآخرين؟ ٣٩٠

سؤال ٧: لماذا كان جميع الأنبياء في الشرق الأوسط؟ ٣٩٣

سؤال ٨: لماذا كان لمحمد ﷺ زيجات متعددة؟ ٣٩٤

سؤال ٩: هل يبرر القرآن العنف المنزلي؟ ٣٩٧

سؤال ١٠: هل يحرم الإسلام الموسيقى وغيرها من أشكال الفن؟ ٤٠٤

سؤال ١١: هل يفرض الإسلام لباساً معيناً للمرأة، وهل يوجب

- ٤١٩ تغطية الرأس أو الوجه؟
- سؤال ١٢: هل يفرض الإسلام الفصل بين الجنسين؟ ٤٢٨
- سؤال ١٣: هل يحرم الإسلام المصافحة بين الرجال والنساء؟ .. ٤٢٩
- سؤال ١٤: هل يوجب الإسلام على الرجال المسلمين إطالة اللحى؟ ٤٣١
- سؤال ١٥: ما هي بعض المفاهيم الخاطئة حول أول وحي لمحمد ﷺ
وغار حراء؟ ٤٣٤
- سؤال ١٦: كم كان عمر عائشة (رضي الله عنها) عندما تزوجت
محمدًا ﷺ؟ ٤٣٩
- سؤال ١٧: ما هي قصة خلق البشرية بحسب القرآن، وهل ارتكب أبناء
آدم وحواء (عليهما السلام) زنا المحارم لتوسيع الجنس البشري؟ ٤٤٩
- سؤال ١٨: هل كان آدم وحواء (عليهما السلام) في الجنة قبل المجيء
إلى الأرض؟ ٤٥٦
- سؤال ١٩: ما هي الشجرة المحرمة التي أكل منها آدم وحواء (عليهما
السلام)، ولماذا كانت محرمة؟ ٤٥٨
- سؤال ٢٠: لماذا يُسمح للرجال بأربع زوجات، ولماذا لا يُسمح
للنساء بتعدد الأزواج؟ ٤٥٩
- سؤال ٢١: لماذا تُحظر جميع أشكال السلوك الجنسي بدقة خارج
الزواج بين الرجل والمرأة ولماذا تُعتبر كبائر وجرائم خطيرة؟ ٤٦٣
- سؤال ٢٢: لماذا يُعطى الزوج درجة أعلى من الزوجة؟ هل يعني

- ذلك أن الرجال متفوقون على النساء في الإسلام؟ ٤٦٦
- سؤال ٢٣: هل يقدم القرآن نظاماً سياسياً؟ ٤٦٩
- سؤال ٢٤: هل الإسلام يعارض الديمقراطية؟ ٤٧١
- سؤال ٢٥: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - هل يمكن للحكومات فرض الإسلام عليّ؟ ٤٧١
- سؤال ٢٦: ما هي العقوبات الإسلامية المختلفة؟ ٤٧٣
- سؤال ٢٧: هل يوجب الإسلام عقوبة الإعدام كعقوبة للتجديف (سب المقدسات)؟ ٤٧٦
- سؤال ٢٨: متى يمكن للمسلمين قتال الآخرين؟ ٤٨٠
- سؤال ٢٩: هل العبودية مسموح بها في الإسلام؟ ٤٨٢
- سؤال ٣٠: لماذا لم يتزوج محمد ﷺ مارية القبطية، وكيف عاملها وفقاً للتعالم الإسلامية؟ ٤٨٤
- سؤال ٣١: هل شهادة المرأة تساوي نصف شهادة الرجل؟ ٤٨٦
- سؤال ٣٢: ما هي الظروف المحيطة بحادثة بني قريظة، وكيف يمكن الرد على مزاعم ارتكاب محمد ﷺ فظاعة لا يمكن تبريرها؟ ٤٨٨
- سؤال ٣٣: هل تأمر الآيات القرآنية المسلمين بتجنب مصادقة غير المسلمين، وكيف ينبغي فهم هذه الآيات في سياقها؟ ٤٩٤
- سؤال ٣٤: هل كان المعراج رحلة جسدية؟ ٤٩٦
- سؤال ٣٥: هل يشير القرآن إلى المسلمين كأمة؟ ٤٩٩

- سؤال ٣٦: هل يمكن إعلان من يعرف نفسه كمسلم بأنه غير مسلم
أو كافر؟ ٤٩٩
- سؤال ٣٧: هل كان طوفان نوح حدثاً عالمياً وهل أمر بأخذ زوج
من كل أنواع الحيوانات على متن السفينة؟ ٥٠٥
- سؤال ٣٨: هل سئَلنا قبل أن نُلقى في اختبار الحياة هذا؟ إذا كانت
الإجابة بنعم، فلماذا لا نتذكر اتخاذ هذا الاختيار؟ ٥٠٦
- سؤال ٣٩: لماذا من الضروري أن يعمل الشخص بما يعتقد بصدق
أنه الحق، حتى لو كان ذلك المعتقد خاطئاً؟ ٥٠٨
- الخاتمة ٥١١
-





المقدمة للمصنف

بمجرد أن قررت قراءة هذا الكتاب والاستماع إلى ما لديّ لأقوله، فقد منحني شيئاً ثميناً: وقتك. وأنا ممتن لك بحقّ، فشكراً جزيلاً! وفي المقابل، سأحرص على أن أكون دقيقاً ومختصراً قدر الإمكان.

بعد سنواتٍ من الصراع مع أسئلة الوجود، قادني العلم والمنطق إلى نتيجة مفادها أن من المعقول الاعتقاد بوجود قوة ذكية قد تكون هي خالقة كل شيء. لقد دفعتني هذه الرحلة للبحث عن هوية هذا الخالق، فانطلقتُ أستكشف الديانات السماوية، إلى أن أوصلني هذا الطريق إلى الإسلام والقرآن الكريم. حين عدت إلى الإسلام في أواخر العشرينات من عمري وهو الدين الذي وُلدت عليه، ثم تركته في سن المراهقة وجدت إجابات مُرضية لمعظم تساؤلاتي الوجودية. ومع ذلك، بقيت بعض الأسئلة تُؤرقني بلا إجابة. فبينما استطاع معظم العلماء والاتجاهات الدينية السائدة أن يُجيبوا عن نحو ٧٠% من أسئلتي، بقيت نسبة ٣٠% بلا تفسير. حتى صادفني على موقع يوتيوب في عام

٢٠١٥ العالم الأستاذ جاويد أحمد غامدي، الذي وجدت لديه إجابات لتلك الأسئلة. ومنذ ذلك الوقت، وأنا أعلم منه مباشرة أو عبر كتبه ومحاضراته الإلكترونية.

هذا الكتاب هو محاولة مخلصـة مني لأشارك القراء تلك الإجابات التي وجدتها عقلانية وأخلاقية، والتي أراها ذات أهمية بالغة. أكتب لا بصفتي عالمًا، بل كإنسانٍ عادي يبحث عن الحقيقة، يتحدث إلى أناس عاديين يطرحون نفس الأسئلة دون أن يكون لديهم طموح لأن يصبحوا باحثين أو أكاديميين. وبرأيي، ما اكتسبته من معرفة خلال هذه الرحلة لا يُعد معقدًا أو أكاديميًا، وأعتقد أن كل إنسان إذا توفر له الوقت والانفتاح الذهني يمكنه الوصول إلى هذه المعارف

لم أكتب هذا الكتاب رغبة في أن أكون كاتبًا أو عالمًا. بل إنني لا أحب الكتابة أصلاً، وربما يكون هذا هو أول وآخر كتاب أكتبه. ليس الهدف منه التسلية أو المتعة، ولن تجده كتابًا تقرأه على مهل مع فنجان قهوة في أمسية هادئة. بل أقدم فيه إجاباتي بوضوح ومباشرة، لأولئك المهتمين فعلاً بأسئلة الوجود ما يدفعني أكثر هو إحساسي بالمسؤولية والرحمة تجاه البشر جميعًا. لأن ما وجدته من إجابات إذا كانت صحيحة له تداعيات خطيرة على كل فرد فينا. سأحاول في هذا الكتاب أن أثبت أن هناك بالفعل حسابًا إلهيًا بعد هذه الحياة الدنيوية، وهو أمر جليل لكل إنسان. لذلك، أو من بشدة أن مشاركتي

لهذه الرحلة والإجابات ليست أمرًا ثانويًا، بل ضرورة ملحة. أنا لا أدعي أنني أقدم شيئًا جديدًا، لكنني جمعت إجابات من مصادر متعددة. ومن خلال هذا الكتاب، أحاول فقط أن أوحدها في مكان واحد، راج تكون عونًا لمن يسير في طريق مشابه من التساؤل.

هناك أيضًا دافع مهم لكتابة هذا الكتاب، وهو أن التفسير الذي وصلت إليه للإسلام يختلف عن الرأي السائد، وأرغب في أن أسهم ولو بجزء يسير في نشر هذا الفهم إلى أكبر عدد ممكن من الناس. حامله الرئيس في هذا العصر هو الأستاذ جاويد أحمد غامدي. وفي هذا التفسير، يخالف الإسلام السائد في عدد من القضايا، فمثلاً: لا يوجد حدٌّ للمرتد، وشهادة المرأة ليست بنصف شهادة الرجل، ولا يجوز قتال غير المسلمين على دينهم، ولا يجوز استخدام العنف لفرض الإسلام على المسلمين، ولا يُفرض على النساء تغطية الرأس، ولا وجود لنقاب في الإسلام، ولا يجوز استرقاق النساء في الحروب، ولا يدخل كل غير المسلمين النار بالضرورة، والنظام الإسلامي يعارض الملكيات والدكتاتوريات ويميل إلى الشورى أو الديمقراطية، ولا يُفرض إطلاق الحية، ولا يُشترط الفصل بين الجنسين، وجميع الفنون — كالرسم والنحت والتمثيل مباحة ضمن حدود أخلاقية شرعية.

بعد أن أشرح الأسباب التي دفعتني إلى اعتقاداتي، أرغب في أن أناقشها مع أكبر عدد ممكن من الناس، لأنّ ذلك يساعدني على مراجعة فهمي

وتطويره.

هناك سبب خاص جداً سأذكره في ختام الكتاب، وأعتقد أن من يقرأ هذه الرحلة ويفهم دوافعها سيتفهم مغزى ذلك السبب، حتى وإن خالفني فكرياً.

وأخيراً، بما أنني أستفيد كثيراً من أفكار الأستاذ غامدي، أرى من الضروري أن أُبين أنني لست طالباً علمياً له، بل مجرد شخص عادي استفاد من علمه. فإن أخطأت في فهمي أو في عرضي لأفكاره، فالمسؤولية عليّ وحدي، ولا تُنسب إليه.

وللتأكد من دقة ما فهمته من الإسلام ومن تعاليم الأستاذ غامدي، عرضت هذا الكتاب على الدكتور شهزاد سليم، وهو أحد طلابه المتخصصين في القرآن، وله دكتوراه من جامعة ويلز في بريطانيا. وأشكره جزيل الشكر على ملاحظاته وكتابته لمقدمة هذا الكتاب، والتي ستعرض في القسم التالي.

وأخيراً، ملاحظة مهمة جداً: قد تجد بعض ما أكتبه عن الدين والإله واليوم الآخر غريباً، لا سيما إن لم تكن تؤمن بالإله أو الدين. ولكن حين تشعر بذلك، تذكر أننا نعيش في عالم غريب أصلاً! نحن نحيا على صخرة كروية تطوف في فضاء لا نهائي مليء بصخور وغازات أخرى. الذرات التي تتكون أغلبها من فراغ تصطف لتكوّن أشكالاً جميلة وأخرى بشعة.

نأكل جمادات تتحوّل في أجسادنا إلى حياة واعية! مجرد ترتيب
معين للذرات يصنع العقل، والإدراك، والمشاعر!
نعيش في زمن حولنا فيه المادة الجامدة إلى معجزات تكنولوجية.
لو أخبرنا أحدًا قبل مئة عام بما لدينا اليوم، لرفض تصديقنا! لكن هذه
الغرائب تحدث كل يوم، اعتدنا عليها ولم نعد نستشعر غرابتها. ومع
ذلك، نحن نعيش في واقع غريب جدًا... فلنضع ذلك في الحسبان
ونحن نتأمل مسألة الله والحساب الإلهي.



مقدمة

بقلم الأستاذ شهزاد سليم

إن البحث عن الحقيقة هو واحد من أسمى السمات التي يمكن للعقل البشري أن يمتلكها. إنه تَوْقٌ قد يزعج المرء في البداية؛ ومع ذلك، إذا استمر في هذه الرحلة دون خوف، فإنها تصبح واحدة من أكثر تجارب الحياة سحرًا. وأكثر من ذلك، فهي واجب فرضه الخالق على البشر.

إنه لمن دواعي سروري البالغ أن أقدم وأزكي عملاً انتجه أحد الباحثين عن الحقيقة: حمزة علي عباسي. وهو معروف لدى الكثيرين كشخصية إعلامية مشهورة نالت استحساناً هائلاً. ويبدو أن التفسير التقليدي للدين لم يرضه، فأصبح ذلك دافعاً مثالياً له ليخوض في غمار إقليم الإلحاد المجهول. وكما هو حال الباحث الحقيقي عن الحقيقة، قاد القدر حمزة لمقابلة معلمه المستقبلي، جاويد أحمد غامدي، منذ حوالي ١٠ سنوات. أدرك حينها أنه قد تعثر في "مَدَّ" شكسبير الشهير:

"هناك مَدَّ في شؤون الناس، إذا ما رُكب في طوفانه، أدى إلى

الفلاح؛ أما إذا أهمل، فإن كل رحلة حياتهم تظل حبيسة الضحالة والبؤس."

لقد كانت فرصة وهبها الله له، اغتنمها بشغف وحماس كبيرين. وشرع في نبذ ما تعلمه ليبدأ تعلم الدين من جديد. وبدأت الأسئلة الأساسية التي كانت تطارده تجد إجاباتها، وبدأ أن قطع أحجية الحياة بدأت تأخذ مكانها الصحيح. وبدأت أسرار الحياة والآخرة تتكشف أمامه. وكشخص تملكته رغبة عارمة في معرفة الحقيقة، واجه معتقداته الإلحادية بفهمه الجديد للدين القائم على العقل والوحي. لقد اكتشف الله من جديد، وربما كانت هذه هي اللحظة الأعلى في حياته.

وكأي باحث مخلص، أدت عملية اكتشاف الذات منطقياً بهذا الرحالة إلى المرحلة التالية من رحلته الممتعة: قرر مشاركة الحقيقة التي اكتشفها مع من يستطيع الوصول إليهم. استخدم الكلمة المنطوقة أولاً لمشاركة ملحمته المذهلة، مما قاده للقاء الشباب والعقول المتمرسه وإطلاعهم على ما تعلمه. ثم حان الوقت ليغمس قلمه في حبر أفكاره ويكتب هذا الكتاب الذي بين يدي القراء الآن. وبصفتي طالباً متواضعاً لدى جاويد أحمد غامدي، أشهد أن المؤلف قد بذل جهداً كبيراً في فهم آراء معلمه، وحاول بإيجاز وفصاحة صياغتها بلغة عصرية. ومثل أي عمل بشري، لا يمكن لجهد أن يخلو من نقص، ولا يمكن لأي مؤلف ادعاء الكمال. إن مفتاح فهم الدين هو التفكير النقدي، وهي عملية

— مقدمة بقلم الأستاذ شهزاد سليم —

مستمرة مدى الحياة. أنا آمل ألا يتوقف حمزة عند ما وصل إليه، بل يواصل مراجعة وتطوير نتائجه؛ ففي النهاية، يجب أن يكون الانتماء الحقيقي للحقيقة نفسها لا للشخصيات.

دعواتي هي أن تظل جذوة شغفه للبحث عن الحقيقة مشتعلة للأبد، وأن ينال أجراً عظيماً من خالقه في الدنيا والآخرة. نرجو أن يضيء هذا الجهد الطريق للآخرين ويضيف وقوداً لشعلة الحقيقة التي تجسدها كلمات فولتير:

قف شامخاً، وأفصح عما في فكرك
الحقيقة التي تملكها، فليشاركها الجميع
كن جسوراً، وانشرها في كل مكان
فإنه لا يحيا حقاً إلا من يجرؤ

— شهزاد سليم —

(الدكتوراه، جامعة ويلز، المملكة المتحدة)

زميل باحث، GCIL



الفصل الأول

لماذا العناء؟

تتمحور اهتماماتي الأكاديمية حول السياسة المحلية والدولية، بينما يتركز مجال عملي وتجارتي وشغفي في التمثيل المسرحي والدراما التلفزيونية والسينما. إن مسائل وجود الله، والآخرة، والحساب الإلهي لا تثير اهتمامي على الإطلاق؛ فهذه الموضوعات ليست ضمن قائمة اهتماماتي الأكاديمية ولا ضمن شغفي المهني. ومع ذلك، فإن الضرورة المحضة هي ما تدفعني للانخراط في هذه المسائل. ولكن، قد يتساءل المرء: لماذا هي ضرورة؟

لماذا أنا موجود؟ ولماذا يوجد كل شيء؟ هل خلقتُ عمداً من قبل شخص ما لغرض محدد، أم أنني مجرد نتاج حظ بحت نتيجة عرضية لعمليات لا عقل لها؟ هل يوجد إله أو آلهة؟ هل هناك حياة بعد الموت، أم أن موتي المادي هو نهايتي الدائمة؟ هل هناك يوم حساب حيث سأقف مسؤولاً عن الحياة التي عشتها في هذا العالم، أم أن هذه مجرد أساطير؟

لماذا نعتبر هذه الأسئلة مهمة من الأساس؟ بالنسبة للكثيرين منا، لا تترتب على الأسئلة الوجودية وإجاباتها المحتملة أي عواقب مباشرة

في العالم الحقيقي. بل إنها تبدو غير ذات صلة في مواجهة الانشغالات المباشرة للحياة اليومية التي تستهلك معظم وقتنا وطاقتنا. باختصار، لماذا نكلف أنفسنا عناء البحث في مثل هذه الأمور بينما هناك حياة كاملة يجب أن نعيشها بكل ما فيها من لذات وآلام، وكدح ومكاسب؟ لماذا نهتم بهذا العناء أصلاً؟

إن الحجة الأكثر وضوحاً التي تُطرح غالباً هي أن مجرد حقيقة "وجودي" بكل ملكاتي العاطفية والفكرية والجسدية والأخلاقية والجمالية ضمن هذا الواقع الغريب المليء بالسلمات المذهلة، توفر سبباً كافياً للتأمل الجاد في جانب "لماذا" من وجودنا. وعلاوة على ذلك، وبما أن البشر يتكونون من نفس المواد التي يتكون منها أي شيء آخر، ونبدو نحن الوحيديين القادرين على التفكير في أصولنا والغرض منا، فإننا نمثل فعلياً الوجود كله في تساؤلنا. نحن الكون نفسه وهو يتساءل عن أصله وغرضه. وما يضيفي إلحاحاً لا يقبل الجدل على هذا البحث هو حقيقة أن الموت قد يحدث في أي لحظة، مما يترك لي قدراً محدوداً وغير متوقع من الوقت للتأمل في سؤال: "لماذا أنا موجود؟"

لكن مَنْ يهتم؟ بالنسبة لي، لم يكن كل هذا المنطق مقنعاً بما يكفي لاعتبار المسائل الوجودية أكثر من مجرد أفكار عابرة في منتصف الليل. كنت قانعاً بترك هذا التفكير للآخرين. كنت أوّمن بأن الاستكشاف العميق للوجود هو أمر مخصص للعلماء والمفكرين والأكاديميين والفلاسفة. وبصفتي شخصاً لا ينتمي إلى الفئات السابقة، اعتبرتُ التأمل في

الوجود أمراً غير مهم وسط جوانب الحياة الأكثر جاذبية. ففي نهاية المطاف، أصبحت الحياة في يومنا هذا جذابة بشكل غير مسبوق من جميع النواحي.

ولكن تدريجياً، ومع وصولي لسن المراهقة المتأخرة، أدركت بعض الأسباب المقنعة للغاية لطرح مثل هذه الأسئلة، وخلصت إلى أن اختيار الغفلة والجهل تجاه الأسئلة والفضول الوجودي هو أسوأ خيار ممكن للمرء أن يتخذه. بالنسبة لي، تجعل الأسباب التالية من معالجة هذه الأسئلة مسألة ضرورة قصوى للجميع نعم، للجميع، مهما كان الوقت والجهد الذي يمكنهم استثماره وهي تصب في مصلحتهم الشخصية المطلقة بغض النظر عن الإجابات التي يتوصلون إليها.

احتمالات عواقب وخيمة لا يمكن تصورها

لقد سمع الجميع في كل مكان عن فكرة شكل من أشكال الحساب الإلهي بعد الموت. يلتزم المليارات من الناس بهذا المعتقد اليوم، وقد وجدت فكرة الحساب الإلهي بعد الموت في معظم إن لم يكن كل المجتمعات البشرية عبر التاريخ، بقدر ما يمكننا معرفته من السجلات المكتوبة والقصص المنقولة شفهيًا عن الشعوب القديمة. أنا أيضاً واجهت هذه الفكرة، ونظراً للتداعيات العميقة التي لا يمكن تصورها لمثل هذا الاقتراح، شعرت بأنني مضطر للتحقيق بجدية في هذا الأمر مرة واحدة على الأقل في حياتي لتحديد ما إذا كانت هناك أي حقيقة فيه. إن احتمالات النعيم الدائم والسرور والقناعة والسعادة، أو الندم الدائم — اكتشافي لله وللإسلام ويوم القيامة 33 —

والبؤس والألم، هي احتمالات أقوى من أن يتم تجاهلها وعدم التحقيق فيها بدقة.

حياتان محتملتان يمكن للمرء أن يعيشهما

إن الإجابة المرضية بشكل معقول على سؤال الله والمساءلة الإلهية بعد الموت ستحدد لي المعنى الحقيقي لما يعنيه أن أكون "ناجحاً في نهاية المطاف" وما يعنيه أن أكون "فاشلاً في نهاية المطاف". إن معظم الاختيارات التي نتخذها في حياتنا محكومة، بطريقة أو بأخرى، بكيفية تعريفنا لهذين المفهومين. أدركت في وقت مبكر جداً من حياتي أن هناك حياتين محتملتين مختلفتين يمكنني أن أعيشهما، وكان عليّ أن أقرر أيهما أختار. فإذا كان احتمال محاسبتي فعلياً على الحياة التي أقضيها في هذا العالم للوصول إلى نتيجة دائمة يبدو صحيحاً، فإن البديهة والمنطق يقتضيان أن أعيش حياتي بطريقة تضمن أقصى درجات النجاح في تلك المساءلة، أو على الأقل تضمن السلامة، وهذا أقل ما يقال. قد يتطلب هذا النوع من أسلوب الحياة بعض المتطلبات غير المريحة للغاية، مثل التضحية ببعض الفوائد الدنيوية والحفاظ على مستوى غير مريح من السيطرة على رغبات المرء وغرائزه. ومن ناحية أخرى، إذا بدت أفكار مثل الله والمساءلة الإلهية بعد الموت خيالية، فإن الطريقة الوحيدة لعيش حياة دنيوية بالنسبة لي هي السعي بلا هوادة لتحقيق أقصى قدر من النجاح والسرور والوفاء، بغض النظر عن التكلفة.

من الصحيح الإشارة إلى أن الكثير من الناس يعيشون حياة سعيدة وقانعة، تتماشى ظاهرياً مع الأخلاق الإنسانية العالمية، دون الخوض بعمق في الأسئلة الوجودية. ومع ذلك، أعتقد أن هذا نهج محفوف بالمخاطر للغاية. إنني أتساءل عما إذا كان معظمنا يستطيع خوض غمار الحياة دون مواجهة مواقف تضطر فيها للاختيار بين الالتزام بأخلاقنا الداخلية، حتى لو استلزم ذلك بعض الخسارة الدنيوية، وبين اتخاذ خيارات تفيدنا ولكنها تتعارض مع أخلاقنا الداخلية. هذه هي أنواع المضاعلات التي واجهتها تكراراً مع تقدمي في السن، لأن الحياة استمرت في تقديم خيارات كانت تبدو خاطئة وفقاً لإحساسي الفطري بالأخلاق، لكنها كانت الأكثر نفعاً من حيث النتائج الدنيوية المباشرة، والعكس صحيح. في مثل هذه المواقف، يكون الحصول على بعض الفهم الحقيقية المساءلة الإلهية أمراً حاسماً لاتخاذ أفضل الخيارات الممكنة.

الوسطية (الخمول) ليست خياراً

قد يبدو الأمر وكأنني آخذ الحياة على محمل الجد أكثر من اللازم أو أتصرف بطريقة متطرفة، ونعم، هذا صحيح. وأوصيك بأن تفعل الشيء نفسه لأننا أنا وأنت لدينا فرصة واحدة فقط في هذه الحياة الدنيوية. قريباً، سيأتي الموت، وسوف نتوقف بشكل لا رجعة فيه وبشكل دائم عن الوجود في هذا العالم. وبغض النظر عن كيفية عيشنا، فإن أحبائنا سيهملوننا في النهاية، وربما يذكروننا فقط في مناسبات عابرة. وإذا

كنت مشهوراً، فقد يتم ذكرك في الأخبار مرة واحدة في السنة في ذكرى ميلادك أو وفاتك، ولكن حتى هذا الاعتراف سيتلاشى في النهاية. سيمضي العالم قدماً وينساك تماماً. وفي غضون مائة عام تقريباً، ستكون أنت وأنا وأحبائنا وكل من يعيش اليوم قد غادروا هذا العالم للأبد. وفي المخطط الأكبر للأمور، سينتهي الكون كما نعرفه أيضاً في نهاية المطاف. لذلك، بالنسبة لي، الموت الكلي والمطلق أمر لا مفر منه. وبما أنني لا أملك سوى فرصة واحدة في هذه الحياة الدنيوية، فإن التوسط (العيش بلا غاية) ليس ولا ينبغي أن يكون خياراً.

باختصار، إن مفهوم المسألة الإلهية بعد الموت هو فكرة عالمية، تتميز بعواقبها الوخيمة المحتملة. وأعتقد أنه من أجل مصلحة المرء المطلقة، من الضروري تخصيص وقت بعيداً عن واجبات الحياة اليومية من كدح البقاء الاقتصادي وإعالة الأسرة والروابط العاطفية والاجتماعية الأخرى للتأمل بجدية في هذا الأمر. ويجب على كل ذي عقل سليم أن يبذل جهداً صادقاً للوصول إلى استنتاج معقول بشأن هذه القضية في أقرب وقت ممكن. وعلاوة على ذلك، ينبغي أن يكون هذا مسعى مدى الحياة لإعادة تقييم الإجابات التي يجدها المرء باستمرار وتعديل خيارات الحياة وفقاً لذلك.

وهناك سبب أخير، قد لا يجده الكثيرون مقنعاً وهذا حقهم، لأنه أكثر ذاتية في طبيعته وهو بالنسبة لي أحد أهم العوامل بسبب قيمته

استكشاف هوية 'والدي الحقيقي'

أعتقد أن البحث العميق في وجود إله شخصي هو مسعى بسيط يهدف إلى اكتشاف خالقي الحقيقي أُمي قبل أُمي الأرضية وأبي قبل أبي الأرضي. أعبّر عن هذا دون أي نية للتقليل من القيمة العاطفية والحب والتضحية المتأصلة في العلاقات الوالدية والأسرية. بدلاً من ذلك، أسعى لتسليط الضوء على أنه إذا كان أصلي ينبع حقاً من كائن إلهي خلقي ويشرف على جميع جوانب حياتي يراقبني ويستمع إلى مباشرة فإن علاقتي الأساسية هي مع ذلك الكائن. وتصبح جميع العلاقات الأخرى ثانوية. فكر في هذا: العائلة والأصدقاء الذين أملكهم لن يكونوا جزءاً من حياتي لو وُلدتُ في زمان ومكان آخرين. لذا، إذا كان هناك خالق موجود بالفعل، هو الذي فطرني من العدم، فهذه هي علاقتي الحقيقية الوحيدة. إن جميع العلاقات الأخرى قد أوجدها الخالق الذي وضعني في هذا العالم في زمان ومكان محددين. ومثل هذا الكشف يحمل تداعيات عاطفية وأخلاقية عميقة. يجب توجيه جميع المشاعر الأساسية مثل الحب والتوقع والتفاني والولاء أولاً وقبل كل شيء إلى هذا الكائن، مع بقاء كل أنواع الحب والتوقعات والولاءات الأخرى ثانوية. إن الامتنان المطلق لكل ما هو جيد محجوز لهذا الكائن، بينما الامتنان تجاه أي شخص آخر هو امتنان ثانوي.

— الفصل الأول —

وبالمثل، فإن جميع التوقعات والآمال المطلقة في أوقات الصعوبة والضيق تُوجه نحو هذا الكائن، مع بقاء التوقعات والآمال من الآخرين ثانوية.



الاستعداد للرحلة

أن نصبح لوحة بيضاء: لا مكان للتحيزات

البيئة والمحيط الذي ننشأ فيه، والتعليم الذي نلقاه (إن وُجد)، والتأثيرات الاجتماعية والسياسية والفلسفية والدينية وغيرها التي قد نتعرض لها، وتجاربنا الحياتية الإيجابية والسلبية، كل ذلك يساهم بشكل كبير في تشكيل تصورنا لأنفسنا وفهمنا للواقع. وبينما نراكم الأفكار والتجارب، فمن الطبيعي أن نطور تحيزات وميولاً نحو قبول وجهات نظر معينة أو رفضها. ومع ذلك، إذا كانت هذه التحيزات تعيق استعدادنا للاستماع إلى وجهات النظر المعارضة أو تمنعنا من الاعتراف بما هو صواب أو خطأ بشكل جلي، فإنها تتحول إلى حواجز ضارة، تقوض الإخلاص والأمانة في البحث عن الحقيقة.

تنشأ التحيزات من مصادر متنوعة، بما في ذلك الجوانب الشخصية مثل الأنا والكبرياء والمصالح الذاتية، بالإضافة إلى الانتماءات الوطنية والعرقية والسياسية والدينية للفرد. وغالباً ما تعمي هذه التحيزات الكثير من الناس عن التفكير العقلاني والمتعاطف، مما يجبرنا على تبرير سخافات وشرور لا يمكن تصورهما.

حتى التحيزات التي تبدو غير ضارة يمكن أن تجعل أعظم العقول تنكر حقائق صارخة. على سبيل المثال، رفضت العقول اللاهوتية العظيمة في عصر جاليليو الحقيقة الواضحة التي قدمها لهم العالم العظيم. وبالمثل، أدى تحيز أينشتاين لصالح كون ساكن في البداية إلى رفض فكرة الكون المتوسع، على الرغم من أن معادلاته كانت تشير بقوة إلى ذلك. إن البقاء غير متحيز أثناء تحليل أي شيء هو مهمة صعبة، ولكنه أمر ضروري لأنه كلما كبجنا تحيزاتنا، زاد احتمال وصولنا إلى الاستنتاج الصحيح. وحتى لو تبين أن الاستنتاج غير صحيح، فإذا وصل المرء إلى ذلك الاستنتاج دون أي تحيزات من خلال بحث مخلص، فإن مثل هذا الخطأ يقع في حيز الأخطاء الحقيقية. والأخطاء الحقيقية المرتكبة بصدق يجب منطقياً أن تستحق العفو والمغفرة غير المشروطة من قبل البشر والله على حد سواء. ومن ثم، فإن الإخلاص والأمانة في البحث يهتمان أكثر من الاستنتاج نفسه.

إن النزعة البشرية نحو التحيز تكون أكثر وضوحاً في مسائل الله والدين. وتدفع هذه النزعة الأفراد إلى تأييد والدفاع عن المعتقدات التي ولدوا عليها دون فحصها بشكل نقدي. وعلى الجانب الآخر من الطيف، توجد مقاومة لدى الكثيرين تجاه الدين المنظم، مما يجعلهم يرفضون النظر في أي احتمال لوجود أدلة تدعم وجود خالق خارق للطبيعة قد شرع ديناً معيناً أو أسلوب حياة.

خلال سنوات تكويني، أدركت الإمكانيات التدميرية للتحيزات.

والتزمت بمراقبة هذه النزعة بيقظة واتباع الأدلة أينما تقودني بكل إخلاص وأمانة. وقررت ألا أدع ارتباطي الشخصي بأي فكرة يمنعني من رفضها إذا تعارضت الأدلة معها. وفي الوقت نفسه، تعهدت ألا أدع نفوري من أي فكرة يمنعني من قبولها إذا كانت الأدلة تدعمها.

في مسائل الله والمسؤولية الإلهية، البساطة يجب أن تقود إلى الحقيقة

إن استكشاف الأيديولوجيات والفلسفات التي تحاول توضيح وجود الله والمسؤولية الإلهية غالباً ما يترك الباحثين يشعرون بالارتباك وسط تعدد الخيارات. إن وفرة المعلومات حول الإلحاد، واللاأدرية، والإيمان بالله، والربوبية، والعديد من الأديان والفلسفات - المصحوبة بمتاهة من الحجج والحجج المضادة - يمكن أن تؤدي بالكثيرين إلى فقدان الاهتمام بالموضوع تماماً. لقد اختبرت هذا بنفسني عندما تعمقت في مجموعة واسعة من الأدبيات، متأملاً في وجهات نظر مختلفة ومدارس فكرية ومناقشات لا تنتهي، شاعراً بالضيق دون مسار واضح للمضي قدماً.

عندما استفسرت - خاصة داخل المجتمعات الدينية - أخبرني العديد من رجال الدين أنه لكي أفهم حقاً أصولي وهدفي فيما يتعلق بالله والمسؤولية الإلهية، سأحتاج إلى عمر من التفاني والدراسة الصارمة. وهذه مهمة شاقة لشخص عادي مثلي، يسعى ببساطة للحصول على

إجابات لأسئلة أساسية دون أن يطمح لأن يصبح أكاديمياً أو عالماً. يقدم كل من المؤيدين والمعارضين لوجود الله كمية هائلة من المعلومات، مما يجعل البحث عن الحقيقة حول الله والمسؤولية الإلهية يبدو وكأنه مهمة شاقة ومرهقة لا يمكن التغلب عليها. ومع ذلك، شجعتني لحظة إدراك مفاجئة على تغيير نهجي في البحث عن الحقيقة. ونتيجة لذلك، اكتشفت أن أبسط الطرق تؤدي إلى الحقيقة النهائية. أدركت أنه إذا كانت هناك أي حقيقة فيما يتعلق باحتمال وجود إله ومسؤولية إلهية، فيجب أن تكون بسيطة وقادرة على معالجة الأسئلة الأساسية بوضوح، مع السماح في الوقت نفسه باستكشاف علمي أعمق. دعوني أوضح ذلك. إن الله والمسؤولية الإلهية يهمان البشرية جمعاء - فمصير الجميع الأبدي على المحك. ولا يمكن لمعظم الأفراد تخصيص وقت وطاقة مكثفين بعيداً عن صراعات وواجبات الحياة الأساسية للانغماس في الأدبيات والمناقشات المعقدة ومن ثم، يمكن استخلاص استنتاج بسيط: إذا كان الإله سيحاسب جميع البشر على أفعالهم في هذه الحياة وقد خلق هذا الوجود الدنيوي بالتزاماته المتطلبة، فإن الإجابات الأساسية المتعلقة بأصولنا وهدفنا يجب أن تكون سهلة الوصول ومفهومة للجميع - لعامة الناس والعلماء على حد سواء.

وبينما ينشأ التعقيد بشكل طبيعي في مختلف مجالات المعرفة البشرية، فإنه إذا كان الله موجوداً ويحاسب البشرية، فيجب أن تكون الأساسيات الجوهرية سهلة الاستيعاب من قبل الجميع. ومن التناقض أن نتصور

إلهًا يخلق البشرية لغرض ما، ثم يجعل فهم الأساسيات معقدًا للغاية لدرجة أنه يصبح مهمة شاقة لمعظم الناس.

وبناءً على ذلك، إذا كان الله قد خلقني ويريد محاسبتني، فإن كل المعرفة الأساسية حول هذا الأمر يجب أن تكون قابلة للاكتشاف والفهم والتواصل بسهولة وبشكل لا لبس فيه من قبل الجميع. وبعد إدراك ذلك، قررت أن اجعل بحثي بسيطاً، مما أدى إلى إدراك محوري.

التواضع أمرٌ حتميٌّ

هناك اتجاه مقلق بين العديد من الأفراد، لاسيما فيما يتعلق بالمسائل الوجودية. فهم غالباً ما يفترضون أن نظرتهم للعالم ومعتقداتهم وآرائهم واستنتاجاتهم صحيحة بلا منازع، وينظرون إلى أولئك الذين يختلفون معهم على أنهم ببساطة مخطئون وفي حاجة إلى تصحيح. وهذا لا يترك مجالاً للحوار الهادف إلى فهم وجهة نظر الآخر وربما التعلم من بعضنا البعض.

سواء في معسكر الملحدون واللاأدريين أو في معسكر المؤمنين بالله والدين، فمن الأهمية بمكان الاعتراف بوجود أشخاص مطلعين وبارعين - من علماء وأكاديميين وباحثين - عبر كامل الطيف في جميع المعسكرات، حيث يقدم كل منهم حججاً وحججاً مضادة مصاغة جيداً. لهذا السبب، يصبح من الضروري الحفاظ على التواضع، والبقاء منفتحين باستمرار على احتمال الخطأ والاستعداد للتعلم. نحن بحاجة إلى الابتعاد عن ثقافة "المناظرة" حيث يكون الهدف الوحيد هو الفوز بالحجة،

وبدلاً من ذلك الانخراط في مناقشات تهدف إلى تبادل الأفكار وتشارك المعرفة. إن الاعتراف بقول "أنني قد أكون مخطئاً" هو أمر يعزز التواصل اللازم للحفاظ على مثل هذا الموقف.

ملاحظة حول الاستنتاج

يتم التوصل إلى الاستنتاجات في المقام الأول بطريقتين. الأولى هي من خلال الملاحظة المباشرة - مثل رؤية شجرة أمامنا واستنتاج وجودها. ومع ذلك، فإن ما يميزنا عن العديد من المخلوقات الأخرى هو قدرتنا الرائعة على إجراء استنتاجات (Inferences) متقدمة ومعقدة للغاية، وهي الطريقة الثانية التي نصل بها إلى النتائج.

على سبيل المثال، لاحظ نيوتن تفاحة تسقط من شجرة واستنتج وجود قوة تسبب هبوط التفاحة نحو الأرض. هذا المثال المبسط يوضح ما ينطوي عليه "الاستنتاج": إنه نتيجة مستخلصة بناءً على الأدلة المتاحة والمنطق. في المحاكم، يصدر القضاة عادةً قراراتهم باستخدام الاستنتاج، وفي حياتنا اليومية، كثيراً ما نستنتج المواقف - مثل ملاحظة صديق يمر بنا في المدرسة دون أن يتسم والاستنتاج بأن شيئاً ما قد يكون خطأ معه. يمكن أن تكون استنتاجاتنا صحيحة أو باطلة، مما يؤدي إلى نتائج صائبة أو خاطئة بناءً على الملاحظة المباشرة أو القياس اللاحق. ومع ذلك، من تجاربنا الروتينية إلى أكبر الاكتشافات العلمية، تظل قدرتنا على الاستنتاج هي ملكتنا الأكثر حيوية في السعي وراء أي شكل من أشكال الحقيقة.

مساهمة العلم (Science) في فهم وجود كائن إلهي

على مر التاريخ، ومن التقدم العلمي الملحوظ في العصر الذهبي للإسلام إلى مساهمات العلماء الغربيين مثل جاليليو ونيوتن وشرويدنجر وفرانسيس كولينز، من الواضح أن العديد من الأفراد المتدينين قد برعوا في العلوم. تاريخياً، لم يكن يُنظر إلى العلم على أنه يعارض الإله بشكل أساسي. إن الاعتقاد المعاصر السائد بأن العلم قد دحض وجود إله شخصي وحياة بعد الموت هو منظور حديث نسبياً.

لقد ساعد العلم بلا شك في تبديد المعتقدات الجامدة (الدوغمائية) الناشئة عن كل من الإلهية والإلحاد - على سبيل المثال، صحح العلم مفاهيم خاطئة لدى بعض الجماعات الدينية بأن الأرض مسطحة وأن الكون يدور حولها. وبالمقابل، صحح العلم أيضاً الاعتقاد السابق الذي كانت تتمسك به بعض الجماعات الإلحادية واللا دينية بأن الكون ساكن وأبدي وغير متغير.

غالباً ما أسمع الناس يقولون إن "العلم يؤكد عدم وجود الله" أو على العكس من ذلك، إن "العلم يؤكد وجود الله". كلا القولين معيبان. فالعلم، كمجال للمعرفة، لا يخوض بشكل مباشر في مسألة وجود أو عدم وجود الخالق. إنه يكتفي بتقديم حقائق حول كيفية عمل واقعنا. دور العالم هو تقديم هذه الحقائق، ولكن العلماء وعامة الناس على حد سواء يقفون على أرض متساوية عند تفسير ما إذا كانت هذه الحقائق تشير نحو الله أم لا.

العلم: أداة واحدة من بين أدوات كثيرة

من الضروري ملاحظة أنه في السعي للحصول على إجابات للأسئلة الوجودية، فإن العلم هو مجرد واحدة من عدة ملكات يمكن للمرء استخدامها - لكنه ليس الأداة الوحيدة. يمكن للمرء أيضاً استخدام أدوات أخرى لا تقل أهمية، مثل البحث الفلسفي، والتحليل التاريخي، والشهادة الشخصية، والحجج المستمدة من الأخلاق والقيم.

فهم "كيف يعمل الشيء" لا ينفي احتمال خلقه من قبل الله

في عالم العلم، يسود اعتقاد بأن فهم كيفية وسبب عمل شيء ما يلغي الحاجة إلى التفكير في أصل ذكي، وهو اعتقاد مضلل. ينبع هذا المفهوم الخاطئ من الاعتقاد بأنه إذا عرفنا كيف يعمل شيء ما، فنحن لسنا بحاجة إلى "الله" لتفسيره. وهذا يشير إلى خطأ بأنه إذا كان هناك كائن إلهي متدخل، فيجب أن تكون أفعاله خارجة عن فهمنا - خارقة للطبيعة وغير قابلة للفهم. ومع ذلك، فإن فهم "كيف" أو "لماذا" يعمل شيء ما لا ينبغي أن يصنفه تلقائياً "كتفسير طبيعي" خالٍ من التدخل الذكي. أنا أختلف مع هذا التصور. ربما ساهمت قطاعات دينية معينة في هذا المفهوم من خلال تصوير الله في المقام الأول كصانع معجزات تكون أفعاله بطبيعتها خارجة عن فهمنا. ومع ذلك، فإن فكرة أن معرفة كيفية عمل شيء ما تنفي احتمال خلقه بواسطة قوة ذكية هي

فكرة معيبة.

غياب التفسير لا يبطل التفسير

إن عدم وجود تفسير للتفسير لا يجعله باطلاً. للتوضيح، إذا وجدنا كرسيًا وطاولة خشبيين على المريخ، فسندنتج منطقياً أن هناك ذكاءً مسؤولاً عن خلقهما. سنقوم بهذا الاستنتاج على الرغم من عدم معرفتنا من هو ذلك الذكاء أو كيف خلق هذه الأشياء. إن عدم معرفة من هو الذكاء ومن أين أتى لن يكون سبباً قوياً بما يكفي لرفض فرضية الذكاء تماماً.



الانفصال عن اللاأدرية والإلحاد

دعونا نجدد فهمنا بأن البشرية قد ناقشت الإلحاد والإيمان منذ الأزل. ولا يزال النقاش مزدهراً بين الفلاسفة، والمفكرين، والعلماء، والأكاديميين المرموقين من جميع جوانب الطيف. لذا، وبغض النظر عن الإجابات التي نتفق معها، يجب أن نكون دائماً منفتحين على احتمالية كوننا على خطأ، وأن نكون مستعدين للحكم بصدق على أي تحدٍ لمعتقداتنا بناءً على المنطق المطروح. يجب أن نسعى جاهدين لتقرير المسائل بناءً على استحقاقها بأفضل ما يمكننا.

في أواخر سن المراهقة، عرفتُ نفسي "لا أدرياً" لفترة وجيزة، مع ميل قوي نحو الإلحاد. كان ذلك يرجع إلى حد كبير إلى ما كنت أتصوره من قصور أخلاقي وعقلاني وعلمي في التعاليم الدينية السائدة حولي، مقترناً بالمواقف التسلطية لرجال الدين الذين قابلتهم. أشير إلى نفسي خلال تلك المرحلة بـ "الملحد اللاأدري"، لكنها كانت فترة وجيزة جداً من حياتي.

تشابه الأفكار الدينية عبر الثقافات المفصولة بالزمان والجغرافيا - سبب للتحقيق الجاد

لقد سمع الجميع تقريباً في العالم فكرة أن إلهاً خلق كل شيء وأن هذا الإله سيحاسب الجميع بعد الموت، مما يؤدي إلى عاقبة دائمة. سمعت ذلك أيضاً، ورفضته في البداية باعتباره رواية اخترعها البشر لفهم العالم الذي لم يفهموه ولممارسة السيطرة على المجتمع. وكما ناقشت سابقاً، فإن العواقب الوخيمة المحتملة للحساب الإلهي يجب أن تدفع الجميع إلى التقييم المستمر لما إذا كانت هناك أي حقيقة في هذه الأمور. وبالتالي، كنت دائماً أراقب المعلومات التي قد تتحدى إحدادي. ومع ذلك، فإن سبباً غريباً أقنعني بالتحقيق بجدية في هذه الأفكار: تقريباً كل ثقافة بشرية في التاريخ المسجل، مع استثناءات قليلة جداً مثل شعب "بيراها" (Pirahã) في منطقة الأمازون، حملت مفاهيم متشابهة عموماً حول الله والحساب الإلهي. وبينما تختلف تفاصيل هذه المفاهيم بشكل واسع، إلا أنها تتضمن عموماً سمات متشابهة: إله خالق، اتصال وتبادل معلومات مع الكيانات الإلهية أو الأخروية، استمرار الوعي بعد الموت الجسدي، حساب إلهي يلي الموت، ونتيجة دائمة إيجابية أو سلبية بناءً على ذلك الحساب.

في الوهلة الأولى، قد لا يبدو هذا جديراً بالملاحظة، ولكن عندما تفكر فيه بعمق، يصبح الأمر محيراً للغاية. تخيل ثقافات ومجتمعات،

تفصل بينها الأزمان والجغرافيا ولم تتبادل المعلومات أبداً، تصل جميعها إلى مفاهيم متشابهة عموماً حول الوجود.

"الدين — الإيمان بكائنات خارقة للطبيعة، بما في ذلك الآلهة والأشباح والملائكة والشياطين والأرواح والأنفس — يمكن العثور عليه عبر التاريخ وفي كل ثقافة. كل ثقافة بشرية معروفة لديها أساطير خلق، مع استثناء محتمل لشعب "بيراها" في الأمازون، الذين يفتقرون أيضاً إلى كلمات للأرقام، وكلمات للألوان، والتسلسل الهرمي الاجتماعي." ^١

سوف نتعمق في تفاصيل هذه التشابهات في فصل لاحق عندما أناقش تفسير القرآن للأديان الأخرى. في الوقت الحالي، أريد التأكيد على ما دفعني للتفكير بجديّة أكبر في إمكانية أن أكون مخلوقاً من قبل ذكاء ما وأن أحاسب من قبل ذلك الذكاء. لماذا وصلت كل ثقافة بشرية تقريباً بشكل مستقل إلى أفكار متشابهة عموماً حول أصولنا والغرض منها حول خالق ذكي وشكل من أشكال المساءلة من قبل ذلك الخالق؟ هناك تكهنات مختلفة داخل الدوائر الخبيرة، ولكن

^١ "هل نحن مفطورون على الإيمان بقوة عليا؟"، بي بي سي تيتش، تم الدخول

إليه في ١٧ أبريل ٢٠٢٤، [https://www.bbc.co.uk/teach/are-](https://www.bbc.co.uk/teach/are-we-wired-to-believe-in-a-higher-power/z74xkmn)

[we-wired-to-believe-in-a-higher-power/z74xkmn](https://www.bbc.co.uk/teach/are-we-wired-to-believe-in-a-higher-power/z74xkmn)

بالنسبة لي، أصبح هذا أحد الأسباب الرئيسية التي دفعتني للتحقيق في احتمالية وجود الله والمساءلة الإلهية.

إن مسألة الخالق الذكي ظلت تطفو على السطح، حيث أن الدين ليس وحده من يقنع المرء بالتفكير في فكرة الذكاء كمصدر لكل شيء في الواقع، إن طبيعة الواقع ذاتها تجبر المرء على التساؤل عما إذا كان مثل هذا الاحتمال حقيقياً.

ظهر أول صدع في إلحادي حوالي عام ٢٠٠٤-٢٠٠٥ عندما تراجع الفيلسوف الملحد الشهير والمؤثر "أنتوني فلو" عن إلحاده الذي دام طوال حياته وهو في سن الحادية والثمانين. أعلن إيمانه بوجود ذكاء وراء كل شيء وفصل معتقداته في كتابه "هناك إله - كيف غير أشهر ملحد في العالم رأيته"^٢. لقد رفض فلو الأديان والمفهوم الديني للإله، وبدلاً من ذلك آمن بذكاء خلق كل شيء ولكنه لم يتدخل في الشؤون اليومية للبشر. ومع ذلك، فإن تحوله جعلني أعيد فحص إلحادي الخاص.

بعد إعادة تقييم جادة، بدأت "علاقتي العابرة" بالإلحاد في الثلاثي لأن الأسس ذاتها التي بنيت عليها نظرتي للعالم بدأت تنهار. كنت

^٢ انظر: فلو، أنتوني، وروي أبراهام فارغيز. هناك إله: كيف غير أشهر ملحد في العالم رأيته. هاربر وان، ٢٠٠٧.

أعتقد أنني رتبت كل شيء فيما يتعلق بنظرتي للعالم. كنت أعتقد أننا مجرد ذرة في وجود هائل، مما يعني أننا لسنا أكثر من مجرد حادث احتمالي. الواقع الأساسي، السبب الذي لا مسبب له لكل شيء، هو مزيج بدائي من حقول الطاقة والقوانين. كنت أعتقد أن التقلبات الكمية العشوائية سببت كل شيء. كنت أعتبر دماغي هو من يشمل كليتي، وأن توقف دماغي يعني نهايتي. كانت كل النقاشات حول كيان واعٍ وذكي خلق كل شيء واستمرار وعيي بعد الموت الجسدي تعتبر بالنسبة لي مجرد أساطير دينية، منحصرة على تجارب بشرية ذاتية لا أساس لها أو أساس في الواقع العلمي.

ومع ذلك، كل ذلك تغير. تبين أن اعتقادي بأن العلم والعقلانية قد بررا الإلحاد تمامًا كان خاطئًا. فيما يلي الأسباب الرئيسية التي جعلتني لا أستطيع البقاء مقتنعًا فكريًا بالإلحاد.

أسباب الشك في إلحادي

١ - أهمية الوعي والذكاء

كنت أشعر بالحيرة من قدرة الكون على السماح بوجود الوعي والذكاء. وفي الوقت نفسه، كنت أعتقد أننا نحن البشر نميل إلى النرجسية، فنلحق بأنفسنا أهمية مفرطة وغير مستحقة. هذه النرجسية، كما كنت أظن، كانت أكثر وضوحًا في معتقداتنا الدينية وهي تعبير عن الأهمية

الذاتية مدفوعة بالحاجة إلى خالق خاص خلقنا لغرض متميز. إذا كانت الحيوانات الأخرى لا تشكك في وجودها، فلماذا نفعل نحن ذلك؟ هل هو مجرد بسبب معدل ذكائنا الأعلى، أم هو أيضاً لأننا لا نطبق أن نشعر بأننا عاديون، وغير مهمين، وبلا هدف، ومحكوم علينا بالموت قريباً والتلاشي في النسيان؟ كنت أعتقد أن كل مفاهيم أهمية البشرية، كما تدعو إليها الأديان، قد تحطمت بالاكتشافات التي تثبت أننا لسنا مركز العالم، وأن عالمنا ليس مركز الكون. نحن مجرد نوع واحد من بين الملايين، نسكن كوكباً صغيراً يدور حول نجم متوسط الحجم في مجرة تحتوي على أكثر من ٢٠٠ مليار نجم في مجرة متوسطة الحجم في محيط من الملايين، وربما المليارات، من المجرات. ولأننا جزء ضئيل جداً من وجود ضخّم بشكل ساحق، فإننا لانهم بأي طريقة موضوعية ولا ينبغي لنا أن نشعر بالحاجة إلى استدعاء أي خالق خاص لتفسير وجودنا.

الحجم والقيمة

ومع ذلك، أدركت قريباً أن الحجم المادي والنسب ليست بأي حال من الأحوال معايير كافية لقياس قيمة أي شيء. في الواقع، غالباً ما تزيد الندرة والشح من القيمة بدلاً من تقليلها. فكر في الذهب والألماس، على سبيل المثال، أو واحة صغيرة من المياه العذبة محاطة بمئات الأميال

من الصحراء القاحلة.

الوعي - مصدر كل الأهمية

والأهم من ذلك، بل والأكثر حسماً، أن الوعي يحمل أهمية أساسية لأنه مصدر كل معنى وقيمة، حيث يتطلب الأمر عقولاً واعية لتبدأ في إضفاء أي نوع من الأهمية أو المعنى أو القيمة على أي شيء.

الذكاء: أحد أقوى القوى في الكون

بقدر ما يتعلق الأمر بالذكاء، فهو مهم لأنه واحد من أقوى الظواهر في الكون المعروف. يمكنه التغلب على الحدود الطبيعية المفترضة من خلال التلاعب بقوى الطبيعة بمستويات دقيقة بشكل متزايد، مما يسمح لنا باستخدام هذه القوى والعمليات لتحقيق أهدافنا.

أهمية تحول المادة غير الحية إلى حية مدركة

ثم، بالطبع، هناك مفاهيم غير ملموسة قد يجادل البعض بأن لها وجوداً مستقلاً — الحب، والجمال، والحقيقة، والتضحية، والعدالة، والظلم، والألم، والمعاناة. عندما تصبح المادة غير الحية حية وتكتسب القدرة على تجربة وإحاط كل ما سبق، فإن ذلك يمثل بالنسبة للبعض الحدث الأكثر أهمية في تاريخ كومة من المادة كانت بخلاف ذلك غير ملموسة والتي تشكل الكون.

لتلخيص ذلك، كان أحد أركان إلحادي هو الاعتقاد بأننا نحن البشر غير مهمين، وأن كل القصص التي تنسب أهميتنا إلى الله هي قصص زائفة. ومع ذلك، تحولت وجهة نظري عندما أدركت الطبيعة الحقيقية للأهمية ومدى الأهمية العميقة التي نتمتع بها.

٢ - فكرة الملحد عن "سبب أول بلا مسبب" ليست أبسط من فرضية الله

كوننا موجود بسبب القيم المضبوطة بدقة بشكل غير عادي للقوانين والقوى التي تحكم المادة. حتى التغيرات الطفيفة في هذه القيم ستؤدي إلى كون مختلف تماماً عن كوننا. فكر في الجاذبية: أي زيادة في قوتها، مهما كانت طفيفة، ستؤدي إلى انهيار كل شيء نحو الداخل، بينما النقص، مهما كان طفيفاً، سيمنع الأشياء من التكتل معاً. وهذا من شأنه أن يلغي إمكانية ظهور الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والكواكب والنجوم والمجرات. على الرغم من وجود نقاش مستمر بين العلماء، فمن المعترف به عموماً وجود حوالي ٢٦ ثابتاً من هذا القبيل، مع احتمال وجود الكثير غيرها. يشير المؤمن إلى الضبط الدقيق للكون كدليل على وجود تصميم ذكي وراءه وفي الوقت نفسه، يقدم الملحد نظريات مضادة، مثل نظرية الأكوان المتعددة. تقترح هذه النظرية وجود عدد هائل لا يتخيله عقل من الأكوان، كل منها بثوابت متفاوتة،

تظهر وتختفي من الوجود؛ وكوننا صادف فقط أن لديه الثوابت الصحيحة لدعم الحياة والذكاء. ومع ذلك، هناك نقطة اتفاق بين المؤمنين والملحدين: ضرورة وجود سبب لا مسبب له لكل شيء. كان هذا السبب الذي لا مسبب له أيضاً موضوع تأملاتي.

لأن كل شيء موجود، فإن كلاً من الملحد والمؤمن مضطران لقبول وجود سبب لا مسبب له أعطى النشأة لكل شيء. هذا إجبار لأننا لا يمكن أن يكون لدينا تراجع لانتهائي من الأسباب، لأن ذلك قد يعني أن لا شيء يمكن أن يوجد أبداً. دعني أشاركك مثلاً: إذا كنت ستسافر إلى باريس من أي نقطة انطلاق ووصلت في النهاية إلى باريس، فهذا يعني أن المسافة المقطوعة كانت محدودة. إذا كانت المسافة بين باريس ونقطة انطلاقك لانتهائية، فلن تصل أبداً إلى باريس، لأنك ستسافر إلى ما لا نهاية دون الوصول إلى وجهتك. ينطبق هذا المبدأ أيضاً على الوجود نفسه. حقيقة أن واقعنا موجود تعني أن هناك عدداً محدوداً من الأسباب وراءه. وهذا يشير منطقياً إلى وجود حقيقة أساسية ونهائية توجد بالضرورة، والذي أدّى إلى وجودنا والواقع الذي يحيط بنا. الفرق الوحيد بين المؤمنين بالله والملحدين هو أن الأوائل يؤكدون أن هذه الحقيقة النهائية هي عقل بدائي أو وعي قادر على تحقيق كل ما يقصده، بينما يعتقد الآخرون أن الحقيقة النهائية هي نوع من المزيج البدائي للمادة والطاقة والقوانين التي تسبب كل شيء بحثة من خلال

عمليات غير واعية وغير موجهة.

كنت أؤمن بالحل الإلهادي لأنه بدا أبسط، وبالتالي أكثر جاذبية من الناحية العقلانية من الكيان المعقد للغاية المعروف باسم "الله". ومع ذلك، عندما فكرت أكثر في السبب الأول غير المسبب غير الإلهي، بدا الأمر ليس بهذه البساطة عند مقارنته بفرضية الله. كان على هذا "الشيء البسيط" الحقيقة النهائية للملحد أن يشمل جميع المكونات والآليات المطلوبة للتطور في النهاية إلى كائنات ذكية وحساسة لديها عواطف وأخلاق وجماليات. وكان عليه أيضاً دعم واقع يلي هذه السمات، بما في ذلك اللون والموسيقى والجمال والعدالة والظلم وكل شيء رائع وبشع. لم يبدو افتراضاً بسيطاً جداً أن كل ما سبق قد حدث ووجد داخل ذلك الشيء البسيط لمجرد الضرورة. المادة، حتى في أكثر أشكالها بدائية، تمتلك دائماً إمكانيات استثنائية تتطلب تفسيراً.

إن فكرة أن حقيقة نهائية، واعية وذكية بطبيعتها، توجد بالضرورة وتكشف من خلال مجرد الصدفة، ليست بأي حال من الأحوال أكثر قبولاً على مقياس البساطة النسبية مقارنة بفكرة أن مثل هذه الحقيقة موجودة عن قصد وذكاء، مما يعطي نشأة لكل شيء من خلال تصميم متعمد. وضع هذا الإدراك حداً كبيراً لميلي نحو الإلهاد، مما جعل فرضية وجود إله أو ذكاء إلهي تبدو أقل تعقيداً من البديل الإلهادي. لقد بدد اعتقادي الخاطئ بأن الأخير كان أكثر عقلانية ومصداقية من

الناحية العلمية من الأول.

٣ - عدم جدوى فهمنا لما هو "بسيط" وما هو "معقد"

تقترح نظريات ناشئة مثل نظرية الأوتار (String Theory)، ونظرية المجموعات السببية (Causal Set Theory)، والجاذبية الكمية الحلقية (Loop Quantum Gravity) أن الزمان والمكان ليسا أساسيين. بالإضافة إلى ذلك، يجادل مؤيدو نظرية الانفجار العظيم بأن الزمان والمكان نفسيهما ظهرا من نقطة تفرد (singularity) قبل حوالي ١٤ مليار سنة. الآن، ومن باب التكهّن البحت، تخيل لو أن الزمان والمكان لم يكونا أساسيين بالفعل. هذا السيناريو سيفتح الباب لوجود حقائق وراء الزمان والمكان واقع يتجاوز مفاهيم "أين" و"متى". نحن كبشر محدودون بتجربة وفهم الواقع ضمن قيود الزمان والمكان. إذا كان هناك أي واقع بدون أو خارج الزمان والمكان، فلا يمكننا استيعابه على أي مستوى. إن تعريفاتنا للبساطة والتعقيد لن تنطبق في ذلك الواقع لأن كل تعريفاتنا وتصوراتنا وتجاربنا توجد ضمن إطار الزمان والمكان.

لنقم بإجراء تجربة فكرية هل يمكنك تخيل أي شيء موجود دون أن يشغل أي مساحة؟ أو هل يمكنك تخيل أي شيء موجود لا يتأثر بالزمان؟ على الأرجح لا! قد يكون هناك مثل أو تشبيه بسيط للغاية

لما أحاول نقله وهو أنه في بيئة انعدام الجاذبية في الفضاء، تصبح كل تعريفاتنا وتصوراتنا للوزن ومدى ثقل أو خفة الشيء غير ذات صلة. ومن ثم، إذا وجد واقع يتجاوز الزمان والمكان، فإن تعريفاتنا لما هو بسيط وما هو معقد ستصبح غير ذات صلة تماماً في مثل هذا المجال. إن رفض فكرة الله لأنها تبدو معقدة للغاية كسبب أول، بناءً على خبرتنا المحدودة جداً داخل الزمان والمكان، هو نهج ضيق للغاية تجاه الواقع.

٢ - الإيمان بخالق له أوجه تشابه معنا: اعتقاد مبرر

قال أحدهم ذات مرة إنه إذا كان بإمكان الدلافين أن تتساءل من أين أتت، فمن المحتمل أن تتخيل خالقاً هو في الأساس دلفين عظيم. كنت أتأمل في مثل هذه الأقوال وأفكر في الحماقة التي ارتكبتها البشرية من خلال التفكير بجدية في احتمالية أن يكون وعي مشابه لوعينا هو خالق كل شيء: إله واعٍ، يفكر، يقصد، يتحدث، يشعر بالسعادة، يظهر الرحمة، ويغضب. إن نسب مثل هذه السمات البشرية للسبب الأول غير المسبب لكل شيء ليس بالتأكيد مختلفاً عن سداجة تلك الدلافين.

ومع ذلك، إذا أصبحت مجموعة من الدلافين ذكية بما يكفي للتفكير في الأسئلة الوجودية، مع مراعاة جميع أنواع الاحتمالات فيما يتعلق

بمن أو ما الذي خلقها، فستكون أيضاً مبررة في افتراض وجود خالق يشبهها على الأقل بطريقة أنه يمتلك أيضاً ذكاءً. علاوة على ذلك، إذا أصبحت تلك الدلائل ماهرة في فهم واقعها والتلاعب به، تماماً مثلنا نحن البشر، فلن ألومها لتفكيرها في أنها قد تشترك في مستوى معين من التشابه المحدود مع أي قوة غير محدودة سببت كل شيء، ببساطة لأن واقعها مفهوم جداً بالنسبة لها على سبيل المثال، إذا اكتشفنا سفينة فضائية غريبة فارغة على المريخ وتعلمنا كيف تعمل السفينة، فيمكننا أن نفترض بشكل معقول أنه بينما يمكن أن يكون أصحاب السفينة مختلفين تماماً عنا في نواح كثيرة، إلا أنهم يشبهوننا ذهنياً على الأقل في بعض النواحي، لأننا نفهم كيف تعمل سفينتهم الفضائية. لذا، إذا استوعبنا الواقع جيداً، فيمكننا أن نفترض بحق أنه إذا كان السبب غير المسبب لكل شيء هو "شخص" وليس "شيئاً"، فإن ذلك الشخص يشبهنا على الأقل بطريقة تجعلنا نستطيع فهم العديد من أفعاله.

٥ - فكرة الوعي الذي كسب أول لكل شيء - إمكانية واقعية

قد يكون الوعي جزءاً أساسياً من الواقع
بدا الاقتراح الديني بأن السبب الأول لكل شيء هو كيان ذووعي زائفاً تماماً بالنسبة لي. كنت أعتقد أن الوعي مجرد وظيفة للدماغ خاصة ناشئة عن تفاعلات كهروكيميائية. كيف يمكن لوظيفة دماغية أن

تكون جزءاً من السبب الأول لكل شيء؟ بدا الأمر وكأنه فكرة دينية مضحكة وخيالية لا أساس لها في المجال غير الديني. ومع ذلك، اكتشفت نظريات داخل الدوائر غير الدينية يأخذها علماء موثوقون على محمل الجد تشير إلى أن الوعي قد لا يكون مجرد ظاهرة ناشئة عن الدماغ. يمكن أن يكون شيئاً أساسياً للواقع نفسه. بالطبع، أنا لا ألمح إلى أن هذا يثبت أن كياناتاً واعياً مثل الله خلق كل شيء. أنا ببساطة أذكر أن الاعتراف غير الديني باحتمالية أن يكون الوعي أكثر من مجرد وظيفة دماغية وأنه في الواقع جزء أساسي من كل الواقع يرفع فكرة السبب الأول الواعي من كونها مجرد اقتراح ديني لا أساس له في الواقع غير الديني إلى كونها إمكانية جادة متجذرة في الخطاب غير الديني.

إحدى هذه النظريات هي "عمومية الروح" (Panpsychism)، والتي تقترح أن الوعي ليس خاصية ناشئة عن التفاعل المعقد للمادة، بل هو مجال أساسي يتخلل الواقع. تشير هذه النظرية إلى أن كل شيء في الوجود يمتلك مستوى معيناً من الوعي: يظهر البشر مستوى عالياً من الوعي، وتمتلك الكلاب وعياً على نطاق أقل، والحشرات على نطاق أقل من ذلك، وحتى الجسيمات دون الذرية تحمل مستوى ضئيلاً للغاية من الخبرة والوعي. قبل بضعة عقود، كانت مثل هذه النظرية تعتبر غير معقولة. ومع ذلك، هناك الآن ارتياح وقبول متزايد بين المجتمع

العلمي لهذه الفكرة. منشورات محترمة ومرموقة في العالم العلمي، مثل "نيوساينتست" (New Scientist) و"ساينتفك أمريكان" (Scientific American)، تستكشف وتناقش هذه النظرية بشكل متزايد كاحتمال علمي جاد للغاية.

لقد قرأت بعض المقالات المثيرة للاهتمام حول هذا الأمر في المجلات العلمية "نيوساينتست" و"ساينتفك أمريكان". عندما تفسح مثل هذه المنصات الموثوقة المجال لنظرية ما، فهذا يعني أنها تحظى باهتمام جدي من المجتمع العلمي. يكتب مايكل بروكس:

"إن مسألة كيف تؤدي المادة إلى الخبرة الشعورية هي واحدة من أكثر المشاكل إرباكاً التي نعرفها. وبالتأكيد، فإن أول نموذج رياضي متكامل للوعي قد أثار جدلاً هائلاً حول ما إذا كان بإمكانه إخبارنا بأي شيء منطقي. ولكن بينما يعمل علماء الرياضيات على صقل وتوسيع أدواتهم للنظر بعمق داخل أنفسنا، فإنهم يواجهون بعض الاستنتاجات المذهلة.

ليس أقلها أن ما يكشفون عنه يبدو أنه يشير إلى أنه إذا أردنا تحقيق وصف دقيق للوعي، فقد يتعين علينا التخلص من حدسنا وقبول أن جميع أنواع المادة غير الحية يمكن أن تكون واعية — ربما حتى الكون كله.

قد تكون هذه بداية لثورة علمية، كما يقول يوهانس كلاينر، عالم

الرياضيات في مركز ميونيخ للفلسفة الرياضية في ألمانيا.^٣
إن فكرة أن كل شيء يمتلك درجة معينة من الوعي قد تكون لها
آثار دينية أو روحية. ومع ذلك، فإن هذا المفهوم يكتسب أيضاً شعبية
بين الأوساط المادية والطبيعية. إن افتراض الوعي كخاصية أساسية
للواقع يقدم تفسيراً غير خارق للطبيعة للوعي.
بالنسبة للقائل "بعمومية الروح"، الوعي هو الطبيعة الجوهرية للمادة.
لا توجد سوى المادة، في وجهة النظر هذه، لا شيء خارق للطبيعة أو
روحي. ولكن يمكن وصف المادة من منظورين. يصف العلم الفيزيائي
المادة "من الخارج"، من حيث سلوكها. لكن المادة "من الداخل" أي
من حيث طبيعتها الجوهرية تتكون من أشكال من الوعي.
"ما يقدمه لنا هذا هو طريقة بسيطة وجميلة وأنيقة لدمج الوعي
في نظرتنا العلمية للعالم، للربط بين ما نعرفه عن أنفسنا من الداخل
وما نخبرنا به العلم عن المادة من الخارج".^٤

^٣ بروكس، مايكل. "هل الكون واعٍ؟ يبدو الأمر مستحيلاً حتى تقوم بالحسابات".
نيو ساينتست ٢٩ (٢٠٢٠): ٤٠-٤٤.

^٤ غاريث كوك، "هل يتغلغل الوعي في الكون؟"، ساينتفك أمريكان، تم الدخول
إليه في ١ مارس ٢٠٢٤،

<https://www.scientificamerican.com/article/does-consciousness-pervade-the-universe/>

تكتسب "عمومية الروح" أيضاً قبولاً بسبب نظرية المعلومات المتكاملة (IIT) التي طورها عالم الأعصاب جوليو تونيوني. كما يكتب هورغان:

"تبدو لي عمومية الروح سخيفة بشكل بديهي، لكن الأشخاص غير الحمقى — لا سيما تشالمرز وعالم الأعصاب كريستوف كوخ — يأخذونها على محمل الجد. كيف يمكن أن يكون ذلك؟ ما الذي يجذب اهتمامهم؟ هل رفضت عمومية الروح بتسرع شديد؟ — هذه الأسئلة استدرجتني إلى ورشة عمل لمدة يومين حول نظرية المعلومات المتكاملة في جامعة نيويورك الشهر الماضي صممت من قبل عالم الأعصاب جوليو تونيوني (الذي تدرب على يد الراحل العظيم جيرالد إيدلمان)، IIT هي نظرية طموحة للغاية للوعي. إنها تنطبق على جميع أشكال المادة، وليس فقط الأدمغة، وهي تشير ضمناً إلى أن عمومية الروح قد تكون صحيحة. كوخ وآخرون يأخذون عمومية الروح على محمل الجد لأنهم يأخذون IIT على محمل الجد." °

° جون هورجان، "هل يمكن لنظرية المعلومات المتكاملة أن تفسر الوعي؟"

سايتفك أمريكان، تم الدخول إليه في ١٥ مارس ٢٠٢٤،

<https://www.scientificamerican.com/blog/cross-check/can-integrated-information-theory-explainconsciousness./>

كنت أعتقد أن الفكرة الدينية عن كائن واعٍ خلق كل شيء قد نفاها العلم بشكل قاطع. كنت أظن أن العلم قد أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الوعي هو مجرد نتاج دماغ مادي. ومع ذلك، عندما واجهت مفكرين جادين غير دينيين يستكشفون احتمالية أن يكون الوعي أساسياً للواقع بدلاً من أن يكون مجرد نتيجة للدماغ، بدأت أرى فكرة السبب الأول لكل شيء الذي يمتلك وعياً على أنها لم تعد مستحيلة.

ومع ذلك، فإن الوعي لا يعادل الذكاء. هل لدينا أبحاث ونتائج مماثلة تشير إلى أن الوعي، الذي قد يكون من المحتمل أن يكون هو العلة غير المعلولة لكل شيء، يمتلك أيضاً ذكاءً؟ نعم، لدينا ذلك. إننا نجد سمات الذكاء في صميم العمليات التي تمكّن الحياة، وقد تكون علامات الذكاء مغروسة جيداً في نسيج الواقع نفسه.

الحمض النووي (DNA) – سمات الذكاء

غالباً ما يتم تقديم التطور الدارويني كدليل بيولوجي نهائي على عدم وجود إله. ومع ذلك، فإن عدداً كبيراً من العلماء يتحدثون التطور الدارويني - فكرة أن جميع الأنواع تطورت من خلية واحدة - ويقترحون آليات تطويرية بديلة لتفسير أصول التنوع البيولوجي. يُعد "الطريق الثالث" (The Third Way) مورداً ممتازاً لاستكشاف

هذه النظريات البديلة.^٦ لكن نقطتي هي، حتى لو كان التطور الدارويني صحيحاً، فإنه لن ينفي بالضرورة وجود إله؛ بل سيتحدى فقط مفهوم الإله الذي لا يستخدم التطور من خلال الانتقاء الطبيعي كوسيلة لتوليد تنوع الحياة. إن الافتراض بأن من خلال الطفرات العشوائية والانتقاء الطبيعي تطورت خلية واحدة إليّ وإليك على مدار فترة زمنية قصيرة نسبياً، حتى بمعاييرنا الزمنية، هو شهادة على الطبيعة الفعالة للحمض النووي. هذه القدرة على إنتاج مثل هذه الحياة المتنوعة، والتي بلغت ذروتها في النهاية في الذكاء وكل ما يصاحبه، تنبع من الحمض النووي - حجر الزاوية لجميع عمليات الحياة. لقد دفعني هذا إلى التساؤل عن إلحادي بدلاً من تعزيته.

صرح بيل غيتس، في كتابه الصادر عام ١٩٩٦ بعنوان "الطريق إلى الأمام"، بذكاء:

"إن الحمض النووي يشبه برنامج كمبيوتر ولكنه أكثر تقدماً بكثير من أي برنامج تم إنشاؤه على الإطلاق."^٧

يشتمل الحمض النووي بشكل أساسي على تعليمات حول كيفية إنشاء وإدارة كائن حي، مكتوبة بلغة مكونة من أربعة أحرف. تمثل هذه

^٦ انظر: "الطريق الثالث للتطور"، تم الدخول إليه في ١٥ مارس ٢٠٢٤،

[./https://www.thethirdwayofevolution.com](https://www.thethirdwayofevolution.com)

^٧ بيل غيتس، الطريق إلى الأمام (نيويورك: مجموعة بنغوين، ١٩٩٥)، ١٨٨.

— اكتشافي لله وللإسلام ويوم القيامة 66 —

الأحرف القواعد النيوكليوتيدية: الأدينين، والجوانين، والثيمين، والسيتوزين (في الحمض النووي الريبي RNA، يحل اليوراسيل محل الثيمين). يتم ترميز هذه التعليمات وتخزينها داخل كل خلية من خلايا كل كائن حي، وهناك آلية معقدة داخل كل خلية تقرأ، وتفك الشفرة، وتعديل، وتنسخ، وتنفذ التعليمات البرمجية. هذه المعلومات الإرشادية - معلومات من أعلى المستويات، مكتوبة بلغة - هي سمة من سمات الذكاء. نحن البشر الكيانات الوحيدة الأخرى المعروفة بإنتاج مثل هذه المعلومات. لقد حققنا الإنجاز المتمثل في كتابة التعليمات باستخدام الحروف والأبجديات مؤخراً نسبياً، منذ حوالي خمسة آلاف عام، مع ظهور الكتابة عندما أصبحنا أكثر تحضراً وتطوراً. إن مفهوم ترميز المعلومات هو أكثر حداثة، حيث يمثل صعود عصر المعلومات ويقف كواحد من أعظم إنجازات الذكاء البشري.

إنه لأمر غير عادي حقاً أن نجد شيئاً نحدده كسمة مميزة للذكاء كعملية أساسية لأصل الحياة وإدارتها. ومع ذلك، ليس فقط في أساس الحياة نجد معلومات مشفرة؛ هناك أيضاً احتمال قوي جداً بأن المعلومات المشفرة قد تكون مغروسة في نسيج الواقع نفسه.

المعلومات المشفرة المغروسة في نسيج الواقع هي علامة على الذكاء
إن فكرة أن هناك ذكاءً ما مسؤولاً عن كل شيء لم تعد حكرًا على

الدين. إن النظرية القائلة بأن كوننا قد يكون محاكاة تم إنشاؤه بواسطة مصدر ذكي تتم مناقشتها الآن بين العلماء كاحتمال جدي. إن قدرة واقعنا على كشف الحقائق، التي تدفع العلماء إلى النظر في مثل هذه الفرضية بجدية، قد عززت شكوكي المتزايدة في أن ذكاء ما هو سبب كل شيء.

إن الاكتشافات النظرية للفيزيائي الشهير الدكتور جيمس جيتس هي نوع من النتائج التي أضافت، بالنسبة لي، معقولة ومنطقية لفكرة وجود ذكاء ما كمصدر لكل شيء. أتذكر مشاهدة مناقشة بعنوان "هل نعيش في محاكاة؟" على يوتيوب. كانت هذه المناقشة، التي استضافها نيل ديجراس تايسون، جزءاً من مناظرة إسحاق أسيموف التذكارية في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي. لقد ذهلت مما صرح به الدكتور جيتس، أحد المشاركين، رداً على سؤال "إلى أين أخذك هذا السعي؟":

"د. جيتس: "حسناً، لقد أخذني ذلك جزئياً إلى هذه الصور الغريبة الموجودة خلف رأسك الآن (يشير إلى الشاشة). هذه صور لمعادلات. على مدى خمسة عشر عاماً الماضية، كنت أحاول الإجابة على أنواع الأسئلة التي كان يطرحها زملائي. لقد توصلت إلى فهم أن هناك هذه الصور المذهلة التي تحتوي على كل المعلومات الخاصة بمجموعة من المعادلات المرتبطة بنظرية الأوتار. وهي أكثر غرابة من ذلك لأنه عندما تحاول فهم هذه الصور، تجد أن بداخلها أكواد

حاسوبية مدفونة تماماً مثل النوع الذي تجده في المتصفح عندما تذهب للبحث في الويب. لذا، فقد تُركت مع لغز محاولة معرفة ما إذا كنت أعيش في 'الماتريكس' أم لا."

نيل: "انتظر! أنت تذهل عقلي في هذه اللحظة. إذاً، هل تقول إن محاولتك لفهم العمليات الأساسية للطبيعة تقودك إلى مجموعة من المعادلات التي لا يمكن تمييزها عن المعادلات التي تدير محركات البحث والمتصفحات على أجهزة الكمبيوتر لدينا؟"

د. جيتس: "هذا صحيح."

نيل: "انتظر - يجب أن أصمت لدقيقة هنا. إذاً، أنت تقول إنك بينما تُدَقِّقُ وَتَعَمِّقُ تجد كود حاسوبي مكتوبا في نسيج الكون."
د. جيتس: "في المعادلات التي نريد استخدامها لوصف الكون

- نعم."^٨

إن اكتشاف الدكتور جيتس النظري مدعوم بما يمكننا ملاحظته حول الفضاء نفسه. إذا كان أينشتاين على حق، فلا يوجد شيء اسمه "فضاء فارغ" في أي مكان. ما نتصوره كفضاء فارغ حولنا هو وسط بخصائصه المحددة. وهذا يعني أن نسيج الواقع، وهو الفضاء ذاته الذي

^٨ المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، "مناظرة إسحاق أسيموف التذكارية لعام ٢٠١٦: هل الكون محاكاة؟"، تم الدخول إليه في ٨ أبريل ٢٠١٦،

<https://www.youtube.com/watch?v=wgSZA3NPpBs>.

يوجد فيه كل شيء، أو ما سماه أينشتاين "الزمكان"، مشبع بالمعلومات. نحن نفهم من خلال عدسات الجاذبية أن الفضاء يمكن أن ينحني ويتقوس. المادة تأمر الفضاء كيف ينحني، والفضاء يملئ على المادة كيف تتحرك. هذا التفاعل يفسر سبب دوران الجسيمات دون الذرية حول النواة، ودوران الكواكب حول الشمس، ودوران النجوم داخل المجرات، ودوران المجرات حول محاورها، وربما تتحرك في نمط منتظم داخل الكون.

الفضاء الفارغ مليء بالمعلومات المشفرة. وهذا هو أيضاً موقف منظري الأوتار الحديثين، الذين يقترحون "المبدأ الهولوجرافي". ووفقاً لهذا المبدأ، فإن الفضاء هو صورة هولوغرامية تم إنشاؤها من معلومات مشفرة على مستوى ثنائي الأبعاد أقل. يدعم ليونارد سسكيند، المدير المؤسس لمعهد ستانفورد للفيزياء النظرية، هذا الرأي:

"إن العالم ثلاثي الأبعاد للتجربة العادية - الكون المليء بالمجرات والنجوم والكواكب والمنازل والصخور والناس - هو هولوغرام، صورة للواقع مشفرة على سطح ثنائي الأبعاد بعيد. هذا القانون الجديد للفيزياء، المعروف باسم المبدأ الهولوجرافي، يؤكد أن كل شيء داخل منطقة من الفضاء يمكن وصفه ببتات (bits) من المعلومات مقيدة بالحدود."⁹

⁹ ليونارد سسكيند، معركة مع ستيفن هوكينج لجعل العالم آمناً لميكانيكا الكم (ليتل براون آند كومباني، ٢٠٠٨).

إن احتمال أن يكون نسيج الواقع ذاته مغروساً بمعلومات مشفرة، والتي تعتبر حاسمة ليكون الكون على ما هو عليه ولوجود الحياة والوعي، هو نوع الشيء الذي دفعني للبدء في الميل لصالح فرضية "الذكاء" كتفسير لواقعنا الذي يعترف بالمعلومات الإرشادية في شكل كود كسمة مميزة للذكاء.

المصدر الوحيد المعروف للمعلومات في شكل تعليمات مشفرة هو نحن، البشر - ذكاء! وبالنظر إلى أن: أ) الذكاء هو المصدر الوحيد المعروف للمعلومات الرقمية المشفرة، ب) هذا النوع من المعلومات ضروري لجعل الحياة ممكنة، و ج) هناك احتمال أن تكون هذه المعلومات مغروسة في نسيج الواقع، فسيكون من المنطقي والمعقول استنتاج أنه قد يكون هناك بالفعل ذكاء مسؤول عن هذا. لقد تم تطوير هذا الخط من التفكير في الواقع من قبل تشارلز داروين نفسه. دعوني أشرح بكلمات الدكتور ستيفن ماير:

"راد داروين أسلوباً في الاستدلال العلمي التاريخي حيث أدرك أنك إذا أردت تفسير حدث في الماضي البعيد، فيجب أن تحاول تفسيره من خلال أسباب تراها الآن قيد التشغيل (في الحاضر). لقد حصل على هذا المبدأ من الجيولوجي العظيم تشارلز ليل. في شرق واشنطن حيث أعيش فيه، لا تزال هناك بقع صغيرة من مادة بيضاء مسحوقه على الأرض وهي ناجمة عن حادثٍ حدث في شهر مايو

١٩٨٠، وإذا كنتَ لا تعرف ما الذي تسبب في إيجادها فيجب أن تستخدم منها عاملاً للاستدلال من التاريخ يقال له (منهج الفرضيات المتعارضة المتعددة) من الممكن حدث من أجل فيضانات، أو زلزال، أو سبب من انفجار بركانٍ فأَي تفسير منها أقومِ وفق وجهة أساس داروين و ليل؟ فالإجابة عنها انفجار بركان لأننا قد شاهدنا أنّ انفجار بركان يُنتج مادة بيضاء مسحوقه مع أن الزلزال والفيضان لا ينتجانها. إذا طبقت مبدأ الاستدلال هذا وبحث عن سبب يعمل الآن وسألت نفسك ما هو السبب الذي يعمل الآن والذي ينتج معلومات رقمية - فستصل إلى نوع واحد فقط نوع واحد من الأسباب، وهو العقل.^{١٠}

٦ - أسباب غير دينية للإيمان بالروح والحياة الآخرة

إن النتائج المستخلصة من الأوساط العلمية تضفي مصداقية على الفرضية القائلة بأن قوة واعية وذكية يمكن أن تكون هي العلة غير المعلولة لكل شيء. هذا بدا لي كالإله. إذا كان الإله حقيقة محتملة، فهل يمكن أن تكون

^{١٠} معهد هوفر، "بالتصميم: بيهي، ولينوكس، وماير حول الأدلة على وجود خالق"، تم الدخول إليه في ٢٩ فبراير ٢٠٢٤،

<https://www.youtube.com/watch?v=rXexaVsvhCM>.

المساءلة الإلهية محتملة أيضاً؟ لكي تحدث المساءلة الإلهية، يجب أن يمتلك جانب من هذا الكيان المعروف بـ "أنا" درجة من الوجود المستقل عن دماغي ويبقى بعد الموت الجسدي. هل هناك أي سبب، من الخطاب غير الديني أو من واقعنا القابل للرصد والقياس، للاعتقاد باحتمالية وجودي، مستقلاً عن دماغي ومستمراً بعد موت الدماغ؟ بالفعل، يوجد ذلك.

احتمالية وجود وعي مستقل عن الدماغ - مشكلة ربط الوعي: لا يوجد مكان في الدماغ هو "أنا"

الوعي هو شيء نعرفه نحن البشر بشكل حميم لأننا جميعاً واعون — ومع ذلك يظل غريباً تماماً عنا لأننا لا نملك أي فهم لما يجعلنا واعين. تتم معالجة المدخلات الحسية المختلفة في مناطق مختلفة من الدماغ — على سبيل المثال، يتم تخزين المعلومات حول لون جسم ما في جزء واحد، بينما يتم تخزين المعلومات حول شكله في جزء آخر. ومع ذلك، لا يوجد موقع محدد في الدماغ حيث تندمج هذه المعلومات في إدراك وتجربة موحدة هي "أنا!". في دوائر علم الأعصاب، يُشار إلى هذا باسم "مشكلة الربط" للوعي. لكن الأمر أكثر من مجرد عدم العثور على الموقع في الدماغ الذي ينتج هذه التجربة الثابتة والمستمرة والموحدة التي هي "أنا" — إنه أعمق من ذلك. لدينا أدلة تشير إلى أن هذا "أنا"، الذي

يفكر ويقرر، قد يكون له وجود منفصل ومستقل عن دماغي المادي.

تجربة بينفيلد - هذا "أنا" الذي ينوي فعل شيء قد يكون مستقلاً
عن دماغي

وايلدر بينفيلد، جراح أعصاب أمريكي كندي، طبق أقطاباً كهربائية على القشرة الحركية وكان قادراً على جعل المرضى يفعلون أشياء بشكل لا إرادي مثل رفع أيديهم أو استدعاء ذكرى. القشرة المخية هي جزء الدماغ الذي يعتبر مسؤولاً عن العديد من العمليات رفيعة المستوى بما في ذلك التعلم، التفكير، اللغة، العاطفة، الذكاء، الشخصية، واتخاذ القرار. يُعرف هذا لأن نشاط الدماغ في هذه المنطقة يمكن ملاحظته عندما يشارك الفرد في الأنشطة المذكورة أعلاه. في تجاربه، على الرغم من أن بينفيلد استطاع جعل رعاياه يقومون بأفعال لا إرادية عن طريق تطبيق محفزات كهربائية، إلا أنه لم يستطع جعل رعاياه "يريدون" فعل أي شيء. كانت القوة المسببة مفقودة من الدماغ المادي. بكلماته الخاصة:

"لا يوجد مكان في القشرة الدماغية حيث يؤدي التحفيز الكهربائي إلى جعل المريض يقرر."

"وايلدر بنفيلد، لغز العقل: دراسة نقدية للوعي والدماغ البشري، كتب
— اكتشافي لله وللإسلام ويوم القيامة 74 —

"خلص بينفيلد إلى أن هذا يعني أن الإرادة (التي سماها "العقل") لم تكن في الدماغ، أو على الأقل ليس في أي جزء من الدماغ يمكنه تحفيزه، وأن الإرادة لم تكن شيئاً مادياً. كانت الإرادة حرة، بمعنى أنها لا يمكن استحضارها بوسائل مادية."^{١٢}

هذا يعني أنه على الرغم من أنه يمكننا دفع الدماغ للتأثير على الجسم من خلال محفزات اصطناعية، إلا أنه لا يمكننا إجبار الشخص على اتخاذ قرار. هذا "أنا" الذي يتخذ القرارات لا يبدو أنه يتأثر بالمحفزات للدماغ.

يمكنني تغيير دماغي بأفكاري المتعمدة

جيفري م. شوارتز، طبيب نفسي أمريكي وباحث رائد في مجال اللدونة العصبية، أظهر أن الفكر الواعي يمكنه حرفياً تغيير الدماغ المادي دون أي تدخل خارجي. شهد مرضى الوسواس القهري لدى شوارتز

مطبوعة جامعة برينستون الإلكترونية، تم الدخول إليه في ١ أبريل ٢٠٢٤،
<https://doi.org/10.1515/9781400868735>

^{١٢} جراح الأعصاب وايلدر بنفيلد حول الإرادة الحرة، تم الدخول إليه في ٢٧ مايو ٢٠٢٤،

<https://evolutionnews.org/2018/07/neurosurgeon-wilder-penfield-on-free-will/>

راحة من أعراضهم حيث نجحوا في إعادة تنظيم وتغيير أنماط دماغهم عن طريق تعديل أفكارهم وسلوكياتهم عمداً. علاوة على ذلك، عندما تم تطبيق محفزات اصطناعية على نفس مناطق الدماغ التي أظهرت تحسناً في الأعراض، فإنها لم تؤدِ إلى نتائج فعالة.

في أبسط العبارات، يمكنني التفكير عمداً وتعديل مناطق معينة من دماغي. ومع ذلك، عندما يتم تحفيز نفس المنطقة اصطناعياً دون مدخلاتي الواعية، فإن ذلك لا يؤدي إلى نفس التغيير. يصف شوارتز هذه العملية بالطريقة التالية:

"عندما يتم تقديم محفزات مماثلة لتلك التي تحفز التغييرات البلاستيكية في دماغ منتبه بدلاً من ذلك إلى دماغ غير منتبه، لا يكون هناك تحريض للدونة القشرية. الانتباه، بعبارة أخرى، يجب أن يُبذل."^{١٣}

هذا يعني أن الأمر لا يتعلق فقط بالإشارة أو المحفزات. إن انخراط هذا "أنا" الذي أنا عليه، أو هذا "أنا" الذي يفكر وينوي ويعمل، ضروري لتغيير الدماغ المادي. هذا "أنا"، الذي يبدو منفصلاً عن الدماغ، يمكنه التأثير بنشاط على ذاتي المادية بطريقة واضحة جداً.

^{١٣} جيفري م. شوارتز وشارون بيجلي، العقل والدماغ (سبرينغر للعلوم والأعمال الإعلامية، ٢٠٠٩)، ٣٣٨.

أصبح فكرة جدية داخل العلم أن الدماغ المادي قد لا يفسر العقل تمامًا. هذا يطرح السؤال: هل يمكن أن يكون ما ينقصنا في فهمنا للدماغ مفقودًا أيضًا من فهمنا للوجود كله؟ يبدو أن الدماغ والعقل ليسا منفصلين تمامًا، ومع ذلك فهما ليسا متطابقين. هذا يفتح إمكانية أن الوعي قد يكون له نوع من الوجود المستقل. إذا لم يكن الوعي نتاجًا للدماغ المادي وحده، فهل يمكن تفسيره بشيء أكثر جوهرية؟ أم أن الوعي نفسه هو أحد أساسيات الواقع؟

هذا "أنا" الذي أكونه قد يستمر بعد موت الدماغ غالبًا ما كنت أصنع الشاي لنفسي حوالي الساعة الخامسة صباحًا وأتعجب من مدى روعة أن هذا "أنا" — الذي لا يمكن تحديده في دماغي — يمكنه تغيير دماغي المادي بمجرد أفكار متسقة ومتعمدة. العقل فوق المادة يبدو بالفعل صحيحًا. ومع ذلك، فإن هذا الانفصال بين العقل والدماغ قد يكون مجرد خدعة من العالم الكمي ولا يعني بشكل مقنع أن هذا "أنا"، المنفصل ظاهريًا عن الدماغ وربما المستمر بعد الموت الجسدي، كان يجب الإيمان به بالإيمان وحده دون أي أساس في الواقع المرصود. بدا من غير المرجح أن يخرج أي صوت جاد من المجتمع العلمي ويقدم بحثًا أصيلًا لدعم استمرار وعيي بعد الموت الجسدي — حتى واجهت أبحاث الدكتور سام بارنيا. سابقًا، ناقشت

أنه احتمال علمي جدي جداً أن يكون لبعض أجزائي وجود مستقل عن دماغي المادي. أبحاث الدكتور بارنيا تدفع الأمر إلى أبعد من ذلك باقتراح أن هذا "أنا" يمكن أن ينجو سليماً حتى عندما يتوقف الدماغ عن العمل. الدكتور سام بارنيا، طبيب ودكتوراه، هو مدير أبحاث الرعاية الحرجة والإنعاش في كلية الطب بجامعة نيويورك غروسمان. قاد فريقاً من الأطباء والعلماء في مشروع يدرس الأفراد الذين عانوا من توقف القلب، وبالمصطلحات الطبية، تجاوزوا عتبة الموت قبل أن يتم إنعاشهم وإعادتهم إلى الحياة. تضمنت هذه الدراسة، التي اختتمت في عام ٢٠١٢، ثلاثة وثلاثون محققاً في خمسة عشر مركزاً طبياً في المملكة المتحدة والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية. نُشرت نتائج الدراسة في أكتوبر ٢٠١٤.

"يمثل الباحثون في الدراسة العديد من التخصصات الطبية، بما في ذلك علوم الأعصاب، الرعاية الحرجة، الطب النفسي، علم النفس، العلوم الاجتماعية، والعلوم الإنسانية، ويمثلون العديد من المؤسسات الأكاديمية المرموقة في العالم بما في ذلك جامعة هارفارد، جامعة بايلور، جامعة كاليفورنيا ريفرسايد، جامعة فيرجينيا، جامعة فيرجينيا كومولث، كلية الطب في ويسكونسن، وجامعتي ساوثهامبتون ولندن.

من بين استنتاجاتهم:

بسبب التقدم في طب الإنعاش والرعاية الحرجة، نجا الكثير من الناس من مواجهات مع الموت أو تجارب قريبة من الموت. هؤلاء

الأشخاص — الذين يُقدر عددهم بمئات الملايين من الأشخاص حول العالم بناءً على دراسات سكانية سابقة — وصفوا باستمرار تجارب ذكريات محيطية بالموت، والتي تتضمن مجموعة فريدة من الذكريات العقلية ذات مواضيع عالمية.

تجارب الذكريات المحيطة بالموت ليست متوافقة مع الهلوسة، الأوهام، أو التجارب الناجمة عن العقاقير المخدرة، وفقاً للعديد من الدراسات المنشورة سابقاً. بدلاً من ذلك، فإنها تتبع قوساً سردياً محدداً يتضمن إدراكاً - (أ) الانفصال عن الجسد مع شعور متزايد وواسع بالوعي والاعتراف بالموت - (ب) السفر إلى وجهة - (ج) مراجعة هادفة وذات مغزى للحياة، تتضمن تحليلاً نقدياً لجميع الأفعال والنوايا والأفكار تجاه الآخرين - (د) تصور التواجد في مكان يشعر وكأنه "المنزل" - (هـ) العودة إلى الحياة.

تتوج تجربة الموت في موضوعات فرعية منفصلة غير محددة سابقاً وترتبط بتحول وغو نفسي إيجابي طويل المدى.

التجارب المخيفة أو المزعجة فيما يتعلق بالموت غالباً لا تشارك نفس المواضيع، ولا نفس السرد، أو الصفات المتعالية، أو عدم القدرة على الوصف، والآثار التحويلية الإيجابية.^{١٤}

^{١٤} جامعة نيويورك لانغون هيلث، "تجارب الموت المسترجعة: أكثر من مجرد هلوسة؟"، تم الدخول إليه في ٢ أبريل ٢٠٢٤،
— اكتشاف في الله وللإسلام ويوم القيامة 79 —

أحد الاستنتاجات الرئيسية لهذه الدراسة المكثفة هو:
"الناجون من السكتة القلبية يعانون بشكل شائع من مجموعة
واسعة من المواضيع المعرفية، مع إظهار ٢% وعياً كاملاً. وهذا يدعم
دراسات حديثة أخرى أشارت إلى أن الوعي قد يكون موجوداً رغم
عدم إمكانية الكشف عن الوعي سريرياً."^{١٥}
لجعل الأمر أسهل، سأقتبس كلمات الدكتور بارنيا من مقابله مع
روبرت لورانس كون في سلسلة الفيديوها الشهيرة "أقرب إلى الحقيقة"،
بعنوان "هل الحياة بعد الموت ممكنة - سام بارنيا":
"روبرت: سام، عملك في دراسة طبيعة الوعي أثناء توقف
القلب — ما يسميه البعض تجارب الاقتراب من الموت — يقول البعض
إنه يلقي بظلال من الشك على الافتراض العلمي بأن الحياة بعد الموت
مستحيلة. هل تعتقد أن هذا صحيح؟
سام: بالنظر في العلم الخاص بذلك، ليس لدينا كل الإجابات

<https://www.prnewswire.com/news-releases/recalled-experiences-surrounding-death-more-than-hallucinations-301519733.html>.

^{١٥} سام بارنيا وآخرون، "AWARE-الوعي أثناء الإنعاش-دراسة استباقية"،
الإنعاش ٨٥، رقم ١٢ (ديسمبر ٢٠١٤): ١٧٩٩-١٨٠٥،

<https://doi.org/10.1016/j.resuscitation.2014.09.004>.

اليوم، لكنني أعتقد أننا حققنا خطوات هائلة للإجابة على سؤال ما يحدث عندما نموت. علينا أن نتذكر أن الموت عملية. ونفقط لأن الشخص قد مات وتم إعطاؤه وقت وفاة وأطلق عليه أساساً جثة، فإن الخلايا داخل جسم الشخص لم تصبح تالفة لدرجة أننا لا نستطيع إعادتها. مع تقدم العلم، أصبحنا الآن قادرين على التلاعب بتلك العمليات لساعات بعد الموت وإعادة شخص كامل ودراسة وعيه خلال ذلك الوقت — وهو ما كان مستحيلاً حتى وقت قريب جداً.

وهكذا، فإن الاكتشاف المذهل من خلال هذا هو أنه يمكننا استعادة الناس وإرسالهم إلى منازلهم، يمكننا حقاً أن نجعل معجزة العلم تأخذ شخصاً ميتاً وتجعله حياً مرة أخرى — وهو ما هو مذهل! لكن الجزء المذهل الآخر منه هو أنه يمكننا دراسة ما يختبره الناس عندما يتجاوزون الموت والأدلة حتى الآن تشير إلى أن — هذا الكيان الذي نسميه العقل البشري، الوعي، ما سماه اليونانيون "النفس" التي تُرجمت لاحقاً إلى "الروح"، الآن، سام — لا يتم إبادة مباشرة بعد وفاة الشخص حتى لو كتبنا له مذكرة وفاة وصدقنا على أنه ميت. هذا الكيان يستمر ويستمر حتى عندما لا يبدو أن الدماغ يعمل، مما يطرح سؤالاً مفاده أن الوعي ربما يكون كياناً منفصلاً عن الدماغ، إنه ليس سحراً، إنه فقط لم يكتشف بعد، لكنه لا يموت. الآن لا أستطيع أن أخبرك ماذا يحدث بعد ثلاث ساعات، أربع

ساعات، عشر ساعات من وفاة الشخص — لا أستطيع أن أخبرك ما إذا كان الوعي يتلاشى تدريجياً ويختفي في الهواء كما قد يعتقد البعض أم أنه يستمر لفترات زمنية أطول إلى الأبد — بالتأكيد الوظائف الجسدية، خلايا الجسم، ستموت بمرور الوقت لا يوجد شك في ذلك — ما يحدث لذاتنا الحقيقية، الوعي، هو كما شرحت يستمر لفترة من الوقت! الآن عليك أن تضع استنتاجاتك الخاصة — ليس لدي دليل أبعد من ذلك — والتي تكون بإحدى طريقتين: إحداهما هي أنك قد تقول حسنًا، سأقبل أن الوعي قد يستمر لبضع ساعات بعد الموت في شكل ما ويتلاشى تدريجياً أو يمكنك أيضاً القول إنه إذا كان الوعي قادراً على الاستمرار إذا لم يكن الدماغ يعمل، فلماذا سيختفي فجأة بعد بضع ساعات لئلا تنسى حتى بعد عشر دقائق من وفاتك أو حتى ثلاثين ثانية بعد وفاتك — دماغك لا يعمل بعد الآن! حتى عندما نقوم بالإنعاش القلبي الرئوي ونحاول إنعاش شخص ما، لا يوجد دم كافٍ يصل إلى الدماغ لتمكين الدماغ من العمل حتى أثناء الإنعاش — يظل الدماغ في حالة خمود. وهكذا — بالتأكيد هناك "حياة بعد الموت" لفترة من الوقت ولكن هل تستمر إلى الأبد؟ لا أعرف ولكن بالتأكيد لفترة من الوقت بعد ذلك يظل الوعي موجوداً.^{١٦}

^{١٦} "هل الحياة بعد الموت ممكنة؟ - سام بارنيا،" أقرب إلى الحقيقة (مدونة)،

إن الملاحظة والاستنتاج من قبل العلماء والخبراء الطبيين بأن وعيي — الجوهر الذي يحدد هويتي وتجاربي — يمكن أن يستمر بشكل ما رغم الموت الجسدي السريري، مع عدم وجود نشاط دماغي ملحوظ، حطم فكري السابقة بأن الحياة بعد الموت كانت مجرد خيال ديني مجرد من الدعم العلمي أو الطبي.

بالنسبة لي، فإن مفهوم الوعي الذي كسب أول لكل شيء، وفكرة أن لدي وجوداً مستقلاً عن دماغي، وفكرة أن وعيي يمكن أن يستمر بعد أن يتوقف دماغي عن العمل ليست مجرد مقترحات دينية تُقبل بناءً على الإيمان وحده دون أي أساس في الأكاديمية العلمية والخطاب غير الديني. هناك أسباب وجيهة جداً من الخطاب غير الديني تجعل هذه الأفكار احتمالاً جدياً للغاية. دفعني هذا الإدراك إلى إعادة النظر في الإله والمساءلة الإلهية بعد الموت الجسدي كاحتمالات جدية تحتاج إلى مزيد من البحث.

٢ - مغالطة العبارة: "نحن موجودون لأنه بالنظر إلى فترات

زمنية طويلة جداً، أي شيء وكل شيء يمكن أن يحدث"

إذا أراد المرء الدعوة للإلحاد، فمن المريح الاعتقاد بأن الأحداث المعجزية

تم الدخول إليه في ٢ أبريل ٢٠٢٤،

[https://closertotruth.com/video/parsa-003./](https://closertotruth.com/video/parsa-003/)

— اكتشافي لله وللإسلام ويوم القيامة 83 —

ظاهرياً يمكن أن تحدث بمحض الصدفة، بالنظر إلى عامل الفترات الزمنية الطويلة بشكل لا يتخيله عقل.

أولاً، من غير الصحيح القول إن الكون ونحن كان لا بد أن نأتي إلى الوجود لأن أي شيء وكل شيء سيحدث بالنظر إلى فترات زمنية طويلة للغاية. العبارة الصحيحة هي أنه بالنظر إلى الوقت الكافي، أي شيء وكل شيء يمكن أن يحدث، ولكن فقط داخل نطاق الإمكانيات. شيء ما يجب أن يمتلك القدرة على التحول إلى شيء آخر لكي يخضع لتغيرات بمرور الوقت. على سبيل المثال، نحن نفهم أن الماء يمكن أن يصبح جليداً أو بخاراً. ومع ذلك، لا يهم كم من الوقت يتم تخصيصه، الماء بمفرده لا يمكنه أن يصبح وقود طائرات. سيكون من غير العملي التأكيد على أنه بالنظر إلى الوقت الكافي، يمكن للماء أن يتحول إلى وقود طائرات. لكي يتحول الماء إلى وقود طائرات، يجب أن يحتوي على مكونات محددة—في الجوهر، يجب أن يكون للماء القدرة على أن يصبح وقود طائرات لكي يتحول إليه بمرور الوقت.

لذا، فإن الكون والبشرية لم يأتيا إلى الوجود لمجرد أن أي شيء وكل شيء يمكن أن يحدث، بالنظر إلى الوقت الكافي. نحن موجودون لأن الواقع الأساسي أياً كان —الواقع القاعدي الذي يجب أن يوجد بالضرورة، والذي تنبثق منه جميع الحقائق الأخرى— كان يجب أن يحتوي على المكونات اللازمة ليتكشف إلينا في النهاية على مدى فترات

زمنية طويلة. إذا كان يفتقر إلى المكونات اللازمة لإنتاجنا وإنتاج كوننا، فلن يؤدي أي قدر من الوقت إلى وجودنا بينما كنت أبتعد عن الإلحاد، لم أعد أجد الراحة في الاعتقاد بأن وجودي كان ببساطة نتيجة لسلسلة من الأحداث الطائشة وغير الموجهة على مدى فترة طويلة. فكرة أنه بالنظر إلى الوقت الكافي، أي شيء وكل شيء يمكن أن يحدث بدت غير معقولة. بدلاً من ذلك، اضطررت للتركيز على السؤال الجوهرى: هل احتوى الواقع الأساسي الكامن للكون على جميع العناصر اللازمة لإنتاجي وكل شيء حولي بمحض الصدفة، أم أن هذا الواقع الأساسي هو وعي ذكي صاغ كل شيء عمداً كما هو؟ كما ذكرت سابقاً، وجدت الفكرة الأخيرة أكثر إقناعاً.

ثانياً، توصلت إلى إدراك مخرج إلى حد ما بشأن الوقت، وهو مخرج لأنه واضح جداً، ومع ذلك يختار الكثير منا عدم التفكير فيه بهذه الطريقة. اليوم، نعرف من العلم اليومي أن الوقت ليس كياناً موحدًا. الأجسام المختلفة بسرعات مختلفة تختبر الوقت بشكل مختلف تمامًا. نحن نعلم أنه كلما اقتربت من سرعة الضوء، يتباطأ الوقت بشكل كبير. في الوقت الحاضر، من المفهوم أن الفوتون لا يختبر الوقت على الإطلاق. بالنسبة للفوتون، مليارات وتريليونات السنين لا تعني شيئاً. إذا كنت سأسافر بالقرب من سرعة الضوء، فإن ما يبدو وكأنه جيل واحد فقط في وقتي يمكن أن يعادل مليارات السنين على الأرض. عندما نشير إلى

"وقت طويل أو قصير" و"مليارات السنين"، فإننا نفرض تصورنا المحدد والمحدود للغاية للوقت على الكون بأكمله لفهمه. تصورنا للوقت يعتمد على دوران الأرض على محورها، مشكلة يومنا المكون من أربع وعشرين ساعة، ويستغرق الأمر ٣٦٥ من هذه الدورات لتدور الأرض حول نجمنا، ممثلة ما نسميه سنة.

كتجربة فكرية، تخيل لو استغرق الأمر مليار سنة لكونبنا ليدور حول الشمس، ودوران كونبنا وتصورنا للوقت تم تعديله وفقاً لذلك — حينها قد نقول حالياً إن الكون جاء إلى الوجود منذ ١٣,٨ سنة فقط، وهو ما لن يبدو طويلاً جداً! وبالمثل، إذا كنا كائنات بحجم مجرة درب التبانة، قد نعتقد أن الكون جاء إلى الوجود قبل بضعة أشهر فقط، وإذا كنا كائنات مكونة من فوتونات، فإن مسألة "متى" ستصبح غير ذات صلة.

إدراك أن الوقت هو كيان مرن، بدا كخطأ صبياني أن أفرض تصوري الخاص والمحدود للوقت على الكون بأكمله لتبرير وجوده وفقاً لرؤيتي للعالم.

مرة أخرى، تذكير—العلم لم يثبت وجود أو عدم وجود الإله. هناك حجج مضادة وتفسيرات لجميع الأبحاث والنتائج التي ذكرتها أعلاه. كان الهدف من ذكرها هو إثبات حقيقة أن هناك نظريات علمية، أبحاثاً، ونتائج توفر أساساً واقعياً لفكرة الوعي الذكي كسبب غير

— الفصل الثالث —

مسبب لكل شيء. هذه الفكرة ليست بأي حال من الأحوال أقل معقولة من البدائل المقدمة من قبل معسكر "لا إله".



بداية إعادة اكتشافي للإسلام ودور جاويد أحمد غامدي

لقد اخترت مستوى معيناً من الراحة كملحد، معتقداً أنه لا توجد حياة بعد الموت ولا محاسبة إلهية. سمحت لي هذه القناعة بأن أعيش حياتي تماماً كما أشاء، مركزاً فقط على الفوائد الدنيوية المباشرة. خلال منتصف إلى أواخر العشرينيات من عمري، وبينما كنت أستمع بشهرتي الجديدة كممثل وسط كل البريق والجمال الذي يصاحب ذلك، كنت، في أعماقي، في حالة من الاضطراب الشديد. وجدت نفسي أفقد إلحادي، وأصبح احتمال وجود إله ومحاسبة إلهية بعد الموت واقعياً بشكل متزايد.

في هذه المرحلة من حياتي، بدأت في التفكير في أفكار مثل "ذكاء كخالق لكل شيء" و"استمرار وعيي بعد موتي الجسدي" كاحتمالين واقعيين للغاية. كما نوقش في الفصل السابق، تعمقت في أفكار معقدة نسبياً للوصول إلى هذه النقطة. الآن، أردت الاستكشاف أكثر لمعرفة

ما إذا كانت هناك أي أيديولوجية يمكن أن تزودني بهوية هذا الذكاء المفترض وماذا يتوقع مني. توقعت أن الإجابات سوف ترضيني فكرياً وعقلانياً وأخلاقياً.

ذكرت نفسي مرة أخرى أنه فيما يتعلق بفكرة الله والمحاسبة الإلهية، إذا كان هناك أي حق في هذا الأمر، فإن الأساسيات الجوهرية المتعلقة بهذه الحقيقة يجب أن تكون سهلة المنال ومفهومة من قبل الشخص العادي البسيط. ومن ثم، قررت أن أجعل بحثي بسيطاً قدر الإمكان من هذه النقطة فصاعداً.

الفلسفة، الأديان الروحية، والأديان السماوية

بالمقارنة مع مجال "الفلسفة"، بأعمالها العظيمة لمفكرين مثل أرسطو، وأفلاطون، وكانط، ونيتشه، ولوك، أو تعاليم شخصيات حكيمة مثل أوشو وسادجورو، أصبحت "الأديان السماوية" خياراً الأول للبحث. كان هذا التفضيل يرجع أساساً إلى ادعاءاتهم بأن خالق الكون قد اتصل بالبشر وكشف حقائق عن أصولنا، وهدفنا، والحياة بعد الموت. وهكذا، قررت أن أستكشف أولاً الأديان السماوية، مقررًا أنني إذا لم أجد إجاباتي ضمن إطار هذه الأديان، فسأستكشف بالتأكيد الفلسفة والأيديولوجيات الأخرى.

الإسلام: خيارى الأول للبحث ضمن الأديان السماوية

بدأ تاريخنا المسجل منذ حوالي خمسة إلى ستة آلاف سنة، وكل ما حدث قبل ذلك هو مسألة تخمين جامح بناءً على بعض العظام والآثار. أجد أنه من غير العادي أنه طوال العالم القديم المتحضر، ادعى الناس إجراء اتصال مع عالم الأرواح والكيانات الإلهية. على الرغم من أن الشامانية قد تدهورت في العديد من الثقافات لتعني مجموعة من الأشياء المختلفة، إلا أنه في أوروبا القديمة، وسيبيريا، والصين، والأمريكتين، كان يُنظر إلى الشامان على أنهم رسل الإله. في الهند القديمة، كان يُعرف الحكماء بتلقي "الفيدا" التي تعتبر وحيًا من الإله. في بلاد فارس القديمة، ظهر زرادشت كرَسُول من الله. التقليد الأكثر انتشارًا للاتصال الإلهي يوجد ضمن اليهودية والمسيحية والإسلام. ومع ذلك، ضمن إطار المعرفة الموحى بها عبر العديد من الأديان، أي واحد يجب أن أستكشفه، ولماذا؟

للمفارقة، من بين الخيارات المتاحة، بدأ الإسلام الدين الذي رفضته في البداية يبدو وكأنه الخيار الأكثر ملاءمة للأيديولوجية الأولى في تحقيقي. ظهر هذا الاستنتاج لأسباب تقنية بحتة.

التحقق التاريخي من محمد ﷺ والقرآن

إن الأحداث المتعلقة بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المقربين

موثقة جيداً، نظراً لحدوثها الحديث نسبياً وتأثيرها العالمي الكبير. من السهل نسبياً التحقق من أن القرآن، الكتاب الرئيسي للإسلام، لا يزال كما هو اليوم ككلمة الله الحرفية التي قدمها محمد صلى الله عليه وسلم لأتباعه في الأصل.

حفظ القرآن بلغته الأصلية

يدعي القرآن أنه كلام الله، المحفوظ كلمة بكلمة باللغة الدقيقة التي نزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم.

في المقابل، لم تستوفِ النصوص المقدسة للأديان الأخرى هذا المعيار. العهد القديم والفيديا يعود تاريخهما إلى زمن بعيد جداً في التاريخ لدرجة أنه من المستحيل تقريباً التأكد من مؤلفيهم الحقيقيين، والظروف المحيطة بإنشائهم، وما إذا كانت هناك أي تعديلات على النصوص الأصلية.

العهد الجديد معترف به على نطاق واسع ليس كوثيقة سلمها عيسى مباشرة لأتباعه، بل هو يشتمل على روايات عن كلمات وأفعال عيسى كما شهدتها الرسل. كان لعيسى مجموعة صغيرة نسبياً من الأتباع الذين انتقلت هذه المعلومات من خلالهم عبر عدد قليل من الأفراد على مدى بضعة عقود، مفتقرة إلى النقل الجماعي للمعلومات الذي شوهد في حالة محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن. على عكس القرآن، الذي عُلِّم

من قبل آلاف الأتباع من محمد صلى الله عليه وسلم ثم نُقل بشكل جماعي إلى ذريتهم، فإن طريقة نقل المعلومات في العهد الجديد تثير تساؤلات حول التعديلات المحتملة.

نقطة أساسية أخرى هي أنه على الرغم من أن عيسى كان يتحدث الآرامية، إلا أن أقدم المخطوطات المكتوبة للعهد الجديد هي باللغة اليونانية، وليست الآرامية. تمثل هذه النصوص ترجمات يونانية لما قد يكون عيسى قد علمه باللغة الآرامية، ونحن جميعاً نعرف كم يمكن أن يُفقد في الترجمة. ومن ثم، فإن القرآن يحمل ميزة حاسمة، حيث تم حفظه باللغة الدقيقة التي تحدث بها محمد صلى الله عليه وسلم.

الإسلام كان منطقيًا، لكن ليس بشكل كامل

حوالي عام ٢٠٠٨، بدأت في استكشاف الإسلام كمصدر للإجابات عن أسئلة حول أصلي وهدفي. اقتربت من القرآن كمجموعة من الخطب، والمونولوجات، والقصص، والمواعظ، التي يُزعم أنها من الله، ألقاها محمد صلى الله عليه وسلم لأتباعه. مع فهم أساسي لحياة محمد صلى الله عليه وسلم، قرأت ترجمة مباشرة للقرآن.

أعجبني ما كنت أكتشفه. فهمت أشياء كثيرة لم تكن منطقية بالنسبة لي في الماضي عندما كنت مراهقاً أرفض الإسلام. أعتقد أن ذلك كان لأنني امتلكت فهماً أوسع للواقع مقارنة بسنوات مراهقتي. أيضاً، أصبح

سلوك رجال الدين في المجتمع من حولي أكثر تقبلاً للأسئلة والاستفسار. وبينما وجدت المزيد والمزيد من الإجابات المرضية لأسئلتني الوجودية من القرآن، وقصة حياة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن بحثي في المحتوى المكتوب ومحتوى الفيديو عبر الإنترنت من علماء متعلمين، معاصرين وتاريخيين، وجدت نفسي أتماهى بشكل متزايد كمسلم. يجب أن أعطي الفضل هنا للمنح الدراسية السائدة في الإسلام في الماضي والحاضر على حد سواء والتي قامت بعمل بارع للغاية لتبسيط الأمور لعامة الناس مثلي الذين يبحثون عن إجابات وجودية.

لكن لم يكن كل شيء على ما يرام. على الرغم من أن ما يقرب من ٧٠% من الإسلام كان منطقياً بالنسبة لي بفضل الطرق العلمية السائدة، إلا أن ٣٠% لم يكن كذلك، حيث بدا إما متناقضاً ذاتياً أو إشكالياً على أسس عقلانية أو أخلاقية أو علمية. ومع ذلك، ظلت متفائلاً، معتقداً أنه إذا كان ٧٠% مقنعاً للغاية، فإن الباقي سيستقر في مكانه في النهاية. ومع ذلك، مرت ثلاث سنوات إلى أربع سنوات، وما زلت لا أجد إجابات مرضية. بدأت أشك مرة أخرى، متسائلاً عما إذا كنت قد ارتكبت خطأ باختيار الإسلام. ربما كانت أسبابي لاستكشافه ذاتية، ربما لأن الإسلام كان أيديولوجية مألوفة لأنني ولدت فيه، وقد أثر ذلك على قراري. غالباً ما فكرت في نفسي، بالنسبة لشخص رفض الإسلام في البداية عندما كان مراهقاً، ربما بتسرع شديد، لقد أعلنت

نفسى مسلماً مرة أخرى. علمت أنني يجب أن أتخذ قراراً قريباً: إما أن أجد إجابات معقولة في المستقبل القريب أو أواجه احتمال أنه قد لا تكون هناك إجابات مرضية عن ٣٠% من الإسلام التي لم تكن منطقية بالنسبة لي — وهو ما قد يعني أن الإسلام قد لا يكون إلهياً على الإطلاق. بالنظر إلى أن جزءاً كبيراً من هذا التقليد الديني بدا غير واضح، فإن اعتباره إلهياً بدا وكأنه خطأ جسيم. كيف يمكنني قبول شيء كحقيقة إلهية بينما يبدو جزء كبير منه معيباً أخلاقياً أو عقلياً أو علمياً؟

سأفصل جميع الجوانب التي وجدتها إشكالية للغاية بشأن الإسلام في قسم الأسئلة والأجوبة.

كان ذلك حوالي عام ٢٠١٥، وكنت قد سئمت من بحثي، متأرجحاً على حافة التخلي عن الإسلام مرة أخرى. لم أكن أصلي بانتظام، ولكن في ذلك اليوم، جلست لصلاة الفجر. بعد ذلك، قدّمت طلباً إلى الكون — أتذكر كلماتي بالضبط:

"إذا كان هناك من يسمع — أيّاً كنت أو ما كنت — أنت تعلم أنني كنت أبحث عن إجابات بكل إخلاص.

من فضلك أخبرني إذا كنت موجوداً ومن فضلك اكشف لي من أنت أو ما أنت.

أعدك بأن أكرس حياتي لك.

من فضلك! إذا لم يتم حل شكوكي إلى حد معقول قريباً —

سأفترض أنه لا يوجد شيء هناك.

أرجوك سامحني إذا توصلت إلى استنتاج خاطئ."

ذكرت نفسي أنه يجب علي أن أبقى مخلصاً، فإنه حتى لو استنتجت خطأ أنه لا يوجد إله بينما يوجد إله، فإن خطئي يجب أن يُغفر طالما كانت جهودي صادقة وجادة.

للحظة، اعتقدت أن شخصاً ما سمعني — شعرت وكأن شيئاً معجزياً على وشك الحدوث... لكن لم يحدث شيء.

في البداية رفضت صلاتي باعتبارها عملاً صبيانياً، شعرت أنني سأحتاج قريباً إلى التخلي عن الإسلام مرة أخرى والبحث عن إجابات في مكان آخر. ومع ذلك، أعتقد الآن أن شخصاً ما سمعني في ذلك اليوم. بعد فترة وجيزة، عثرت على رجل لم يوضح فقط ٣٠% من الإسلام التي حيرتني بل أوضح أيضاً ٧٠% التي كانت منطقية بالفعل. بالإضافة إلى ذلك، تم تعريفني بجانب نادر المناقشة في الإسلام، والذي يبرز الآن كواحد من أكثر الأسباب إقناعاً للجميع لاستكشاف الإسلام بدقة قبل تكوين رأي نهائي حول أصله الإلهي.

جاويد أحمد غامدي

إحدى النقاط ضمن ٣٠% من الإسلام التي لم تكن منطقية بالنسبة لي هي فكرة أن أولئك فقط يمكنهم دخول الجنة — الذين يُعرفون كمسلمين.

أزعجني هذا المفهوم لأنه بدا غير عادل بطبيعته. الأفراد الذين يولدون في عائلات مسلمة لديهم احتمال أكبر بكثير للموت كمسلمين مقارنة بأولئك الذين ليسوا كذلك. هذا يشير إلى أن مصير المرء الأبدي يتأثر بشدة بمكان ميلاده. في يوم القيامة، يمكن لأي غير مسلم أن يجادل بشكل مبرر بأن ولادته في عائلة مسلمة كانت ستجعل من الأسهل عليه بكثير أن يموت مسلمًا، وبالتالي يتأهل للجنة. علاوة على ذلك، عرفت العديد من غير المسلمين الفضلاء الذين يمارسون دين ميلادهم بإخلاص. هؤلاء أفراد مجتهدون يقضون أيامهم في كسب ما يكفي فقط لدعم عائلاتهم ويفتقرون إلى رفاحية الوقت للتعلم في الأسئلة الوجودية. كان هؤلاء غير المسلمين سيصبحون مسلمين متدينين للغاية لو ولدوا فقط في عائلة مسلمة. بدا الأمر غير عادل لدرجة أن بعض الآلهة قد تدينهم بنار جهنم الأبدية لمجرد أنهم لا ينتمون إلى مجتمع ديني معين. وبعد ذلك، في يوم جميل، عثرت على فيديو على يوتيوب لجاويد أحمد غامدي بعنوان "الجنة للمسلمين فقط والنار لجميع غير المسلمين؟".^١

^١ جاويد أحمد غامدي، "الجنة للمسلمين فقط والنار لجميع غير المسلمين؟" مركز غامدي للتعلم الإسلامي، تم الرفع في ١٩ نوفمبر ٢٠١٥، تم الدخول إليه في ١ أبريل ٢٠٢٤.

سأتعلم في مسألة غير المسلمين والجنة لاحقاً في قسم الأسئلة والأجوبة. أذكر هذا الحدث هنا للإشارة إلى أن هذا كان تعريفى بجاويد أحمد غامدي. كانت تفسيراته في الفيديو منطقية، وأردت معرفة المزيد عنه. كما اكتشفت، فإن العديد من رجال الدين في محيطي لم يكونوا مغرمين بالسيد غامدي، على الرغم من أن منهج بحثه يتماشى جيداً مع الأطر الدينية التقليدية. هو يدعم استدلاله بمراجع علمية تقليدية. على الرغم من ذلك، غالباً ما يوصف بأنه هرطوقي من قبل الكثيرين داخل الدوائر الدينية التقليدية. وجدت أن مثل هذه الادعاءات وهمية على سبيل المثال، هو متهم برفض الأحاديث، وهو ليس كذلك. سأناقش هذه النقطة بالتحديد بالتفصيل في القسم التالي بعنوان "مصادر الإسلام". تعلمت أن الكثير من التشويه ضده مدفوع بحقيقة أن السيد غامدي يتحدى العديد من الأفكار التي يعتبرها رجال الدين المشهورون غير قابلة للتحدي أو مقدسة. سأفصل في هذا في قسم الأسئلة والأجوبة. في جوانب الإسلام التي لم تكن منطقية بالنسبة لي بشكل مرضٍ، وجدت إجابات السيد غامدي واستدلاله مرضياً تماماً، ولم أجد بعد أي حجة معارضة قوية بما يكفي لتحدي استدلال السيد غامدي بشكل مقنع.

كيف غير السيد غامدي فهمي للإسلام بشكل أساسي

هناك ثلاثة أشياء مهمة للغاية تعلمتها من السيد غامدي غيرت

فهني للإسلام بشكل أساسي. لم تساعدني فقط على فهم الإسلام بعمق ولكنها أعطتني أيضاً سبباً مهماً يجعل محمد صلى الله عليه وسلم قد يكون صادقاً. أعتقد أن أي شخص عادي يمكنه فهم هذه الأشياء الثلاثة بجهد قليل، ويمكنهم هم أيضاً أن يصبحوا مجهزين لفهم أساسيات الإسلام بأنفسهم. هذه الأشياء الثلاثة هي:

١- مصادر الإسلام

٢- ما هو "رسول الله" حقاً — السبب الأكثر إقناعاً لاستكشاف الإسلام.

٣- ما هو القرآن وكيفية فهمه.

القسم التالي من الفصل يناقش هذه النقاط بإيجاز.

٢ (أ) — مصادر الإسلام

إذا أردت أن أفهم الرسالة والدين الذي بلغه الله من خلال محمد صلى الله عليه وسلم، فأين يجب أن أنظر؟ تلقيت مجموعة من الإجابات. أبلغني رجال الدين من حولي أن الكثير من دين الله موجود في القرآن، ولكن هذا وحده لا يكفي — القرآن غير مكتمل. هناك العديد من أوامر الله الموجودة في مؤلفات الحديث وهي مستقلة عن القرآن وغير مدرجة فيه. لقد ذهلت عندما علمت أن الحديث ليس مجرد شرح للقرآن، ولكنه يحتوي أيضاً على أوامر مستقلة للإسلام غائبة

عن القرآن. لإعطاء مثال دنيوي، القرآن لا يحرم بشكل مباشر أو من حيث المبدأ عمل صورة لكائن حي، ومع ذلك فإن هذا محرم في مؤلفات الحديث. وتحديداً، يُقال إن فعل إنشاء صورة لكائن حي يعاقب عليه بشدة في يوم القيامة^٢. وفقاً لهذا الحديث، إذا صنعت صورة لأي شيء لعرضها في المنزل، فسأعاقب يوم القيامة.

لقد أزعجني هذا الإدراك بشدة. لقد شعرت بالاضطراب بسبب حقيقي أن الحديث يحتوي على أوامر مستقلة من الله، لا توجد في القرآن نفسه. هذا يعني ضمناً أن القرآن ناقص! تخيل - أن الكتاب الأخير الذي أرسله الله للبشرية غير كامل، تاركا أجزاء من دينه داخل صفحات أدب الحديث، المكون من مجموعة ضخمة من الكتب المكتوبة والمجمعة على مدى عقود وقرون عديدة تلت النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لم يلقَ صدقاً طيباً في نفسي. كيف يمكن لله أن يقرر كتاباً نهائياً للبشرية ويترك إرشاده ناقصاً؟

ومع ذلك، مع جاويد أحمد غامدي، وجدت مقدمة واضحة لمصادر الإسلام وتعلمت كيفية تحليلها. اكتشفت الطريقة الصحيحة لفهم ما يمثله القرآن والحديث، وكيفية تحليلهما في علاقتهما ببعضهما البعض.

^٢ النسائي، رقم ٥٣٦١.

اسمحوا لي أن ألخص فهمي لهذا الأمر كما شرحه السيد غامدي. لاحقاً، سأصف كيف يختلف نهج السيد غامدي عن التفسير الشائع ولماذا أعتقد أنه صحيح. أعتقد أن أي شخص عادي يدرك مصادر الإسلام سيجد أن فهم الدين أصبح أكثر سهولة بشكل ملحوظ.

محمد ﷺ - المصدر الوحيد للدين

محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله الخاتم، وبالتالي، هو المصدر الوحيد للدين. لأي عنصر يضاف إلى الإسلام أو يزال منه، يجب أن يكون له إقرار واضح من محمد صلى الله عليه وسلم. الدين الذي بلغه محمد صلى الله عليه وسلم نيابة عن الله محاط بثلاثة مصادر أساسية للمعرفة: القرآن، والسنة، والحديث. دعونا نستكشف ما ينطوي عليه كل منها..

ما هو القرآن؟

القرآن - والذي يعني حرفياً "تلاوة" - هو الوثيقة التي قدمها محمد صلى الله عليه وسلم لأتباعه ككلام الله الحرفي وكتاب الله النهائي لهداية البشرية. سأناقش بالتفصيل في الفصل (د) ٤ كيف بذل محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته المقربون جهوداً كبيرة لضمان جمع القرآن وحفظه ونشره على نطاق واسع لمئات الآلاف من الأتباع

خلال حياة محمد صلى الله عليه وسلم.

يصف القرآن نفسه بأنه:

١- "السلطة العليا" على الكتب السماوية الأخرى. (المائدة ٥: ٤٨)

٢- "الميزان" للحكم به. (الشورى ٤٢: ١٧)

٣- "المعيار والفرقان المطلق" مع "رسائل هداية واضحة" في

مسائل الله والدين. (الفرقان ٢٥: ١، البقرة ٢: ١٨٥)

٤- "الكتاب المبين". (الشعراء ٢٦: ٢)

٥- الذي "...يشرح كل شيء بوضوح..." (النحل ١٦: ٨٩)

٦- كتاب "يسر للذكر والفهم". (القمر ٥٤: ٤٠)

٧- "كتاب مستقيم". (الكهف ١٨: ٢)

٨- كتاب "أحكمت آياته ثم فصلت". (هود ١١: ١)

تنص الآية ٢: ٢١٣ من القرآن على أن الغرض من إرسال الكتب السماوية

هو أنه كلما حدث نزاع حول الدين، يمكن للكتاب الإلهي أن يكون

بمثابة حكم في ذلك النزاع. وهذا يعني أنه في جميع أمور الدين، يجب

اتخاذ القرآن كمعيار نهائي لتحديد ما هو صحيح وما هو خطأ.

وبناءً على ذلك، ووفقاً لتعريف القرآن بنفسه، فإن الكتاب هو

المعيار المطلق للهداية الإلهية. جميع الأدبيات الأخرى عن الإسلام،

والدين بشكل عام، يجب أن تُحلل من خلال عدسة القرآن، وليس

العكس.

ما هي السنة؟

السنة تعني "الطريقة" لفعل شيء ما. وهي تهتم بالجانب العملي للدين. الصلاة الشعائرية، وشعائر الطهارة، والصيام، والحج، والزواج (النكاح) هي كلها مكونات للسنة. هذا الجزء العملي من الدين تم نقله أيضاً بشكل جماعي إلى جميع الأتباع من محمد صلى الله عليه وسلم خلال حياته - كان الجميع يعرف كيف يصلي، وكيف يتطهر قبل الصلاة، وكيف يصوم، ويؤدي الحج، ويجري مراسم الزواج الإسلامي (النكاح)، إلخ.

طبيعة السنة

كلمة "سنة" تعني "الطريقة" وتنطوي على فعل أو شيء عملي - فهي تشير أساساً إلى أسلوب التنفيذ. في القرآن، تُستخدم كلمة "سنة" لوصف الأفعال التي تُتخذ نيابة عن الله. على سبيل المثال، في القرآن ٣٣: ٦٠-٦٢، يوجه الله تحذيراً للمنافقين والمفترين في المدينة، موضحاً أنهم إذا استمروا في أفعالهم السيئة، فسيتم القبض عليهم وقتلهم. ويشار إلى توجيه الله هذا باسم سنة الله (طريقة الله). وبالتالي، فإن مصطلح السنة يشمل كلاً من معنى كيفية القيام بفعل ما ويدل على الجانب العملي للإسلام.

السنة تسبق محمد ﷺ

السنة ليست مفهوماً فريداً لمحمد صلى الله عليه وسلم. يصفها

القرآن بأنها تقليد متأصل في جميع رسل الله. ويذكر أن محمد صلى الله عليه وسلم قد أنعم عليه بنفس الدين الذي أُعطي لنوح وإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام)، وهو مأمور باتباع هذا الدين نفسه^٣. هذه السنة الخاصة بالرسول تسبق محمداً صلى الله عليه وسلم؛ فعلى سبيل المثال، العبادة الشعائرية، أو "الصلاة"، كانت موجودة قبل وقته، والأدلة التاريخية تدعم هذا الادعاء. فمن الموثق أن يهود المدينة كانوا يؤدون الصلاة، حيث نصح محمد صلى الله عليه وسلم أتباعه بارتداء ملابس متميزة عن اليهود أثناء صلاتهم^٤. علاوة على ذلك، تمت الإشارة إلى الصلاة في فقرات عديدة ضمن العهدين القديم والجديد. يروي سفر التكوين^٥ ذهاب إبراهيم للصلاة، ويصور سفر الخروج^٦ بني إسرائيل وهم يحنون رؤوسهم للصلاة، ويذكر المزمور^٧ حث داود للناس على الركوع وحنى رؤوسهم في العبادة. بالإضافة إلى ذلك، مروى في صحيح مسلم^٨ أن العرب كانوا يؤدون "الصلاة" لله قبل

^٣ الشورى ٤٢: ١٣.

^٤ أبو داود، رقم ٢٣٥.

^٥ ٢٢: ٥.

^٦ ٤: ٣١.

^٧ ٩٥: ٦.

^٨ رقم ٦٣٥٩.

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، كما روى أحد الصحابة الذي قال إنه قدم صلوات شعائرية ليلية وصباحية في عبادة الله قبل ثلاث سنوات من لقائه بمحمد صلى الله عليه وسلم.

الصيام كان موجوداً قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، كما ينص القرآن: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^٩. وينطبق الشيء نفسه على الصدقة والحج - فكل هذه الشعائر كانت جزءاً من التقليد الإبراهيمي، المألوف بالفعل للعرب. قام محمد صلى الله عليه وسلم بتعديل السنة وفقاً لتعليمات إلهية جديدة ووضح الأخطاء التي تسلت إليها.

السنة خاصة بالدين

يعتقد الكثير من المسلمين أن جميع جوانب حياة محمد صلى الله عليه وسلم هي سنة. يُستشهد بالآية ٣ من سورة النجم (٥٣) على نطاق واسع كمبرر للاعتقاد بأن كل ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم أو فعله - فيما يتعلق بالمسائل الدنيوية والدينية على حد سواء - هو من عند الله. تنص الآية على:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾.

^٩ البقرة ٢: ١٨٣.

وفقاً لهذا الاعتقاد، يقال إن أسلوب اللباس والعمامة التي كان يرتديها، ونوع شعر الوجه الذي حافظ عليه، والأطعمة التي كان يفضلها، والأدوية التي استخدمها وأوصى بها، والوضعية التي كان ينام فيها، وحتى العود الخشبي الذي استخدمه لتنظيف أسنانه، كلها موجهة إلهياً ومصنفة على أنها سنة. ومع ذلك، هذا غير صحيح.

تنص الآية القرآنية ٥٣: ٣ على أنه في أمور الله والدين، لا ينطق محمد صلى الله عليه وسلم عن هواه؛ بل هو وحي من الله. السنة تشمل ما شرعه محمد صلى الله عليه وسلم كجزء من الدين. ومع ذلك، ليس كل ما فعله أو قاله يشكل السنة. هذا التمييز حاسم لأن، أولاً، مهمة محمد الوحيدة كرسول لله مذكورة بوضوح كشخص تم تعيينه لتبليغ رسالة الله. بالإضافة إلى ذلك، أوضح محمد ﷺ نفسه في قول منسوب إليه:

"إنما أنا بشر، فإذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي (في أمور الدنيا) فإنما أنا بشر... وأنتم أعلم بأمر دنياكم."
(مسلم، رقم: ٦١٢٦، ٦١٢٧، ٦١٢٨)

وبناءً عليه، فإنه من المبرر والنبيل جداً إذا رغب شخص ما في اتباع وتقليد محمد صلى الله عليه وسلم في جميع أمور الحياة من باب المحبة والإعجاب به؛ ومع ذلك، فإن السنة لا تشمل إلا ما أقره محمد صلى الله عليه وسلم في مسائل الله والدين.

ما هو الحديث؟

الحديث يعني الرواية، أو التقليد، أو القول. تشكل هذا الجسم من المعرفة بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث بدأ الناس يتذكرون، ويناقشون، ويوضحون حياته، وكلماته، وأفعاله. من ناحية، هناك القرآن والسنة اللذان تلقاهما جيل كامل مباشرة من محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته المقربين، واللذان تم نقلهما إلى الأجيال المتعاقبة حتى يومنا هذا. ومن ناحية أخرى، هناك أدب الحديث الذي يعتمد على أفراد يروون تجاربهم الشخصية في رؤية محمد صلى الله عليه وسلم يفعل أو سماعه يتحدث. تم تداول هذه التقارير الفردية كإشاعات حتى بُذلت الجهود لتمحيصها وتسجيلها بعد عقود من وفاة محمد صلى الله عليه وسلم. تم تطوير علم كامل من قبل باحثي ومجمعي الحديث الأوائل للتحقق من هذه الروايات ونسبها لمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم قبولها أو رفضها. كان هذا بمثابة بداية تخصص علوم الحديث - وهو مجال معرفي واسع وهام يمكن للمسلمين أن يفخروا به مبرراً لأنه ساعد في الحفاظ على قدر كبير من المعرفة التاريخية عن محمد صلى الله عليه وسلم.

الحديث، في محتواه، يحتوي على تاريخ حياة محمد صلى الله عليه وسلم إلى جانب تفسيرات وتطبيقات الدين التي قدمها محمد صلى الله عليه وسلم من خلال القرآن والسنة.

ملاحظة تحذيرية هنا: عند الاقتباس من أدب الحديث، من الضروري التحقق من صحة الرواية والاقتباس فقط من تلك التقاليد التي يعتبرها معظم العلماء والخبراء المشهورين في الحديث صحيحة. تؤكد على هذا لأن ممارسة الاقتباس من أحاديث ضعيفة أو غير صحيحة منتشرة في بعض أجزاء العالم الإسلامي. الأحاديث الضعيفة هي أقوال منسوبة للنبي محمد ﷺ لم يتم تأكيد صحتها بشكل مرضٍ من قبل خبراء الحديث لأسباب مختلفة.

طرق مختلفة لحفظ ونقل القرآن والسنة والحديث

هناك نوعان من التواريخ. الأول هو التاريخ القائم، والذي يعتمد على الملاحظة الجماعية، والحفظ، ونقل حدث ما. على سبيل المثال، تم اعتماد الدستور الهندي من قبل الجمعية التأسيسية للهند في ٢٦ نوفمبر ١٩٤٩. هذا تاريخ قائم لأن الحدث شاهده وحفظه ملايين الأشخاص. وبصرف النظر عن بعض نظريات المؤامرة الهامشية، فإن التاريخ القائم عادة ما يكون فوق الشبهات والنزاع بسبب حفظه ونقله الجماعي المستمر. النوع الثاني من التاريخ يتعلق بالمعلومات التي وصلت إلينا من خلال التقارير الفردية. على سبيل المثال، خلال جلسة الجمعية التأسيسية عام ١٩٤٩، فإن المناقشات التي جرت، ومن قال لمن ماذا، تمثل تاريخًا قائمًا على تقارير فردية - مما يعني أنها تعتمد على أفراد يبلغون عما رأوه

أو سمعوه. محتواها ليس قائماً فوق كل شك وهو دائماً مفتوح للتمحيص من قبل الخبراء. يقع الحديث في هذه الفئة الثانية من التاريخ. غالباً ما يتم استخدام مصطلحي السنة والحديث بشكل متبادل من قبل العديد من المسلمين، ولكن من الضروري التمييز بين الاثنين. تشير السنة إلى الأفعال التي أقرها النبي محمد صلى الله عليه وسلم كجزء من الدين. لقد ضمن أن يكون الجميع على دراية بالجوانب العملية للإسلام قبل وفاته. ومن ناحية أخرى، فإن الأحاديث هي ذكريات عن حياة محمد صلى الله عليه وسلم من قبل أفراد إما عرفوه مباشرة أو ينتمون إلى جيل أو جيلين لاحقين ممن عرف أسلافهم النبي. سنناقش ماهية أدب الحديث قريباً.

إن الإسلام كله محتوى في القرآن والسنة. تلقى أكثر من مائة ألف من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم المباشرين القرآن والسنة منه مباشرة ونقلوها بشكل جماعي من جيل إلى جيل حتى الوقت الحاضر. يتكون أدب الحديث من تقارير حول أفعال وأقوال محمد صلى الله عليه وسلم، لم تُنقل عبر النقل الجماعي كالقرآن والسنة، ولكن من خلال تقارير فردية من الناس. وهذا بمثابة سجل تاريخي لحياة محمد صلى الله عليه وسلم ويجب تفسيره من خلال عدسة القرآن والسنة. يوفر هذا السجل التاريخي شرحاً وتطبيقاً للدين الوارد في القرآن والسنة، ولكنه لا يقدم أي أحكام دينية جديدة غير واردة

مباشرة، أو مؤصلة، في القرآن والسنة.

أريد أن أذكر هنا بإيجاز مبادئ السيد جاويد أحمد غامدي في فهم السنة والحديث كما وردت في كتابه "ميزان". هذه المبادئ مخصصة لطلاب الإسلام المتقدمين. ومع ذلك، وبما أن هناك ارتباكاً كبيراً حول الفرق بين السنة والحديث بين العديد من المسلمين العاديين، أشعر أنه من الضروري ذكر هذه المبادئ بإيجاز هنا، لأنها ساعدتني بشكل كبير في فهم الإسلام.

سبعة مبادئ لفهم السنة

- ١- تتعلق السنة حصراً بأمور الدين. جوانب مثل نوع الملابس التي يرتديها محمد صلى الله عليه وسلم، أو الحيوان الذي استخدمه للسفر، أو الطعام الذي كان يفضلُه لا تعتبر جزءاً من السنة.
- ٢- تتعلق السنة بالجانب العملي أو التطبيقي للدين.
- ٣- لا يمكن وصف شيء ما بأنه سنة إذا لم ينشأ من ممارسات أنبياء الله. لا يمكن اعتبار الأمر القرآني سنة. على سبيل المثال، من المعروف أن محمداً صلى الله عليه وسلم عاقب الزناة بالجلد؛ ومع ذلك، لا يمكن اعتبار ذلك سنة لأن أصله في القرآن، وليس في ممارسات جميع أنبياء الله. ولكن ماذا عن الصلاة الشعائرية، والصيام، والصدقة، والحج؟ هل تعتبر سنة أم أمر بها القرآن؟ هذه الممارسات هي سنة

لأن القرآن نفسه يشير إلى أنها كانت شعائر مارسها جميع الأنبياء، بما في ذلك إبراهيم. أقر محمد صلى الله عليه وسلم هذه الشعائر كاتباع لملة إبراهيم أو سنة إبراهيم، بعد إجراء تصحيحات عليها. وهكذا، نلاحظ كيف يفصل القرآن والكتب السابقة كيف انخرط الناس من الأمم السابقة في الصلوات والصيام وإيتاء الزكاة وأداء الحج حتى قبل نزول القرآن كتقليد لإبراهيم (الدين الحنيف). لذلك، فإن أصل هذه الشعائر هو ممارسة إبراهيم، والتي أقرها القرآن. ومن ثم، إذا كان هناك أي شيء أصله أمر من الله في القرآن، وقد عمل به النبي أو شرحه - فذلك ليس سنة. فقط تلك الأشياء هي سنة التي يكون أصلها ممارسة الأنبياء والتي أقرها القرآن.

٤- إذا فعل النبي محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً تطوعاً ولكنه لم يفرضه كجزء من الدين، فلا يعتبر سنة. على سبيل المثال، نحن نعلم أن صلاة الفجر المفروضة تتكون من ركعتين - ونعلم أيضاً أن محمداً صلى الله عليه وسلم قدّم طوعية ركعتين إضافيتين لمزيد من البركات ولكنه لم يلزمهما كفرض - وبالتالي، فهما ليستا سنة ولكنهما جزء تطوعي من الدين، أو النفل.

٥- وفقاً للقرآن، فإن الهداية الأساسية مغروسة في الطبيعة البشرية، ورغم أنها يمكن أن تنحرف عن هذه الهداية، إلا أنها تظل متأصلة مع ذلك. وهكذا، فمن الطبيعة البشرية أن تجد بعض الأشياء منفرة

وغيرها لا. أي شيء هو تفسير للطبيعة البشرية لا يمكن اعتباره سنة. على سبيل المثال، حرّم محمد صلى الله عليه وسلم أكل لحم الحمر الأهلية^{١٠}، موضحاً ذلك كتفسير لما يجب أن تجده الطبيعة البشرية منفراً ونجساً. لم يشرعه كسنة.

٦- تلك الممارسات لا ينبغي اعتبارها سنة والتي نقلها محمد صلى الله عليه وسلم للآخرين كإرشاد، ولكن طبيعة ذلك الإرشاد بحد ذاتها تجعل من الواضح أنه لم يحددها كسنة. على سبيل المثال، كان محمد صلى الله عليه وسلم يوصي ببعض الصلوات الاختيارية (الذكر والأدعية) لأصحابه، ولكن كان من الواضح أنه لم يقصد جعلها جوانب إلزامية من الدين.

٧- المبدأ الأخير لفهم السنة هو أنه، تماماً كما يتم نقل القرآن من خلال النقل الجماعي من قبل أتباع محمد صلى الله عليه وسلم وليس تقارير فردية، كذلك السنة. أي شيء يتم نقله من خلال النقل الجماعي يعتبر سنة، في حين أن أي شيء يصل إلينا من خلال تقارير فردية يمكن اعتباره تفسيراً محتملاً للقرآن والسنة، ولكن لا يمكن اعتباره سنة بحد ذاته.

^{١٠} البخاري، رقم: ٤٣٦.

سبعة مبادئ لفهم الحديث

١- سلسلة الرواة (أو السند) للحديث ذات أهمية قصوى. يجب فقط اقتباس تلك الأحاديث التي أعلن خبراء الحديث أن سلسلة روايتها موثوقة بشكل معقول.

٢- يجب ألا يتعارض محتوى الحديث مع القرآن والسنة ومبادئ المعرفة والعقل الأساسية. على حد تعبير خبير الحديث الشهير الخطيب البغدادي:

"لا يُقبل الحديث المروي عن طريق الفرد إذا خالف أصول العقل الثابتة، أو إذا خالف أمراً صريحاً من القرآن، أو إذا خالف سنة معروفة... أو إذا اتضح الخلل في ذلك الحديث بحجة قاطعة جداً".^{١١}

٣- يجب على من يتدبر الحديث أن يمتلك خبرة كاملة في لغة قريش العربية في القرن السادس، وهي العربية التي كان يتحدث بها محمد صلى الله عليه وسلم.

٤- يجب فهم الحديث في ضوء القرآن.

٥- لا يمكن إثبات المعنى الصحيح للحديث إلا بعد فهم السياق الكامل للحديث. "ماذا" يقال، و"متى" يقال، و"لماذا" يقال، و"لمن" يقال - كل هذه العوامل يجب تحديدها بشكل صحيح لتحديد المعنى الدقيق

^{١١} جاويد أحمد غامدي، ميزان (لاهور: المورد، ٢٠١٥)، ص ٦٣.

للحديث؛ وإلا فقد تحدث الكثير من التفاهات الخاطئة. على سبيل المثال، يذكر أحد الأحاديث أن قادة المسلمين يجب أن يكونوا فقط من قبيلة قريش^{١٢}. عندما يُنظر إليه بدون سياق، يبدو أن محمداً صلى الله عليه وسلم يعلن أن جميع المسلمين في جميع الأوقات يجب أن يكون لهم قائد من قبيلة قريش فقط. ومع ذلك، عندما يتم النظر في التصريح في سياقه الكامل، يصبح من الواضح أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يقترح علاجاً لظروف محتملة تنشأ مباشرة بعد وفاته، ولم يكن هذا توجيهاً دائماً للمسلمين في كل العصور. كان محمد صلى الله عليه وسلم يطبق المبدأ القرآني، كما ورد في القرآن^{١٣}، بأن على المسلمين تحديد أمورهم الجماعية من خلال الشورى واتفاق الأغلبية. كان يذكر أنه بما أن قبيلة قريش كانت مدعومة من قبل أغلبية المسلمين في ذلك الوقت، فيجب عليهم اختيار قائدهم من هذه القبيلة بالذات بعد رحيل محمد صلى الله عليه وسلم. ومن ثم، عند رؤيتها في السياق، يصبح من الواضح أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يطبق مبدأ قرآنياً في وقته، ولم يكن مرسومًا دينياً أو سياسة دائمة لجميع المسلمين في جميع الأوقات.

^{١٢} جاويد أحمد غامدي، ميزان (لاهور: المورد، ٢٠١٥)، ص ٦٤.

^{١٣} ٤٢: ٣٨.

٦- عند تحليل الحديث حول موضوع معين، من الضروري مراعاة جميع تقارير الحديث ذات الصلة للوصول إلى فهم صحيح. على سبيل المثال، قد يشير فحص تقارير الحديث الفردية حول تحريم صنع صور الكائنات الحية في البداية إلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم أعلن حظراً شاملاً على إنشاء أي صور للمخلوقات الحية. ومع ذلك، فإن التحليل الشامل لجميع تقارير الحديث ذات الصلة يكشف أن محمداً صلى الله عليه وسلم استهدف تحديداً تحريم الصور المستخدمة لعبادة الأصنام.

٧- إن أساس دين الله بالكامل يقوم على بديهيات المعرفة والعقل. إن فهم هذه الحقائق الكونية هو شيء منحه الله نفسه للبشرية. إذا نقل الحديث شيئاً يبدو أنه يتعارض مع هذه البديهيات، فلا ينبغي قبوله بهذا المعنى المتناقض ولا ينبغي رفضه فوراً. بدلاً من ذلك، يجب بذل الجهود لإيجاد معنى يتماشى مع بديهيات المعرفة والعقل. إذا كان من الممكن استخلاص مثل هذا المعنى، فيجب اعتباره المعنى الحقيقي للحديث.

ملاحظة موجزة عن تاريخ أصحاب محمد ﷺ

يعتبر تاريخ الصحابة المقربين لمحمد صلى الله عليه وسلم أيضاً مورداً لا يقدر بثمن لفهم الإسلام. فهو يتيح لنا فحص كيفية فهمهم

للإسلام ونقله. فمن، بعد كل شيء، يمكنه استيعاب الإسلام بشكل أفضل من الصحابة المقربين لمحمد صلى الله عليه وسلم؟ ومع ذلك، فإن هذا السجل التاريخي قد وصل إلينا أيضاً من خلال تقارير فردية متنوعة، وبالتالي، يحتاج إلى التمهيد والفهم من خلال إطار القرآن والسنة.

ملاحظة موجزة عن الإجماع أو اتفاق العلماء

هناك اعتقاد آخر سائد بين المسلمين وهو أنه إذا اتفقت أغلبية العلماء على فكرة أو تفسير للإسلام، فإنها تصبح مقدسة لجميع المسلمين ولا يمكن أن تخضع لأي تحدٍ أو مراجعة. هذا الافتراض يرفع "أغلبية العلماء" إلى مستوى السلطة في الإسلام ومصدر للأوامر الدينية، بما يشبه الفاتيكان في المسيحية الكاثوليكية. في هذه القضية، أجد نهج السيد غامدي ملائماً للغاية: بالنسبة للمسلمين، محمد صلى الله عليه وسلم وحده هو مصدر كل سلطة دينية والحكم النهائي في مسائل العقيدة. ووفقاً للقرآن، فإن رسل الله وحدهم هم من يعتبرون سلطات في الدين لأنهم يتلقون اتصالاً مباشراً من الله. بعد محمد صلى الله عليه وسلم، لا يمكن اعتبار أي فرد أو هيئة من العلماء معصومين أو محصنين من النقد.

إن الاعتقاد بأن إجماع أغلبية العلماء لا يمكن أن يكون مخطئاً أبداً

يتم تبريره أساساً بالحديث التالي:

"إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة..."^{١٤}

أولاً، الحديث المذكور أعلاه قد صُنف على أنه ضعيف من قبل خبراء الحديث ولا ينبغي استخدامه لإثبات حجة. ومع ذلك، ومن أجل النقاش، حتى لو قبلناه، فإن الحديث لا يعني أن أغلبية العلماء غير قادرين على ارتكاب خطأ صادق. بدلاً من ذلك، فإنه ينص فقط على أنه نظراً لوضوح أساسيات الإسلام في القرآن والسنة، فمن غير المحتمل أن يتفق جميع المسلمين على خطأ فادح. على سبيل المثال، لن تتفق أغلبية المسلمين أبداً مع فكرة وجود إلهين أو ثلاثة - أو أن هناك صلاتين مفروضتين وليس خمس، إلخ. هذه الرواية لا تنص بأي حال من الأحوال على أن أغلبية العلماء لا يمكنهم ارتكاب خطأ صادق أثناء تفسير الدين.

علاوة على ذلك، يتم تقديم بعض الآيات القرآنية لدعم هذا الافتراض. ومع ذلك، تبدو مبررات قسرية. على سبيل المثال، إحدى أشهر الآيات المستخدمة لتبرير الإجماع كمصدر للتوجيه الديني هي كما يلي:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ

^{١٤} الترمذي، رقم ٢١٦٧.

سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٥﴾

تبدو هذه الآية وكأنها تنص على أنه إذا أدرك شخص ما حقيقة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأقر بأنه رسول الله، فإن اختيار معارضته لأي سبب سيؤدي إلى العقاب من الله يوم القيامة. يبدو من قبيل المبالغة المنطقية الإيحاء بأن "المؤمنين" المشار إليهم في هذه الآية هم أغلبية علماء الإسلام - وبالتالي الإيحاء بأن الانحراف عن إجماع هؤلاء العلماء هو فاجعة. بمعنى آخر، يبدو من القسري للغاية تفسير هذه الآية على أنها تصدر مرسوماً دائماً بأن الهيئة الرئيسية للعلماء لا يمكنها ارتكاب خطأ صادق. وبالتالي، إذا اتفقت أغلبية العلماء على تفسير للإسلام، فإن تحدي هذا الإجماع بناءً على التفكير وحده قد يعتبر معاقباً عليه من الله.

ثلاث ممارسات خاطئة في فهم الإسلام

بعد ما أن نقلتُ بوضوح، كما آمل، ما يستلزمه القرآن والحديث والسنة، سأناقش الأسباب الثلاثة الرئيسية التي تكمن وراء جميع المفاهيم داخل الإسلام التي وجدتها إشكالية أخلاقياً أو عقلاً. هذه الأسباب هي النقاط الرئيسية للاختلاف بين السيد غامدي والمفسرين الشعبيين للإسلام. وفيما يلي الممارسات الثلاث الخاطئة في فهم الإسلام:

- ١- فهم الآيات القرآنية أو الحديث في معزل دون التحقق من سياقها.
 - ٢- فهم القرآن من خلال عدسة الحديث، وليس العكس.
 - ٣- اعتبار الحديث مصدراً مستقلاً للإسلام بدلاً من كونه مجرد شرح للقرآن والسنة.
- لنتحدث عن كل نقطة واحدة تلو الأخرى.

١- الممارسة الخاطئة لفهم الآيات القرآنية في معزل دون فهم السياق

عند قراءة كتاب أو معلومة، من الضروري فهم من يقولها، وماذا يقال، ولماذا يقال، وإلى من يتم توجيهها. ومع ذلك، هناك نزعة مقلقة بين العديد من القطاعات الإسلامية لتفسير الآيات القرآنية في معزل دون النظر في هذه العوامل السياقية. دعونا نأخذ مثالاً واحداً للتوضيح بإيجاز عما أشير إليه.

أولئك الذين ينظرون إلى القرآن على أنه مجرد مجموعة من أقوال الله التي يمكن فهمها بشكل فردي وخارج السياق، غالباً ما يستشهدون بالآية ٥: ٥١ من القرآن كدليل على أن الله قد أصدر أمراً أبدياً للمسلمين، ينص على أن اليهود والنصارى لن يتمنوا لهم الخير أبداً وأن تكوين تحالفات أو صداقات معهم محظور.

نص الآية، عند رؤيته في معزل، يبدو أنه يوحي بهذا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^{١٦}

ولكن عندما نفحص السياق من الآيات ٥١ إلى ٥٩، يتضح أن القرآن يخاطب تحديداً أولئك اليهود والنصارى الذين كانوا يضطهدون المسلمين بسبب إيمانهم.

وبالمثل، عندما لا يتم النظر إلى الآيات في معزل بل في مجموعها، فإن آيتين من أقسام أخرى من القرآن توضحان أن العبارة في القرآن ٥: ٥١ تتعلق بمجموعة محددة جداً من اليهود والنصارى، وليس جميعهم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^{١٧}

٢- الممارسة الخاطئة لفهم القرآن من خلال عدسة الحديث بدلاً من العكس

رأي واحد سائد بين دوائر إسلامية معينة هو أن الهداية من خلال

^{١٦} المائدة ٥: ٥١.

^{١٧} الممتحنة ٦٠: ٨-٩.

القرآن لا يمكن تحقيقها بشكل كامل إلا عندما تتم دراسته بالاقتران مع أدب الحديث وأعمال اللاهوتيين الإسلاميين العظماء. ومع ذلك، فإن هذا النهج يتعارض مع تأكيدات القرآن عن نفسه. الكتاب يعلن عن نفسه كـ :

- ١- "المهيمن" على الكتب الأخرى (المائدة ٥: ٤٨).
- ٢- "الميزان" للحكم به (الشورى ٤٢: ١٧).
- ٣- "المعيار والمعيار النهائي" مع "رسائل هدى واضحة" في أمور الله والدين (الفرقان ٢٥: ١، البقرة ٢: ١٨٥).
- ٤- "الكتاب المبين" (الشعراء ٢٦: ٢) الذي "...تبيانًا لكل شيء..." (النحل ١٦: ٨٩)

- ٥- كتاب "يسرناه للذكر". (القمر ٥٤: ٤٠)
 - ٦- كتاب "قيماً". (الكهف ١٨: ٢)
 - ٧- كتاب "أحكمت آياته ثم فصلت". (هود ١١: ١)
- تنص الآية ٢: ٢١٣ من القرآن على أن الغرض من إرسال الكتب والرسائل هو ضمان أنه عند نشوب نزاع حول الدين، يمكن للكتاب الإلهي أن يعمل كحكم في ذلك النزاع. وهذا يعني أنه في جميع مسائل الدين، يجب اتخاذ القرآن كمعيار نهائي لتمييز ما هو حق وما هو خطأ.

في ضوء ما يقوله القرآن عن نفسه، فإنه من الأدق لكل من المسلمين وغير المسلمين الساعين لفهم الإسلام دراسة جميع الأدبيات الأخرى

من خلال عدسة القرآن، بدلاً من العكس. ويتم تعزيز دقة هذا النهج من خلال حقيقة أن محتوى أدب الحديث يكون أكثر قابلية للفهم عند فحصه من هذا المنظور. فعندما ينظر إليه من خلال عدسة القرآن، فإن أدب الحديث يتماشى تماماً مع التفكير العقلاني والأخلاقي ويتناسب مع الإطار القرآني. سأفصل في هذا في القسم التالي أدناه، مستخدماً مثال التحريم ضد تصوير الصور.

٣- الممارسة الخاطئة لاعتبار الحديث مصدراً مستقلاً للإسلام بدلاً من كونه شرحاً للقرآن والسنة

هناك اعتقاد شائع في العالم الإسلامي بأن أدب الحديث لا يحتوي فقط على شروحات وتطبيقات للدين الموجود في القرآن والسنة، بل يقدم أيضاً أوامر دينية جديدة مستقلة عن القرآن والسنة. أساساً، هذا يشير إلى أن الحديث هو أيضاً مصدر مستقل للتوجيه الديني. بعبارة أبسط، فإنه يعني أن الحديث يتضمن توجيهات جديدة من الله ليس لها أساس في القرآن والسنة. ومع ذلك، فإن هذا المنظور يثير سؤالاً: لماذا يبذل محمد صلى الله عليه وسلم مثل هذا الجهد خلال حياته للحفاظ على القرآن والسنة ونقلهما على نطاق واسع، ومع ذلك يقدم أجزاء من دين الله لعدد قليل من الأفراد في مناسبات عشوائية دون بذل جهود مماثلة للحفاظ على هذه التعاليم ونقلها؟ علاوة على ذلك،

لماذا يترك حفظ ونقل هذه التعاليم للإشاعات، لئتم تحصيلها وتسجيلها بعد عقود من وفاة محمد صلى الله عليه وسلم؟

هناك مشكلتان في هذا النهج. أولاً، أنه يشير إلى فكرة مزعجة وهي أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن قادراً على إنجاز ما يصفه القرآن بأنه مهمته الوحيدة: "...على رسولنا البلاغ المبين" ^{١٨} و "...عليك البلاغ المبين" ^{١٩}.

ثانياً، تنشأ تناقضات عديدة داخل الإسلام عندما يُنظر إلى الحديث كمصدر مستقل - تناقضات تتطلب تفسيرات قسرية. يصبح محتوى أدب الحديث أكثر تماسكاً وخالياً من التناقضات عندما يتم اعتباره شرحاً وتطبيقاً للدين الذي نقله محمد صلى الله عليه وسلم من خلال القرآن والسنة، بدلاً من كونه مصدراً مستقلاً للإسلام.

سأقدم أمثلة مفصلة في فصل لاحق، ولكن في الوقت الحالي، أريد أن أقدم مثلاً موجزاً هنا لتوضيح كيف يمكن أن تنشأ مفاهيم إشكالية عندما يتم تفسير القرآن من خلال أدب الحديث بدلاً من العكس، وعندما يتم اعتبار الحديث مصدراً مستقلاً للدين. هناك أحاديث متعددة تنص على أن رسم صورة لكائن حي محرم عند الله لدرجة أن أي شخص

^{١٨} المائدة ٥: ٩٢.

^{١٩} النحل ١٦: ٨٢.

يفعل ذلك سيعاقب يوم القيامة.

تأمل رواية الحديث التالية:

"ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن أشد

الناس عذاباً يوم القيامة المصورون، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتكم."^{٢٠}

هناك أحاديث أخرى متنوعة يظهر فيها محمد صلى الله عليه وسلم نفوراً تجاه صور الكائنات الحية. أولئك الذين يعتبرون الحديث مصدراً مستقلاً للتوجيه الديني يؤكدون أن فعل رسم أي صورة لكائن حي هو خطيئة، يعاقب عليها الله يوم القيامة. وهذا يعني أنه حتى لو رسمت صورة غير مؤذية لوالدي، الذي توفي، لكي أرى وجهه وأتذكره وأتعزى - فإن الله سيعاقبني عليها ويطلب مني أن أنفخ الروح فيها. يبدو هذا غريباً لأن القرآن لا يقترح، سواء بشكل مباشر أو من حيث المبدأ، أن المرء يمكن أن يعاقب لمجرد فعل رسم كائن حي. لماذا إذن لم يذكر الله هذا في القرآن إذا كانت مثل هذه الأفعال تترتب عليها عواقب وخيمة؟ بالإضافة إلى ذلك، لا يوجد أساس عقلائي لله ليعاقبني على شيء بريء مثل رسم صورة لوالدي للأسباب المذكورة أعلاه - يبدو الأمر غير عادل وغير منصف تماماً. وبالمثل، من غير المنطقي أن يطلب

^{٢٠} مسلم، رقم ٢١٠٨.

الله مني أن أنفخ الروح في الصورة. بما أنني لم أخلق الصورة بنية منافسة الله أو عبادتها ككيان حي، فلماذا أتعرض لمثل هذا الطلب؟ أولئك الذين ينظرون إلى الحديث كشرح لدين الله في القرآن والسنة، ويفهمون أدب الحديث في ضوء القرآن، يقولون إن محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث لا يحرم الرسم أو الفن تماماً، بل يحرم صنع الصور لغرض عبادة الأصنام، حيث أن عبادة الأصنام محرمة تماماً في القرآن. هذا المنظور منطقي. إذا صنع شخص ما صورة واعتبرها إلهاً حياً يستحق العبادة، وهو فعل حرمه الله صراحة وبشكل قاطع، فمن المعقول أن يحاسب الله ذلك الشخص ويطلبه بأن ينفخ الحياة فيها. أجد هذا النهج أكثر ملاءمة وسليماً تقنياً ومتسقاً لأن محتوى الحديث يكون له معنى كامل ويتمشى تماماً مع القرآن والسنة عند النظر إليه من هذا المنظور.

هذا النموذج لفهم الحديث في ضوء القرآن والسنة غالباً ما يُفهم خطأً على أنه رفض للحديث تماماً. ومع ذلك، ليس هذا هو الحال. لا يتعلق الأمر برفض شيء قاله محمد صلى الله عليه وسلم أو فعله لمجرد أنه لا يظهر في القرآن. بدلاً من ذلك، إذا كان الحديث سليماً تقنياً، فإن أي شيء يحتويه نيابة عن محمد صلى الله عليه وسلم يعتبر مقدساً وملزماً للمسلمين. النقطة التي أوضحها هي أنه عند استنباط المعنى الصحيح

للحديث، فإن النهج الأكثر ملاءمة تقنياً هو فهمه في ضوء القرآن والسنة، وليس العكس.

٢ (ب) - فهم دور الرسول - سبب مقنع

لاستكشاف الإسلام

ما أوشك على مناقشته هو السبب الأكثر أهمية الذي يجعل استكشاف الإسلام كرسالة من الله ذا أهمية قصوى.

محمد صلى الله عليه وسلم لم يكتفِ بتأكيد نفسه "كُنِي" لله؛ بل ادعى أيضاً منصب "رسول" الله. وفقاً للقرآن، فإنه من خلال الرسول، ينظم الله عرضاً واقعياً لدينونه للجمهور المباشر للرسول. يهدف هذا العرض إلى إقامة دليل قاطع على الحساب الإلهي، الذي قدر للبشرية جمعاء مواجهته بعد مغادرة هذا العالم. ولكن قبل الغوص في تفاصيل هذا الموضوع، اسمحوا لي أن أقدم تشبيهاً معاصراً للأحداث التي وقعت في الجزيرة العربية في القرن السابع. إن فهم هذه الأحداث يمثل سبباً محتملاً يجعل التحقيق المجاد والمخلص في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم يستحق الاهتمام من الجميع.

غالباً ما يمتلك البشر ميلاً لتطبيع ما هو غير عادي. فكر، على سبيل المثال، في ميزة مكالمات الفيديو الشائعة على هواتفك - وهي أعجوبة

تكنولوجية كانت ستذهل شخصاً عاش قبل قرن من الزمان. إن شرح إمكانية التواصل البصري مع شخص يبعد آلاف الأميال من خلال جهاز محمول باليد كان سيبدو غير قابل للتصديق وسحرياً ومعجزاً. ومع ذلك، ولأنه أصبح روتينياً في حياتنا، لم نعد نخذه ملهماً للرهبنة؛ بل أصبح الآن أمراً مفروغاً منه.

بسبب معرفتنا الواسعة بالإسلام وسياقه التاريخي، جنباً إلى جنب مع نقص الخطاب والإدراك داخل العالم الإسلامي فيما يتعلق بالجواهر الحقيقي "لرسول الله"، فمن المرجح القول إنه سواء كان المرء مسلماً أم لا، فإن الكثيرين يفشلون في استيعاب الطبيعة الاستثنائية العميقة للأحداث التي وقعت في الجزيرة العربية في القرن السابع، وتتطلب هذه الأحداث، على الأقل، تحقيقاً مخلصاً وشاملاً في ادعاءات ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم. بعد ذلك، يكون لكل فرد الحرية في تمييز ما إذا كانت هذه الأحداث لها أي صلة أو أهمية إلهية. قبل الخوض فيما يشكل بالضبط رسول الله وتطور الأحداث مع محمد صلى الله عليه وسلم كرَسُول، دعونا أولاً نستخدم تشبيهاً معاصراً لاكتساب فهم أساسي للأحداث المحورية في الجزيرة العربية في القرن السابع.

لنتخيل رجلاً نيبالياً يدعى ماناف، وهو تاجر صغير أُمي يعيش في كاتماندو المعاصرة، نيبال. ليس لدى ماناف خلفية في الشؤون العسكرية أو السياسة أو الشعر أو التعلم الديني أو النشاط. في سن الأربعين، يحدث

شيء غريب: يقدم ماناف ادعاءً استثنائياً لأصدقائه وعائلته. يؤكد أن الإله قد تواصل معه من خلال ملاك، وعينه نبياً له. ومهمته، كما أمره الإله، هي توجيه الناس نيابة عن الإله وتحذيرهم من الحساب الإلهي الذي ينتظر البشرية بعد الموت.

هذا الإعلان، في حد ذاته، ليس غير مسبوق تماماً. فقد بشر العديد من الشامان والحكماء والأفراد المقدسين بمعتقداتهم بينما قدموا ادعاءات مماثلة. ومع ذلك، فإن ادعاء ماناف لا ينتهي عند هذا الحد. بل يدعي أيضاً أن الإله قد عينه كرَسُول - تجسيدا لدينوته على الأرض لجمهوره المباشر. يؤكد ماناف أنه بالنسبة لجميع أولئك الذين لا يعترفون بوجود الإله أو حسابه بناءً على التفكير، فإن الإله سيطبق حكمه في هذا العالم من خلال ماناف. يهدف العرض العالمي إلى إثبات حقيقة الحساب الإلهي بعد الموت بشكل قاطع - تماماً مثل عالم يجري تجربة مخبرية للتحقق من فرضية.

يأخذ المشهد منعطفاً أكثر غرابة. يخبر إله ماناف بالضبط كيف ستتطور الأحداث مسبقاً. ووفقاً لإله ماناف، فإن العروض الدنيوية للدينونة الإلهية قد حدثت عدة مرات في تاريخ البشرية. وبالمثل، فإن هذا الحكم الدنيوي من خلال ماناف سيتطور تماماً كما حدث في الماضي. لقد أعلن الإله أن الحقيقة ستكشف من خلال رسوله لجمهوره المباشر حتى يخبر الإله رسوله أن أولئك الذين يستمرون في رفض الحقيقة يفعلون

ذلك دون مبرر. ونتيجة لذلك، سيواجهون عقاب الإله الديني. وفي الوقت نفسه، فإن أولئك الذين يقبلون الحقيقة سيحصلون على مكافأة الإله الديني. قد يتجلى العقاب بإحدى طريقتين: إذا كان ماناف يفتقر إلى الدعم الكبير، فإن كارثة طبيعية مثل عاصفة أو فيضان أو حريق أو زلزال ستبديد السكان المستهدفين. وبدلاً من ذلك، إذا كان ماناف يتمتع بدعم كبير أو إذا كان الدمار الشامل غير مبرر، فسيتم تنفيذ العقاب من خلال البشر، ربما بواسطة ماناف وأنصاره، كوكلاء لدينونة الإله. بالنسبة لأولئك الذين يعتقدون الحقيقة ويدعمون رسول الإله، تلك المكافأة هي مملكة عظيمة على الأرض. قيل لماناف بشكل محدد إنه سيشهد بعض هذه الأحكام الإلهية خلال حياته، مع تكشف البقية بعد وفاته. تذكر - ليس لدى ماناف خلفية في الشعر؛ ومع ذلك، فإن التواصل الإلهي الذي يتلقاه ماناف وينقله إلى الناس ليس بلغة نيبالية عادية. بل هو واحد من أرقى التحف الشعرية في اللغة النيبالية.

تذكر - ليس لدى ماناف أي خلفية على الإطلاق في النشاط الديني، ومع ذلك، من خلاله، يشارك الإله في مناقشات ومناظرات دينية متعمقة مع المسيحيين والهندوس والبوذيين واليهود. إنه يستشهد بكتبهم المقدسة، ويقدم حججاً دينية وفلسفية مقنعة.

تذكر - ليس لدى ماناف أي خلفية عسكرية أو سياسية. ومع ذلك، فإن إله ماناف يتخذ باستمرار قرارات عسكرية وسياسية تؤدي

إلى نجاح نقي وكامل على كلتا الجبهتين.

طوال هذه الملحمة المتكشفة، لا ينسب ماناف أي فضل لنفسه، مؤكداً بحزم أنه مجرد تابع للاتصالات والأوامر المتلقاة من الله. ولكن انتظر، الأمر يصبح أكثر غرابة! يمد ماناف رسالته إلى ما وراء نيبال ويدعو حكام الدول المجاورة من خلال رسائل لقبول رسالة الإله، بل ويصل إلى القوى العظمى مثل روسيا والصين. ويحذرهم من أن تجاهل رسالة الإله، المرسله من قبل رسول حي من الإله، سيخضعهم لمحكمة العدل الأرضية له، وسوف يواجهون الهزيمة على يد ماناف وأنصاره.

على مدى ٣٥ عاماً التالية لمطالبة ماناف الأولية، تتكشف الأحداث تماماً كما تنبأ بها إله ماناف. أولئك الذين يدعمون ماناف يكافؤون على الأرض، بينما أولئك الذين يعارضون رسالة الإله يعانون من هزيمة مدوية، وينهارون أمام ماناف وأنصاره المباشرين. النصر الكاسح لا يشمل نيبال فحسب، بل يشمل أيضاً الدول المجاورة، بما في ذلك القوى العظمى مثل الصين وروسيا.

ماناف وأتباعه المباشرون، الذين كانوا في البداية مزارعين وتجاراً متواضعين من كاتماندو بلا خبرة عسكرية ملحوظة، يحكمون الآن كحكام مطلقين على نيبال وبوتان وميانمار ولاوس وكمبوديا وتايلاند وروسيا والصين. وهم يصورون هذه الملحمة التي استمرت ٣٥ عاماً كمعجزة

إلهية، مؤكدين أنها دليل على صدق ماناف وذروة تواصل الله من خلاله. يعرض هذا مظهرًا أرضيًا للحكم الإلهي، ليكون بمثابة دليل على يوم القيامة النهائي الوشيك لجميع البشر بعد الموت.

الآن، عند مواجهة مشاهدة هذه الأحداث الاستثنائية، ماذا سأفعل؟ على الرغم من تقديم ماناف لادعاء شبه مستحيل نيابة عن الله، والذي تم الوفاء به عالميًا تمامًا كما زُعم، فإن طبيعتي المتشككة ستمنع التحول الفوري إلى أيديولوجية ماناف. سأفكر في احتمالية أن تكون هذه الأحداث مجرد شذوذ غير مسبوق في التاريخ البشري، ومن المحتمل أن تكون خالية من أي صلة إلهية. ومع ذلك، وبسبب هذا التسلسل الممتد إلى ٣٥ عامًا، سأشعر بإكراه أخلاقي وعقلاني لاستكشاف رسالة ماناف بجدية. سيظل عالقًا في أفكاري هذا المفهوم - ماذا لو كان ماناف يقول الحقيقة بالفعل؟ إذا اكتشفت أن رسالة ماناف لا ترضيني أخلاقيًا وعقلانيًا، خاصة فيما يتعلق بالأسئلة الوجودية الأساسية، فسيكون من المعقول افتراض أن الأحداث المحيطة بماناف كانت غريبة تاريخية استثنائية، منفصلة عن أي تدخل إلهي.

ومع ذلك، إذا كانت رسالة ماناف تعالج أسئلتنا الأساسية بشكل معقول، جنبًا إلى جنب مع الملحمة الاستثنائية التي استمرت ٣٥ عامًا من حكم الإله الأرضي، فهذا سيقودني إلى الاعتراف والاعتقاد بأن رسالة ماناف قد نشأت حقًا من عند الإله - حتى لو كانت تتعارض

مع رغباتي ومصالحى الشخصية. بالنسبة لى، هذا هو النهج الأكثر إخلاصاً الذي يمكن اتباعه. سأستمر فى التمسك بهذا الاعتقاد حتى أواجه حججاً مقنعة تتحدى ذلك.

فى الجوهر، تعمل هذه التجربة الفكرية حول ماناف كمتوازٍ دقيق للأحداث الواقعية فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم، مما يجعل ادعاءً غير محتمل حول الله والمساءلة الإلهية مع تفصيل خطة تكشفه بدقة. تكشف الادعاء عالمياً تماماً كما هو متوقع. يعمل هذا كأقوى سبب يجعل الجميع، على الأقل مرة واحدة فى حياتهم، يفحصون بجدية وإخلاص رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بخصوص الله والمساءلة الإلهية.

مفهوم القرآن "لرسول" يوضح الكتب المقدسة السابقة

بينما سأخوض فى هذا بالتفصيل فى الفصل الخامس، أود أن أتطرق بإيجاز إلى هذه النقطة هنا. القصص من العهدين القديم والجديد تصبح أكثر منطقية عند عرضها من خلال تفسير القرآن لما يشكل حقاً رسولاً من الله.

سابقاً، قبل أن أتعرف على مفهوم رسول الله، وجدت القصص الكتابية مثل قصص نوح أو لوط محيرة. إذا كانت أمم نوح ولوط قد تلقت عقاباً إلهياً فى هذا العالم لمجرد خطاياهم، فلماذا لا نرى عقوبات

إلهية بشكل متكرر في عالم اليوم، بالنظر إلى الوجود المستمر للتجاوزات الأخلاقية والقيمية؟

يوضح القرآن أن العقاب الإلهي على الأرض لا يفرض لمجرد الفساد والخطايا السائدة في المجتمع - بل يُصرح به تحديداً عندما يتواصل الله مباشرة من خلال أفراد مختارين، ويرسلهم كرسول له إلى الناس - باختصار، العقوبات الأرضية على الأمم تُفرض لرفض رسول حي من الله وليس لمجرد ارتكاب الخطايا. ورغم أن الخطايا الأخرى قد تثير غضب الله، فإن رفض رسول الله يصبح السبب في إيقاع العقاب الإلهي على الأرض.

وفقاً للقرآن، يجسد رسول الله الحكم الإلهي على الأرض لمُرسلهم المباشرين. إنهم يوضحون الحق، والذين يؤمنون ينجون، بينما يواجه الذين يرفضون الرسول القصاص هنا على الأرض.

الآن، عند مراجعة القصص الكتابية (Biblical stories)، نجد أنها تتماشى بسلاسة مع مفهوم القرآن للرسول. نوح، بعد أن اتصل به الله، نقل رسالته لسنوات. في النهاية، نجا أولئك الذين دعموه، بينما هلك الذين عارضوه في الطوفان. وينطبق نمط مماثل على الشخصيات النبوية الأخرى، مثل لوط لقومه، وإبراهيم لقومه، وموسى في مواجهة فرعون، وعيسى وهو يخاطب بني إسرائيل، تسبق وصول الرسول الأخير، محمد صلى الله عليه وسلم.

وهكذا، فإن القصص الكتابية عن إطلاق الله للأحكام الإلهية على الأرض تلتئم تماماً عند عرضها من منظور الرسل أو مرسلي الله.

٢(ج) - ما هو القرآن وكيف نفهمه

لفهم هذا، دعونا نرسم مثلاً بسيطاً.

تخيل ملكاً رومانياً يرسل مبعوثه في مهمة إلى مقاطعة غاؤل الرومانية. يتواصل الملك بانتظام مع المبعوث من خلال رسائل تتضمن توجيهات للمبعوث والمواطنين في الأمور الشخصية والجماعية، وتعليمات حول التاريخ والأيدولوجية الرومانية، وإرشادات حول إجراء الأمور نيابة عن الملك لإتمام المهمة. بمجرد انتهاء المهمة، يأمر الملك بجمع وترتيب جميع الرسائل في كتاب. يهدف هذا التجميع إلى تقديم التوجيه من حكمة الملك للأجيال القادمة. علاوة على ذلك، فإنه يسمح لأي شخص بفهم مهمة الملك في غاؤل وكيف أدار الملك الأمور من خلال مبعوثه لإتمام تلك المهمة.

هذا هو بالضبط ما هو القرآن - مجموعة من خطب وأحاديث أوحى الله بها إلى محمد صلى الله عليه وسلم، والتي تم جمعها لاحقاً في شكل كتاب من قبل الله نفسه. إنه يشمل رسائل الله لمحمد ﷺ حول المواقف المباشرة، وأحاديث الله مع المسلمين، واليهود، والمسيحيين، والمشركين في ذلك الوقت، وروايات الله عن الأحداث

التاريخية وكيف نفذ الأنبياء حكم الله على الأرض.
بالإضافة إلى ذلك، فهو يتضمن إصدار الله للصلوات والأوامر
الأخرى المتعلقة بالالتزامات الأخلاقية. يحتوي القرآن على محتوى ظرفي
ذي صلة فقط بمخاطبي محمد صلى الله عليه وسلم المباشرين وأوامر
أبدية قابلة للتطبيق على جميع الناس في جميع الأوقات.
كما نوقش سابقاً، هناك اتجاه شائع بين مجموعات معينة لتفسير
الآيات القرآنية بمعزل عن غيرها وخارج سياقها. أنا أرى أن هذا النهج
غير صحيح. لقد أثبتنا بالفعل أن الآيات القرآنية لا ينبغي فهمها بمعزل
عن غيرها - بدلاً من ذلك، يجب مراعاة جميع الآيات المتعلقة بموضوع
معين لاستخلاص التفسير الصحيح.

لغة القرآن

تواصل إليه القرآن بلغة جمهوره المباشر - العرب في القرن السابع
الميلادي. ويصر القرآن على أنه نزل بلسان عربي مبين لكي يفهم الناس
رسالة الله^{٢١}. لفهم القرآن، يجب على المرء أن يفهم طبيعة اللغة نفسها.
القرآن، ككلمة منظوقة باللغة العربية، يتطلب فهماً وترجمة بناءً على
استيعاب جمهوره المباشر أو المعايير اللغوية السائدة. تحليل استخدام

^{٢١} الشعراء ٢٦: ١٩٥.

الكلمات، وبنية الجملة، والسياق ضروري لتحديد معنى الآيات.
دعوني أؤكد مرة أخرى - يجب فهم القرآن تماماً مثل أي نص مكتوب
آخر، مما يعني:

١- يجب تفسير الكلمات بناءً على المعاني الأكثر فهماً وشيوعاً لدى
جمهورها المقصود.

٢- النظر في كيفية وضع الكلمة في الجملة وكيف يؤثر ذلك على
معناها.

٣- مراعاة سياق المناقشة.

على سبيل المثال، إذا قال شخص ما:

"قال جون، 'فلنؤجل (rain check) العشاء الفخم اليوم لأنني

أريد توفير بعض المال (save some dough) لدفع الفواتير".

فمن الضروري تفسير هذه العبارات ضمن فهمها الشائع بدلاً من
اشتقاق معانٍ بديلة. إن اختيار الكلمات ومكانها في الجملة، جنباً إلى
جنب مع السياق، يجعل من الواضح جداً أن جون يريد تأجيل العشاء
حتى يتمكن من توفير المال لدفع ثمن مرافقه.

سيكون نهجاً معيباً الانحراف عن القواعد العامة لفهم اللغة المكتوبة
والادعاء بأنه بما أن "rain check" يمكن أن تعني أيضاً التحقق من المطر
في الخارج، فإن جون يقول إن على الجميع التحقق من الخارج لمعرفة ما
إذا كان هناك مطر أثناء العشاء - أو لأن "dough" تعني أيضاً خليطاً

مرناً من الدقيق والماء، فإن جون يريد توفير بعض من ذلك أثناء العشاء.

دعونا نتأمل مثلاً من القرآن حيث وردت كلمة "توراه" ١٨ مرة. تاريخياً، تُعرف التوراة بأنها كتاب الهداية والشرعة الذي أنزل على موسى وعلمه هو وخلفاؤه من الأنبياء لبني إسرائيل. فهم اليهود، والجمهور المباشر للقرآن، المصطلح بدقة ضمن ذلك السياق. إن الادعاء بأن المعنى الحرفي للكلمة العبرية "توراه" ("الهداية والشرعة") يعني أن أي كتاب يوجه الناس بالأحكام القانونية هو وسيلة غير صحيحة لتفسير القرآن أو أي شكل من أشكال التواصل اللغوي.

علاقة القرآن بالكتب المقدسة الأخرى

هناك تصور خاطئ شائع بأن الكتاب المقدس هو كلام الله المباشر من أوله إلى آخره، ولكن الأمر ليس كذلك. الكتاب المقدس - بعهديه القديم والجديد - هو مجموعة متعددة الأوجه. إنه يشمل الوصايا الإلهية، وحسابات التاريخ اليهودي، وتقارير عن حياة يسوع وتعاليمه كما سجلها تلاميذه، مثل يوحنا ومتى، والتي توجد داخل الكتاب المقدس، الذي يتضمن التوراة والأنجيل والمزامير.

يحافظ القرآن على علاقة فريدة مع العهدين القديم والجديد. فهو لا

يرفضهما تماماً؛ بل يقر بالوهمية التوراة والإنجيل والمزامير^{٢٢}. ومع ذلك، فإنه يصر على تفسيرها من خلال عدسة القرآن^{٢٣}، معتبراً القرآن السلطة النهائية. أساساً، يشير القرآن إلى أنه بينما توجد حقائق في الكتاب المقدس الحالي، فإن التحقق من صحتها يجب أن يتمشى مع القرآن.

الطريقة الصحيحة لدراسة الكتاب المقدس في علاقته بالقرآن هي اعتبار أنه إذا قام القرآن بمراجعة مفهوم كتابي، فوفقاً للقرآن، فإن هذه الفكرة المنقحة هي الحق، والفكرة الكتابية الأصلية خاطئة. على سبيل المثال، يوضح القرآن أن عيسى لم يُصلب^{٢٤} ويدعي أن الشيطان ينتمي إلى جنس الجن، وليس الملائكة الساقطين^{٢٥}. ومع ذلك، إذا تطرق القرآن بإيجاز إلى موضوع معين دون الخوض في التفاصيل، وكان الكتاب المقدس يحتوي على معلومات أكثر استفاضة حول هذا الموضوع،

^{٢٢} آل عمران ٣: ٣-٤، المائدة ٥: ٤٤-٤٦، بني إسرائيل ١٧: ٥٥، النساء ٤: ١٦٣ من بين مقاطع أخرى.

^{٢٣} المائدة ٥: ٤٨.

^{٢٤} النساء ٤: ١٥٧.

^{٢٥} الكهف ١٨: ٥٠.

فإن القرآن يوجه القارئ لمراجعة الكتاب المقدس لمزيد من التفاصيل. على سبيل المثال، بينما يذكر القرآن باختصار يأجوج ومأجوج^{٢٦} دون مزيد من التفاصيل، فإن الكتاب المقدس يصف يأجوج ومأجوج باستفاضة كأحفاد ليافت، الابن الثالث لنوح في تكوين^{٢٧}.

أفضل طريقة لتحليل القرآن لغير المتخصص (العامي)

بالنسبة لي، كشخص عامي، كانت أفضل طريقة لتحليل القرآن هي فهم مقدمته الصحيحة، التي ذكرتها أعلاه، ثم قراءة ترجمة بسيطة من أوله إلى آخره. إذا لم أفهم شيئاً ما، كنت أقوم بتأشيريه والبحث عن آراء العلماء على الإنترنت أو من الكتب. إذا استمر عدم وضوح شيء ما، فسأبذل جهدي للاتصال بالعلماء والخبراء بنفسي ومناقشة الأمر معهم.

أيضاً، أثناء قراءة الترجمة، حرصت على التمييز بين الترجمة وما هو مكتوب بين أقواس، لأن ذلك عادة ما يكون رأي المترجم الخاص أو إضافة إلى النص.

^{٢٦} الأنبياء ٢١: ٩٦.

^{٢٧} ١: ٥-١٠.

قضية جمع القرآن وقراءاته المتنوعة^{٢٨}

قبل أن نغوص في القرآن، من الضروري بالنسبة لي أن أشارك ما تعلمته حول جمعه وقراءاته المتنوعة. هناك تصور خاطئ شائع بأن القرآن قد تم ترتيبه وجمعه كمخطوطة كاملة فقط بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا ليس صحيحًا. بالإضافة إلى ذلك، هناك عدد قليل من مخطوطات القرآن التي كُتبت فيها بعض الكلمات بشكل مختلف عن نسخة القرآن السائدة بين المسلمين. لماذا توجد هذه المخطوطات؟ لفهم قضية الجمع القرآني وقراءاته المتنوعة، علينا أن نناقش بإيجاز كيف نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف نقله إلى أتباعه المباشرين، وما هي الخطوات التي اتخذوها للحفاظ عليه ونقله على نطاق واسع.

قدم محمد ﷺ القرآن كاملاً بترتيبه الحالي لأتباعه قبل وفاته

لاستيعاب أن محمدًا صلى الله عليه وسلم زود أتباعه بالقرآن كاملاً

^{٢٨} لمناقشة مفصلة ومراجع، يرجى مشاهدة سلسلة الفيديو بعنوان "الرد على ٢٣ سؤالاً - اختلاف القراءات - جاويد أحمد غامدي" - المرفوعة على قناة يوتيوب لمركز غامدي للتعليم الإسلامي.

خلال حياته، من الضروري فهم المراحل الثلاث لنزوله.

المرحلة الأولى

خلال المرحلة الأولى، نزل القرآن مفرداً فراداً. كانت الآيات تنزل غالباً على محمد ﷺ ردّاً على أسئلة وانتقادات من المخاطبين، أو كأوامر وتوجيهات له ﷺ وأتباعه في مختلف المواقف الاجتماعية والسياسية. خلال هذه المرحلة، كان محمد ﷺ يتلو الآيات المنزلة عليه تدريجياً لأتباعه. وبينما كان بعض الصحابة يحفظونها، كان آخرون يكتبونها. خلال هذه المرحلة الأولى، كان من المسموح تلاوة القرآن بكلمات المرء الخاصة إذا نسي اللفظ الدقيق^{٢٩}. في إحدى المرات، نسي محمد ﷺ نفسه بعض آيات القرآن:

"روت عائشة (رضي الله عنها): سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ القرآن في الليل، فقال: "يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية من سورة كذا وكذا كنت قد نسيتها."^{٣٠}

في رواية صحيحة أخرى، أخبر محمد صلى الله عليه وسلم أتباعه أنه مسموح لهم تلاوة القرآن بسبعة أنماط مختلفة، كل منها بكلماتها

^{٢٩} أحمد، رقم ١٦٣٦٦.

^{٣٠} البخاري، رقم ٥٠٣٨.

ونطقها الخاص. وسمح لأتباعه باختيار أي شكل يجدونه أكثر ملاءمة.^{٣١}

لماذا سُمح بهذا التسامح في المرحلة الأولى؟ أولاً، ذكر محمد ﷺ نفسه أن على الناس التركيز على الرسالة بدلاً من الكلمات الدقيقة^{٣٢}. ثانياً، أكدت سورة مكية مبكرة جداً لمحمد صلى الله عليه وسلم أن وقتاً سيأتي يُجعل فيه يراجع القرآن كاملاً تحت إشراف إلهي، ومن تلك النقطة فصاعداً، لن يُسمح لأي أخطاء بالبقاء.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾^{٣٣}

في آية أخرى، نُصح محمد صلى الله عليه وسلم ألا يقلق بشأن حفظ الكلمات الدقيقة فور وقت نزولها. فقد طُمئن بأنه عندما يحين الوقت المناسب، سيمكنه الله من حفظ وتلاوة القرآن بأكمله:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^{٣٤}

^{٣١} البخاري، رقم ٥١٣ و ٥١٤.

^{٣٢} أحمد، رقم ١٦٣٦٦.

^{٣٣} الأعلى ٨٧: ٦.

^{٣٤} القيامة ٧٥: ١٦-١٨.

المرحلة الثانية

في هذه المرحلة الثانية، زار جبريل محمدًا صلى الله عليه وسلم مرتين خلال عامه الأخير، وتلى القرآن ذهابًا وإيابًا مرتين. عُرف هذا الحدث لاحقًا باسم "العرضة الأخيرة".^{٣٥}

كان العديد من صحابة محمد صلى الله عليه وسلم، مثل زيد بن ثابت (رضي الله عنه)، حاضرين في ذلك الوقت. وقاموا بنسخ القرآن كما تلاه محمد صلى الله عليه وسلم في شكله النهائي.^{٣٦}

هذه التلاوة النهائية كانت هي القرآن الذي سلمه محمد صلى الله عليه وسلم لأتباعه في عامه الأخير. كتب الأتباع، بشكل جماعي، وحفظوا نفس القرآن الموجود اليوم في كل بيت مسلم تقريبًا.

يروى عبدة السلماني: "القراءة التي عُرضت عليه (محمد صلى الله عليه وسلم) في العام الذي مات فيه - هي القراءة التي يقرؤها الناس".^{٣٧}

ويذكر ابن سيرين: "كان جبريل ومحمد يقرآن القرآن كل رمضان.

^{٣٥} البخاري، رقم ٤٩٩٧، ٤٩٩٨، ٦٢٨٥، ٦٢٨٦.

^{٣٦} أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٣)، ٥٢٦/٤.

^{٣٧} مصنف ابن أبي شيبة، رقم ٣٠٩٢٢.

وفي عامه الأخير حدث ذلك مرتين. وهذا بالضبط ما نقرأه جميعاً الآن (كقرآن).^{٣٨}

وينقل الزركشي عن أبي عبد الرحمن السلمي، المولود في حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأحد أوائل علماء القرآن، قوله:

"كان أبو بكر وعثمان وعمر وزيد بن ثابت وجميع الأنصار والمهاجرين (رضي الله عنهم) يقرؤون نفس القراءة (القراءة) التي كانت تُقرأ ذهاباً وإياباً من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل - مرتين في عام محمد صلى الله عليه وسلم الأخير. وكان هذا يسمى العرضة الأخيرة. وذكرت زيد بن ثابت لأنه كان حاضراً في الوقت الذي تلاه محمد."^{٣٩}

ومن ثم، تأكد محمد ﷺ في عامه الأخير من أن القرآن الذي بين أيدينا بترتيبه وشكله الحالي قد حُفظ وكتب من قبل أتباعه بشكل جماعي.

إذن، إذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد سلم القرآن في شكله الحالي لأتباعه خلال حياته، فما هي الحقيقة وراء الفكرة القائلة بأن

^{٣٨} سنن سعيد بن منصور، رقم ٥٧.

^{٣٩} بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن (القاهرة: مكتبة دار التراث، د.ت)، ٢٢٧/١.

عثمان (رضي الله عنه) كان جامع القرآن؟

المفهوم الخاطئ حول كون عثمان هو جامع القرآن

لفهم هذا المفهوم الخاطئ، من الضروري استيعاب المرحلة الثالثة في تاريخ القرآن.

المرحلة الثالثة

تتكون هذه المرحلة من الجهود التي بذلها الأتباع المباشرون لمحمد ﷺ للحفاظ على القرآن الذي تلقوه من محمد صلى الله عليه وسلم ونقله بشكل جماعي. وفي هذا الصدد، هناك حدثان مهمان للغاية:

١- بحلول وقت وفاة محمد صلى الله عليه وسلم، كانت شبه الجزيرة العربية بأكملها قد اعتنقت الإسلام. وتشير التقديرات إلى أنه كان لديه ما يقرب من ١٥٠,٠٠٠ إلى ٢٠٠,٠٠٠ من الأتباع. وكما نوقش سابقاً، كان جميعهم على دراية بالقرآن، الذي رتبته محمد صلى الله عليه وسلم "كعرضة أخيرة" في عامه الأخير. كان بعض صحابة محمد صلى الله عليه وسلم قد كتبوه، وحفظه كثيرون آخرون. ثم جاءت معركة اليمامة، التي أسفرت عن خسائر فادحة للمسلمين. توجه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي بكر (رضي الله عنه)، الخليفة، وطلب منه إنشاء نسخة مكتوبة رسمية من القرآن لأن العديد من

القتلى في اليمامة كانوا من حفظة القرآن. اعتُبر من الحكمة وجود نسخة رسمية من القرآن في حالة فقدان المزيد من الحفظة. على الرغم من وجود نسخ مكتوبة من قبل الأفراد، إلا أنه كان هناك شعور بالحاجة إلى نسخة رسمية متفق عليها بالإجماع لتجنب أي صراعات حول محتواها. وافق أبو بكر (رضي الله عنه)، وعُين زيد بن ثابت (رضي الله عنه)، الرجل الذي نسخ التلاوة النهائية عندما تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل في عامه الأخير، لكتابة أول نسخة رسمية للدولة متفق عليها بالإجماع من القرآن نيابة عن الإمبراطورية الإسلامية الشاسعة. اكتمل هذا الجهد الضخم، وظلت هذه النسخة الرسمية من القرآن مع أبي بكر (رضي الله عنه) حتى وفاته. بعد ذلك، كانت في حوزة الخليفة التالي، عمر (رضي الله عنه)، حتى وفاته. بحلول وقت وفاة عمر (رضي الله عنه)، كانت الإمبراطورية الإسلامية قد توسعت بشكل كبير، وزاد عدد المسلمين لدرجة أنه لم يعد هناك خطر من فقدان حفظة القرآن. وبناءً على ذلك، استؤمنت هذه النسخة الرسمية الأولى من القرآن لدى زوجة محمد، حفصة (رضي الله عنها)، خلال زمن عثمان (رضي الله عنه)، الخليفة الثالث^{٤٠}. ومن ثم، فإن كل ما فعله أبو بكر (رضي الله عنه) هو إنشاء أول نسخة

^{٤٠} البخاري، رقم ٥٠٩.

رسمية من القرآن - نفس القرآن الذي أعطاه محمد صلى الله عليه وسلم لأتباعه، نفس القرآن الذي حفظه وكتبه المئات.

٢- بحلول زمن الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، كانت الإمبراطورية الإسلامية الجديدة قد توسعت إلى ما وراء شبه الجزيرة العربية والمناطق المجاورة لها. لقد أصبحت كياناً شاسعاً، يمتد من شمال إفريقيا إلى بلاد فارس ويشمل تركيا الحديثة وأذربيجان وأرمينيا. وتوجه صحابي للنبي صلى الله عليه وسلم، حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه)، إلى الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وأبلغه بالخلافات حول محتويات القرآن التي كانت تظهر في المناطق البعيدة من الإمبراطورية. كان لدى بعض الجنود السوريين والعراقيين، الذين لم يكونوا من سكان شبه الجزيرة العربية الأصليين، تفسيرات مختلفة لبعض الكلمات في القرآن. اقترح حذيفة (رضي الله عنه) تسليم نسخة رسمية من القرآن إلى جميع أركان الإمبراطورية الشاسعة لتسوية مثل هذه الخلافات. شكل عثمان لجنة وعين زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث (رضي الله عنهم) لجمع النسخة الرسمية للقرآن من زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، حفصة (رضي الله عنها) - وهي نفس النسخة المكتوبة الرسمية التي صُنعت بإجماع الآراء خلال زمن أبي بكر (رضي الله عنه) - لعمل المزيد من النسخ من القرآن لتوزيعها في جميع أنحاء الإمبراطورية الشاسعة. شملت مهمتهم أيضاً التخلص

من أي قطع مكتوبة أخرى قد تكون موجودة في هذه المناطق البعيدة. غالباً ما يتم الخلط بين هذا التكرار والتوزيع للنسخة المكتوبة الرسمية من القرآن وبين قيام عثمان (رضي الله عنه) بجمع وترتيب القرآن.^{٤١}

باختصار، تلقى محمد صلى الله عليه وسلم القرآن في ترتيبه الحالي الكامل من جبريل في العام الأخير من حياته. وقام أتباعه المباشرين، الذين يبلغ عددهم مئات الآلاف، بكتابته وحفظه. في غضون ٢٠ عاماً بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم، أدت جهود أتباعه المباشرين إلى إنشاء نسخة مكتوبة رسمية على مستوى الدولة بمحتوى متفق عليه بالإجماع. تم توحيدها وتوزيعها في جميع أنحاء الإمبراطورية الإسلامية الشاسعة خلال زمن عثمان (رضي الله عنه). إن هذا التوحيد والتوزيع للنسخة الرسمية من القرآن من قبل عثمان عبر الإمبراطورية الإسلامية الشاسعة غالباً ما يُفهم خطأً على أن عثمان (رضي الله عنه) هو جامع القرآن.

مسألة القراءات المتنوعة للقرآن

توجد مخطوطات مختلفة للقرآن مع نطق بعض الكلمات بشكل مختلف.

^{٤١} البخاري، رقم ٥١٠.

على الرغم من أن هذه الاختلافات لا تؤثر بشكل كبير على محتوى ورسالة القرآن، إلا أن مجرد وجود هذه المخطوطات يتصوره الكثيرون على أنه نفي لحفظ القرآن. ومع ذلك، فإن هذا التصور غير دقيق. كما نوقش سابقاً، كان هناك اتفاق إجماعي على القرآن. واتفق الجميع على التلاوة النهائية (العرضة الأخيرة) باعتبارها القرآن الذي قدمه محمد صلى الله عليه وسلم لأتباعه ككتاب الله الأخير المعتمد إلهياً. إذن، لماذا توجد هذه المخطوطات مع بعض الاختلافات عن القرآن السائد؟

كما نوقش سابقاً، خلال المرحلة الأولى من نزول القرآن، كان التسامح مع الأخطاء في التلاوة قائماً، وكان استخدام كلمات المرء الخاصة مسموحاً بدلاً من تلاوة الكلمات الدقيقة. بعد أن سلم محمد صلى الله عليه وسلم القرآن كاملاً لأتباعه وتوفي، نجت هذه التلاوات المبكرة من مراحل نزول القرآن في كل من الأشكال المكتوبة والشفوية ووصلت إلى صحابة محمد صلى الله عليه وسلم. ظهر معسكران أيديولوجيان بين أتباع محمد صلى الله عليه وسلم المباشرين فيما يتعلق بكيفية التعامل مع هذه القراءات المتنوعة.

أحد المعسكرين، بقيادة عمر (رضي الله عنه)، كان يرى أنه بعد أن سلم محمد صلى الله عليه وسلم التلاوة النهائية لأتباعه، يجب عليهم الالتزام الصارم بتلك النسخة. أما المعسكر الآخر، بقيادة أبي بن

كعب (رضي الله عنه)، فقد رأى أنه على الرغم من امتلاكهم جميعاً للقرآن المتفق عليه بالإجماع والذي سلمه محمد صلى الله عليه وسلم لهم قبل وفاته، إلا أنه لا يزال يتعين عليهم الحفاظ على أي تلاوة أو نسخة أخرى من القرآن ثبت نسبتها إلى محمد صلى الله عليه وسلم بشكل مرضٍ^{٤٢}. استمر هذا الخلاف في الرأي عبر الأجيال، وبالتالي نجت بعض المخطوطات مع اختلافات طفيفة عن القرآن السائد، على الرغم من أن هذه الاختلافات الصغيرة لا تؤثر على رسالة ومعنى القرآن.

باختصار، قدم محمد صلى الله عليه وسلم القرآن لأتباعه في شكله الحالي. التفسيرات المتنوعة الموجودة اليوم تنبع من المراحل الأولى للنزول عندما كانت الصياغة الشخصية والأخطاء مسموحة. استمرت هذه التفسيرات لأن بعض صحابة محمد صلى الله عليه وسلم اختاروا الحفاظ عليها أيضاً.

الآن، دعونا نتمق في القرآن لاستكشاف إطاره الشامل بالتفصيل فيما يتعلق برسول الله، مع التركيز بشكل خاص على كيفية سير الأمور مع محمد صلى الله عليه وسلم، رسول الله الخاتم. سأشرح أيضاً لماذا

^{٤٢} للتفاصيل حول اختلاف الرأي بين عمرو أبي بن كعب (رضي الله عنهما) انظر: البخاري، رقم ٤٤٨١، ٥٠٠٥.

— الفصل الرابع —

أعتقد أن منظور القرآن في هذا الأمر يتماشى عقلاً وديناً ويدعمه العلم والتاريخ والجوانب الأخرى الملحوظة في واقعنا.



تفاصيل مخطّط القرآن للأمور بشأن الرُّسُل

أجد من المحير تماماً أن ما أوشك على مناقشته هو في الأغلب السبب الأكثر إقناعاً للجميع لاستكشاف الإسلام، ومع ذلك فإنه يظل الجانب الأقل فهماً ونقاشاً في الدين — حتى بين المسلمين. إذا كنت مسلماً تقرأ هذا، فهناك احتمال بنسبة ٩٥% أنك غير مدرك أنه وفقاً للقرآن، الرسول هو شخص يعاقب الله ويكافئ الناس من خلاله هنا على الأرض.

يصف القرآن بإسهاب كل خطوة من خطوات كيفية تنفيذ هذا الحكم من خلال النبي محمد صلى الله عليه وسلم لمخاطبيه المباشرين. يظهر التاريخ أن الأحداث سارت تماماً كما هو موصوف في القرآن، وصولاً إلى أدق التفاصيل، على نطاق عالمي.

جانب آخر مثير جداً للاهتمام في مخطط القرآن المتعلق بالرسول هو أنه يعترف بجميع الشخصيات الرئيسية في التقليد الإبراهيمي — أي

إبراهيم، ولوط، وموسى، وعيسى، ومحمد (عليهم السلام) — وكذلك شخصيات ما قبل الإبراهيمية مثل نوح، ليس فقط كأنبيا من الله لتوجيه البشرية، ولكن أيضاً كرسل لتنفيذ حكمه على الأرض. من منظور القرآن، فإن الأحداث المحيطة بنوح، ولوط، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (عليهم السلام) وتعاليمهم ليست مجرد ظواهر إقليمية. إنهم يمثلون جهداً مترابطاً، فريداً، ثابتاً، ومتماسكاً من قبل الله لتوجيه البشرية وإظهار حكمه الإلهي على الأرض كدليل على يوم الحساب القادم للبشرية جمعاء. يبدو أن وجهات النظر القرآنية حول هذا المخطط للأمور مدعومة تماماً بمصادر تاريخية غير دينية، والأهم من ذلك، بالعهدين القديم والجديد.

دعونا الآن نمضي قدماً ونحلل منظور القرآن حول الرسل. سوف نستكشف ما يقوله القرآن حول هذا الموضوع ولماذا تفسيراته سليمة أخلاقياً وفكرياً وعقلانياً. بالإضافة إلى ذلك، سوف نفحص كيف تبدو بعض العلامات في واقعنا داعمة لادعاءات القرآن.

١- لماذا يتواصل الله من خلال الأنبياء والرسل بدلاً من

التواصل المباشر مع الجميع؟

قبل أن نمضي قدماً، دعونا نناقش بإيجاز المنطق الذي يقدمه القرآن لسبب تواصل الله مع البشرية من خلال الأنبياء والرسل بدلاً من

التواصل المباشر.

يذكر القرآن، في الفصل ٤٢، الآية ٥١ وفي مواقع أخرى كثيرة، أن الله يتواصل مع الناس بثلاث طرق:

١- عن طريق غرس الأفكار والرسائل في العقل.

٢- التواصل المباشر من خلال الكلام.

٣- من خلال الملائكة الذين ينقلون رسالة الله كوشي.

وفقاً للقرآن، فإن وسائل التواصل المباشر — سواء من خلال كلام الله نفسه أو من خلال الملائكة الذين يأتون بالوحي — تستخدم فقط للأفراد الذين هم أنبياء ورسول للقيام بمهام محددة. كنت أساءل دائماً، لماذا يحتاج الله إلى القيام بذلك؟ لماذا لا يتحدث مباشرة مع الجميع؟ يقدم القرآن إجابة منطقية ومدعومة بما نفهمه عن واقعنا.

على الرغم من أننا سنناقش بالتفصيل ما يقوله القرآن عن الغرض البشري لاحقاً، فمن المهم ملاحظة هنا أن أحد أهم جوانب غرضنا هو حرية اختيار القيام بأعمال صالحة أو سيئة^١. وفقاً للقرآن، لتوفير هذه الحرية المطلقة، حُجب الله والملائكة وعالمهم عنا^٢.

^١ البقرة ٢: ٢٥٦.

^٢ البقرة ٢: ٢١٠، الأنعام ٦: ٨، ١٥٨، الحجر ١٥: ٧، الفرقان ٢٥: ٢٢، الشعراء ٢٦:

٤، النحل ١٦: ٢٨، السجدة ٣٢: ١٢.

ومن ثم، يتواصل الله بشكل غير مباشر مع الجماهير من خلال الأنبياء والرسول، ويقدم الإرشاد لأولئك الذين يسعون إليه مع الحفاظ أيضاً على حرية الاختيار.

ولكن بعد ذلك، ماذا عن الأنبياء والرسول؟ إذا كانوا يتواصلون مباشرة مع الإله، فماذا يحل بحريتهم في الاختيار؟ يذكر القرآن أن إحدى سمات أولئك الذين اختيروا ليكونوا أنبياء ورسلاً لله لمهام محددة هي أنهم كانوا الأفضل خلقاً بين الناس^٣. ومع ذلك، بمجرد أن يصبح الشخص نبياً أو رسولاً، تصبح الرهانات أعلى لأن العالم غير المرئي يصبح مرئياً جزئياً أو كلياً لهم، مما لا يترك مجالاً كبيراً للأعذار. بمجرد أن يصبح ذلك العالم مرئياً بشكل مباشر، يتضاعف ثواب الخير، ولكن على الطرف الآخر من الطيف، إذا ارتكب النبي أو الرسول خطأ، ولو بأدنى شكل، فإن العواقب تكون فورية، وتتضاعف شدة العواقب عليهم^٤. إنه يشبه تجاوز إشارة حمراء مع العلم أن رقيباً يراقبك — فسيتم تغريمك ضعف المبلغ العادي.

وفقاً للقرآن، تواصل الله مباشرة مع أولئك الذين اختارهم كأنبياء ورسول لإيصال الرسالة إلى الجماهير من خلالهم. يتم منح هذه الشخصيات

^٣ القلم ٦٨: ٤.

^٤ بني إسرائيل ١٧: ٧٥.

المعينة إمكانية الوصول إلى العالم الخفي، مما يضمن يقينهم بمن وما يتبعون، ولا يترك مجالاً للشك. بالنسبة لكل شخص آخر، الموت هو اللحظة التي يصبح فيها الغيب مرئياً، وتنتفي حرية الاختيار.^٥

لماذا يبدو إخفاء العالم الإلهي منطقياً

إذا كنت لا تؤمن بوجود إله، فقط افترض للحظة أن هذا الإطار الكامل الذي يشمل الله وممارستنا للإرادة الحرة صحيح. من الناحية المنطقية، سيكون من المنطقي أن يكون الله والملائكة وهذا العالم بأكمله مخفيين عنا وإلا، كيف يمكننا امتلاك حرية الاختيار بشكل خاطئ؟ تخيل العيش في الحضور المباشر لكائنات ساحقة مثل الله والملائكة، ومواجهة عواقب فورية لأي فعل سيء — هل يجزؤ أي شخص في كامل قواه العقلية على ارتكاب مخالفة؟ الجواب الواضح هو لا. تملي الطبيعة البشرية أننا لا ننتهك القوانين عندما نعلم أن سلطة تراقب وستفرض عواقب على الانتهاكات. لذلك، إذا كان مفهوم الله وحریتنا في الاختيار صحيحاً، فمن المعقول أن يظل الله وهذا العالم مخفيين عنا، مما يمنحنا الحرية المطلقة للاختيار بين الخير والشر.

دعم فكرة العوالم المخفية من واقعنا القابل للمعرفة

بالنسبة للكثيرين منا، تصبح أي فكرة من الدين أكثر قبولاً عندما

^٥ ق ٥٠: ٢٢.

يتم دعمها بالعلم. ضع في اعتبارك العبارتين التاليتين:

١- لقد أخفى الله معظم الوجود عنا للحفاظ على حريتنا في الاختيار.

٢- يخبرنا العلم أننا غير مدركين لما يشكل ٩٦% من الكون — فهو يظل غير مرئي لنا.

بالنسبة لشخص ذي عقل مشكك مثل عقلي، قد تبدو العبارة الثانية أكثر قبولاً، على الرغم من أنها تنقل رسالة مشابهة للأولى. فكرة أن الله قد حجب معظم الواقع عنا تجد بعض التشابه في فهمنا للكون. المادة والقوى التي تشكل كل شيء في الكون تمثل حوالي ٤% فقط من تكوينه الكلي؛ ٩٦% المتبقية تتكون من عناصر لا يمكننا رؤيتها أو قياسها أو إدراكها مباشرة. ما يظهر لنا كفضاء فارغ مليء بمواد لا نعرف عنها شيئاً. نحن لا نعرف ما هي هذه المادة أو أين توجد بالضبط، لكننا متأكدون من وجودها لأننا نلاحظ آثارها على المادة المرئية. يشار إلى هذه المادة المراوغة من قبل العلماء باسم "المادة المظلمة" و"الطاقة المظلمة"، مع تأكيد مصطلح "المظلمة" على افتقارنا الكامل لفهم طبيعتها. وهكذا، وفقاً للعلم، تظل معظم الوجود غير مرئية، وغير قابلة للكشف، وغير معروفة لنا.

كلمة تحذير: أنا لا أقترح أن المادة المظلمة والطاقة المظلمة هي عوالم الله والملائكة. بل إنني أشير فقط إلى أن المفهوم الديني بأن الله قد أخفى معظم الوجود عنا يجد بعض الدعم في فهمنا العلمي الحالي.

دعونا الآن ننتقل إلى روايات القرآن الاستثنائية عن الرسل.

٢- في البداية، كان كل البشر يؤمنون بحقيقة واحدة

لكي نفهم تماماً الطبيعة الاستثنائية للأحداث المتعلقة بمحمد صلى الله عليه وسلم، من الضروري أن نبدأ استكشافنا من حيث يبدأ القرآن سرده — مع بداية البشر الحديثين. سأخوض في الرواية القرآنية لخلق آدم وحواء بمزيد من التفصيل لاحقاً، وقد يفاجئكم ذلك؛ فهو ليس ما يتوقعه معظم الناس. في الوقت الحالي، دعونا نركز على تأكيد القرآن أنه في فجر البشرية، كان الجميع متمسكين بنفس الحقيقة حول الله والمساءلة الإلهية في الآخرة.

الحس الأساسي للصواب والخطأ مغروس في البشر

كنت أعتقد ذات مرة أن الدين يفترض أن البشر ليس لديهم معرفة فطرية بالصواب والخطأ، وأن الكتاب المقدس هو الذي يخبرهم بهذه المفاهيم. قادني هذا الاعتقاد إلى التشكيك في صحة الادعاءات الدينية، خاصة عند التفكير في الأفراد المستقيمين أخلاقياً الذين لا يتبعون أي كتاب مقدس. على عكس ذلك، يؤكد القرآن في الآية ٩١: ٨ أن حساً أساسياً بالصواب والخطأ هو أمر جوهري لدى البشر. يفسر هذا التأكيد وجود أناس طيبين أخلاقياً لا يلتزمون بأي كتاب مقدس. فكرة أن

حسّاً أساسياً من الأخلاق هو أمر فطري تتماشى مع النزعة البشرية العامة لتصنيف الأفعال على أنها صحيحة أو خاطئة، على الرغم من أن تعريفات هذه المصطلحات قد تختلف. أولئك الذين يفتقرون إلى هذا الحس الأخلاقي أو الذين يظهرون تشوهاً شديداً في حسهم بالصواب والخطأ غالباً ما يوصفون بأنهم مجانين، أو سيكوباتيون، أو سوسيوباتيون.

أول البشر تم الاتصال بهم مباشرة من قبل الإله

وفقاً للقرآن ٢: ٢١٣، تلقت المجموعة الأولى من البشر اتصالاً مباشراً من الإله، يوضح أصلهم والغرض منهم. وهكذا، مجهزين ببوصلة أخلاقية فطرية وتعليمات إلهية صريحة، كان البشر الأوائل مدركين تماماً للحقيقة الإلهية. ويذكر القرآن أيضاً أنه كلما ضلت البشرية عن هذه الحقيقة، كان الله يرسل أنبياء وكتباً مقدسة لتذكير الناس بهذا الإرشاد وتصحيح أي تحريفات ظهرت.^٦

هذه الحقيقة، كما هو موضح في آيات قرآنية مختلفة، تشمل الإيمان بالله واحد أسمى، والملائكة، والآخرة، والحساب في تلك الآخرة بناءً على الاختيارات الأخلاقية التي تم اتخاذها في هذه الحياة، والنتيجة الجيدة أو السيئة المترتبة على ذلك الحساب بناءً على الحياة التي عشت في

^٦ البقرة ٢: ٢١٣.

هذا العالم.

القرآن يفسر وجود العديد من الأديان المختلفة

يفسر القرآن وجود العديد من الأديان والأساطير بذكر أنه بمرور الوقت، بدأ الناس ينحرفون عن الحقيقة لأسباب مختلفة، مثل العداء المتبادل والفوائد الدنيوية، مما دفع المجتمعات إلى الانغماس في الوثنية وعبادة الأصنام.^٧ بدأ الناس في عبادة الجن والملائكة جنباً إلى جنب مع الله، وخلقوا أساطير حولهم من خلال نسب أبناء وبنات للإله.^٨ وفقاً للقرآن، كانت البشرية جمعاء تعرف في الأصل الحقائق الأساسية عن الله والوجود؛ كانوا على طريق التوحيد لكنهم تحولوا تدريجياً نحو الشرك وعبادة الأصنام.

دعم فكرة القرآن من واقعنا القابل للمعرفة

في قصصه عن الرسل، يؤكد القرآن أن البشرية جمعاء كانت على طريق الحق قبل نشوء الانقسامات. جوهرياً، يشير الكتاب الإلهي إلى أن جميع الأديان الإبراهيمية، بل ومعظم المعتقدات الدينية، هي فروع وتحورات لحقيقة واحدة. هذا منطقي لأن البشر يميلون إلى الانقسام

^٧ البقرة ٢: ٢١٣، الفرقان ٢٥: ١٨.

^٨ الأنعام ٦: ١٠٠، سبأ ٣٤: ٤١.

حول المعتقدات، حتى لو كان أساس تلك المعتقدات متفقاً عليه بالإجماع. فكري في المسلمين، على سبيل المثال. المسلمون لديهم القرآن، الذي يقبلونه بالإجماع ككتاب الله الخاتم الذي يشرح بوضوح جميع المسائل المتعلقة بالمعتقدات، ومع ذلك ينقسم المسلمون إلى طوائف عديدة بآراء متباينة للغاية.

من ناحية أخرى، تقترح فرضية منافسة بشكل رئيسي من الدوائر غير الدينية أن البشر بدأوا كصفحة بيضاء وبدأوا تدريجياً في اختراع الأرواح والآلهة والآخرة لتفسير وجودهم وفهم الموت والواقع الغامض من حولهم.

أي فرضية هي الصحيحة؟ تلك التي قدمها القرآن أم المنافسة؟ البشر المعاصرون تشريحياً موجودون منذ حوالي ٢٠٠,٠٠٠ عام. لسوء الحظ، لا يمكننا استخدام آلة زمن للعودة واكتشاف ما فكر فيه البشر الأوائل عن الإله. بالإضافة إلى ذلك، لا توجد سجلات مكتوبة أقدم من حوالي ٥,٠٠٠ إلى ٧,٠٠٠ سنة مضت، عندما اخترعت الكتابة.

يعتمد العديد من الأكاديميين الذين يؤكدون أن البشرية بدأت بالوثنية وعبادة الأصنام في حجتهم على الاكتشافات الأثرية مثل التماثيل وأيقونات الآلهة والإلهات المكتشفة في أنقاض العديد من المجتمعات القديمة. ومع ذلك، قبل اختراع الكتابة، ما نوع الأثر الأثري الذي يمكن أن يتركه التوحيد الخالص؟ الإجابة هي لا شيء. في التوحيد الخالص، لا

توجد أصنام أو أيقونات أو رموز للعبادة يمكن لعلماء الآثار التنقيب عنها للاستنتاج بأن مجتمعاً معيناً مارس التوحيد. التوحيد لن يترك أي أثر في غياب الكتابة.

لذا، هل هناك أي شيء في واقعنا القابل للمعرفة يمكن أن يزودنا بدليل لمساعدتنا في تحديد ما إذا كان الادعاء القرآني بأن البشرية جمعاء كانت تشترك في البداية في معتقد واحد صحيحاً أم لا؟ نعم، يوجد.

التشابه في المعتقدات - سبب لتصديق ادعاء القرآن بالأصل الواحد للحقيقة

يوجد تشابه مفاهيمي غريب وواسع في الأفكار الدينية بين المجتمعات في جميع أنحاء العالم وهي مجتمعات ليس لديها أي سبب واضح لمشاركة هذه التشابهات، باستثناء احتمال أن هذه المفاهيم قد تنبع من مصدر واحد. كما ناقشنا سابقاً، فإن كل ثقافة بشرية تقريباً، مع استثناءات قليلة جداً، لديها مفاهيم عن الله أو الآلهة، والملائكة، والآخرة.

"الدين الإيمان بالكائنات الخارقة للطبيعة، بما في ذلك الآلهة والأشباح والملائكة والشياطين والأرواح يمكن العثور عليه عبر التاريخ وفي كل ثقافة... كل ثقافة بشرية معروفة لديها أساطير خلق، باستثناء محتمل لشعب "بيراها" في منطقة الأمازون، الذين يفتقرون أيضاً إلى كلمات الأرقام، وكلمات الألوان، والتسلسل الهرمي

الاجتماعي.^٩

بالتمعق أكثر في هذا الاتجاه، يكتسب الادعاء القرآني مزيداً من الدعم. ينص القرآن على أن جميع البشر عرفوا الحقيقة في البداية، والتي وفقاً للقرآن تشمل وجود إله واحد، والآخرة، والمساءلة في تلك الآخرة، وجزاء الجنة أو عقاب النار بناءً على سلوك المرء في هذا العالم. الآن، دعونا نفحص أي الثقافات حول العالم حملت معتقدات مماثلة.

ما يلي قد يبدو كبحت أكاديمي متقدم، لكنه في الواقع بحث أساسي جداً قام به شخص عادي عبر الإنترنت. يمكنك فتح "جوجل" والبحث عن عبارات مثل "المعتقدات الدينية للثقافات القديمة" وستجد معظم ما أقتبسه في الصفحة الأولى من نتائج البحث. من المهم جداً ملاحظة هنا أن هناك مجموعة واسعة من الآراء والحجج المضادة من خبراء التاريخ حول المسائل التي سأناقشها أدناه، لكنني أشارككم فقط نظرة مبسطة للأمور فهماً واسعاً وعماماً وبسيطاً للأشياء سيحصل عليه

^٩ "هل نحن مفطورون على الإيمان بقوة عليا؟"، بي بي سي تيتش، تم الدخول إليه في ٤ أبريل ٢٠٢٤،

<https://www.bbc.co.uk/teach/are-we-wired-to-believe-in-a-higher-power/z74xkmn>.

الشخص العادي عند تصفح المواد المتاحة بسهولة حول هذا الأمر. أولاً، دعونا نناقش المعتقدات العالمية الرئيسية في العصور الحديثة نسبياً قبل أن تنتقل إلى المعتقدات الأقل شهرة والأكثر قدماً.

كلنا على دراية بالتقليد الديني الإبراهيمي اليهودية والمسيحية والإسلام. على الرغم من اختلافهم في التفاصيل، إلا أنهم جميعاً يعلمون نفس الأساسيات: هناك إله واحد. البشرية لها عدو من شكل حياة آخر يشار إليه عادة باسم الشيطان، والذي أطلق عليه أيضاً اسم "المخادع" في العهد القديم والعهد الجديد والقرآن، والذي يخدع البشر لارتكاب أفعال شريرة. هناك مساءلة إلهية بعد الموت. في الآخرة، هناك مكان جيد (الجنة) ومكان سيء (النار) للجميع، اعتماداً على كيفية إدارتك للأمور هنا على الأرض.

الزرادشتية، التي بشر بها زرادشت في بلاد فارس، علمت نفس المبادئ بالضبط، حيث أطلقت على الإله الواحد اسم "أهورا مازدا" والشيطان "أنغرا مايينو" أو "الروح التدميرية الشريرة". هناك مساءلة إلهية بعد الموت، تؤدي إلى نتيجة دائمة جيدة أو سيئة بناءً على الحياة التي عشت في هذا العالم.^{١٠}

^{١٠} "الزرادشتية"، study.com، تم الدخول إليه في ٤ أبريل ٢٠٢٤،

<https://study.com/academy/lesson/zoroastrianism->

الهندوسية تعلم أيضاً مبادئ أساسية مماثلة. الحياة الجيدة أو السيئة أخلاقياً تحدد نتيجة إيجابية أو سلبية بعد الموت، من خلال التقمص، مما يؤدي في النهاية إلى "موكشا/نيرفانا" أو التحرر. على الرغم من عدم وجود شخصية شيطان واحدة، إلا أن الهندوسية تشمل مفهوم "راكشاسا" — وهي شياطين شريرة قادرة على اتخاذ أشكال مختلفة. بينما يُنظر إلى الهندوسية إلى حد كبير على أنها دين شرقي اليوم، إلا أن مفهوم الإله الواحد لا يزال موجوداً في كتبها المقدسة. ضع في اعتبارك الآيات التالية من النصوص الهندوسية:

"قبل أن يتجلى هذا العالم، لم يكن هناك سوى وجود واحد، وجود واحد دون ثانٍ."^{١١}

"إلى ما هو واحد، يطلق الحكماء أسماء كثيرة."^{١٢}

لا يمكن رؤيته، لا من فوق، ولا من عرض، ولا من الوسط. هو يفوق الإدراك. لا توجد صورة حقيقية لشكله. اسمه هو المجد نفسه. الحواس لا تدركه. العقل لا يستطيع أن يستوعب... شكله ليس مرئياً. العيون لا تستطيع رؤيته. لكن أولئك الذين يعرفونه كمقيم في

[.definition-beliefs-history.html](http://definition-beliefs-history.html)

^{١١} تشاندوجيا أوبانيشاد، الفصل ٦، القسم ٢، الآية ١.

^{١٢} ريج فيدا، الكتاب ١، الترنيمة ١٦٤، الآية ٤٦.

القلب من خلال قلوبهم وعقولهم يصبحون خالدين.^{١٣} الآن دعونا نتحقق من بعض المعتقدات الأقل شهرة والأكثر قدماً. **الأمريكيون الأصليون:** بشكل عام، من المعروف أن الأمريكيين الأصليين يعبدون إلهًا رئيسًا واحدًا ويبدو أيضاً أنهم يؤمنون بالملائكة. قام توماس هاريوت بتفصيل فهمه لهذا الأمر بهذه الكلمات: "كان الهنود يعتقدون أن هناك إلهًا رئيسًا وعظيمًا واحدًا، كان موجودًا منذ الأزل، ولكن عندما قرر خلق العالم، بدأ بصنع آلهة صغيرة، ليتم استخدامها في الخلق والحكم الذي سيتبع."^{١٤} الأنيشينابي، وهم مجموعة من القبائل الأصلية التي تعد من أقدم سكان أمريكا الشمالية، يؤمنون بالإله الواحد، مشيرين إليه باسم "غيتشي مانيتو" أو "الروح العظيمة". تشير القبائل الأمريكية أيضاً إلى الإله الرئيسي الوحيد باسم مانيتو أو "الروح العظيمة". يرى أنيشينابي أنفسهم كأشخاص كُلفوا بالعيش

^{١٣} سويتاسفاتارا أوبانيشاد، الفصل ٤، الآية ١٩.

^{١٤} "دين الهنود - موقع فورت رالي التاريخي الوطني (خدمة المتنزهات الوطنية الأمريكية)،" تم الدخول إليه في ١٠ أبريل ٢٠٢٤،

على الصراط المستقيم من قبل خالقهم، وهو مفهوم مشابه "لالصراط المستقيم" الموصوف في القرآن. بين أنيشينابي والقبائل الأمريكية الأصلية الأخرى، يجب أن تُقاد الحياة بأخلاق وقيم جيدة لضمان وصول الأرواح إلى عالم الأرواح وهو مكان جيد أو العالم السفلي، وهو ليس مكاناً جيداً جداً. هناك أيضاً مفهوم "المخادع" أو "المضلل". مثل هذه الشخصيات لا تُرى دائماً كسيئة من قبل الأمريكيين الأصليين لأنهم غالباً ما ينتهي بهم الأمر بتعليم دروس حياتية جيدة للناس.

"نانابوزو"^{١٥} هو المضلل بالنسبة لأنيشينابي^{١٦}، الذي هدفه دائماً هو خلق مشاكل للناس.

الصين: لا يُعرف الكثير عن المعتقدات الصينية القديمة قبل عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد، ولكن هناك أدلة على أن الناس عبدوا إلهاً أسمى واحداً يُدعى "شانغدي". الإله الأسمى كان يُشار إليه أيضاً باسم "الإمبراطور

^{١٥} "أنيشينابي"، في ويكيبيديا، تم الدخول إليه في ١٥ مارس ٢٠٢٤،

<https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Anishinaabe&oldid=1213911119>

^{١٦} "نانابوزهو"، في ويكيبيديا، ١٥ مارس ٢٠٢٤،

<https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Nanabozho&oldid=1213850139&zho>

اليشمي" في أجزاء معينة من الصين. هناك أيضاً مفهوم للجحيم يسمى "دي يو"، حيث تُؤخذ الأرواح للتكفير عن الخطايا، وهناك الملكوت السماوية أوتيان.^{١٧}

لدى الصينيين نسختهم الخاصة من القوى الشيطانية تسمى موغواي. في الأوقات الحالية، يربط العديد من الصينيين المصطلح بأرواح معينة من أسلافهم الذين ينتقمون لشر ما ألحق بهم خلال حياتهم. ومع ذلك، كان الصينيون القدماء يعتقدون أن موغواي كائنات شريرة ترغب في إيذاء البشر وتهدف إلى إغواء البشر لفعل أشياء شريرة.^{١٨}

الأبورجين الأستراليون (السكان الأصليون): بالنسبة للعديد من قبائل السكان الأصليين، باي هو الإله الخالق الأسمى للسماء، وهناك أيضاً إيمان بأرواح الطبيعة وأرواح أسلافهم الذين يعتقدون أنهم خلقوا كل شيء. هناك أيضاً مفهوم غامض للجنة. يعتقدون أنه بعد الموت الدنيوي، يجب أن تصل الروح إلى "أرض الموتى"، حيث يبدو أن الدخول

^{١٧} سيرا تولينتينو، "الميثولوجيا الصينية: التاريخ، الثقافة، الأساطير، والأبطال" تم الدخول إليه في ٢ أبريل ٢٠٢٤،

<https://historycooperative.org/chinese-mythology>

^{١٨} أونوكوبي أنيدو وأنيدو نغوزي، "الأشباح في الديانتين الصينية والإيغبو"، مجلة الدراسات الأفريقية والتنمية، المجلد ١٣، ص ١ - ١٤.

يعتمد على مدى مشاركة الشخص في طقوس معينة في الحياة أو مدى إتقان أداء الطقوس الجنائزية. لذا، على الرغم من كونها غامضة للغاية، فإن مفهوم الإله الواحد، الآخرة، والعاقبة الطيبة أو السيئة (القدرة على الوصول إلى أرض الموتى أم لا) موجود، جنباً إلى جنب مع فكرة أن واجبات معينة تؤدي في هذه الحياة ستملي مصير المرء في الآخرة. اعتقد السكان الأصليون القدماء أن كل شيء قد خلق من قبل الخالقين خلال زمن الحلم وهي فترة قبل وجود أي شيء في عالمنا. كما أرشد الخالقون البشر حول كيفية العيش للوصول إلى مكان جيد بعد الموت. خلال زمن الحلم، شكل الخالقون الرجال والنساء والحيوانات، ووضعوا قوانين الأرض، وفرضوا كيف يجب أن يتصرف الناس تجاه بعضهم البعض. لقد وضعوا الأعراف لإمدادات الغذاء وتوزيعه، وطقوس التكريس، ومراسم الموت (التي يُطلب أداؤها حتى تتنقل روح الميت بسلام إلى مكان أرواحهم)، وقوانين الزواج.^{١٩} شخصية المخادع موجودة أيضاً؛ اعتقد شعب يولنغو القديم أن "بامابانا" هو المخادع والمضلل

^{١٩} سكوت لينكلتر، "ما هو وقت الحلم عند السكان الأصليين؟"، تم الدخول إليه في ٥ أبريل ٢٠٢٤،

الذي يسبب الخلاف بين البشر.^{٢٠}

مصر القديمة: اعتبرت آلهة كثيرة في مصر القديمة آلهة عظمى، وكان يُعبد كلٌّ منها، كما كانت كلُّ سُلالةٍ حاكميةٍ غالباً تتخذ إلهها الخاص بوصفه الإله الأعلى.

الإله الأسمى للأسرة الأولى، "بتاح"، يحمل شبهاً صارخاً للمفهوم التقليدي للإله الموحد. يُوصف بتاح بأنه الخالق الأزلي غير المخلوق لكل شيء، ومنجب البداية الأولى، والسميع للدعوات، ورب الحق، وسيد العدل.^{٢١}

مفهوم ريشة ماعت وجد أيضاً، حيث ينص على أنه بعد الموت، يُعرض الأفراد للمساءلة أمام الإله. وتُوزن قلوبهم مقابل ريشة الحق والعدل، مما يحدد ما إذا كانت أرواح الراحلين ستصل بنجاح إلى

^{٢٠} آرثر كوتيريل، "بامابانا"، في قاموس الميثولوجيا العالمية (مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠٠٣)،

<https://www.oxfordreference.com/display/10.1093/acref/9780192177476.001.0001/acref-9780192177476-e-487>

^{٢١} روبرت أ. آرمور، آلهة وأساطير مصر القديمة (مطبعة الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ٢٠٠١)، ٩٩-١٠٠.

فردوس الآخرة^{٢٢}.

دين أوروبا في أفريقيا: يُعرف بوجوده لآلاف السنين، يشمل دين أوروبا مفهوم إله أسمى يسمى أولورون أو أولودوماري، ومفهوم الملائكة، المشار إليهم باسم إرونغولي. يسعى أتباع دين أوروبا لتحقيق الكمال وإيجاد مصيرهم في أرون-ريري (العالم الروحي لأولئك الذين يفعلون أشياء جيدة ونافعة). حسب مقال على britannica.com :

"بشكل عام، تعتقد الأديان الأفريقية أن هناك إلهًا خالقًا واحدًا، صانعًا لكون ديناميكي. تروي أساطير مختلف الشعوب الأفريقية أنه بعد وضع العالم في حركة، انسحب الكائن الأسمى، وظل بعيدًا عن شواغل الحياة البشرية.^{٢٣}

العديد من أنظمة المعتقدات الدينية الأفريقية تتضمن مفهوم "المضلل" أو "المخادع" الذي، رغم تصويره غالبًا كشير، يُعتبر أحيانًا خيرًا. بغض النظر عن الانحياز الأخلاقي، فإن دور الشخص الذي يخدع ويمكر لتحقيق أهدافه منتشر في العديد من أنظمة المعتقدات الأفريقية القديمة.

^{٢٢} روبرت أ. آرمور، آلهة وأساطير مصر القديمة، ١٣٥.

^{٢٣} "الأديان الأفريقية | المعتقدات والممارسات التقليدية | بريتانیکا"، ١٩ مارس ٢٠٢٤.

وفقاً لموسوعة بريتانیکا:

"المخادع هو نوع سائد من الشخصيات الأسطورية في الأساطير الأفريقية. يقلب المخادعون التقاليد وهم معروفون بسعيهم وراء شهواتهم التي لا تشبع وأهوائهم الوقحة، ولو حلت بهم الكارثة.^{٢٤} الميثولوجيا الإسكندنافية: لا يُعرف الكثير بالتفصيل عن معتقدات الشعب الإسكندنافي القديم، ولكن يبدو أنهم امتلكوا مفهوماً غامضاً لإله أسمى أطلقوا عليه اسم أودين. تُعرف الجنة الإسكندنافية باسم "فالهاالا" وتُوصف "كقاعة المحاربين الصرعى، الذين يعيشون في نعيم تحت قيادة الإله أودين.^{٢٥}

وهناك مفهوم للجحيم يُعرف باسم نيفلهم ويُشار إليه "كعالم موتى بارد ومظلم وضبابي... مكان يمر إليه الأشرار بعد وصولهم إلى منطقة الموت.^{٢٦}

^{٢٤} "الأديان الأفريقية | المعتقدات والممارسات التقليدية | بريتانیکا،" ١٩ مارس ٢٠٢٤،

<https://www.britannica.com/topic/African-religions>

^{٢٥} "فالهاالا | التعريف، الأسطورة، والمعنى | بريتانیکا،" تم الدخول إليه في ٥ أبريل ٢٠٢٤،

<https://www.britannica.com/topic/Valhalla-Norse-mythology>

^{٢٦} "نيفلهم | عمالقة الصقيع، هيلهم وإيغدراسيل | بريتانیکا،" تم الدخول

شخصية المخادع موجودة أيضاً وتُدعى "لوكي". لم يُذكر كونه جيداً أو سيئاً بشكل خاص ولكن هدفه الرئيسي كان دائماً خلق الفوضى^{٢٧}.
الميثولوجيا الإغريقية: زيوس هو الإله الأسى للإغريق القدماء.
إليسيوم هي الجنة التي يُرسل إليها الأبطال، الذين منحتهم الآلهة الخلود.^{٢٨}
"العالم السفلي" هو النسخة الإغريقية القديمة من الجحيم.^{٢٩} هناك
أيضاً شخصية المخادع، المعروف بـ "بروميثيوس" المخادع الأسى.^{٣٠}

إليه في ٥ أبريل ٢٠٢٤،

<https://www.britannica.com/topic/Niflheim>

^{٢٧} "لوكي | الميثولوجيا، القوى، والحقائق | بريتانیکا،" ٢٥ مارس ٢٠٢٤،

<https://www.britannica.com/topic/Loki>

^{٢٨} "إليسيوم | الجنة، الحياة الآخرة، الخلود | بريتانیکا،" تم الدخول إليه في

٢٨ مارس ٢٠٢٤،

<https://www.britannica.com/topic/Elysium-Greek-mythology>

^{٢٩} "الجحيم - اليونانية، الرومانية، الميثولوجيا | بريتانیکا،" تم الدخول إليه

في ١٠ أبريل ٢٠٢٤،

<https://www.britannica.com/topic/hell/Greece-and-Rome>

^{٣٠} "بروميثيوس | إله، وصف، معنى، وأسطورة | بريتانیکا،" تم الدخول إليه

بروميثيوس يأمر دولوس، روح الخداع، جنباً إلى جنب مع بسوديا،
روح الأكاذيب.^{٣١}

على الرغم من أن تفاصيل المعتقدات والقصص الميثولوجية من
الثقافات المذكورة أعلاه تختلف اختلافاً شاسعاً عن بعضها البعض،
إلا أنها جميعاً تشترك في تشابهات مفاهيمية عامة وعريضة مثل
مفهوم إله أسمى أو خالق واحد، الآخرة، والتبعات الأخلاقية في تلك
الآخرة بناءً على أفعال المرء في هذه الحياة. بالإضافة إلى ذلك، غالباً ما
توجد شخصية المخادع أو المضلل، كينونة تهدف بشكل أساسي
لتضليل البشر وإغرائهم لارتكاب أفعال خاطئة. لماذا تشترك الثقافات
حول العالم في هذه التشابهات في الأفكار؟ إن مجرد وجود مثل هذه
المفاهيم في كل مجتمع بشري تقريباً يشير إلى أصل مشترك، حيث يبدو
أنه لا يوجد سبب آخر يجعل كل ثقافة بشرية تقريباً تطور هذه المفاهيم
بشكل مستقل. لا شيء في علم النفس لدينا أو البيئة الخارجية يشير

في ٢٧ مارس ٢٠٢٤،

<https://www.britannica.com/topic/Prometheus-Greek-god>

^{٣١} "دولوس (Dolos) - إله أو روح الحيلة والمخادعة اليوناني،" تم الدخول

إليه في ١٠ أبريل ٢٠٢٤،

<https://www.theoi.com/Daimon/Dolos.html>

إلى أن جميع البشر كانوا مقدرين للتفكير في هذا الاتجاه المحدد ولتطوير مثل هذه الأفكار لتفسير الواقع. بالنسبة لي، هذا يدعم ادعاء القرآن بوجود رسالة واحدة تدهورت عبر مئات الآلاف من السنين إلى معتقدات دينية وقصص ميثولوجية متنوعة، والتي، رغم تفاصيلها المختلفة، تحتفظ بتشابهات مفاهيمية واسعة.

٣- أنبياء الله يُرسلون إلى البشرية

يطرح القرآن الكريم السردية، موضحاً أنه عندما بدأت البشرية تضل عن الحق، تواصل الله مع أفراد صالحين من أمم مختلفة، ملقياً إياهم "نبيا" أو "نبي الله". كُلف هؤلاء الأنبياء المعينون بإرشاد الناس للعودة إلى الحق وتصحيح أي تحريفات ظهرت.^{٣٢}

مفاهيم غامضة لأنبياء الله عبر التاريخ البشري

يفترض القرآن الكريم أن كل البشرية كانت ملمة بمفهوم أنبياء الله، ولكن معظم الأنبياء رُفضوا من قبل شعوبهم ولم يحصلوا على أي أتباع دنيويين ملحوظين.^{٣٣} يتماشى هذا الادعاء مع الملاحظات التاريخية بأنه، على المستوى المفاهيمي، كانت البشرية بالفعل ملمة

^{٣٢} البقرة ٢: ٢١٣.

^{٣٣} الصافات ٣٧: ١٧-٧٢.

بفكرة الأفراد المتصلين بالإله لإرشاد البشرية. ومن هنا، نرى مفاهيم مثل الشامان، والريشيين، والحكماء عبر كل الثقافات البشرية. ومع ذلك، هناك سجلات شحيحة لشخصيات محددة كانوا رسلاً لله، مع استثناءات قليلة مثل حكماء الهندوسية، والنبي زرادشت في الزرادشتية، والأنبياء من التقليد الإبراهيمي.

وفقاً لسردية القرآن، بمجرد أن ضلت البشرية عن الحق، أرسل الله أنبياءً إلى الأمم، رُفض معظمهم. قبول أو رفض رسالة النبي لم يحمل أي عواقب دنيوية، حيث أن المسألة الإلهية لكل فرد ستُنفذ بعد الموت في "يوم القيامة". بعد الأنبياء، أرسل الله رسلاً الذين لم يُرسلوا فقط للإرشاد ولكن أيضاً، قبولهم أو رفضهم حمل عواقب دنيوية عميقة. هذا يقودنا إلى موضوع تركيزنا الرئيسي — مفهوم رسول الله!

٤- رسل الله

لمناقشة مفصلة ومراجع تتعلق برسل الله، وتحديدًا محمد صلى الله عليه وسلم كرَسُولِ الله، يرجى الرجوع إلى قائمة التشغيل التالية على قناة اليوتيوب "مركز غامدي للتعلم الإسلامي"^{٣٤}.

^{٣٤} قائمة التشغيل بعنوان: "الرد على ٢٣ سؤالاً - إتمام الحجة - جاويد أحمد غامدي.

النبي والرسول منصبان مختلفان

"الرسول" يعني حرفياً مرسل أو مبعوث. جميع الرسل أنبياء لله، بمعنى أنهم يتلقون اتصالاً مباشراً من الله. ومع ذلك، القرآن يفرق بين منصبي النبي والرسول، حيث يستخدم هذين المصطلحين بشكل متميز. يذكر القرآن:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^{٣٥}

يعترف علماء المسلمون بأن مصطلحي "نبي" و"رسول" يشيران إلى منصبين متميزين. علماء مثل ابن عاشور والزمخشري ناقشوا كيف أن النبي لا يأتي بأي كتاب أو قوانين جديدة، بينما الرسول يأتي بكتاب وقوانين جديدة من الله. ومع ذلك، هذا التمييز يطرح مشكلة لأنه، رغم أن القرآن يحدد عيسى كرسول، ذكر عيسى أنه اتبع شريعة موسى ولم يقدم أي قوانين إلهية جديدة. يعترف السيد أبو اعلي المودودي في معالجته لهذه القضية، بأنه رغم أن النبي والرسول مكانتان مختلفتان وفقاً للقرآن، إلا أن هناك جدلاً مستمراً بين علماء المسلمين حول الاختلافات الدقيقة، ولم يتم التوصل إلى إجابة نهائية بعد.

في هذا الصدد، علماء مثل أمين أحسن الإصلاحى وجاويد غامدى حددوا بدقة ما يمثله رسول الله حقاً وفقاً للقرآن. هؤلاء العلماء أجروا عملاً مكثفًا في هذا المجال في أدبياتهم. بالنسبة لى، فهم المفهوم الصحيح لرسول الله هو المفتاح الأساسى لاستيعاب معظم المفاهيم الرئيسية للإسلام بشكل صحيح.

المفهوم الصحيح لرسول الله - محكمة العدل الإلهية لله على الأرض

وفقاً للقرآن، النبي هو شخص ينقل رسالة الله إلى الناس. بعض الأنبياء يتلقون كتباً من الله، والتي تهدف إلى خدمة غرض تسوية النزاعات حول الدين بين الناس بعد وفاة النبي^{٣٦}. إن قبول أو رفض النبي لا يحمل عواقب دنيوية. ومع ذلك، فإن الرسول هو مبعوث - وقبول رسالته أو رفضها بغير حق سيحمل عواقب دنيوية عميقة جداً على المخاطبين بالرسول. يذكر القرآن:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^{٣٧}

^{٣٦} البقرة ٢: ٢١٣.

^{٣٧} يونس ١٠: ٤٧.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾^{٣٨}
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَهَا رَسُولًا يَقُولُ
عَالَيْهِمْ أَيْتَانَا﴾^{٣٩}

وفقاً للقرآن، فإن جميع المجتمعات التي أرسل إليها الرسل، كان لكل منها مجموعتها الخاصة من الشرور السائدة بينهم، ولكن سبب العقاب الدنيوي كان رفضهم لرسول الله المرسل إليهم.^{٤٠}
هذا يحل سؤالاً طالما راودني. كما ذكرت سابقاً، كنت أتساءل عما إذا كان الله يعاقب الأفراد على الأرض بسبب خطاياهم مثل طوفان نوح أو مطر النار والحجارة على قوم لوط - فلماذا لا يعاقب الله الناس في العصر الحديث على خطاياهم، خاصة في المدن التي يتم فيها التبشير بالخطيئة وممارستها علناً منذ قرون؟ يحل القرآن هذا اللغز من خلال التصريح بوضوح أن الناس، بشكل عام، سيحاسبون على خطاياهم في يوم القيامة. ومع ذلك، فإن جريمة رفض رسول حي من عند الله تحمل عقاباً دنيوياً لأولئك الذين هم المتلقون المباشرين لرسالة ذلك الرسول. جادل بعض العلماء بأن الحكم أو العقاب المذكور في هذه الآيات

^{٣٨} بني إسرائيل ١٧: ١٥.

^{٣٩} القصص ٢٨: ٥٩.

^{٤٠} النحل ١٦: ١١٢ - ١١٣، الحاقة ٦٩: ١٠، التغابن ٦٤: ٥-٦.

ليس عقاباً دنيوياً؛ وبدلاً من ذلك، فإنه يشير إلى الثواب والعقاب في يوم القيامة. ومع ذلك، فإن سياق هذه الآيات لا يدعم هذه الفكرة. على سبيل المثال، في الآيتين ٤٨ و ٤٩ من سورة يونس، كما ذكر أعلاه، يصبح من الواضح أن العقاب الذي تتم مناقشته هو بالتأكيد عقاب دنيوي، لأنه في هذه الآيات عندما سأل الناس متى سيحدث هذا الحكم، قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يقول إن لكل أمة إطاراً زمنياً محدداً مسبقاً أو مهلة، وبمجرد انتهاء هذا الوقت، يفرض الحكم عليهم. وتحديدًا، في سورة الحجر، الآية ٤، ذكر أن المجتمعات تخصص لها وقتاً مقدراً قبل إيقاع الحكم المعلن عليها. علاوة على ذلك، قيل لمحمد في مقاطع مختلفة، بما في ذلك سورة الرعد الآية ٤٠، والغافر الآية ٧٧، ويونس الآية ٤٦، أن الله قد يريه بعض جوانب هذا الحكم خلال حياته ويكشف أجزاء أخرى بعد وفاته. توضح هذه الوحي أن الحكم الذي نوقش في القرآن، وخاصة فيما يتعلق بمتلقي الرسالة، هو حكم دنيوي. وهذا يعني أنه من بين المتلقين المباشرين للرسالة، فإن أولئك الذين يرفضون ويضطهدون الرسول سيواجهون بالتأكيد العقاب في يوم القيامة، لكنهم سيعانون أيضاً من العقاب هنا على الأرض. يتفق العديد من العلماء التقليديين، بما في ذلك الزمخشري والبيضاوي وأبو حيان، على أن الحكم المذكور في هذه الآيات يتعلق بالحكم الدنيوي ويعتبرون الرأي المعارض ثانوياً.

يتم تلخيص دور رسل الله بإيجاز في سورة إبراهيم، الآيات من ١٣ إلى ١٥، وسورة الأنبياء، الآيات من ٦ إلى ٩. توضح هذه الآيات أن الرسل قدموا رسالاتهم إلى مجتمعاتهم ولكن تم رفضهم بغير حق وواجهوا التهديدات والاضطهاد. وبناءً على ذلك، فُرض الحكم الإلهي على هؤلاء الرافضين، مما أدى إلى نجاة الرسل وأتباعهم، بينما واجه من عارضوهم الاستئصال.

لا يجلب الرسل العقاب للمنكرين فحسب، بل يجلبون أيضاً مكافآت دنيوية لأتباعهم. يذكر القرآن في ٧: ٩٦ أن الذين يقبلون رسالة الرسول يكافؤون في هذا العالم. علاوة على ذلك، في ١٤: ١٤، يؤكد القرآن أنه بمجرد القضاء على أعداء الرسول، يُمنح أولئك الذين قبلوا الرسول ودعموه مكافآت دنيوية في شكل سلطة على الأرض.

ومن ثم، هناك عقاب دنيوي من الله لمنكري الرسل ومضطهديهم ومكافأة لمن يقبل الرسول ويدعمه.

٥- نوع الناس الذين لديهم مشكلة مع إله القرآن ولماذا يبدو ذلك منطقيًا

رفض رسول من عند الله يحمل عقاباً دنيوياً للجمهور المباشر للرسول. هذه الحقيقة أثارت سؤالاً في ذهني. إذا صادف أن كنت من بين المخاطبين المباشرين للرسول، فهل سيعاقبني الله إذا لم أقبل رسالة

الرسول -رغم إعارتي أذنًا مخصصة له- لأسباب مبررة جدًا، على سبيل المثال، إذا كان جانب من جوانب الرسالة لا يبدو منطقيًا من الناحية الأخلاقية أو العقلانية بالنسبة لي؟ القرآن يقول لا! دعوني أشرح.

يصر القرآن على أنه بالنسبة للمخاطبين المباشرين للرسول، يجعل الله الحق واضحًا بما لا يدع مجالًا للشك. ولتحقيق هذا الوضوح، يستخدم الله وسائل مختلفة. على سبيل المثال، فإن الشخصية الأخلاقية التي لا تشوبها شائبة للرسول، جنبًا إلى جنب مع حججه العميقة، لا تترك مجالًا لأي حجج مضادة صالحة. علاوة على ذلك، يُمنح الرسول المعجزات، وتتكشف الظروف السياسية والعسكرية الخارجية بطريقة تدعم ادعاءاته، مما يضيف مزيدًا من المصداقية لرسالته. ونتيجة لذلك، ومن خلال قوة الحجج، وشخصية الرسول، والمعجزات، والأحداث الخارجية الداعمة، يتم إنشاء بيئة يصبح فيها الحق واضحًا بشكل لا لبس فيه للمخاطبين المباشرين للرسول. أولئك الذين ينكرون ذلك عادة ما يكونون مدفوعين بأسباب غير مبررة. على سبيل المثال، قد يرفضون الرسول بسبب الإهمال أو لأنهم يدركون أن الرسالة تتعارض مع فوائدهم الدنيوية أو رغباتهم أو تقاليدهم أو غرورهم.

يعلن القرآن أنك لن تُعاقب طالما كانت نواياك صادقة وحقيقية، وحتى ترفض رسالة الرسول ظلمًا وعدوانًا. وهذا مذكور بوضوح في الآية التالية:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا—وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾^{٤١}

(بمعنى الناس الذين يستمرون بعلم وعمد في السلوك والأفعال الخاطئة وغير العادلة).

في القرآن، في الآيتين ٩: ٧٠ و١٤: ٤٥، يذكر الله أن المجتمعات التي أرسل إليها الرسل قد دُمرت عندما "ظلم الناس أنفسهم". يشير هذا المصطلح إلى قيام الناس بارتكاب مخالفات وهم يدركون تماماً أن أفعالهم غير صحيحة.

علاوة على ذلك، في القرآن ٤٠: ٥، يذكر الله أن أولئك الذين تعرضوا لعقاب الله بين المخاطبين بالرسل هم أولئك الذين "وجدادوا بالباطل"، مما يعني أنهم رفضوا الحق لأسباب غير مبررة وزائفة.

وبالمثل، فإن الكذب والغطرسة غير مقبولين عند الله. يحتوي القرآن على العديد من الحالات التي يعلن فيها الله أن الغطرسة غير مقبولة. على سبيل المثال، في القرآن ٤٠: ٦٠، أعلن أن أولئك الذين يرفضون رسالة الله بسبب الغطرسة سيهلكون. بالإضافة إلى ذلك، فإن الآية الأولى التي يخاطب فيها الله البشر الأوائل تشير إلى أن الأنبياء والرسل سيأتون لإرشادهم إذا حادوا عن الحق. هنا، يُؤمر الناس ألا "كذبوا" (يكذبوا).

^{٤١} القصص ٢٨: ٥٩.

بشأن سوء فهمهم للرسالة) وألا "واستكبروا" (يرفضون بغطرسة قبول ما يعرفون في أعماقهم أنه الحق)

يوضح محمد صلى الله عليه وسلم أكثر ما تعنيه كلمة "تكبر" أو الغطرسة في حديث:

"الكبر هو بَطْرُ الحق (رفض قبول ما تعرف أنه الحق) وغمط

الناس".^{٤٢}

يأخذ إله القرآن قضية مهمة مع الأفراد الذين يدركون الحق من الله ثم يرفضونه لأسباب غير مبررة. دعونا نفحص بعض الأمثلة من القرآن حيث يدين الله الناس لرفضهم رسالته، رغم علمهم في أعماقهم أنها تمثل حقاً إلهياً بالفعل.

يذكر القرآن في ٢٧: ١٤ أن فرعون وقومه رفضوا موسى رغم اقتناعهم العميق في قلوبهم بأنه مرسل من الله.

يعلن القرآن أن مشركي مكة كانوا على علم بنعم الله عليهم، ومع ذلك تصرفوا بجحود وأنكروا رسالته.^{٤٣}

يعلن إله القرآن عن شريحة من اليهود والنصارى بين المخاطبين المباشرين لمحمد صلى الله عليه وسلم: "الذين آتيناهم الكتاب (اليهود والنصارى) يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق

^{٤٢} مسلم، رقم ٩١.

^{٤٣} النحل ١٦: ٨٣.

وهم يعلمون" ^{٤٤}

وبعض من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) في ذلك الوقت مدانون أيضاً "بكتمان الحق وهم يعلمون". ^{٤٥}

تنص سورة ٦: ٢٨ على أن أهل النار سيكونون هم الذين اعتادوا أن "يخفوا الحق" خلال حياتهم الدنيوية.

تنص سورة ٧: ٩ على أن الخاسرين يوم القيامة سيكونون أولئك الذين "ظلموا بآياتنا" - أو رفضوا هدى الله لأسباب غير مبررة أو خاطئة.

تستدعي سورة ٤٧: ٣٢ على وجه التحديد أولئك الذين يعارضون الله ورسوله بعد أن "تبين لهم الهدى".

في القرآن ٢٧: ١٤، يُدان أولئك الذين اقتنعت قلوبهم بالحق فيما يتعلق بالله، لكنهم ما زالوا ينكرونه ظلماً وتكبراً.

من هو الكافر؟

المصطلح الأساسي المستخدم في القرآن لأولئك الذين يرفضون رسل الله هو "كافر"، والذي يعني بصفة عامة الشخص الذي ينكر أو يغطي

^{٤٤} البقرة ٢: ١٤٦.

^{٤٥} آل عمران ٣: ٧١.

الحقيقة. في القرآن، يُطلق على الأفراد اسم كافرين أو منكرين تحديداً إذا أعلنوا صراحة رفضهم للرسالة التي قدمها محمد صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك، فإن مصطلح كافر يشمل أكثر من مجرد الإنكار؛ فهو يشير أيضاً إلى الجحود والغطرسة، مما يعكس أهمية أعمق في استخدامه داخل القرآن.

كلمة "كافر" مشتقة من الجذر "ك-ف-ر"، والذي كان يستخدمه العرب في عصور ما قبل الإسلام لوصف المزارعين الذين يغطون البذور في التربة - ويدفنونها أساساً. مثلما يخفي المزارعون البذور في الأرض، يشير مصطلح "كافر" أيضاً إلى الشخص الذي يخفي الحقيقة، الشخص الذي ينكر الحقيقة مع علمه في أعماقه أنها بالفعل الحقيقة.^{٤٦} ومن ثم، الكافر هو الشخص الذي ينكر الحقيقة ولكنه أيضاً شخص يخفي الحقيقة. بعبارة أخرى، فإنه يعني الشخص الذي يرفض قبول الحقيقة لأسباب غير مبررة.

ينص القرآن بوضوح على أنه من خلال الرسول، يجعل الله الحق

^{٤٦} عبد الله الأندلسي، "ما هو الكافر؟ الارتباك في اللغة الإنجليزية فيما يتعلق بالاستخدام القرآني لكلمة 'كافر'،" (مدونة)، ٥ مايو ٢٠١٦،

<https://abdullahalandalusi.com/2016/05/05/the-quranic-use-of-the-word-kafir>

واضحاً بشكل لا لبس فيه للمخاطبين المباشرين له. وبمجرد تحقيق هذا الوضوح، فإن أولئك الذين يرفضون الرسول يفعلون ذلك لأسباب غير مبررة وبالتالي يصبحون مؤهلين لعقاب الله. دعونا ننظر في بضعة أمثلة لأسباب محددة غير مبررة استخدمها رافضو الرسل ردّاً على رسالة الله.

١- يدين القرآن أولئك الذين يرفضون آيات الله دون أن يحاولوا فهمها. (النمل ٢٧: ٨٤)

٢- رفض قبول الحق إلا إذا تحدث الله مباشرة إلى نخبة المجتمع. (الزخرف ٤٣: ٣١)

٣- رفض قبول الحق لأنه يتعارض مع المصالح والرغبات الدنيوية. (النجم ٥٣: ٢٩، المائدة ٥: ٤٨)

٤- الناس الذين يرفضون الاستماع ولا يستخدمون عقولهم ومنطقهم بصدق. (الملك ٦٧: ١٠، الأنفال ٨: ٢٢)

٥- رفض قبول الحق لأنه يتعارض مع تقاليدهم أو معتقدات أسلافهم. (إبراهيم ١٤: ١٠، الأعراف ٧: ٧٠)

٦- رفض قبول الحق القائم على العقل، وبدلاً من ذلك المطالبة بتفسيرات خارقة للطبيعة. (الأنعام ٦: ١٢٤، بني إسرائيل ١٧: ٨٩-٩٣)

٧- رفض قبول الحق القائم على العقل فقط لأن الرسول مجرد بشر لا يملك قدرات خارقة للطبيعة. (الأنبياء ٢١: ١-٣، بني إسرائيل ١٧: ١٧)

٩٤، الفرقان ٢٥: ٧-٨، إبراهيم ١٤: ١٠)

٨- رفض قبول الحق لأنه لا يتبعه إلا الفقراء والضعفاء. (الشعراء

٢٦: ١١١، الرعد ١٣: ٢٧)

٩- بعض شراخ اليهود مدانة لعدم قبول محمد صلى الله عليه وسلم

كرسول من الله، لمجرد أنه لا ينتمي إلى أمتهم. (البقرة ٢: ٨٧-٩٠)

القرآن بأكمله مليء بالآيات التي تناقش الأسباب التي يعتبرها الله

غير مبررة لرفض رسالته.

من المنطقي أن يعاقب الله الرافضين

افترض أن مخطط القرآن بأكمله فيما يتعلق برسل الله صحيح؛ فإنه

من العقلاني ومن المبرر أخلاقياً أن يُعاقب الناس على رفض رسول الله

للأسباب غير المبررة المذكورة في القرآن.

ملاحظة موجزة حول وصم الآخرين بالكفر

الله وحده يعلم ما في قلوب الناس! بما أن الأنبياء والرسل على اتصال

مباشر بالله، فقد أخبرهم الله مباشرة بمن يرفض الحق لأسباب غير

مبررة.

وفقاً للقرآن، محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء ورسل

الله. بعده، لا يمكننا أن نعلن أن أي شخص كافر لأننا غير قادرين على

النظر في قلب شخص ما لتحديد السبب الدقيق لرفضه للرسالة الإلهية. ربما تعرض هذا الشخص لتشويه للحق، بدلاً من الحق الفعلي - وهو أمر ممكن تماماً بالنظر إلى التفسيرات العديدة والمتناقضة للإسلام في كثير من الأحيان. من الممكن أيضاً أن يكون الشخص رافضاً للحق لأن الحجج المقدمة لم ترضه أخلاقياً أو فكرياً أو عقلاً. بالإضافة إلى ذلك، قد يواجهون صراعات كبيرة في الحياة لدرجة أنهم لا يستطيعون تخصيص الوقت والطاقة الكافيين للبحث عن الحقيقة. لذا، باختصار، لا يمكننا أن نسأل الله مباشرة أو ننظر في قلب الشخص لتحديد ما إذا كان ذلك الفرد يرفض رسالة لأسباب صادقة أو لأسباب غير مبررة.

تواصل الله مباشرة مع محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه المباشرين. بعد محمد صلى الله عليه وسلم، لن يتم تحديد من هو كافر ومن ليس كافرًا إلا في يوم القيامة. لذلك، فإن كل من يرفض الإسلام اليوم هم ببساطة غير مؤمنين ولا يمكن وصمهم بالكافرين. آمل أن يكون سرد القرآن للرسول، حتى الآن، منطقيًا وعقلانيًا بالنسبة لك كما كان بالنسبة لي.

٦- نوح - الرسول الأول

قصة النبي نوح مذكورة في أماكن عديدة في القرآن. سأعرض بضع

آيات فقط لدعم نقاطي.

لا ينسب القرآن الكريم جدولاً زمنياً محدداً لنوح، لكن الطريقة التي يناقش بها القرآن أمره توحى بأنه كان أول رسول أُرسِل إلى قومه^{٤٧}. عارض نوح الشرك وعبادة الأصنام السائدة في أمته، ودعا أتباعه إلى عبادة إله واحد والسعي للإصلاح الأخلاقي. استخف زعماء أمة نوح برسالة، متجاهلين المنطق والعقل^{٤٨}. كما سخروا منه باعتراضات مثل التساؤل كيف يمكن أن يُرسل نوح من قبل الله دون امتلاك قوى خارقة للطبيعة، أو لماذا يتبعه الفقراء والمنبوذون فقط إذا كان مرسلًا حقًا من الله^{٤٩}. حتى أنهم هددوا نوحًا بالرجم حتى الموت إذا لم يتوقف عن دعوته^{٥٠}. وفقاً للقانون الإلهي المتعلق برسله كما هو موضح في القرآن، تم استئصال أمة نوح بأكملها بسبب فيضان نتيجة معارضتهم واضطهادهم لرسول الله. كوفي الأتباع القلائل الذين قبلوا ودعموا رسالة نوح بالنجاة في سفينة ومُنحوا لاحقاً السلطة على الأرض^{٥١}.

^{٤٧} النساء ٤: ١٦٣، إبراهيم ١٤: ٩.

^{٤٨} نوح ٧١: ٥-٧.

^{٤٩} هود ١١: ٢٧، المؤمنون ٢٣: ٢٤، الشعراء ٢٦: ١١١.

^{٥٠} الشعراء ٢٦: ١١٦.

^{٥١} هود ١١: ٤٠، الشعراء ٢٦: ١١٩-١٢٠، الأعراف ٧: ٦٤، يونس ١٠: ٧٣.

لا يحدد القرآن الموقع الدقيق لأمة نوح كما أنه لا يحدد جدولاً زمنياً للأحداث المتعلقة بنوح أو أمته، ومع ذلك فإنه يذكر بوضوح أن طوفان نوح لم يكن حدثاً عالمياً بل كان حدثاً إقليمياً يهدف إلى القضاء على الرافضين بين جمهوره المباشر. سأخوض في هذه النقطة بشكل أعمق لاحقاً. في الوقت الحالي، يطرح السؤال التالي: هل يمكننا التأكد علمياً أو تاريخياً مما إذا كان نوح قد وجد حقاً، وما إذا كان فيضان إقليمي قد قضى على قومه؟ لا توجد طريقة علمية متاحة لتأكيد أو دحض هذه الادعاءات.

لكن هناك أمل. يقدم القرآن ادعاءً مثيراً للاهتمام للغاية حول قصة نوح، والذي قد يقدم دليلاً على وجود بعض الحقيقة في رواية القرآن عن نوح

يقول الله في القرآن أن قصة نوح قد حفظها في الذاكرة البشرية الجماعية وجُعِلت لتكون "آية" و"ذكرى" للأجيال اللاحقة من البشرية^{٥٢}. على الرغم من أن القرآن يروي قصص الكثير من الرسل بعد نوح، فإن هذا الادعاء تحديداً لا يرد إلا بخصوص قصة نوح. وبالفعل، هذا ادعاء غريب جداً. لذا، هل قصة نوح حاضرة في ذاكرتنا البشرية الجماعية؟ نعم، إنها كذلك.

^{٥٢} الفرقان ٢٥: ٣٧، الحاقة ٦٩: ١٢، الصافات ٣٧: ٧٨.

إن قصة نوح حاضرة بالفعل في ثقافات عديدة حول العالم، وهو ما يبدو أنه يدعم الادعاء القرآني. تختلف هذه القصص في التفاصيل ولكنها تشترك في أوجه تشابه مفاهيمية عامة، مما يوحي بوجود أصل مشترك. هذا الادعاء المحدد في القرآن حول قصة نوح مثير للاهتمام ويمنح المزيد من المصداقية لفكرة الأصل الإلهي للقرآن، لأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن بإمكانه بأي حال من الأحوال معرفة أنه من الصين إلى الهند، وعلى طول الطريق إلى أمريكا الشمالية وأفريقيا وأستراليا، تمتلك جميع الثقافات تقريباً قصة طوفان ذات أوجه تشابه واسعة.

نحن نعلم أن قصة نوح موجودة، مع اختلافات طفيفة، في الإسلام والمسيحية واليهودية. دعونا نحل بعض الثقافات حول العالم وقصص الطوفان الخاصة بها.

تحليل قصص الطوفان الموجودة في جميع الثقافات تقريباً في جميع أنحاء العالم

قصص الطوفان عند الأمريكيين الأصليين: تؤكد قصة "وينا بوزو والطوفان العظيم" أن الله أو الروح العظيمة، لعدم رضاه عن البشرية، أرسل طوفاناً هائلاً للقضاء عليهم. نجا رجل يدعى "وينا بوزو" من خلال

بناء طوف، ثم قام بعد ذلك بإعادة صنع الأرض.^{٥٣}

قصة الطوفان الإسكندنافية: تفيض الأرض بدم عملاق قتله الإله "أودين". لا ينجو سوى "عملاق صقيع" مع زوجته على متن قارب ويقومان بإعادة تعمير الأرض.^{٥٤}

قصة الطوفان الصينية: يقوم بضعة أطفال بتقديم معروف لإله الرد الذي يقوم في المقابل بتحذيرهم من طوفان وشيك. ويزودهم "بقرة" (يقطينة مجففة) لاستخدامها كقارب لهروبهم. ينجو ركاب القرعة من الطوفان بفضل إله الرد ويعيدون تعمير الأرض.^{٥٥}

قصة الطوفان الهندوسية: قدم رجل يدعى "مانو" معروفاً لسمكة كانت، وفقاً لبعض الروايات، تجسيدا للإله "فيشنو". بعد أن أنقذ مانو السمكة، تحولت إلى إله وأخبرته أن البشرية ستهلك بطوفان. أمر مانو ببناء قارب، فنجوا من الطوفان وقام لاحقاً بإعادة تعمير الأرض.^{٥٦}

^{٥٣} "طوفان من الأساطير والقصص | مدونة | إنديبننت لينس"، تم الدخول إليه في ١١ أبريل ٢٠٢٤،

<https://www.pbs.org/independentlens/blog/a-flood-of-myths-andstories>

^{٥٤} "طوفان من الأساطير والقصص | مدونة | إنديبننت لينس".

^{٥٥} "طوفان من الأساطير والقصص | مدونة | إنديبننت لينس".

^{٥٦} "طوفان من الأساطير والقصص | مدونة | إنديبننت لينس".

قصة الطوفان اليونانية: غضب الإله "زيوس" على البشرية وأرسل طوفاناً عظيماً لمحوها. أنقذ زيوس رجلاً يدعى "ديوكاليون" وزوجته، اللذين قاما لاحقاً بإعادة تعمير الأرض.^{٥٧}

قصة طوفان بلاد ما بين النهرين القديمة: في ملحمة "جلجامش"، تقرر الآلهة العظمى في السماوات إغراق الأرض وتدمير البشرية. يشارك أحد الآلهة هذه الخطة مع رجل يدعى "أوتنايشتم" ويطلب منه بناء قارب لإنقاذ نفسه. يتبع أوتنايشتم التعليمات ويبني قارباً. جنباً إلى جنب مع بعض رفاقه من البشر ومجموعة متنوعة من الحيوانات، صعد على متن القارب. جاء طوفان عظيم وأباد الأرض. نجا أوتنايشتم وزوجته وأتباعهم القلائل وباركهم الإله "إنليل".^{٥٨}

وفقاً لأسطورة الطوفان السومرية، "إن الجنس البشري، الذي خلقتة الآلهة للقيام بعملها، أصبح عديداً وصاحباً لدرجة أن الإله إنليل أرسل طوفاناً لتدميره. ومع ذلك، أراد إله آخر، وهو إنكي، إنقاذ الملك زيوسودرا

^{٥٧} "طوفان من الأساطير والقصص | مدونة | إندبندنت لينس".

^{٥٨} "الفيضانات - موسوعة الأساطير - يوناني، إله، قصة، أسطورة، أسماء، قديم، ثعبان، عالم، صيني، روماني"، تم الدخول إليه في ١١ أبريل ٢٠٢٤،

<http://www.mythencyclopedia.com/Fi-Go/Floods.html#ixzz8IwvcMIZ5>

(المملك أترهاسيس في بعض الروايات). ولأن إنليل منعه من تحذير المملك مباشرة، تحدث إنكي إلى منزل المملك القصب بدلاً من ذلك. سمع المملك التحذير بالصدفة، وبنى قاربًا، وأنقذ عائلته ومجموعة من الحيوانات".^{٥٩}

قصة الطوفان المصرية: تتضمن رواية الطوفان المصرية الإله "رع" وابنته "سخت". سعى رع للقضاء على البشرية بعد أن تمردوا عليه وأرسل سخت لإنجاز ذلك. بعد أن أطلقت سخت العنان للموت والدمار بشكل كبير، أغرقت الآلهة الأرض بالنبيذ لإسكارها، مما أدى إلى وقف هياجها. سمح هذا للناجين ببدء الحياة من جديد.^{٦٠}

قصة طوفان شعب هاواي: تحمل قصة الطوفان للشعب الأصلي في هاواي تشابهًا مذهلاً مع قصة نوح؛ حتى أن الرجل في القصة يشارك نوحًا اسمه، حيث يُدعى تحديدًا "نو". في هذه الرواية، أمر الله

^{٥٩} "طوفان نوح وطوفان جلجامش | معهد أبحاث الخلق،" تم الدخول إليه في ١١ أبريل ٢٠٢٤،

<https://www.icr.org/article/noah-flood-gilgamesh>

^{٦٠} جوشوا ج. مارك، "كتاب بقره السماء،" موسوعة تاريخ العالم، تم الدخول إليه في ١١ أبريل ٢٠٢٤،

https://www.worldhistory.org/Book_of_the_Heavenly/_Cow

"نو" ببناء قارب. ينجو "نو" وعائلته، بينما تهلك البشرية بطوفان.^{٦١}
قصة الطوفان الأفريقية: كان للعديد من القبائل القديمة في أفريقيا قصص طوفان خاصة بها، مع تشابه ملحوظ مع قصة نوح. أحد الأمثلة هو قصة الطوفان لقبيلة "ماساي".

وفقاً لقصة الطوفان عند الماساي، جاء وقت أصبحت فيه البشرية فاسدة لدرجة أن الله قرر تطهير الأرض بطوفان. كان هناك رجل صالح يدعى "تومينوت". أمره الله ببناء قارب ووضع بعض الحيوانات وعائلته على متنه. لقد نجوا من الطوفان.^{٦٢}

لقد سلطت الضوء على أمثلة من ثقافات حول العالم لإثبات صحة ادعاء القرآن بأن الله غرس قصة نوح في الذاكرة البشرية الجماعية. أجد هذا رائعاً؛ أن القرآن يسرد قصصاً للعديد من الرسل، لكنه يدعي

^{٦١} "أساطير الطوفان"، أدبيات الشعوب الأصلية (مدونة)، ٢٩ يونيو ٢٠٢٢،
تم الدخول إليه في ٢١ مارس ٢٠٢٤،

<https://indigenoupeoplenet.wordpress.com/2022/06/2/9/flood-myths>

^{٦٢} "أساطير الطوفان - أفريقيا"، تم الدخول إليه في ١١ أبريل ٢٠٢٤،

https://www.meta-religion.com/World_Religions/Ancient_religions/Flood_myths/flood_myths_africa.html

تحديداً أن قصة نوحٌ تعمل كذكرى للبشرية جمعاء. ثبت أن هذا الادعاء دقيق للغاية، حيث تظهر قصة نوحٌ بشكل ما في كل ثقافة بشرية تقريباً، مع استثناءات قليلة جداً.

كإشارة جانبية، لأولئك الذين يشكون في الأصل الإلهي للقرآن، تأملوا في روايته لقصة نوحٍ. يدعي القرآن بشكل لافت للنظر أن رواية نوح معروفة في الثقافات في جميع أنحاء العالم، وليس فقط في شبه الجزيرة العربية أو المناطق المجاورة. يثير هذا سؤالاً مثيراً للاهتمام: كيف أمكن لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يعرف عن الانتشار العالمي لقصة نوح؟ إنها نقطة مثيرة للتفكير.

حتى الآن، في رأيي، كل ما يذكره القرآن في روايته عن الرسل يبدو معقولاً ومدعوماً بالأدلة. دعونا نواصل استكشاف رواية القرآن عن الرسل.

٧- المرحلة الأولى من خطة الله المتعلقة بالرسول: رُسُلُ أفرادٍ

بعد نوح، بدأ إله القرآن ما أسميه المرحلة الأولى من خطة الله المتعلقة بالرسول، والتي أرسل فيها رسل أفراد إلى أمم شتى^{٦٣}. يذكر

^{٦٣} يونس ١٠: ٤٧، بني إسرائيل ١٧: ١٥، القصص ٢٨: ٥٩.

القرآن بعض الرسل، لكن آخرين يظلون معروفين لله وحده.^{٦٤} يبدو من القرآن أن رسلاً أفراداً أرسلوا إلى أمم مختلفة بينما كانت البشرية تنتشر عبر مستوطنات صغيرة. ومع تقدم البشرية إلى عصر الأمم والحضارات، بدأت المرحلة الثانية من خطة الله. في هذه المرحلة، تم استبدال الرسل الأفراد بأمم كُلفت بممارسة رسالة الله والتبشير بها. لهذا الغرض، اختار الله ذرية إبراهيم. وبينما لا يوجد جدول زمني محدد لوجود إبراهيم، فإن علماء الكتاب المقدس يضعونه عموماً قبل حوالي ٤٠٠٠ عام، وهو ما يتزامن مع انتقال البشرية إلى عصر الحضارة.

التحقق التاريخي من الرسل قبل إبراهيم

قبل المضي قدماً، دعونا نعالج سؤالاً شائعاً: هل يمكننا التحقق تاريخياً من ظهور رسل أفراد في جميع الأمم قبل إبراهيم؟ لسوء الحظ، وبسبب التاريخ المسجل المحدود الذي يبلغ حوالي ٥٥٠٠ عام، لا توجد وسيلة للتأكد تاريخياً مما إذا كان هناك أفراد قد وصلوا إلى جميع الأمم في جميع أنحاء العالم زاعمين أنهم رسل من الله، أو إذا كانت الأمم قد دمرت لرفضها الظالم لرسالتها.

^{٦٤} الفرقان ٢٥: ٣٨، إبراهيم ١٤: ٩.

لماذا يذكر القرآن رسلاً محددين فقط من الشرق الأوسط؟

إن القرآن، مع ذكره أن الرسل أُرسِلوا إلى جميع الأمم قبل إبراهيم، يذكر قصصاً لعدد قليل جداً من الرسل المحددين (صالح، هود، لوط، إيلخ)، ويقول القرآن أن السبب في ذكر هؤلاء الرسل المحددين وقصصهم هو أن الجمهور المباشر للقرآن (مشركو العرب، واليهود، والنصارى) كانوا على دراية مسبقة بهذه القصص.^{٦٥}

٨- المرحلة الثانية من خطة الله المتعلقة بالرسول: إخراج

أُمّ من ذرية إبراهيم

وفقاً للقرآن، هناك مرحلتان في قصة الرسل. في المرحلة الأولى، يُرسل رسل أفراد إلى أممهم^{٦٦}. في المرحلة الثانية، تصبح الرسالة حصرية لمجموعة مختارة من الناس، ومن خلال هؤلاء الرسل من الله، تخرج أمم لممارسة رسالة الله والتبشير بها في العالم. لهذا الغرض، اختار الله ذرية إبراهيم.^{٦٧}

^{٦٥} القمر ٥٤: ٤.

^{٦٦} يونس ١٠: ٤٧، بنى إسرائيل ١٧: ١٥، القصص ٢٨: ٥٩.

^{٦٧} العنكبوت ٢٩: ٢٧، آل عمران ٣: ٣٣.

إبراهيم، رسول من الله أُرسِل إلى قومه، فكذبوه واضطهدوه.^{٦٨} ومع ذلك، نجا إبراهيم، ودُمِر قومه. لا يحدد القرآن جدولاً زمنياً لإبراهيم. بالإضافة إلى ذلك، كُلف إبراهيم بمهمة أخرى. كنقطة انطلاق للمرحلة الثانية من الرسل، ستخرج أمتان من أبنائه - واحدة من خلال إسحاق وواحدة من خلال إسماعيل. هاتان الأمتان ستمارسان وتبلغان رسالة الله إلى العالم.

لماذا يبدو نهج القرآن ذو الشقين تجاه الرسل منطقياً؟

مرحلتا القرآن، جنباً إلى جنب مع أدوار الرسل، تبدو منطقيتين بالنظر إلى أن المجتمع البشري قد تطور على مرحلتين رئيسيتين. في البداية، كان الرسل الأفراد كافرين لإيصال رسالة الله عندما كانت البشرية تتكون من مستوطنات قبلية صغيرة. بالنسبة لغالبية وجودها، حتى ما قبل حوالي ٥ إلى ٦ آلاف عام، كانت البشرية تتكون في المقام الأول من قرى وبلدات قبلية صغيرة. ومع ذلك، ومع بزوغ عصر الحضارة، توسع نطاق عمل الله. وأصبح من النهج المنطقي أن يخرج الله أمماً كاملة للحفاظ على رسالته حيوية في عصر كانت البشرية تنتقل فيه من المستوطنات الصغيرة إلى الممالك والإمبراطوريات.

^{٦٨} العنكبوت ٢٩: ٢٤.

الأمة الأولى من ذرية إسحاق: موسى والخروج

عاش أحفاد إسحاق في منطقة كنعان، وهاجروا إلى مصر، حيث
تكشفت قصة يوسف التوراتية والقرآنية. تم استعباد أبناء إسحاق
من قبل المصريين ولم يتم تكليفهم بعد بأي واجب إلهي في ممارسة
رسالة الله والتبشير بها كأمة. تلك المهمة الإلهية ستبدأ مع ظهور
موسى!

يُعرف موسى بأنه رسول الله إلى فرعون وقومه. يتجلى قانون الله
من خلال موسى. وطمئن هو ومؤيدوه بأنهم سينتصرون على من
يعارضهم^{٦٩}، وأن بني إسرائيل سيُنقذون ويُجعلون أمة في الأرض^{٧٠}.
وبينما يقبل بنو إسرائيل موسى كرسول، فإنه يواجه الرفض من فرعون.
أولئك الذين يرفضون الرسول ويضطهدونه ويحاربونه - أي فرعون
وقومه - يواجهون العقاب الإلهي^{٧١}. في المقابل، فإن أولئك الذين يقبلون
الرسول ويدعمونه، وهم بنو إسرائيل، يتم إنقاذهم ومكافأتهم من قبل
الله، حيث منحهم الملك والسلطة في الأرض^{٧٢}.

^{٦٩} القصص ٢٨: ٣٥.

^{٧٠} القصص ٢٨: ٥.

^{٧١} الانفال ٨: ٥٤.

^{٧٢} الاعراف ٧: ١٢٩، الاعراف ٧: ١٣٧، المائدة ٥: ٢١.

تُذكر تفاصيل هذه المهمة الإلهية في سفر التثنية^{٧٣}، حيث يتم إبلاغ بني إسرائيل بأنهم قد مُنحوا أرض كنعان والمناطق المحيطة بها. وصدرت إليهم التعليمات بتطهير الأرض من جميع المعتقدات الوثنية وتخصيصها حصرياً لممارسة ونشر دين الإله الواحد. لهذا الغرض، من المتوقع أن تخلي جميع الأمم الوثنية في كنعان المنطقة أو تواجه الدمار المطلق والشامل. يُنظر إلى وجود الأمم الوثنية بين بني إسرائيل على أنه تهديد للمهمة الإلهية بالغة الأهمية، لأنه يعرض نقاء الرسالة التوحيدية التي يُفترض أن يمارسها بنو إسرائيل ويبشرون بها في العالم كأمة نيابة عن الله.

الأمر التوراتي المثير للجدل وتبريره

غالباً ما يُنظر إلى الأمر التوراتي بإبادة الوثنيين في كنعان على أنه قاس وغير مبرر. ومع ذلك، عند النظر إليه في سياقه التاريخي، يمكن فهمه بشكل مختلف:

١- التزم بنو إسرائيل عموماً بقانون أخلاقي صارم للحرب، حيث عرضوا السلام على أعدائهم قبل الانخراط في المعركة. وإذا رُفض السلام، فلا يمكن محاربة وقتل سوى الرجال المسلحين، بينما يجب استبقاء

٢- كانت كنعان هي المنطقة الممنوحة لبني إسرائيل كأرض يمكنهم فيها ترسيخ أنفسهم كأمة بمهمة وحيدة هي ممارسة رسالة الله والتبشير بها في العالم. فقط في حالة كنعان أمر الله بالإبادة الكاملة لجميع الوثنيين الذين لم يرحلوا. والسبب في ذلك هو أن وجودهم بين بني إسرائيل شكل تهديداً خطيراً لنقاء رسالة الله - وهذا أمر مفهوم! تخيل هذا: كانت الأحداث تتكشف في عالم سادت فيه المعتقدات والممارسات الوثنية الشريكية، بينما لم يتمسك بالتوحيد سوى مجموعة صغيرة من بني إسرائيل. الآن، إذا كانت عقيدة إله إبراهيم صحيحة، ففكر في الأهمية الأخرى للمهمة بأن تكون الوصي الوحيد على رسالة الله الحقّة في عالم مليء بالمعتقدات الباطلة. تأمل في مسؤولية الحفاظ على نقاء رسالة الله عبر العديد من الأجيال القادمة، وواجب إعلانها في جميع أنحاء العالم لقرون قادمة. في هذا السياق، إذا سُمح للوثنيين بالإقامة بين بني إسرائيل، فسيكون هناك خطر حقيقي للغاية، على مر السنين والعقود، من أن هؤلاء الوثنيين ومعتقداتهم يمكن أن يتسلّلوا تدريجياً ويمتزجوا مع رسالة الله الحقّة، جالبين معهم أساطير وممارسات يعتبرها الله غير أخلاقية. وهكذا، فمن المنطقي أن يقضي الله بإبادة جميع الوثنيين في كنعان إذا لم

^{٧٤} سفر التثنية ٢٠: ١٠-١٤.

يغادروها.

الأدلة الأثرية على يوسف وموسى والخروج

خلافًا للاعتقاد بأنه لا يوجد دليل مادي على يوسف، أو موسى، أو الخروج، فإن الفيلم الوثائقي " فك شفرة الخروج " (Decoding the Exodus) لسيمشا جاكوبوفيتشي، ومن إنتاج جيمس كاميرون،^{٧٥} يقدم أدلة أثرية مقنعة على وجودهم. تتحدى هذه الأدلة فكرة عدم وجود أساس تاريخي لهذه الشخصيات والأحداث. بالإضافة إلى ذلك، فإن العهد القديم ليس مصدرًا للحكمة والقوانين الإلهية فحسب، بل يحتوي أيضًا على سجل تاريخي حفظه بنو إسرائيل عن ماضيهم، ويجب اعتباره مصدرًا جوهريًا للتاريخ اليهودي.

بنو إسرائيل كأمة تحت قيادة موسى

تحت قيادة موسى، حول الله بني إسرائيل إلى أمة. وللمرة الأولى، صدرت قوانين إلهية لتنظيم الأمور المجتمعية. كانت هذه الأمة يتم إعدادها من قبل الله لممارسة رسالته والتبشير بها في العالم^{٧٦}. وهذا

^{٧٥} فك شفرة الخروج، إخراج سيمشا جاكوبوفيتشي، (٢٠٠٦)، كندا، شركاء الإنتاج المساعدون)، وثنائي.

^{٧٦} القصص ٢٨: ٥.

مؤيد بتاريخنا الحي - فقد وقف بنو إسرائيل كحملة لواء التوحيد لآلاف السنين، وهم يبشرون العالم برسالة إلههم الواحد، كما هو مذكور في القرآن. لقد أدوا هذا الواجب بأمانة لفترة طويلة. ومع ذلك، مع مرور الوقت، بدأ الغرور الديني والانحدار الأخلاقي في الظهور. في القرآن، تفصل أقسام واسعة من سور مثل سورة البقرة وآل عمران كيف انحرف بنو إسرائيل عن الحق وفرطوا في واجباتهم تجاه الله، وهو ما تدعمه أيضاً سورة مريم، الآية ٥٩.

عيسى - الرسول الأخير لبني إسرائيل:

ينص القرآن على أن عيسى كان رسولاً من الله. وقد بشر بني إسرائيل، مندداً بغرورهم الشديد، وأعمالهم السيئة، وانتهاكاتهم لعهدهم مع الله^{٧٧}. في الكتاب المقدس، يحدد متى ٢٣ لائحة اتهام يسوع ضد القادة الدينيين لبني إسرائيل، الذين كان مقدراً لهم مواجهة حكم الله على الأرض من خلال يسوع. رفض الكثير من بني إسرائيل يسوع، بل وسعى البعض لقتله. وفقاً لقانون الله المتعلق برسله، فإن أولئك الذين يرفضون الرسول ويضطهدونه يصبحون عرضة للعقاب الإلهي. في متى ٢٤: ٣٢-٤١، يتنبأ يسوع بهذا العقاب الوشيك.

أريد أن أتوقف هنا للحظة وأذكر مرة أخرى كم هو لافِت للنظر

^{٧٧} المائدة ٥: ٧٨، من بين العديد من المراجع الأخرى، خاصة في سورة المائدة.

أن القصص الكتابية منطقية تماماً ويبدو أنها في وئام مطلق مع تصوير القرآن للرسول كحكم الله في الأرض.
دعونا نواصل.

في متى ٢٤: ٣٢-٤١، يعلن يسوع أن أولئك الذين يضطهدونه لن يموتوا قبل أن يشهدوا عقاب الله الدنيوي. وأعلن أنه، على غرار زمن نوح، سيطلق العنان لغضب الله على جمهوره المباشر. ومع ذلك، لن يتم القضاء على الجميع؛ فسيقتل البعض بينما يترك البعض الآخرون وراءهم. جاء العقاب على أيدي الرومان الذين دمروا القدس في عام ٧٠ ميلادية، أي بعد حوالي ١٠ إلى ١٥ سنة من رحيل يسوع. لقد قتلوا ما يقرب من نصف بني إسرائيل وأسروا الباقين، محققين نبوءة يسوع. تخيل الطبيعة الإعجازية لادعائه: تنبأ يسوع بأن الأشخاص الذين اضطهدوه ورفضوه سيظلون على قيد الحياة ليشهدوا عقاب الله - وهو عقاب يُقتل فيه النصف وينجو النصف الآخر. وقد تحقق ذلك! يثبت هذا الحدث أيضاً أنه في تصميم الله للرسول، إذا لم يكن القضاء التام على أمة ما ضرورياً، فإن العقاب الإلهي يُنفذ من خلال أيدي الآخرين على الأمة التي ترفض الرسول.

الأمة الأخيرة من بني إسماعيل (عليه السلام) محمد ﷺ -
رسول الله الأخير

بعد ما يقرب من ٦٠٠ عام منذ إنهاء العهد مع ذرية إسحاق لرفضهم
— اكتشافي لله وللإسلام ويوم القيامة 205 —

عيسى، اختار الله أن يبعث أمة جديدة لمرة أخيرة. هذه الأمة ستخرج من ذرية إسماعيل، ابن إبراهيم الثاني. لهذا الغرض، اختار الله محمداً صلى الله عليه وسلم ليكون نبيه ورسوله الخاتم.

في كثير من السور المكية المبكرة، مثل سورة القمر، قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم إنه رسول، تماماً مثل الذين سبقوه، وأن نفس المصير سيحل بمخاطبي محمد صلى الله عليه وسلم كما حل بمخاطبي الرسل السابقين.^{٧٨}

قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم أيضاً إنه رسول على غرار موسى تماماً^{٧٩}. وكونه رسولاً على غرار موسى يعني أن محمداً صلى الله عليه وسلم لديه نفس المهمة تماماً مثل موسى، وأن كل ما حدث مع موسى وبني إسرائيل سيتحقق لمحمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه. يوضح القرآن هذه النقطة بجلاء في كل سورة أخرى تقريباً. ولذكر بعض الأمثلة، يدعي القرآن أن:

١- أعداء محمد صلى الله عليه وسلم سيهزمون تماماً.^{٨٠}

^{٧٨} انظر أيضاً الأعراف ٧: ٣٨.

^{٧٩} المزمل ٧٣: ١٥.

^{٨٠} المجادلة ٥٨: ٥، ٢٠-٢١ من بين آيات أخرى.

- ٢- أولئك الذين يدعمونه سيشكلون أمة ستعطى السلطة في الأرض^{٨١} وسيكلفون بتبليغ رسالة الله إلى العالم.^{٨٢}
- ٣- تماماً كما أُعطي موسى وأمته منطقة كنعان لتكون مركزاً لدين الإله الواحد ولتطهيرها من جميع الأديان الأخرى، أُعطي محمد صلى الله عليه وسلم منطقة الحجاز لتأسيسها كمركز جديد للعقيدة التوحيدية ولتطهيرها من الأيديولوجيات الدينية الأخرى^{٨٣}. في هذا السياق، محمد صلى الله عليه وسلم، قال في حديث صحيح مشهور، أن الجزيرة العربية يجب أن تكون حكرًا على دين الإله الواحد:
- "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب."^{٨٤}

قبل المضي قدمًا، من المهم أن نذكر أنفسنا بأن تعاليم رسول الله موجهة للبشرية جمعاء، على الرغم من أن الحكم الإلهي الدنيوي من خلال "الرسول" ينطبق بشكل أساسي على مخاطبيه المباشرين. ومع السياق التاريخي الذي نوقش سابقًا، يقدم القرآن محمدًا صلى الله عليه وسلم كمرشد ديني من الله لجميع الناس، و"كرسول" من الله (حكم الله

^{٨١} النور ٢٤: ٥٥.

^{٨٢} الحج ٢٢: ٧٨.

^{٨٣} الفتح ٤٨: ٢٨، التوبة ٩: ٣٣، الصف ٦١: ٩.

^{٨٤} موطأ مالك، رقم ١٨٦٢.

الدينوي) للعرب والمناطق المحيطة بها^{٨٥}. كتب محمد صلى الله عليه وسلم رسائل إلى حكام بلاد فارس، وبيزنطة، وإثيوبيا، والنجاشي، والبحرين، ومصر، واليمن، والشام، والتي حددت بدقة الولاية القضائية لحكم الله على الأرض.

ملاحظة هامة حول رسائل محمد ﷺ إلى الملوك

لقد ناقشنا في البداية أنه وفقاً لسنة الله فيما يتعلق بالرسول، فإن الله يوضح الحق لمخاطبي الرسول المباشرين ليس فقط من خلال الحجج والاستدلال، ولكن أيضاً من خلال شخصية الرسول ومن خلال تدبير الأحداث الخارجية بطريقة تبدو وكأنها تدعم ادعاءات الرسول. وتجتمع هذه العوامل لإجبار المخاطبين المباشرين للرسول على منحه اهتماماً جاداً.

إن الرسائل التي كتبها محمد صلى الله عليه وسلم إلى عدة ملوك متاحة بسهولة عبر الإنترنت. تحتوي هذه الرسائل على دعوة إلى الإسلام وتتضمن تحذيراً من أن رفض دعوة رسول من الله سيعرض الملوك وجيوشهم للعقاب الإلهي. كان الملوك على علم بالتطورات في الجزيرة العربية - كانوا يعلمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم ادعى أنه

^{٨٥} الأنعام ٦: ٩٢، الشورى ٤٢: ٧.

حكم دنيوي من الله لمخاطبيه المباشرين، كما تم إبلاغهم بانتصار محمد صلى الله عليه وسلم الكامل في الجزيرة العربية. ورغم هذه المعرفة، عندما رفض بعض الملوك دعوته صراحة دون محاولة للاستماع أو الفهم، أصبحوا عرضة للعقاب الإلهي لرفضهم الخاطئ لرسالة رسول من الله، وفقاً لسنن الرسل المبينة في القرآن.

علاوة على ذلك، علق الشيخ المودودي، في تفسيره "تفهم القرآن"، باستفاضة على سورة التوبة، مفصلاً كيف تواصل محمد صلى الله عليه وسلم مع الناس في الإمبراطوريات المجاورة لسنوات قبل إرسال الرسائل إلى ملوكهم. ويقدم روايات مفصلة عن كيفية إرسال محمد صلى الله عليه وسلم للوفود بشكل متكرر، وكيف قُتل أعضاء من هذه الوفود في بعض الحالات لذلك، لم يكن الأمر أن الملوك كانوا غافلين عن محمد صلى الله عليه وسلم وتعاليمه - بل كانوا على دراية تامة بما كان يحدث في الجزيرة العربية. لفهم كيفية تعريض رفض رسائل محمد صلى الله عليه وسلم للملوك وجيوشهم للحكم الإلهي بالتفصيل، يرجى مشاهدة الفيديو بعنوان:

"Response to 23 Questions - Part 84 - Itmam e Hujjat

- Javed Ahmed Ghamidi"

على قناة يوتيوب التابعة لـ "Ghamidi Center of Islamic Learning" في الجوهر، أصبحت كل الجزيرة العربية والمناطق المحيطة بها التي

أرسل إليها محمد صلى الله عليه وسلم رسائل هي المجال للتطبيق الدنيوي لحكم الله، الذي سيتم تنفيذه من خلال آخر "رسول" من الله.

تعلن الآية ٩: ٥٢ من القرآن أن الحكم الإلهي سيُنزل، إما من خلال الكوارث الطبيعية أو بسيوف أتباع محمد صلى الله عليه وسلم. وكما نوقش سابقاً أثناء الحديث عن عيسى، إذا لم يكن استئصال أمة بأكملها مطلوباً، فإن العقاب الإلهي يأتي من خلال سيوف الناس. ينص القرآن على أنه إذا كان العقاب الإلهي سيُنزل من خلال سيوف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فيمكن حينئذٍ تطبيق نوعين من العقوبة الإلهية على مخاطبيه المباشرين:

١- عقوبة الإعدام أو، كما هو مقترح في القرآن.^{٨٦}

٢- حياة من الخضوع والذل.

في أدب الحديث، يشرح محمد صلى الله عليه وسلم في سياق الآية ٩: ٢٩ من القرآن أنه بالنسبة لجمهوره المباشر، فإن عقاب الله لرفض ومحاربة الرسول سيُنزل بسيوف أصحابه.^{٨٧}

أصدر محمد صلى الله عليه وسلم نفسه تعليماته لأصحابه بأنه،

^{٨٦} الزمر ٣٩: ٢٦، المجادلة ٥٨: ٢٠.

^{٨٧} مسند عبد بن حميد، رقم: ٥٤٥.

وفقاً لسنة الله مع الرسل، فإن الله سينزل عقابه ليس فقط في الجزيرة العربية ولكن أيضاً على جميع الممالك والإمبراطوريات المجاورة التي أبلغها الرسالة الإلهية من خلال الرسائل.^{٨٨}

أخبر محمد بوضوح في القرآن أن بعض هذا الحكم الإلهي سيفرض من خلاله، وبعضه سيحدث بعد وفاته.^{٨٩}

كل ما سبق هو خارطة طريق مفصلة في القرآن لما كان سيحدث لمحمد صلى الله عليه وسلم ولمخاطبيه المباشرين. شهدت ٢٣ عاماً التي تلت ادعاء محمد صلى الله عليه وسلم الأول للنبوّة أحداثاً تكشفتم تماماً كما تنبأ القرآن. دعونا نناقش هذه ٢٣ عاماً بإيجاز. سأذكر فقط الأجزاء المقبولة عموماً من التاريخ، متجنباً التفاصيل التي غالباً ما تكون محل بحث ونزاع بين العلماء الدينيين والمؤرخين:

١- بشر محمد صلى الله عليه وسلم برسالة الله لسنوات عديدة في مكة وحولها. قبل بعض الناس رسالته بينما رفضها آخرون. وسرعان ما قبلت مدينة المدينة بأكملها رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وأصبح القائد الديني والسياسي للمدينة.

٢- لأن ليس كل الناس رفضوا رسول الله، وقبله الكثيرون، مع وجود

^{٨٨} البخاري، رقم ٢٩٤١.

^{٨٩} الرعد ١٣: ٤٠، المؤمن ٤٠: ٧٧، يونس ١٠: ٤٦، الزخرف ٤٣: ٤١-٤٢.

عدد أكبر ممن كانوا مستعدين للنظر في رسالة الله بصدق، فإن عقاب الله لن يأتي من خلال الكوارث الطبيعية التي تهدف إلى إبادة مجتمع بالكامل. بدلاً من ذلك، سيأتي من خلال سيوف الناس. هذه المرة، سيكون الذين ينفذون عقاب الله هم الرسول وأتباعه.

٣- أولئك الذين لم يكونوا مجرد رافضين لرسول الله ولكنهم اختاروا أيضاً محاربته واضطهاده بنشاط، عوقبوا على الفور من قبل الله من خلال الهزائم في المعارك - معركة بدر على وجه التحديد. وفقاً للقرآن الكريم، كانت معركة بدر هي وسيلة الله للقضاء على زعماء مكة الذين اختاروا محاربة رسول الله. قُتل جميع القادة الرئيسيين من مكة الذين عارضوا محمداً صلى الله عليه وسلم في بدر.^{٩٠}

٤- أولئك الذين رفضوا التعاليم ببساطة، دون معارضة "رسول" الله بنشاط، مُنحوا الوقت الكافي. وفقاً لسنة القرآن المتعلقة بالرسول، تُنصص لكل أمة فترة قبل إعلان الحكم الدنيوي عليهم^{٩١}. وكان هناك سبب آخر لتأخير الحكم وهو أنه، كما يعلن قرآن الله، كان العديد من الأفراد في مكة والمناطق المحيطة بها يميلون نحو قبول رسالة الله؛

^{٩٠} راجع سورة الأنفال لمزيد من التفاصيل .

^{٩١} الحجر ١٥: ٤.

ومن ثم، مُنحت مهلة مؤقتة.^{٩٢}

٥- خلال المهلة، أُمر جميع أولئك الذين قبلوا رسالة الله بتعريف أنفسهم كمسلمين والهجرة إلى المدينة قبل إعلان العقاب الإلهي. تم التأكيد على الأمر بالهجرة إلى حد أنه، باستثناء الفقراء والضعفاء، فإن أولئك الذين رفضوا الهجرة دون سبب مبرر توعدهم الله بجهنم.^{٩٣}

توضيحٌ موجزٌ لحديث متعلق بالميراث

من المهم ذكر حديث يتم تفسيره بشكل مثالي عند النظر إليه من منظور حكم الله من خلال رسوله محمد. نص الحديث:

"لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم."^{٩٤}

إذا اعتبرت الرواية المذكورة أعلاه توجيهًا دائمًا، فإنها تؤدي إلى تناقض. يمكن للرجال المسلمين الزواج من المسيحيات واليهوديات (من اهل الكتاب). لماذا إذن الزواج مباح والميراث لا؟ يبدو أن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد أدلى بالتصريح المذكور أعلاه خلال فترة أمر فيها المسلمون من قبل الله بالانفصال التام والابتعاد عن الكافرين قبل صدور الحكم الإلهي عليهم. كان هذا التوجيه إجراءً

^{٩٢} الفتح ٤٨: ٢٥.

^{٩٣} النساء ٤: ٩٧-٩٨.

^{٩٤} البخاري، رقم ٦٧٦٤، مسلم، رقم ١٦١٤.

مؤقتًا خاصًا بذلك الموقف المعين ولم يكن مقصودًا به أن يكون سياسة دائمة.

لنستمر...

ثم أخيرًا، جاء الوقت الذي أعلن فيه الله أن أولئك الذين يرفضون رسالة الله يفعلون ذلك لأسباب غير مبررة. تم إعلان نوعين من العقوبة:

١- بالنسبة لجميع أولئك الذين كانوا مشركين، أعلن الله أن الحق قد تبين لهم تمامًا من خلال رسول الله، واستمروا في أفعالهم لأسباب غير مبررة. يعتبر إشراك شركاء وأنداد مع الله هو الفعل الأسمى للخيانة ضده. وبناءً على ذلك، حُكم على هؤلاء المشركين بالموت من قبل إله القرآن، وأمر المسلمون بقتلهم ما لم يستسلموا لسلطان الله.^{٩٥}

٢- إن إشراك شركاء مع الله هو الفعل الأسمى للخيانة ضده، ولذلك قضى الله بعقوبة الإعدام على المشركين ما لم يصلحوا طرقهم. ومع ذلك، كان من بين الرافضين لمحمد صلى الله عليه وسلم أيضًا اليهود والنصارى. يشار إلى هذه المجموعات "بأهل الكتاب" في القرآن - الأشخاص الذين آتاهم الله الكتاب. وفقًا للقرآن، ارتكب اليهود مخالفاتهم الخاصة ضد الله، مثل اضطهاد رسله وتحريف هدايته، لكنهم لم يرتكبوا الخيانة العظمى المتمثلة في إشراك شركاء مع الله.

^{٩٥} التوبة ٩: ٥.

ومن ثم، يصفهم القرآن بأنهم من استحقوا غضب الله^{٩٦}. والنصارى، رغم إيمانهم بالثالوث، لا يزالون يتمسكون بالإيمان بإله واحد ويبررون إيمانهم بالثالوث كإيمان بإله واحد. لذلك، يُنظر إليهم على أنهم ارتكبوا خطأ بدلاً من ارتكاب الخيانة العظمى المتمثلة في الشرك.^{٩٧}

وبناءً على ذلك، تم إعفاء اليهود والنصارى من عقوبة الإعدام وبدلاً من ذلك تم إخضاعهم لحياة من الذل والخضوع تحت حكم المسلمين، كما هو مفروض في القرآن.^{٩٨}

وهكذا، أوفى القرآن بوعده بأنه بالنسبة لأولئك الذين يرفضون رسول الله الخاتم، فإن العقاب سيأتي على أيدي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، مما يؤدي إما إلى حياة ذليلة أو موت مهين للرافضين.

توضيح حول حديث يتعلق بالصراع مع غير المسلمين

في هذا السياق المحدد - رسول يعمل كحكم لله على الأرض لرفقائه المباشرين - أعلن محمد صلى الله عليه وسلم في مناسبات مختلفة أنه أمر بقتال الناس حتى يقبلوا رسالة الله. خذ الحديث التالي كمثال:

^{٩٦} الفاتحة ١: ٧.

^{٩٧} الفاتحة ١: ٧.

^{٩٨} التوبة ٩: ٢٩، راجع سياق سورة التوبة لمزيد من المعلومات.

"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فإذا فعلوا

ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله." ^{٩٩}

لا ينبغي اعتبار الحديث أعلاه توجيهًا لجميع المسلمين لاتباعه في جميع الأوقات. وفقًا للقرآن ٢: ٢٥٦، لا يوجد صراحة "إكراه في الدين". بشكل عام، أولئك الذين يرفضون رسالة الله سيحاسبهم الله يوم القيامة إذا كان رفضهم لأسباب صادقة، مثل عدم منطقية الرسالة بالطريقة التي قدمت بها، أو لأسباب خاطئة، مثل الأنا أو الكسب الدنيوي. يؤمر المسلمون بعدم فرض أي شيء على غير المسلمين فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية في هذا العالم. ومع ذلك، في الحالة الفريدة التي يتواجد فيها "رسول" من الله في العالم، يكون هدف الله هو إظهار الحكم دنيويًا. ومن ثم، يوضح الحق بما لا يدع مجالاً للشك من خلال قوة الحجة، وشخصية الرسول المثالية، والأحداث الجيوسياسية الخارجية، والمعجزات. وبعد فترة محددة مسبقًا، يحدد الله أولئك الذين يرفضون رسالته لأسباب خاطئة ويعاقبهم في هذا العالم.

توضيح حول حديث يتعلق بقتل غير المؤمن

يتم تفسير حديث آخر بشكل مثالي عند النظر إليه من منظور العقوبات

^{٩٩} البخاري، رقم ٣٨٧، ٣٩٢.

المقررة في سورة التوبة.

يُروى أن محمداً صلى الله عليه وسلم حكم في قضية بأنه لا يُقتل مؤمن بكافر.^{١٠٠}

إذا فُسر هذا الحديث كسياسة دائمة، فإنه يطرح موقفاً إشكالياً لأنه يناقض كل أوامر العدل التي شرعها القرآن - فالقتل غير القانوني جريمة، بغض النظر عن دين كل من القاتل والضحية. إذن، لماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم هذا؟ عندما يُنظر إلى الحديث من خلال عدسة القرآن، يبدو أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد أدلى بهذا التصريح في الوقت الذي أُعلنت فيه عقوبة الإعدام للمشركين. ومن ثم، من منظور القرآن، يبدو أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يشير إلى أنه إذا قتل أي مسلم أحد المشركين، فإنه لا ينبغي أن ينال العقوبة القصوى لأن عقوبة الإعدام قد صدرت بالفعل ضد المشركين كعقاب إلهي لرفض واضطهاد رسول من الله.

بمعنى آخر، إذا كانت عقوبة الإعدام قد صدرت بالفعل ضد شخص معين وقام شخص آخر بقتل ذلك الشخص، فإن القاتل لن يتلقى العقوبة القصوى على هذا القتل.

لنواصل نقاشنا حول كيفية تحقق ادعاءات القرآن بشأن محمد

^{١٠٠} البخاري، رقم ٦٥١٧.

صلى الله عليه وسلم كرسول من الله:

١- تم تماماً مثل موسى وبني إسرائيل، تمت تربية أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من قبل الله ليصبحوا أمة، على غرار بني إسرائيل من قبلهم، مع وعد بممارسة ونشر دين الإله الواحد.^{١٠١}

٢- تماماً كما تم تطهير كنعان من جميع الأديان الأخرى وإعطائها لموسى وبني إسرائيل، تم تطهير الجزيرة العربية من جميع الأديان الأخرى وإعطائها لأتباع محمد صلى الله عليه وسلم لممارسة ونشر دين الإله الواحد حصرياً.

لكن القصة تستمر.

في دوره كرسول من الله، أرسل محمد صلى الله عليه وسلم رسائل إلى الملوك. هل كان هؤلاء الملوك، بصفتهم متلقين لمراسلات من رسول حي من عند الله، غير خاضعين لعقاب الله؟ بل كانوا خاضعين! أصبح هؤلاء الملوك وجيوشهم خاضعين لسنة القرآن المتعلقة بالرسول.

تذكر كيف قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم في القرآن أنه قد يرى بعض أجزاء الحكم بينما قد تحدث أجزاء أخرى بعد وفاته؟ هذا هو بالضبط ما حدث. بمجرد اكتمال حكم الله في الجزيرة العربية، توفي

^{١٠١} البقرة ٢: ١٤٣.

محمد صلى الله عليه وسلم. واجه الملوك الذين رفضوا رسائل محمد صلى الله عليه وسلم العقاب الإلهي. في غضون ١٥ عامًا من وفاة محمد، كانت عواقب الرفض أصاب هؤلاء الحكام وعيد من رسول الله. سقطت هذه الممالك بمعجزة في أيدي صحابة محمد صلى الله عليه وسلم المقربين. ومن ثم، فإن أولئك الذين رفضوا رسول الله الحى هُزموا ليس فقط في جزيرة العرب، بل على نطاق عالمي، وأولئك الذين دعموه أصبحوا حكمًا لنصف العالم المتحضر تقريبًا، تمامًا كما وعدت سورة النور في الآية ٥٥.

لم يكن هذا النصر الإعجازي للعرب على القوى العظمى العالمية بسبب أي قوة عسكرية أو براعة كانوا يمتلكونها؛ بل في الواقع، كان هذا النصر معجزة من الله ومكافأة دنيوية "بالاستخلاف في الأرض" المذكور في سورة النور الآية ٥٥، والمقدر لمؤدي رسول الله كما وعد القرآن. في الواقع، كان الأعراب البدو متخلفين عسكريًا للغاية وغير متمرسين مقارنة بجيرانهم.

كتبت أستاذة التاريخ الإسلامي، كارول هيلينبراند:

"لقد أريق الكثير من الخبر حول ظاهرة الفتح الإسلامي، ولكن لا يمكن استخلاص سوى القليل من النتائج الراسخة يبدو من غير المرجح أن العرب كانوا يمتلكون تفوقًا عسكريًا على خصومهم. بالتأكيد، لم يكن لديهم سلاح سري، ولا تقنيات جديدة... كما أنهم لم

يكونوا مطلعين على كيفية خوض الاشتباكات البحرية.^{١٠٢}
إن السهولة التي سقطت بها القوى العظمى في ذلك الوقت أمام
سكان الصحراء البدائيين، الذين لم يمتلكوا أي خبرة عسكرية كبيرة،
كانت معجزة لدرجة أنها لا تزال تذهل الخبراء والمؤرخين حتى اليوم.
كتب أندرو لود:

"إن السرعة التي استسلمت بها الأقاليم الشرقية للإمبراطورية
البيزنطية للعرب لا تزال بحاجة إلى تفسير من قبل المؤرخين.^{١٠٣}
كتب المؤرخ بارنابي روجرسون:

"يجب أن نتذكر أن القوتين العظيمتين كانتا الإمبراطورية البيزنطية
[الإمبراطورية الرومانية الشرقية] وبلاد فارس الساسانية... كانتا
القوتين المهيمنتين. إذا وضعت الأمر بلغة حديثة، فإنه يشبه إلى حد
ما قيام الإسكيمو بمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.^{١٠٤}

^{١٠٢} كارول هيلينبراند، "محمد وصعود الإسلام"، في تاريخ كامبريدج الوسيط
الجديد، المجلد ١، ٤ مجلدات. (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، ٢٠٠٥)،
٣٤٠. اكتشافي لله، الإسلام ويوم القيامة ٣٣٣.

^{١٠٣} أندرو لود، "الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع"، في تاريخ كامبريدج
الوسيط الجديد، المجلد ١، ٤ مجلدات. (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج،
٢٠٠٥)، ٢٩٨.

^{١٠٤} برنابي روجرسون، "الخليفة: الجزء ١: التأسيس"، الجزيرة الإنجليزية، تم الدخول
— اكتشافي لله وللإسلام ويوم القيامة 220 —

قد تقارن محمدًا صلى الله عليه وسلم بشخصيات مثل عثمان غازي، الذي أسس السلالة العثمانية، أو بالإسكندر الأكبر أو جنكيز خان المغولي، بحجة أنهم أيضًا ادعوا قدرًا إلهيًا لغزو الأرض وزعموا أن لديهم أحلامًا ورؤى مجيدٍ تحققت. ومع ذلك، فإن حالة محمد صلى الله عليه وسلم متميزة تمامًا.

لم يذكر محمد صلى الله عليه وسلم مجرد حلم لمرة واحدة؛ كان ادعاء محمد أن إلهه قد وضع بالتفصيل تسلسل الأحداث الكامل الذي سيتكشف، مع وقوع الأشياء بالضبط كما قال، وصولاً إلى أدق التفاصيل. ينص القرآن مسبقاً على كل التفاصيل حول كيفية تنفيذ الحكم الإلهي من خلال الرسول، وقد حدث ذلك بالضبط كما ذكر، ليس فقط على نطاق إقليمي في جزيرة العرب ولكن على نطاق عالمي. علاوة على ذلك، على عكس شخصيات مثل عثمان غازي أو جنكيز خان، الذين تفاخروا بفخريبراعتهم السياسية والعسكرية والاستراتيجية، أكد محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يتخذ قرارات أو يتصرف بناءً على إرادته الخاصة. وبدلاً من ذلك، كان مجرد تنفيذ لتعليمات تلقاها من كائن أسمى - تعليمات غالباً ما كانت تتعارض مع العديد من قرارات محمد صلى الله عليه وسلم الشخصية وتلغيها.

نقطة أخرى مهمة هي أنه على عكس الإسكندر، والعثماني، وجنكيز خان، لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه أي خبرة عسكرية فعلياً. وهذا ما يجعل حالتهم فريدة للغاية. تخيل مجموعة من الناس لديهم القليل من المهارة العسكرية أو لا يملكونها، يعلنون أنهم موجهون مباشرة من الله، الذي سيمكنهم من غزو نصف الأرض - ثم ينتهي بهم الأمر بالفعل إلى غزو نصف العالم. لو كنت شاهداً على مثل هذا الحدث، فسيكون من الالتزام الأخلاقي والعقلاني بالنسبة لي أن أحقق بجدية فيما يدعيه هؤلاء الأفراد عن الله.

أدرك صحابة محمد صلى الله عليه وسلم أن انتصاراتهم الإعجازية لم تكن نتيجة براعتهم العسكرية أو الاستراتيجية الخاصة. وبدلاً من ذلك، اعترفوا بهذه الانتصارات كتجليات لسنن الله الخاصة بالرسول. لنأخذ معركة اليرموك، على سبيل المثال. كانت هذه المواجهة حاسمة بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين - فالهزيمة كانت تعني فقدان كل شيء. وفقاً لبعض التقديرات الحديثة، بلغ عدد الجيش البيزنطي ١٥٠ ألف رجل، بينما كان لدى الجيش الإسلامي من ٤٠ إلى ٤٥ ألف مقاتل فقط. مع وجود الكثير على المحك ومع مثل هذه الموارد والأعداد المحدودة، قام الحاكم المسلم عمر (رضي الله عنه) بتغيير كبير. لقد عزل القائد النجم خالد بن الوليد (رضي الله عنه)، الذي كان في سلسلة انتصارات

طويلة، واستبدله بأبي عبيدة (رضي الله عنه). كان هذا القرار يهدف إلى تذكير المسلمين بأن انتصاراتهم لم تكن نتيجة مهاراتهم أو أعدادهم، بل كانت تجليات لسنة الله الخاصة بالرسول. كان الله يعاقب أولئك الذين رفضوا رسالة رسوله ويكافئ صحابة محمد صلى الله عليه وسلم على دعمهم لرسوله.

٩- سيمر المسلمون في نهاية المطاف بتدهور أخلاقي، مشابه لذلك الذي شهده بنو إسرائيل

أقام الله عهداً مع بني إسرائيل، يشترط عليهم ممارسة دينه ونشره بصدق في جميع أنحاء العالم - وهي مهمة أدوها لعدة قرون. ومع ذلك، فقد انحذروا أخلاقياً في نهاية المطاف إلى درجة أن الله أنهى عهده معهم في زمن عيسى. وبشكل خاص، كُلف العرب المسلمون، وجميع المسلمين بشكل عام، الآن من قبل الله بممارسة رسالته الحقّة ونشرها بصدق في العالم. والقرآن مقدم لهم كدليل، كتاب يجب مشاركته عالمياً كتعاليم الله. ومع ذلك، مثل بني إسرائيل، سيواجه المسلمون أيضاً تدهور أخلاقي، وبمجرد حدوث ذلك، لن يكون هناك المزيد من الرسل لنهضة الأمم في القيام بعمل الله، حيث أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل. ومن ثم، فإن يوم القيامة سيحل بالبشرية. وقد تنبأ محمد صلى الله عليه وسلم بهذا التدهور النهائي للمسلمين.

خذ الحديث التالي على سبيل المثال:

يُروى عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو
دخلوا جحر ضب لتبعتموهم، قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟
قال: فمن!".^{١٠٥}

١٠- خلاصة منهج القرآن فيما يتعلق بالرسل

خلاصة نقاشنا حتى الآن هي كما يلي: وفقاً للقرآن، فإن كل إنسان
مدرك بالفطرة لله ويمتلك معرفة ذاتية بالحق والباطل. في الأصل،
تواصل الله مباشرة مع المجموعة الأولى من البشر، كاشفاً عن أصولنا
والغرض منا. في البداية، اتبعت البشرية جمعاء الطريق الصحيح. ومع
ذلك، ومع حدوث الانحرافات، أرسل الله أنبياء لتوجيه البشرية للعودة
إلى الحق. وعندما رُفض هؤلاء الأنبياء في الغالب واستمرت البشرية
في إنكار الإله الحق والدينونة الإلهية، من خلال رفض الاستماع وتجاهل
العقل، أرسل الرسل. خدم هؤلاء الرسل كبراهين دنيوية للدينونة الإلهية،
مؤكدين وجود الله ومنذرين بيوم القيامة الوشيك للبشرية جمعاء.
يصل الرسول إلى مجتمع ما ويقضي سنوات في التبشير برسالة الله.

^{١٠٥} مسلم، رقم ٦٤٤٨.

إن قوة الحجج، وشخصية الرسول، والمعجزات، مقترنة بالأحداث الخارجية التي تدعم ادعاءات الرسول، تساهم جميعها في خلق بيئة يوضح فيها الله الحق بما لا يدع مجالاً للشك لجمهور الرسول المباشر. ثم يأتي الوقت الذي يعلن فيه الله نفسه الحكم الديني على الأتباع المباشرين للرسول. في هذه المرحلة، يتم إنقاذ ومكافأة الذين يقبلون رسالة الرسول في هذا العالم، بينما يتم إعلان العقوبة على الراضين. إذا كان استئصال المجتمع بأكمله مطلوباً، فإن العقوبة تأتي من خلال الكوارث الطبيعية، وإذا لم يكن الاستئصال الكامل ضرورياً، فسيتم إيقاع العقوبة على أيدي الناس.

أُرسل الرسل الفرادى إلى أمم شتى عندما كانت البشرية تتكون من مستوطنات صغيرة. ومع انتقال البشرية إلى عصر الأمم والحضارات، خلف هؤلاء الرسل الفرادى أممٌ اختيرت لممارسة رسالة الله والدعوة إليها في العالم. ولتسهيل ذلك، اختار الله ذرية إبراهيم لغرض النهوض بهذه الأمم.

أُنشئت الأمة الأولى من خلال ذرية ابن إبراهيم، إسحاق (عليهم السلام). لقد ورثوا الأرض المحيطة بكنعان، مع توجيه بتكريسها حصرياً لدين الله والقضاء تماماً على جميع الأديان الأخرى وأتباعها. وتحت قيادة موسى، تلقوا الشريعة وتأسسوا كأمة الله المختارة بمهمة ممارسة ونشر هداية الله الحق في جميع أنحاء العالم. لقد أنجزوا هذه المهمة لفترة

طويلة حتى بدأوا ينحرفون عن الحق. في هذه المرحلة، ناشدهم عيسى، بصفته آخر رسول إليهم، لتعديل طرقهم وتجديد عهدهم مع الله، محذراً من أن الفشل في القيام بذلك سينهي وضعهم كأمة مختارة ويؤدي إلى تداعيات خطيرة. ولسوء الحظ، رُفض عيسى واضطُهد من قبل بني إسرائيل، مما أدى، كعقاب إلهي، إلى عواقب وخيمة ألحقها الرومان.

بعد ستمائة عام من عيسى، أقام الله أمة أخرى لنصرة رسالته للمرة الأخيرة - هذه المرة من ذرية ابن إبراهيم الآخر، إسماعيل. لهذا الغرض، اختار الله محمداً صلى الله عليه وسلم كآخر أنبيائه ورسله. في كامل سياق منهج القرآن فيما يتعلق بالرسول، فإن تاريخنا المعروف يشهد أنه في حالة محمد صلى الله عليه وسلم، تكشفت الأمور على نطاق عالمي تماماً كما ورد في القرآن. بالإضافة إلى ذلك، فإن جميع القصص الكتابية حول دينونة الله على الأرض من خلال أمثال نوح، ولوط، وإبراهيم، وموسى، وعيسى (عليهم السلام جميعاً) تبدو منطقية تماماً عند النظر إليها من خلال منظور قانون الله في القرآن بشأن الرسل. هذه الروايات ليست مجرد حالات عشوائية لإطلاق غضب الله على المذنبين؛ بل هي في الواقع أحداث مترابطة في خطة الله الكبرى لإنشاء أمم تمثله في العالم ولتقديم أهم دليل دنيوي على يوم القيامة، الذي سيحل بالبشرية جمعاء في الآخرة.

إن تحقق ادعاءات القرآن فيما يتعلق برسل الله هو سبب مقنع

يجعل من الأهمية بمكان للجميع استكشاف القرآن بجدية كمتنافس على الحقيقة الإلهية من عند الله.

٥(أ) - حل المفاهيم الإشكالية من خلال قانون

الرسل في القرآن

تُحل العديد من القضايا الإشكالية عندما يُنظر إلى الإسلام من خلال منظور قانون الله جنباً إلى جنب مع تعاليم الرسل. لقد ناقشت بالفعل قضيتين تم حلها: حقوق الميراث لغير المسلمين وعقوبة قيام مسلم بقتل غير مسلم. الآن، دعونا نستكشف ثلاث قضايا أخرى تتم معالجتها عند النظر إليها من خلال منظور قوانين القرآن بالاقتران مع الرسل.

١ - عقوبة الردة

تؤمن الغالبية العظمى من المسلمين بالعقوبة المقررة إلهياً لمن يترك الإسلام، والتي تُفسر غالباً على أنها عقوبة الإعدام. يتجذر هذا الاعتقاد في حديث يُروى فيه عن محمد صلى الله عليه وسلم قوله:

"من بدل دينه فاقتلوه." ١٠٦

١٠٦ النسائي، رقم ٤٠٥٩، ٤٠٦١، ٤٠٦٢.

يبدو أن هذا الحديث قد تم تعزيزه من خلال حروب الردة، التي شن فيها الخليفة أبو بكر حرباً على القبائل التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم.

يبدو أن الحديث يناقض القرآن، الذي ينص في ٢: ٢٥٦ على أنه لا إكراه في الدين. علاوة على ذلك، تناقض آيات مختلفة في القرآن مسألة ترك الإسلام^{١٧} ولا تذكر أي عقوبة دينية على هذا الفعل. لماذا، إذاً، يأمر حديث صحيح عن محمد صلى الله عليه وسلم ظاهرياً بقتل من يغيرون دينهم، ولماذا شن أبو بكر حرباً على من ارتدوا عن إيمانهم بعد محمد صلى الله عليه وسلم؟

عندما نقرب بشكل خاطئ من القرآن من خلال منظور الحديث، ونعتبر الحديث مصدراً مستقلاً للإسلام بدلاً من كونه شرحاً للقرآن، تظهر مثل هذه التناقضات. كيف يمكن للقرآن أن ينص بشكل قاطع على أنه لا يجب أن يكون هناك إكراه في الدين، ومع ذلك تقترح بعض الأحاديث إعدام الناس لتغيير دينهم؟

يتم حل هذه المشكلة على الفور عندما نتبنى النهج الصحيح لفهم الحديث من خلال منظور القرآن، مدركين أن الحديث ليس مصدراً مستقلاً للإسلام ولكنه يحتوي على شروحات للدين الوارد في القرآن

^{١٧} على سبيل المثال، النساء: ٤، ١٣٧، البقرة: ٢، ٢١٧، آل عمران: ٣، ٨٦-٩٠.

والسنة. دعوني أشرح ذلك.

هناك ثلاث جرائم يصرح القرآن فيها بعقوبة الإعدام:

١- القتل

٢- الجرائم التي تعيث فساداً في الأرض من خلال الإضرار بحياة شخص ما، أو ممتلكاته، أو كرامته وتتضمن السطو المسلح، والأنشطة الإرهابية، والاختطاف، والاعتصاب.^{١٠٨}

٣- رفض الرسول من قبل المتلقي المباشر يحمل عقوبة دنيوية. إن عقوبة الإعدام أو عقوبة الإخضاع مسموح بها للمخاطبين المباشرين للرسول إذا رفضوه أو اضطهدوه.^{١٠٩} يشير الحديث إلى أشخاص من بين الجمهور المباشر لمحمد صلى الله عليه وسلم ممن هم مذنبون برفض رسالة الرسول بعد قبولها.

عند النظر في سياق الجرائم التي يصرح فيها القرآن بعقوبة الإعدام، يتضح أنه لا توجد عقوبة دائمة لأي شخص يختار ترك الإسلام. الأفراد الذين خاطبهم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على وجه التحديد من جمهوره المباشر، الذين قضى الله بالفعل بأنهم سيواجهون عقوبة

^{١٠٨} المائدة ٥: ٣٢.

^{١٠٩} للمرجعية، انظر المناقشة السابقة حول قانون الله في الرسل والآية ٣٣ من السورة ٥ من القرآن ٥: ٣٣.

الإعدام إذا رفضوا رسوله الأخير. وفي حالة القبائل التي حاربها أبو بكر، فقد انضموا هم أيضاً إلى الجمهور المباشر لرسول الله الأخير. إن رفضهم للرسول بعد وفاته عرضهم للعقاب الإلهي، وفقاً لسنن الله المتعلقة برسله. وبالتالي، فإن العقوبة في مسائل العقيدة هي فعل من أفعال دينونة الله الدنيوية، وتقتصر على السيناريوهات التي يتواجد فيها رسول الله بين الناس. كان هذا النوع من العقوبة خاصاً بالمخاطبين المباشرين للرسول ولا ينطبق على المسلمين اللاحقين. وفقاً للقرآن، محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم رسل الله - لن يكون هناك رسل آخرون، وبالتالي، لن توجد حالات أخرى لدينونة الله الدنيوية. ولذلك، لا أحد بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يملك السلطة لمعاقبة أي شخص في مسائل العقيدة. ضع هذا المثال في الاعتبار:

بين الجمهور المباشر لمحمد صلى الله عليه وسلم، أعلنت الدينونة الإلهية ضد المشركين وأولئك الذين حاربوا واضطهدوا رسول الله؛ لقد تعرضوا لعقوبة الإعدام ما لم يقبلوا رسالة الله. كان هذا القبول طريقهم الوحيد لتجنب عقاب الله. وتحديداً، إذا ارتد أي من هؤلاء الأفراد عن الإسلام بعد ذلك، فإن الإغفاء سينتهي، وسيكونون مرة أخرى عرضة للعقاب الإلهي المقرر لهم أصلاً. وهكذا، فإن هذا الحديث يخاطب تحديداً هؤلاء المخاطبين المباشرين فقط لمحمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا عرضة لدينونة الله الدنيوية من خلال

— اكتشافي لله وللإسلام ويوم القيامة 230 —

الرسول. لا ينطبق هذا الحديث على أي شخص آخر غير المخاطبين المباشرين لمحمد صلى الله عليه وسلم - خاتم رسل الله.

٢- قتال غير المسلمين من أجل عقيدتهم

يتم حل تناقض ظاهري آخر عندما يُفهم الإسلام من خلال قانون الله، الذي لا ينطبق إلا عندما يكون الرسول بين الناس. يعلن القرآن الحرية الكاملة في مسائل الدين^{١١٠}. ومع ذلك، في مناسبة أخرى، يأمر القرآن محمدًا صلى الله عليه وسلم بقتال هؤلاء المشركين الذين نكثوا عهدهم مع المسلمين حتى يقبلوا الإسلام. بالإضافة إلى ذلك، يوجه القرآن محمدًا صلى الله عليه وسلم لمحاربة اليهود والنصارى حتى يعتنقوا الإسلام أو يوافقوا على دفع الجزية كعلامة على المهانة والخضوع^{١١١}. وبالمثل، يبدو أن العديد من الأحاديث تتناقض مع المفهوم الموجود في الآية القرآنية ٢٥٦ من السورة ٢، والتي تنص على أنه لا إكراه في الدين. خذ الحديث التالي على سبيل المثال:

"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة..."^{١١٢}

^{١١٠} البقرة ٢: ٢٥٦.

^{١١١} التوبة ٩: ٢٩.

^{١١٢} البخاري، رقم: ٢٥.

عند النظر إليها من خلال عدسة قانون الله جنباً إلى جنب مع الرسل، يصبح من الواضح أن هذه الأوامر ليست مقصودة كسياسة أبدية للمسلمين تجاه غير المسلمين. بدلاً من ذلك، هي أوامر لإنزال العقاب الإلهي فقط على المتلقين المباشرين لرسالة رسول الله.

ينص القرآن على أنه سواء كان الطوفان في زمن نوح، أو عقاب أمم عاد وثمود وإبراهيم ولوط، أو الغزو الروماني لبني إسرائيل في عهد عيسى، أو المعارك التي خاضها محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ضد أهل الجزيرة العربية والمناطق المحيطة بها، فإن هذا العقاب الدنيوي في مسائل العقيدة هو على وجه التحديد نتيجة لرفض رسول الله الحي. هذا العقاب يقتصر على أولئك الذين واجهوا الرسول مباشرة ولا يمكن تعميمه على الآخرين. وبناءً على ذلك، بالنسبة لكل من هم خارج الجمهور المباشر للرسول، فإن جميع مسائل العقيدة سيحكم فيها الله يوم القيامة. بعد رحيل محمد صلى الله عليه وسلم، لا يُسمح للمسلمين إلا بتبليغ رسالة الله لغير المسلمين؛ ولا يُسمح لهم باستخدام القوة أو قتالهم في مسائل العقيدة.

٣- الإسلام سيظهر على جميع الأديان الأخرى

يعلن القرآن أن "دين الله (الإسلام) سيظهر على الدين كله"^{١١٣}. عند

^{١١٣} التوبة ٩: ٣٣.

رؤيتها خارج السياق، قد تبدو هذه العبارة بمثابة نبوءة عالمية تسعى العديد من المنظمات المتشددة لتحقيقها. ومع ذلك، عند النظر إليها من خلال منظور قانون الله ورساله، يتضح أن هذه النبوءة كانت خاصة بمخاطبي محمد صلى الله عليه وسلم. يتم الحكم على مخاطبي الرسول في هذا العالم - حيث يُهزم الخصوم تماماً، ويغلب فقط رسول الله وأتباعه ورسالة الله على جميع القوى والمعتقدات المعارضة. لذلك، فإن نبوءة ظهور الإسلام على جميع الأيديولوجيات الأخرى كانت خاصة بمخاطبي محمد صلى الله عليه وسلم وتحققت تماماً كما تم التنبؤ بها.

إن السياق الكامل للآية ٩: ٣٣ يوضح أن الله يخاطب الأتباع المباشرين لمحمد صلى الله عليه وسلم بدلاً من إصدار نبوءة عالمية لجميع الأوقات المستقبلية. تنص الآية صراحةً على أن الله قد أرسل رسوله بدين الحق وأوفى بوعده بجعل هذا الرسول ودين الحق يظهران على جميع الأيديولوجيات الأخرى للمشركين في مكة والجزيرة العربية، والذين كانوا الخصوم الرئيسيين لمحمد صلى الله عليه وسلم. سأشارك أدناه الآيات الكاملة مع سياقها:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُنِيرَ نُورَهُ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ

عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ^{١١٤}.

وبالمثل، غالباً ما يتم الاستشهاد بآية أخرى، وهي القرآن ٤٨: ٢٨، كدليل على أن الإسلام سيظهر على جميع الأديان الأخرى وأن العالم بأسره سيصبح إما مسلماً أو يعيش تحت التبعية الإسلامية في نهاية الزمان. ومع ذلك، عندما تُقرأ هذه الآية في سياقها، لا سيما من الآيات ٢٠ إلى ٣٠، يتضح أنها تخاطب أهل مكة تحديداً، وتخبرهم بأنهم سيُهزمون وأن الإسلام سيظهر عليهم.

لقد قدمت المعلومات المذكورة أعلاه للتأكيد على أن أقوال وأفعال محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه تكون أكثر قابلية للفهم عند النظر إليها من خلال عدسة قانون الله المتعلق بالرسول كما هو موضح في القرآن.

٥ (ب) - شخصية محمد وتنبؤات عنه - عاملان

إضافيان يزيدان من مصداقية رسالته

إن منهج القرآن في الرسل، ولا سيما كيف سارت الأمور مع محمد صلى الله عليه وسلم كرسل، قدم أسباباً مقنعة لي لاعتبار الإسلام متنافساً جدياً على الحقيقة الإلهية. ومع ذلك، هناك جانبان إضافيان،

^{١١٤} التوبة ٩: ٣٢-٣٣.

في رأيي، يمنحان مزيداً من المصداقية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

١- شخصية محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- النبوءات عن محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية السابقة.

دعوني أشرح كلاً منهما بإيجاز.

١- شخصية محمد ﷺ

رجل أمين وصادق

قبل أن يعلن محمد صلى الله عليه وسلم نفسه نبياً لله، جمع الناس وسألهم عما إذا كانوا سيصدقونه إذا قال إن جيشاً قادماً من خلف جبل لمهاجمتهم. أجاب الناس بالإيجاب، مؤكدين أنهم وجدوه دائماً رجلاً أميناً وصادقاً.^{١١٥}

لا يوجد تطور في الفكر

يُظهر كل عالم بارز في المجالات العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية تطوراً واضحاً في الأفكار والأفكار طوال حياته. ومع ذلك، فإن هذا التطور غائب بشكل ملحوظ في حالة محمد صلى الله عليه وسلم.

^{١١٥} البخاري، رقم ٤٧٧٠، ٤٩٧٢.

عليه وسلم. يبدو أنها ظاهرة مفاجئة في سن الأربعين عندما أعلن محمد صلى الله عليه وسلم أن الله قد تواصل معه. عقب ذلك، بدأ في تلاوة النصوص القرآنية، التي تميزت ببراعتها الشعرية واللغوية، وشملت مناقشات وإعلانات دينية وسياسية واجتماعية عميقة، جنباً إلى جنب مع قرارات واستراتيجيات عسكرية ذكية لا تشوبها شائبة. ينعكس غياب التطور هذا في القرآن؛ فلا يوجد أي تغيير في أساسيات رسالته أو حججه من اليوم الأول إلى النهاية، على الرغم من البيئة الخارجية سريعة التغير على مدى ٢٣ عاماً من نزول الوحي. دعوني أفصل أكثر.

هناك دائماً تطور في الفكر أو الموهبة لدى الفرد. شكسبير لم يصبح الكاتب المسرحي الشهير الذي نعرفه منذ اليوم الأول. وبالمثل، تطورت أيديولوجية غاندي بمرور الوقت. يقدم محمد صلى الله عليه وسلم حالة فريدة في تاريخنا المعروف لأنه لم يكن هناك تطور واضح للفكر الديني أو السياسي أو الاجتماعي في حياته. كما لم يظهر قط أي اهتمام أو قدرة كبيرة في الشعر. لم تظهر حياته، حتى سن الأربعين، أي بوادر لهذه التأثيرات، ومع ذلك فإن القرآن، بمحتواه الغني الذي يمتد عبر المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية والقانونية، وظهور السمات الشعرية، كظاهرة غير متوقعة في حياته. هذه الحقيقة تدعم بقوة الفرضية القائلة بأن محمداً لم يكن مؤلف القرآن.

لا اهتمام ولا خلفية في طلب أو تبشير المعرفة الدينية

عندما يقدم القرآن معلومات حول شخصية محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه يمكن الوثوق بها كمعلومات دقيقة. لقد تلى القرآن على جمهور كان يعرف محمدًا صلى الله عليه وسلم جيدًا. ولو قدم القرآن أي معلومات كاذبة عن محمد صلى الله عليه وسلم، لكان هؤلاء المستمعون المباشرين قد اعترضوا عليها. يخبرنا القرآن أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن لديه أي اهتمام أو خلفية سابقة في طلب أو تبشير المعرفة الدينية. تنص الآية ٨٦ من السورة ٢٨ في القرآن على أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن يتوقع أي وحي، ولم يكن هناك أي جهد من جانبه للسعي وراء التنوير الديني أو المعرفة الإلهية.

في هذا السياق، من الأهمية بمكان معالجة قصة شائعة تصور محمدًا صلى الله عليه وسلم كباحث عن المعرفة الإلهية. تحكي هذه القصة عن تراجع محمد صلى الله عليه وسلم بشكل دوري إلى غار حراء للانخراط في تأملات صوفية. سوف أتعلم في هذا لاحقًا، ولكن من المهم التوضيح مبدئيًا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يزر غار حراء لطلب التنوير الديني أو لأداء تمارين صوفية. إن قصة تأمل محمد صلى الله عليه وسلم الغامض في غار حراء والمعروفة جيدًا تستند إلى حديث بسلسلة رواة واحدة. علاوة على ذلك، فإن هذا الحديث ليس اقتباسًا مباشرًا عن محمد صلى الله عليه وسلم نفسه. ابن إسحاق، أحد

أوائل كتاب سيرة محمد صلى الله عليه وسلم، يتضمن فقط جزءاً صغيراً من هذه الرواية ويتجاهل الباقي. وفيما يتعلق بالوحي الأول، يقدم ابن إسحاق رواية أخرى تتناقض مع القصة المنتشرة عن انخراط محمد صلى الله عليه وسلم في تأملات صوفية غامضة في غار حراء. وبدلاً من ذلك، يقدم النسخة التالية من الأحداث:

"كان الكثيرون في شبه الجزيرة العربية يتبعون نسخة بدائية من الدين الإبراهيمي تسمى "دين الحنيف"، والتي التزم بها محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً. كانت ممارسات مثل الصيام خلال شهر رمضان والانخراط في "الاعتكاف"، الذي يتضمن الصيام والعبادة في عزلة، تقاليد شائعة في هذا الدين. خلال هذه الفترة، غادر محمد صلى الله عليه وسلم مدينة مكة التي تعبد الأصنام ليعتزل في الجبال مع عائلته من أجل الاعتكاف. اتبع الكثيرون غيره هذه الممارسة مع عائلاتهم أيضاً. وهكذا، لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم منخرطاً في تأملات غامضة بحثاً عن الحقيقة الإلهية والتنوير؛ بل كان يمارس طقساً نموذجياً من "دين الحنيف"، مثل كثيرين غيره. في عامه الأربعين، وبينما كان منخرطاً في هذه العبادة الطقسية، ظهر له الملك جبريل لأول مرة. سألناش هذا الحادث بالتفصيل لاحقاً، ولكن في الوقت الحالي، أريد أن أوضح أن محمداً صلى الله عليه وسلم شارك في أنشطة العبادة الطقسية القياسية للتقليد الديني التوحيدي السائد بين شعبه

دون السعي بنشاط للحصول على معرفة دينية أو تنوير من خلال تأملات غامضة في الكهوف.^{١١٦}

علاوة على ذلك، وفقاً للآية ١٦ من الفصل ١٠ من القرآن، يخبر محمد صلى الله عليه وسلم مخاطبيه المباشرين أنه عاش حياته كلها بينهم قبل تلقي الوحي؛ ولم يناقش أبداً الأمور التي يتناولها القرآن. لذلك، كان من المعلوم لدى جمهور محمد صلى الله عليه وسلم المباشر أنه ليس لديه خلفية في التبشير الديني أو في السعي وراء المعرفة الدينية قبل أن يعلن تلقيه وحيًا إلهيًا.

لا اهتمام أو خلفية في الشعر

يخبرنا القرآن^{١١٧} أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن لديه أي

^{١١٦} هذا التفصيل حول وجهة نظر ابن هشام مبني على المناقشة التالية لجاويد أحمد غامدي: جاويد أحمد غامدي، "رد على ٢٣ سؤالاً - الجزء ٤٣ - واقعة الوحي الأول، غار حراء"، مركز غامدي للتعليم الإسلامي، تم الرفع في ٤ مارس ٢٠٢١، تم الدخول إليه في ٣٠ أبريل ٢٠٢٤،

<https://www.youtube.com/watch?v=Z9h-o0AOS2g&list=PLvDnnkYlWQca1Awp-FmXIwjolLVsZkhr>

^{١١٧} يسين ٣٦: ٦٩.

اهتمام بالشعر على الإطلاق ولم يعرف عنه أبداً الاستماع إلى الشعر أو إلقاؤه. ومع ذلك، فإن القرآن نفسه يعد من أروع الروائع الشعرية في اللغة العربية.

إن الأسلوب الشعري للقرآن قوي لدرجة أنه أثر على أحد أعظم شعراء الجزيرة العربية، أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، لاعتناق الإسلام. كانت قصيدة لبيد من بين "المعلقات"، وهي أعظم سبع قصائد في اللغة العربية، والتي كانت تُعرض خارج الكعبة كنوع من قاعة المشاهير الشعرية. لقد أعجب بشكل خاص بأسلوب سورة الكوثر، مما أدى به في النهاية إلى اعتناق الإسلام.^{١١٨}

إن الروعة الشعرية للقرآن حقيقة راسخة. هيكله منقح شعرياً لدرجة أنه يقف فريداً ككتاب ضخيم يمكن للأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم سبع سنوات، أو حتى أصغر، حفظه بسهولة. تمتد سهولة الحفظ هذه حتى لأولئك الذين لا يفهمون اللغة العربية. في كل عام، ينجح آلاف الأطفال في البلدان الإسلامية في حفظ القرآن عن ظهر قلب خلال عام واحد.

لذا، في ضوء ما ناقشناه، كان محمد صلى الله عليه وسلم يُعرف

^{١١٨} أمين أحسن إصلاحي، تدبر قرآن، المجلد ١، ٩ مجلدات. (لاهور: مؤسسة فاران، ١٩٨٥)، ٢٥-٢٦.

عموماً بأنه رجل صادق. لم تكن لديه أي خلفية على الإطلاق في السعي وراء المعرفة الدينية أو التبشير بها، ومع ذلك ينخرط القرآن في مناقشات دينية عميقة. بالإضافة إلى ذلك، لا يوجد تطور في الفكر في الأفكار التي نوقشت في القرآن، وهناك تناسق كامل في الفكر والأفكار طوال ٢٣ عاماً من الوحي. علاوة على ذلك، لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم أي اهتمام أو خلفية في الشعر، ومع ذلك يظل القرآن واحداً من أكثر الأعمال الأدبية لافئاً للنظر في اللغة العربية. كل هذه العوامل تزيد من قوة احتمال أن القرآن ليس نتاج عقل محمد صلى الله عليه وسلم.

هل أقنع محمد الآخرين بتأليف القرآن له؟

قد يجادل المرء بأن محمداً صلى الله عليه وسلم ربما كلف شخصاً آخر بكتابة القرآن؛ ومع ذلك، هذا مستبعد للغاية. لكي يكتب الآخرون القرآن لمحمد صلى الله عليه وسلم، لكان بحاجة إلى فريقين: أحدهما يتكون من خبراء عالميين في المعرفة الدينية، لا سيما في الأديان الإبراهيمية، والآخر يتكون من خبراء شعر مهرة للغاية. وبالنظر إلى اتساق الأفكار في القرآن واللغة الشعرية المستخدمة فيه، لكان قد تطلب خدمات هذه الفرق منذ البداية، واستمرارها طوال ٢٣ عاماً من وحي القرآن. والجدير بالذكر أنه لا يوجد دليل تاريخي يشير إلى أن محمداً صلى

الله عليه وسلم كان لديه وصول إلى مثل هذه الفرق. في الواقع، خلال السنوات الأولى، كان في الأساس داعية وحيداً مع عدد قليل فقط من الأتباع، ولم يكن يُعرف عن مجموعته الأولى من الصحابة أنهم خبراء في هذه المجالات.

٢- نبوءات عن محمد ﷺ في الكتب السماوية السابقة

نبوءات عن محمد ﷺ في الكتاب المقدس

لا يقدم القرآن محمداً ﷺ كشخصية معزولة؛ بل يتم تصويره ضمن سلسلة متصلة من الأنبياء والرسل الملهمين إلهياً في السابق. ما يجعل حالة محمد صلى الله عليه وسلم مثيرة للاهتمام بشكل خاص هو وجود نبوءات في الكتاب المقدس - في كل من العهدين القديم والجديد - والتي عند النظر إليها معاً، تبدو متوافقة بشكل ملحوظ مع شخصية محمد ومهمته. دعونا نستعرض بعضاً منها بإيجاز.

العهد القديم - سفر التثنية ١٨: ١٨

يقول الله لموسى وقومه:

"أبعثُ لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك (موسى)، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه".

لذا، أخبر الله بني إسرائيل أن نبياً سيظهر ليس من بينهم ولكن من إخوتهم، وهي قبيلة مرتبطة بهم ارتباطاً وثيقاً. هذا النبي، الذي يشبه موسى تماماً، سيبليغ رسالة الله إلى جمهوره المباشر. وأولئك الذين يرفضونه سيواجهون حكم الله هنا على الأرض. كما ناقشنا سابقاً بالتفصيل أثناء استكشاف القوانين في القرآن المتعلقة بالرسول، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم ينحدر من إخوة بني إسرائيل، وتحديدًا من نسل إسماعيل. يؤكد القرآن أنه نبي مثل موسى، يبلغ رسالة الله لمعاصريه. وأولئك الذين رفضوه واجهوا الحكم الإلهي هنا على الأرض، وفقاً لسنة الله في الرسل.

قد يجادل المرء بأن الآية المذكورة أعلاه تتنبأ بمجيء عيسى. ومع ذلك، فإن هذا التفسير ليس قابلاً للتطبيق، حيث كان عيسى من أمة بني إسرائيل، بينما تشير النبوة إلى أن الفرد المتنبأ به سينتمي إلى قبيلة أو شعب هم إخوة بني إسرائيل. علاوة على ذلك، سيكون الشخص المتنبأ به نبياً مشابهاً لموسى - مما يعني أن كل ما حدث لموسى وأمته سيحدث له أيضاً. سيقدم شرائع إلهية جديدة، ويقود جيشاً، ويكتسب سلطة أرضية، ويتم تعيين أمتة كحراس لدين الله لممارسة رسالة الله والتبشير بها للعالم بشكل كامل. لم يحدث أي من هذه الأحداث في حالة عيسى. علاوة على ذلك، عندما نفحص العهد الجديد، يبدو أن عيسى نفسه يتنبأ بوصول شخص بعده يتماشى تماماً مع الشخص

الموصوف في سفر التثنية ١٨: ١٨.

العهد الجديد - إنجيل يوحنا

في رسالة يوحنا الأولى ٢: ١، يُشار إلى عيسى باسم "البارقليط" أو "المعزي". وفي الآيات اللاحقة، يتنبأ عيسى بمجيء "معزٍ" آخر غير نفسه ويقول: "وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر..."^{١١٩} ويوضح عيسى أكثر:

"لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي (البارقليط/المستشار)..."^{١٢٠}

إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحملوها الآن. وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية.^{١٢١}

يُشار إلى أنبياء آخرين في الكتاب المقدس باسم "روح".^{١٢٢} بما أن

^{١١٩} يوحنا ١٤: ١٦.

^{١٢٠} يوحنا ١٦: ٧-٨.

^{١٢١} يوحنا ١٦: ٧-١٣.

^{١٢٢} رسالة يوحنا الأولى ٤: ١-٣.

عيسى كان بشراً، وكان يُشار إلى بشر آخرين باسم روح، فمن المعقول تماماً الاعتقاد بأن مصطلح "روح" في الآيات المذكورة أعلاه يشير إلى كائن بشري.

عند النظر إليهما معاً، يبدو أن كلا من موسى وعيسى يتنبآن بوصول فرد من شعب مرتبط بإخوة بني إسرائيل. سيتحدث هذا الفرد بكلمات الله الحرفية ويكون نبياً شبيهاً بموسى. هذا الوصف يتماشى تماماً مع محمد صلى الله عليه وسلم. بصفته من نسل إسماعيل، يُعتبر محمد صلى الله عليه وسلم وقومه إخوة لبني إسرائيل. لقد تكلم بكلمات الله، المحفوظة في القرآن، وخدم كنبى على غرار موسى. ومثل موسى، قدم شريعة إلهية جديدة. ومن خلال محمد صلى الله عليه وسلم، أقام الله أمة لممارسة رسالته والتبشير بها للعالم، ومنحهم سلطة كبيرة على الأرض، تماماً مثل موسى وقومه.

٣- نبوءة محمد في الكتب الهندوسية

ينص القرآن على أن أنبياء الله أرسلوا إلى جميع الأمم قبل أن تنحصر النبوة في ذرية إبراهيم

يؤكد الهندوس أن نصوصهم الدينية تعود لأكثر من ٥٠٠٠ عام، وهو جدول زمني يربطه بعض العلماء بالعصر المحتمل لإبراهيم. لذلك فمن المحتمل أنه قبل أن تقتصر النبوة على نسل إبراهيم، ألهم الله أنبياء في

شبه القارة الهندية. وكما نوقش سابقاً، تتضمن الهندوسية مفهوم "الريشي" أو الحكماء، وهم رجال مقدسون ملهمون إلهياً نقلوا المعرفة الإلهية للناس. ومن منظور قرآني، فمن المتصور أن الفيدا وغيرها من الكتب الهندوسية كانت في الأصل وحيّاً إلهياً، محتفظة بشظايا من الحقيقة الإلهية على الرغم من آلاف السنين من التفسيرات وإعادة التأويلات.

داخل هذه الكتب المقدسة، توجد فقرة أعتقد أن نبياً ملهماً من عند الله تنبأ فيها بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم. على مدار مئات أو حتى آلاف السنين، ربما تطورت هذه التنبؤات إلى مفهوم أن الإله "فيشنو" سيتجسد كإنسان ويواجه الشر في العصر الأخير. دعونا نستكشف هذه التوقعات. بينما أعتقد أنها تنبأ بمجيء محمد ﷺ، فأنت حر في تكوين رأيك الخاص.

عند هذه النقطة، أريد أن أقر بالمعلومات التي حصلت عليها من الخطب العامة للدكتور ذاكر نايك حول هذا الموضوع تحديداً. على الرغم من أنني قد اختلف مع بعض أفكار وتفسيرات الدكتور نايك، إلا أن عمله الجدير بالثناء في تسليط الضوء على التنبؤات حول محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة غير الإبراهيمية قد ساعدني كثيراً في بحثي.

للاطلاع على المراجع المتعلقة بجميع النقاط التي تمت مناقشتها

أدناه، يرجى مراجعة ما يلي:

١- بهاغواتا بورانا - خاند ١٢، أدهياي ٢، شلوكا ١٨-٢٠ سيولد كالكي بين زعماء مدينة شامبهالا في بيت فيشنوياش - سيركب كالكي حصاناً وسيافاً في يده - سيهزم الأعداء وتساعد الملائكة.

٢- كالكي بورانا الفصل ٢ الآية ١٥ - سيولد كالكي في الثاني عشر من شهر مدهف لفيشنوياش وسوماتي.

٣- كالكي بورانا الفصل ٢، الآيات ٤، ٥ و ٧: سيولد كالكي بين زعماء شامبهالا لفيشنوياش وسوماتي - سيواجه قوى الشر بمساعدة ٤ رفاق وستساعد الملائكة في ساحة المعركة.

٤- كالكي بورانا الفصل ٣ الآية ١ - سيتلقى كالكي المعرفة على جبل - وسيهاجر إلى الشمال ويعود.

هناك شخص يدعى "كالكي أفاتار" في التقليد الهندوسي يُعرف بأنه الأخير في سلسلة من "الأفاتار" وسيأتي في العصر الأخير للبشرية لمواجهة الشر. سأذكر النبوءات وأرسم أوجه تشابه مع محمد ﷺ وأدعك تستخلص استنتاجاتك الخاصة.

١- كالكي أفاتار سيولد لرجل يدعى فيشنوياش وامرأة تدعى سوماتي.

"فيشنوياشا" هو مصطلح سنسكريتي يمكن ترجمته ليعني: "فيشنو" تعني الله، وأحد معاني "ياش" هو "مجد" أو "شرف"، ويعني أيضاً

"السعي من أجل". وبالتالي، يشير "فيشنوياش" إلى شخص يسعى من أجل الله فيشنو أو يكرمه، أو ربما يمثل مجد الإله فيشنو. ولد محمد صلى الله عليه وسلم لعبد الله، واسم "عبد الله" يعني الشخص الذي يعبد الله.

"سوماتي" هو مصطلح سنسكريتي يمكن أن يعني الإخلاص أو الخير. كان اسم والدته محمد صلى الله عليه وسلم آمنة، وهو ما يعني المخلصة، والمؤمنة، والأمنة.^{١٢٣}

٢- سيولد في قرية تسمى شامبهالا.

شامبهالا، وفقاً لموسوعة العالم الجديد، هي مصطلح سنسكريتي يعني "مكان السلام".^{١٢٤}

ولد محمد صلى الله عليه وسلم في مكة، والتي يشير إليها القرآن بـ "البلد الأمين" في الفصل ٩٥، الآية ٣. وحتى قبل ظهور الإسلام، كانت مكة تُعرف بمدينة السلام لأن القبائل العربية المختلفة كانت تزور هذه المدينة سنوياً لحجهم الديني. لم يكن مسموحاً بأي عنف داخل

^{١٢٣} ترجمة فيشنوياشا وسوماتي من موقع (Learnsanskrit.cc).

^{١٢٤} "شامبالا - موسوعة العالم الجديد"، تم الدخول إليه في ١١ أبريل ٢٠٢٤،

<https://www.newworldencyclopedia.org/entry/Shambhala>.

مكة.

٣- كالي سينحدر من عشيرة زعماء المدينة وسيولد في بيت

زعيم شامبهالا

نمى محمد صلى الله عليه وسلم إلى قبيلة قريش، القبيلة الرئيسية في مكة. ولد في بيت عبد المطلب، زعيم مكة وقبيلة قريش، بحضور ابنه أبو طالب، عم محمد صلى الله عليه وسلم.

٤- كالي سيولد في اليوم الثاني عشر من شهر مدهف

لفيشنوياش وسوماتي

يُقال إن محمداً ولد في ١٢ ربيع الأول.

٥- سيركب حصاناً ويحمل سيفاً. سيخرج الناس من الظلمات إلى النور، مبشراً بعصر الحقيقة (ساتيا يوغا). سيكون له أربعة أصدقاء يساعدونه. ستساعده الملائكة في ساحة المعركة.

ركب محمد صلى الله عليه وسلم حصاناً بسيف وأخرج الناس من ظلام الجهل إلى نور الهداية الإلهية. خلفه من يسميهم المسلمون "الخلفاء الراشدون الأربعة" أو الناجحون، الذين كانوا رفاقاً مقربين جداً لمحمد صلى الله عليه وسلم، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي

[رضي الله عنهم أجمعين]. يعلن القرآن في مناسبات متعددة، كما في القرآن ٣: ١٢٥، أن الملائكة أرسلت لمساعدة محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه في ساحة المعركة.

٦- كالكى سينال الحكمة على جبل، ثم يهاجر شمالاً قبل أن يعود تلقى محمد صلى الله عليه وسلم وحيه الأول في غار حراء على جبل. هاجر شمالاً إلى المدينة المنورة من مسقط رأسه مكة، وعاد منتصراً بعد أقل من عقد من الزمان.

٧- كالكى أفاتاري عني الأفاتار الأخير أو الأنتم ريشي

يُشار إلى محمد صلى الله عليه وسلم بصفته خاتم أنبياء الله - آخر رسول من عند الله.^{١٢٥}

تلخيص مناقشتنا، هناك نبوءات محددة في كتب مقدسة أخرى، بصرف النظر عن القرآن، يبدو أنها تنبأ بوصول محمد صلى الله عليه وسلم. بالنظر إلى هذه النبوءات جنباً إلى جنب مع ما ناقشناه، أصبحت مهتماً بشدة بما يقوله إله القرآن عن الوجود وهدفي فيه. في هذه المرحلة من رحلتي، أردت تقييم ما إذا كان القرآن يقدم تماسكاً

^{١٢٥} الأحزاب ٣٣: ٤٠، الترمذي، رقم ٢٢٧٢.

— الفصل الخامس —

أخلاقياً وقيماً وعقلانياً وما إذا كان يقدم إجابات مرضية لأسئلتني
الوجودية. إذا فعل ذلك، جنباً إلى جنب مع الأدلة التي استعرضناها،
فسيصبح القرآن منافساً قوياً للحقيقة الإلهية في نظري.



ماذا يريد إله القرآن مني وهل يبدو ذلك منطقيًا؟

كانت حياتي تسير بشكل رائع للغاية: كان لدي الشهرة والثروة، وكنت مشغولاً بالانغماس في كل المساعي المتنوعة التي يقدمها العالم. وفي مواجهة ملذات الحياة الأكثر إلحاحًا، غالبًا ما كانت أشياء مثل الدين والإله تبدو مملة وثنائية في الأهمية. ومع ذلك، كان هذا الخاطر يزعجني بشدة: عندما يقترب الموت، فإن الجانب الأكثر أهمية سيكون ما إذا كنت قد وجدت إجابة معقولة لسؤال الإله والآخرة، وما إذا كنت قد عشت حياتي وفقًا لمتطلبات تلك الإجابات.

في مؤخرة عقلي، لم أستطع التخلي عن الأفكار حول محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة رسالته كرسول من الله. لم أستطع البقاء مترددًا لأنني تخيلت ماذا لو كان محمد صلى الله عليه وسلم على حق وكان حقًا على اتصال بالله، الله — الحقيقة الأساسية غير المخلوقة التي خلقت كل شيء آخر — نفس الإله الذي تواصل مع عيسى وموسى

وإبراهيم (عليهم السلام) وعدد لا يحصى من الآخرين! ماذا لو كانت هناك حقًا محاسبة إلهية بعد الموت، تؤدي إلى نتيجة طيبة أو سيئة دائمة بالنسبة لي؟ تخيل لو أن كل هذا حقيقي وكم سيكون الأمر مرعبًا إذا عشت غافلاً عن هذه الحقيقة. تخيل الشعور بالرعب الشديد الذي سأشعر به عندما يأتي الموت!

كنت بحاجة إلى حسم أمري بشكل نهائي بشأن هذا الأمر. كان من الضروري استكشاف رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالتفصيل وتقييم ما إذا كانت منطقية عقلاً وأخلاقياً بما يكفي بالنسبة لي لتحديد ما إذا كانت رسالته من الله أم لا.

إن معجزة مهمة محمد صلى الله عليه وسلم كرسول من الله دفعتني لاستكشاف رسالته بالتفصيل. في رحلتي للبحث بدقة في رسالة محمد ﷺ، كانت الخطوة المنطقية التالية هي تحليل ما يتوقعه إله القرآن مني ولماذا - والأهم من ذلك، ما الذي أحتاجه للنجاح في المسألة الإلهية. أردت أن أحدد ما إذا كانت هذه المطالب منطقية أخلاقياً وقيماً وعقلاً. إذا لم تكن كذلك، فربما كانت مهمة محمد صلى الله عليه وسلم شذوذاً استثنائياً في تاريخنا المعروف دون صلة إلهية. ومع ذلك، إذا كان محتوى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم سليماً أخلاقياً وقيماً وعقلاً، فعندئذٍ وبالاقتران مع الطبيعة المعجزة لمهمته كرسول من الله، ستنفذ مني الأسباب لرفض الإسلام.

وبالتالي، سأجد نفسي في وضع يسمح لي بالاعتراف بصدق بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد تواصل معه الله حقًا، مؤكدًا حقيقة الأنبياء والرسل والملائكة والكتب والمحاسبة الإلهية.

كنت بحاجة إلى مزيد من البحث لمعرفة ما يتوقعه إله القرآن مني وما إذا كان ذلك منطقيًا بما يكفي.

ما أوشك أن أشاركه معكم ليس نتاجًا لأي مشروع بحثي أكاديمي في النصوص. كلا! إنه نتيجة تمرين بسيط ولكنه مركز قراءة لمرة واحدة للقرآن، مع المواد ذات الصلة من مؤلفات الحديث المتاحة بسهولة عبر الإنترنت.

دعونا أيضًا نراجع مناقشتنا حول مصادر الإسلام وكيفية تحليلها:

١- القرآن هو السجل المحفوظ للتواصل الإلهي مع محمد صلى الله عليه وسلم، والذي نزل على مدى ٢٣ عامًا. يمثل هذا الوحي حدث إطلاق الله لآخر عرض أرضي له للحساب الإلهي.

٢- السنة تمثل الأفعال داخل الإسلام.

هذان هما المصدران الأساسيان للإسلام، واللذان نُقلا من محمد صلى الله عليه وسلم إلى جيل كامل من أتباعه المباشرين، الذين زاد عددهم عن مئة ألف. هؤلاء الأتباع، بدورهم، نقلوها بشكل جماعي إلى ذريتهم، واستمر ذلك حتى الحاضر.

٣- الأحاديث — معلومات تاريخية عن محمد صلى الله عليه وسلم

وروايات تاريخية عن صحابة محمد صلى الله عليه وسلم — يجب فهمهما في سياق القرآن والسنة، لأنها توفر تفسيرات وتطبيقات للدين الوارد فيهما. الأحاديث هي تقارير فردية عن أقوال وأفعال محمد صلى الله عليه وسلم، والتي سُجلت بعد عقود من وفاته.

أيضاً، في هذه المرحلة، أود أن أعرب عن امتناني مرة أخرى للسيد جاويد أحمد غامدي. فمنه تعلمت الكثير ليس فقط عن رسل الله ومصادر الإسلام ولكن أيضاً عن المبادئ التي تحكم المحاسبة الإلهية في يوم الحساب، والتي سأناقشها بالتفصيل الآن. دعونا نمضي قدماً.

سوف نناقش الآن موضوعين:

أولاً، سنناقش معيار النجاح في المحاسبة الإلهية كما هو موضح في القرآن، وهو معيار عالمي حقاً ويتجاوز جميع الهويات الدينية. ثانياً، سنناقش الأفعال المحددة التي يشجعنا الإسلام على اتخاذها لتحقيق أقصى قدر من النجاح في المحاسبة الإلهية.

معيار النجاح في المحاسبة الإلهية كما هو موضح في القرآن عالمي حقاً ويتجاوز جميع الهويات الدينية

عندما كنت مراهقاً صغيراً، قيل لي إن معيار المحاسبة الإلهية بسيط: المسلمون يذهبون إلى الجنة وغير المسلمين يذهبون إلى النار، بغض النظر

عن سلوكهم الأخلاقي. وخلافاً لذلك، يتجاوز القرآن الانقسامات الدينية الأرضية ويضع معياراً عالمياً حقاً للخلاص في يوم الحساب، ينطبق على البشرية جمعاء، بغض النظر عن هوياتهم الدينية. دعوني أشرح هذا المعيار باختصار. ومع ذلك، قبل أن نتعمق في هذا المعيار العالمي، نحتاج إلى التعرف على بعض المفاهيم القرآنية الأساسية.

هناك موضوع مركزي واحد في القرآن يتكرر في كل صفحة تقريباً: لقد خُلِقنا جميعاً من قبل الله، وبعد موتنا، سيبعثنا الله ويحاسب كل شخص على الحياة التي عاشها في هذا العالم، مما يؤدي إلى نتيجة طيبة أو سيئة دائمة. إن الغرض من البشر هو إنقاذ أنفسهم من النتيجة السيئة من خلال عيش حياة صالحة والتأهل للجنة — وهي مكان مثالي وأبدي من السلام والسعادة والمتعة والقناعة المطلقة. هذه هي الرسالة الأساسية للقرآن.

إنها فكرة سائدة بين المسلمين أن أولئك الذين يعرفون أنفسهم كمسلمين فقط هم من سيدخلون الجنة، وغالباً ما يستشهدون بالآية ٨٥ من سورة آل عمران كآية رئيسية تدعم هذا الاعتقاد. تقول الآية:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^١

^١ آل عمران ٣: ٨٥.

شكل هذا معضلة بالنسبة لي: إذا كانت هذه الآية تعني حقاً أن أولئك الذين يعرفون أنفسهم كمسلمين فقط يمكنهم دخول الجنة، فماذا عن غير المسلمين الأخلاقيين الذين يعيشون حياة صالحة ويلتزمون بصدق بتعاليم أديانهم التي يؤمنون بصدق بأنها حقيقية وإلهية؟ يفتقر الكثير من الأفراد إلى الوقت لاستكشاف ديانات مختلفة، حيث إنهم منخرطون في عمل شاق ومكثف لمجرد تلبية الاحتياجات الأساسية لعائلاتهم. فهل سيحكم عليهم بالنار لمجرد أنهم لم يعرفوا أنفسهم كمسلمين؟ بالإضافة إلى ذلك، فإن الشخص المولود في أسرة مسلمة هو أكثر عرضة للموت مسلماً مقارنة بشخص ولد خارج هذا الدين. وهذا يشير إلى أن الخلاص الإلهي للشخص يتأثر بشدة بمكان ميلاده. يبدو هذا غير عادل لأنه إذا قدر الله أن يولد شخص في عائلة غير مسلمة، فإن هذا الفرد يوضع منذ البداية في وضع غير مؤاتٍ بشكل كبير مقارنة بشخص ولد في عائلة مسلمة، لا سيما فيما يتعلق بمؤهلات دخول الجنة.

عندما بحث بالتفصيل، وجدت أن الآية ٨٥ من سورة آل عمران، عند دراستها في سياقها، لا تنص في الواقع على أن أولئك الذين يعرفون أنفسهم كمسلمين فقط هم من سيذهبون إلى الجنة. سأشرح هذا الأمر بمزيد من التفصيل لاحقاً في هذا القسم. القرآن ككل ينفي فكرة أن أولئك الذين يعرفون أنفسهم كمسلمين فقط هم من سيذهبون إلى الجنة.

وبدلاً من ذلك، يضع القرآن معياراً عالمياً لدخول الجنة، ومن يستوفي هذا المعيار سيذهب إلى الجنة، بغض النظر عن هويته الدينية. لفهم معيار الخلاص الأبدي، يجب أن نفهم مفهومي مهمين للغاية موضحين في القرآن.

في سنوات مراهقتي المبكرة، عُلِّمت أنه وفقاً لمختلف الأديان، كان البشر يفتقرون إلى مفهوم الإله والأخلاق، وأن الكتب الدينية هي التي أدخلت هذه المفاهيم إلى البشرية. وخلافاً لهذه الفكرة، يؤكد القرآن أن الوعي الأساسي بالله والحس الأساسي بالصواب والخطأ هما أمران فطريان في الطبيعة البشرية. هذا المعرفة الفطرية بالله والأخلاق تشكل الأساس الذي سنحاسب عليه جميعاً، بغض النظر عن الدين أو الثقافة التي ولدنا فيها.

الوعي بالله موجود في داخلنا

يؤكد القرآن الكريم أن جميع البشر يمتلكون فهماً فطرياً لخلقهم بواسطة قوة عليا. وتحديداً، تعلن الآية ١٧٢ من سورة الأعراف أن جميع البشر يعرفون الله بالفطرة. يصف القرآن شهادة أكدتها جميع الأرواح فيما يتعلق بخلقها قبل دخول هذا العالم. هذا الوعي الفطري بكوننا مخلوقين بواسطة قوة عظيمة يهيئنا للإيمان بالله.

هذا يبدو منطقياً لأنه، كما ناقشنا من قبل، آمنت جميع الثقافات

البشرية تقريباً، مع استثناءات نادرة جداً، بوجود إله أو آلهة. علاوة على ذلك، تشير دراسات عديدة إلى أن البشر يمتلكون ميلاً قوياً نحو الإيمان بكيان قوي. ومن بين العديد من الدراسات التي تدعم هذه الفرضية، أود أن أسلط الضوء على واحدة من أحدث الدراسات، شارك فيها ٥٧ باحثاً أجروا أكثر من ٤٠ دراسة منفصلة في ٢٠ دولة، تمثل ثقافات متنوعة. خلص هذا البحث إلى أن البشر يبدون مهئين للإيمان بوجود إله أو آلهة وحياة أخرى. ومن نتائج الدراسة أن الأطفال دون سن الخامسة يميلون بشكل خاص للإيمان بكيان أسمى كلي العلم. يقول المدير المشارك للمشروع البروفيسور روجر تريج، من مركز إيان رامزي بجامعة أكسفورد:

"يشير هذا المشروع إلى أن الدين ليس مجرد شيء يفعله قلة غريبة الأطوار في أيام الآحاد بدلاً من لعب الجولف. لقد جمعنا مجموعة من الأدلة التي تشير إلى أن الدين حقيقة مشتركة للطبيعة البشرية عبر المجتمعات المختلفة. وهذا يشير إلى أن محاولات قمع الدين من المرجح أن تكون قصيرة الأجل لأن الفكر البشري يبدو متجذراً في المفاهيم الدينية، مثل وجود قوى خارقة للطبيعة أو آلهة، وإمكانية وجود حياة بعد الموت أو ما قبل الحياة."^٢

^٢ "البشر 'مهيؤون' للإيمان بالآلهة والحياة الآخرة"، ساينس ديلي، تم الدخول
— اكتشافي لله وللإسلام ويوم القيامة 259 —

لذا، حتى لو أصبح الكثير منا لا أدريين أو ملحدين لاحقاً في الحياة بعد التعرض لأيديولوجيات وتأثيرات مختلفة من بيئتنا وتجاربنا، يبدو أننا في سنواتنا الأولى مهيوون فطرياً للإيمان بقوة عليا. يبدو الأمر كما لو أننا ولدنا بحس فطري بوجود الله، تماماً كما يعلن القرآن. حتى في عالم اليوم، حيث يكتسب الإلحاد أرضية، يستمر معظم الناس في الإيمان بشكل من أشكال الإله أو الآلهة أو القوة العليا. وهذا يدل على أن شيئاً ما في طبيعتنا يميل بنا نحو مثل هذه المعتقدات.

الوعي بالصواب والخطأ موجود في داخلنا

ينص القرآن على أنه بعيداً عن الحس الفطري بكوننا مخلوقين بواسطة قوة عليا، فإن البشر مزودون أيضاً بحس بالصواب والخطأ.^٣ هذه الآية الواحدة أجابت على سؤال قديم بالنسبة لي: لماذا يوجد أشخاص صالحون أخلاقياً لا يؤمنون بأي دين أو كتاب مقدس؟ يبدو أن القرآن يقدم مرة أخرى منظوراً يتردد صدها. يمتلك جميع

إليه في ١١ أبريل ٢٠٢٤،

<https://www.sciencedaily.com/releases/2011/07/110714103828.htm>

٣ الشمس ٩١: ٨.

البشر العقلانيين حساً بالصواب والخطأ، إلى جانب فهم عام لما يعتبر جيداً وسيئاً. على سبيل المثال، عبر التاريخ، أدرك البشر أن الظلم والاضطهاد ضاران، بينما الصدق والأمانة فضائل. تاريخياً، حتى عندما انخرط الأفراد في أعمال قمعية، فقد حاولوا تبرير أفعالهم من أجل خير أسمى متصور. على سبيل المثال، برر العديد من الفاتحين حملاتهم العسكرية الوحشية بالهدف النبيل المتمثل في تحقيق السلام العالمي. وبالمثل، انخرطت ثقافات مختلفة في الممارسة المروعة المتمثلة في التضحية بالبشر، مبررة ذلك بالنية النبيلة المتمثلة في استرضاء آلهتهم لضمان حصاد وفير لقبيلتهم. وبينما قد تختلف تعريفاتنا للصواب والخطأ عبر الثقافات وتتطور بمرور الوقت، وظهور حالات أدى فيها تلف الدماغ إلى تغيير الإدراك الأخلاقي للفرد، تظل الحقيقة الأساسية هي: أننا جميعاً نحتفظ بآلية فطرية تميز الصواب من الخطأ، وتفهم عموماً ما هو جيد وما هو سيئ.

حتى معظم المجرمين والمرضى النفسيين عادة ما يحتفظون بحس سليم بالصواب والخطأ. إنهم يدركون أن الظلم والاضطهاد وإلحاق الضرر غير القانوني بحياة شخص ما أو كرامته أو ممتلكاته هي أمور خاطئة. إنهم يستوعبون هذا الفهم لأنه، على الرغم من أنهم قد يرتكبون جرائم ضد الآخرين، إلا أنهم هم أنفسهم لا يرغبون في تحمل مثل هذا الضرر. هذا المعيار العالمي للتمييز بين الصواب والخطأ واضح في داخلنا لدرجة أن كل واحد منا سيحدد بسهولة الأفعال الخاطئة إذا فُعلت بنا. يضع

الكتاب المقدس هذا المعيار بوضوح شديد في آية ورد أن عيسى حذر فيها من الآلية العالمية التي سيتم من خلالها إقامة العدل في يوم الحساب: "لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم."^٤

قبل أن نناقش الآية المتعلقة بمعايير الحكم العالمية، يجب علينا تحليل خمسة مبادئ مهمة للغاية تحكم المحاسبة الإلهية في يوم الحساب.

بعض المبادئ التي تحكم المحاسبة الإلهية

١- الاختبارات ليست متساوية للجميع

لفترة طويلة، ساورني سؤال لم أجد له إجابة: إذا كان هناك إله سيحاسب البشرية، فهل سيحاسب الفرد المتعلم والثري الذي يمتلك وقت فراغ كافٍ بنفس الطريقة التي يُحاسب بها عامل فقير يقضي كل وقته تقريباً في كسب العيش، مع ندرة الوقت للتفكير في الأسئلة الوجودية؟ وبالمثل، كيف تقارن المحاسبة بين شخص نشأ في بيئة سليمة أخلاقياً وآخر نشأ في ظروف محرومة؟ وفقاً للقرآن ١٦٥:٦، لا يتم الحكم على الناس بالتساوي. سيواجه كل شخص الحساب بناءً على ما مُنح في حياته الدنيا، مما يعني أن التقييم سيأخذ في الاعتبار قدراتهم

^٤ متى ٧: ٢.

وعقولهم وظروفهم.

٢- سيتم تنفيذ العدالة المطلقة، ولن يُظلم أحد، ولو في أدنى شيء مبدأً آخر مهم للغاية موضح في القرآن هو أنه في يوم الحساب، لن يُظلم أحد، ولا حتى قليلاً^٥. سيتم تنفيذ مثل هذه العدالة الكاملة لدرجة أن الجميع، بما في ذلك المحكوم عليهم بالعقاب، سيعترفون بكمالها^٦.

٣- لن تحصل إلا على ما تريد وتبذل جهداً من أجله

يوضح القرآن أن:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾^٧

تؤكد الآيات القرآنية ١٨: ١٧-١٩ أيضاً أن أولئك الذين يعطون الأولوية للحياة الدنيا على الآخرة سينالون جزاءهم كاملاً في هذا العالم بناءً على قدراتهم وجهودهم. ومع ذلك، لن يكون لهم نصيب في الآخرة. في المقابل، فإن أولئك الذين يسعون للنجاح في الآخرة سينالون رزقهم

^٥ الأنبياء: ٢١: ٤٧.

^٦ الزمر ٣٩: ٧٥ - انظر ملاحظة مصطفى خطاب على الآية في ترجمته.

^٧ النجم ٥٣: ٣٩-٤١.

المقدر في هذا العالم، لكن مكافأته الكاملة ستُمنح في الآخرة. وبشكل أساسي، يعلم القرآن أنه في حين أنه من المقبول لمن يسعون للحصول على نعم الله في الآخرة أن يسعوا لحياة أفضل في هذا العالم، إلا أن ذلك لا ينبغي أن يكون على حساب الآخرة. في الأساس، يقول إله القرآن إن كل شخص سيحصل بالضبط على ما سعى إليه. وهذا منطقي.

٢- صفائر الذنوب سوف تُغفر

مبدأ آخر مهم للغاية في المحاسبة هو أنه إذا تجنب الشخص الكبائر والجرائم الكبرى، فسيتم غفران الصفائر. وهذا مذكور في القرآن.^٨ إذا تجنب الكبائر مما نُهيته عنه - حينها أنا (الله) سأغفر لك بالتأكيد صفائر ذنوبك وأدخلك مدخلاً كريماً (الجنة).

٥- الأهمية القصوى للعمل بناءً على ما يعتقد الشخص

بصدق أنه الحق - حتى لو كان اعتقاداً خاطئاً

يريد إله القرآن من الناس أن يعملوا بصدق بناءً على ما يعتقدون بصدق أنه الحق، حتى لو كانوا مخطئين في معتقداتهم. فالإخلاص في كل من المعتقد والعمل له أهمية قصوى عند الله.

^٨ النساء ٤: ٣١.

هذا المبدأ يتضح في القرآن ٢: ١٨٧. دعني أشرح بإيجاز. في هذه الآية، يعلق القرآن على عدد قليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين اعتقدوا خطأ أن الله قد حرم الجماع بين الزوجين طوال شهر رمضان، حتى خلال الليل بعد الإفطار. ورغم هذا الاعتقاد، اختار هؤلاء الصحابة ممارسة الجماع مع زوجاتهم ليلاً بعد إفطارهم. يوضح القرآن أن هؤلاء الصحابة كانوا مخطئين في تمسكهم بمثل هذا الاعتقاد، وأن الزوج والزوجة مسموح لهما بالجماع خلال ليالي رمضان بعد إفطارهم. ومع ذلك، يخبر الله أيضاً أولئك الصحابة الذين أضمروا المعتقد الفاسد أنهم كانوا يرتكبون عملاً خاطئاً بممارسة الجماع مع زوجاتهم، رغم اعتقادهم الصادق، وإن كان خاطئاً، بأن الله قد حرمه. المبدأ هو أنك إذا كنت تعتقد بصدق أن الله قد حرم شيئاً ما، فلا ينبغي لك فعله، حتى لو كنت مخطئاً في ذلك الاعتقاد. إليك الترجمة الحرفية للآية:

"أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود

الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون.^٩
يعلق مولانا المودودي على هذه الآية في تفسيره "تفهم القرآن":
"على الرغم من عدم وجود حكم قطعي في الأيام الأولى يحرم الجماع
بين الزوج والزوجة خلال ليالي رمضان، إلا أن الناس افترضوا عموماً
أن هذا لم يكن مسموحاً به. ورغم الشعور بأن عملهم إما غير مسموح
به أو كان على الأقل مستهجنًا، إلا أنهم كانوا يقتربون أحياناً من زوجاتهم.
إن مثل هذه الخيانة للضمير يمكن أن تشجع على النزعة الآثمة. ولذلك،
عاتبهم الله أولاً على افتقارهم للنزاهة، فهذا هو ما كان يعترض عليه.
أما بالنسبة للفعل نفسه، فقد أوضح الله أنه مباح تماماً. ومنذ ذلك
الحين فصاعداً، يمكنهم ممارسة الجماع كعمل مشروع تماماً غير مثقل
بمشاعر الذنب."^{١٠}

تُظهر الواقعة المذكورة أعلاه بوضوح أن القرآن يشجع الناس على
العمل بناءً على ما يعتقدون بصدق أنه الحق الإلهي، حتى لو كانوا مخطئين
في معتقداتهم. ومع ذلك، من المهم تذكر أن القرآن يتوقع أيضاً من
الأفراد أن يكونوا دائماً منفتحين ومنتهيين للنقاشات حول الله والدين
التي تبدو منطقية، وأن يحكموا في هذه الأمور بناءً على استحقاقها،

^٩ البقرة ٢: ١٨٧.

^{١٠} ١٤٥ / ١.

مع تنحية جميع التحيزات جانباً عند فحص المعلومات المتعلقة بالله والدين. يجب أن نضع في اعتبارنا أيضاً أنه في يوم القيامة، سيتم غفران الأخطاء الحقيقية والصادقة، لكن الإهمال المتعمد والفشل في قبول الحق لأسباب خاطئة لن يتم التسامح معه.

المعيار العالمي للمساءلة الإلهية

الآن وقد ناقشنا بعض الأفكار التمهيدية، دعونا نتقل إلى الآية التي يشرح فيها القرآن المبادئ الثلاثة الرئيسية للمساءلة الإلهية التي سيتم سنّها في يوم القيامة. تنص سورة القرآن ٢: ٦٢ على:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مِنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وفقاً لهذه الآية، يجب على جميع البشر الاستجابة للتوجيه المغروس بداخلهم والقيام بما يلي، بغض النظر عن الدين الذي ولدوا فيه أو يحددون هويتهم به:

- ١- يجب على جميع البشر الاستجابة لوعيمهم الداخلي بوجود الله والسعي للعيش في اعتراف بكونهم مخلوقين من قبل قوة عليا.
- ٢- يجب على جميع البشر أن يتفكروا بجدية في احتمالات كونهم مسؤولين أمام قوة عليا. أساساً، يجب أن يصبح الله والمساءلة الإلهية

من الاهتمامات الهامة للجميع. يجب بذل جهود صادقة للعيش مع
وعي دائم بالله واحتمالات المسألة الإلهية.

٣- يجب على البشر استخدام شعورهم بالصواب والخطأ بمنتهى
الصدق، والتعبير والعمل بناءً على ما يدركونه بصدق أنه خير وصواب،
مع تجنب ما يدركونه بصدق أنه شر وخطأ.
أين يقع الإسلام في هذه الصورة؟ لفهم هذا، يجب أن نستوعب
بعض المفاهيم الأساسية.

ما هو الإسلام؟

كما ناقشنا سابقاً، فإن المعرفة الأساسية بالله، وكذلك مفاهيم
الصواب والخطأ، مغروسة داخل البشر. بالإضافة إلى ذلك، اتصل الله
مباشرة بالبشر الأوائل وأبلغهم بتفاصيل هذه المعرفة الداخلية. تتضمن
هذه التفاصيل شروحاً لمن هو خالقنا، وماذا يريد الخالق منا، وما نحتاج
لفعله في الحياة لتحقيق غرضنا.^{١١} عندما أفسد البشر هذا التوجيه
بمرور الوقت، أرسل الله الأنبياء والرسل لتصحيح هذه التفسيدات
وقدم الكتب المقدسة حتى يكون للناس معيار يحكمون به على ما هو
حق وما هو تحريف للحق.^{١٢}

^{١١} الأعراف ٤: ١١-٢٥، البقرة ٢: ٣١-٣٨.

^{١٢} البقرة ٢: ٢١٣.

هذا التوجيه الإلهي، كما ورد في القرآن^{١٣}، هو نفسه الذي أُعطي للبشر الأوائل، ممتداً عبر نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (عليهم السلام جميعاً). يؤكد القرآن أن هذه الحقيقة الإلهية ظلت ثابتة طوال الوقت. وتعتبر الأديان الأخرى، مثل اليهودية والمسيحية، انقسامات وتحورات للرسالة الواحدة التي نقلها جميع الرسل والأنبياء.^{١٤} الإسلام هو الطريقة الوحيدة المقررة إلهياً للحياة والتي تضمن أقصى نجاح في المسألة الإلهية^{١٥}. كلمة "إسلام" باللغة العربية تعني "الاستسلام"، مما يعني أن "المسلم" هو الشخص الذي يستسلم لله وللحقيقة الإلهية.

رفض الإسلام أو "الحقيقة الإلهية" لأسباب غير مبررة: جريمة مهلكة

هناك جرائم معينة كبيرة تهدد نجاة الشخص في يوم القيامة، حتى لو عاش ذلك الشخص حياته في الغالب وفقاً للمعايير المذكورة في القرآن ٢: ٦٢. افترض أن شخصاً كان يعيش حياته وفقاً للمعايير المشروحة

^{١٣} الشورى ٤٢: ١٣.

^{١٤} الشورى ٤٢: ١٤، الأنعام ٦: ١٥٩.

^{١٥} آل عمران ٣: ١٩.

في ٢: ٦٢، فقد عاش هذا الفرد معترفاً بالخلق من قبل قوة عليا وخشي أن يكون مسؤولاً أمام تلك السلطة بينما كان يتبع بصدق البوصلة الأخلاقية بداخله. ومع ذلك، انتهى به الأمر إلى قتل شخص بريء بشكل غير قانوني. وفقاً للقرآن، فإن مثل هذه الجرائم لديها القدرة على إبطال كل قيمة معتقداته وأفعاله، مما يؤدي إلى الهلاك الأبدي في يوم القيامة^{١٦}. تماماً مثل القتل وغيره من الجرائم الشديدة، فإن رفض التوجيه الإلهي المرسل عبر "رسول" لأسباب غير مبررة، أو إظهار إهمال إجرامي تجاهه، هو جريمة خطيرة مماثلة. إنها تهدد النجاة في يوم القيامة رغم عيش حياة أخلاقية بخلاف ذلك، لأنها تشبه التمرد على الله.

بما أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو المصدر النهائي للتوجيه من الإله، فسيتم سؤال الجميع عن استجابتهم لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم بمجرد وصولها إليهم. هل التفتوا إليها؟ إذا لم يكن كذلك، فلماذا؟ هل استمعوا ورفضوها؟ إذا كان الأمر كذلك، فلماذا؟ هل استمعوا وقبلوها؟ إذا كان الأمر كذلك، فلماذا؟ هذه هي الأسئلة المتوقعة بشأن التوجيه الإلهي كما هو موضح في القرآن. مرة أخرى، تذكير - سيتم استجواب كل فرد بناءً على قدراته وظروفه.

^{١٦} النساء: ٩٣.

سيتم غفران الأخطاء الحقيقية، وسيُعاقب فقط أولئك الذين يرفضون رسالة الله لأسباب غير مبررة. على سبيل المثال، إذا أدركت أن شيئاً ما قد يكون حقاً من عند الله ورفضته لأنه يتعارض مع "كبريائي"، أو رغباتي، أو تحيزاتي، أو اهتماماتي، أو اهتمامات قبيلتي أو أمتي، فإن ذلك يُحسب. ربما كان لدي وقت الفراغ والذكاء، ومع ذلك كنت ببساطة مهملاً تجاه رسالة الله على الرغم من أنها وصلتني من مصادر مختلفة بطرق أثارت تساؤلات في ذهني كانت بحاجة إلى إجابات. ومع ذلك، كنت مشتتاً جداً بالعالم لدرجة أنني لم أبذل أي جهد لحل هذه الشكوك. إذا كان الأمر كذلك، فقد يُنظر إليه بالفعل على أنه تمرد ضد الله، ويبدو من العدل أن يكون لمثل هذا السلوك عواقب سلبية إذا وجد حقاً إله سيحاسب الجميع.

الأخطاء الحقيقية لن تُعاقب

كما ناقشنا سابقاً، إذا ارتكب شخص ما خطأ حقيقياً وصادقاً فيما يتعلق بالحقيقة الإلهية، فسيتم مسامحته. على سبيل المثال، في العالم الإسلامي، أصبح الإسلام معقداً للغاية مع وجود العديد من الانقسامات الأيديولوجية. ماذا لو لم يواجه شخص ما الحقيقة الإلهية بل نسخة مشوهة لا تبدو سليمة أخلاقياً أو عقلاً إنسانياً؟ أو إذا كان شخص ما يفتقر ببساطة إلى الوقت لاستكشاف أيديولوجيات مختلفة بينما

يكافح من أجل البقاء الأساسي؟ سيعتبر هؤلاء الأفراد قد ارتكبوا خطأً حقيقياً وسيتم غفران عدم قبولهم للقرآن كحقيقة إلهية أو الإسلام كطريقة حياة مقرة إلهياً. سيتم الحكم عليهم بناءً على المعايير في القرآن ٢: ٦٢، والتي تأخذ في الاعتبار وعيهم بالله، وفهمهم للصواب والخطأ كما هو متأصل فيهم، وكيف عاشوا حياتهم وفقاً لهذه المعرفة الأساسية.

وفقاً لشعورنا الداخلي بالصواب والخطأ، الممنوح من الله، فإن معاقبة خطأ حقيقي هو أمر غير عادل. على سبيل المثال، إذا ثبت أن الشخص "أ" قتل الشخص "ب" بسبب خطأ حقيقي، فلا ينبغي معاقبة الشخص "أ" على القتل، أو على الأقل، يجب أن تكون العقوبة أقل شدة بكثير من تلك المفروضة عادة على القتل. يدعم القرآن هذه الفكرة، موضحاً أن الأخطاء الحقيقية لا تُعامل مثل الجرائم المتعمدة. على سبيل المثال، يعلن الله في القرآن أنه يعاقب الأفراد فقط عندما يظلمون أنفسهم أو يرتكبون مخالفة عن علم. لمزيد من التفاصيل حول كيف يغفر الله الأخطاء الحقيقية ولا يوقع العقوبة إلا على رفض رسالته لأسباب غير مبررة، يرجى الرجوع إلى القسم الذي ناقشنا فيه "أسباب غير مبررة لرفض الرسل".

شرح الآية ٣: ٨٥ من القرآن

غالباً ما يتم تقديم هذه الآية كدليل من القرآن، مما يشير إلى أن

أولئك الذين يحددون هويتهم كمسلمين فقط هم من سيدخلون الجنة، ولا أحد غيرهم. ومع ذلك، يبدو أن هذا الاعتقاد يتناقض تمامًا مع معايير النجاة العالمية المشروحة بالتفصيل في القرآن، كما ناقشنا سابقًا.

عند فهمها في سياقها الصحيح، لا تقترح الآية القرآنية ٣:٨٥ أن أولئك الذين يحددون هويتهم كمسلمين فقط سيدخلون الجنة. في الواقع، تبلغ الآية أنه إذا أصبح شخص ما على علم بأن الإسلام هو طريقة الحياة المقرة إلهيًا، لكنه اختار طريقًا آخر رغم هذه المعرفة، فإن هذا الاختيار لن يقبله الله. السياق هنا مهم: فهو يخاطب أولئك الذين أدركوا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو حقًا رسول من الله وأن الإسلام هو طريقة الحياة المفروضة إلهيًا، ومع ذلك فقد تخلوا عن الإسلام لأسباب تعتبر، وفقًا لإله القرآن، غير مبررة. لننظر في الآيات:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ۚ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^{١٧}

ومن ثم، عند رؤيتها في السياق، تقترح الآية أنه إذا أصبح شخص ما على دراية بأن الإسلام هو بالفعل الحقيقة الإلهية ولكن، رغم معرفة ذلك، اختار طريقة أخرى للحياة، فلن يتم قبول ذلك في يوم القيامة.

^{١٧} آل عمران ٣: ٨٥-٨٦.

وهذا منطقي. فأنت تعرف أن طريقة حياة هي من عند الله ومع ذلك ترفضها لصالح أخرى هو بمثابة تمرد على الله. إذا كان هناك حقاً إله، فمن المبرر أن يتم معاقبة مثل هذا العمل من قبله.

ثم قد يتساءل المرء: إذا كان بإمكان الناس نيل النجاة دون معرفة الحقيقة الإلهية التي جاء بها الرسل، فلماذا نكلف أنفسنا عناء إخبارهم؟

الحقيقة الإلهية التي سلمها الرسل: اختبار للبشرية

وفقاً للقرآن، فإن الغرض الأساسي من وجودنا في الدنيا هو اختبار الأفراد في كل جانب، مما يكشف بشكل قاطع عن مكانتهم الأخلاقية. إن استجابتنا للتوجيه الإلهي المقدم من خلال رسل الله تعمل كآلية لتقييم جوهرنا الأخلاقي. بالنسبة لأولئك الذين يقبلون الحقائق الإلهية التي سلمها هؤلاء الرسل، فإن جزءاً من اختبارهم يتضمن النزاهة والإخلاص اللذين يسعون بهما لفهم هذه الحقائق وتطبيقها ونشرها. أولئك الذين نُقلت إليهم هذه الحقيقة الإلهية يواجهون فحصاً أخلاقياً في مدى صدق رد فعلهم تجاهها. لذلك، يتم اختبار كل من الناقل والمتلقي للحقيقة الإلهية أخلاقياً من خلال هذه العملية.^{١٨}

^{١٨} للتفاصيل انظر القرآن ٣: ١٧٩، مسلم، رقم ٥١١٣ كما اقتبس جاويد غامدي في "(٨٦) رد على ٢٣ سؤالاً - إتمام الحجة - جاويد أحمد غامدي - يوتيوب"،
— اكتشافنا لله وللإسلام ويوم القيامة 274 —

ملخص المعايير القرآنية للنجاة في يوم القيامة

يقدم نموذج الدينونة الكامل كما هو موضح في القرآن رسالة عالمية حقاً تتجاوز جميع الهويات الدينية المرتبطة بهذا العالم. في يوم القيامة، سيتم محاسبة الجميع بشكل فردي من قبل الله بناءً على نوع الحياة التي عاشوها. النجاح في هذه المسألة سيضمن مسكناً دائماً في الجنة، بينما سيؤدي الفشل إلى العقاب. كل إنسان، بغض النظر عن البلد أو الثقافة التي ولد فيها أو الدين الذي نشأ عليه، سيتم الحكم عليه بناءً على المعايير التالية: نظراً لقدراتهم وظروفهم، إلى أي مدى رعى الشخص وعيه الفطري بقوة عليا، ومدى صدقه وأمانته في استخدام شعوره بالصواب والخطأ. علاوة على ذلك، سيتم سؤال الجميع أيضاً عن استجاباتهم للحقيقة الإلهية التي سلمها محمد صلى الله عليه وسلم إذا وصلت إليهم. سيتم غفران الأخطاء الحقيقية والصادقة. كما سيتم غفران صغائر الذنوب. ومع ذلك، سيتم معاقبة الإهمال المتعمد أو السلوك والأفعال الخاطئة وغير المبررة.

البشر ليسوا مجرد مخلوقات جسدية وعاطفية؛ فهم أيضاً كائنات

تم الدخول إليه في ١ مايو ٢٠٢٤،

<https://www.youtube.com/playlist?list=PLvDnnnk>

YLWQeKq8ny1IDf2bgZRTihI28a.

فكرية وأخلاقية. ينص القرآن على أن جميع البشر يخضعون لاختبار - اختبار للأخلاق والقيم والشخصية. كيف تستجيب للتوجيه الذي بداخلك في أمور حياتك اليومية، وكيف تتفاعل مع التوجيه من المصادر الخارجية، هي آليات لإظهار نوع الشخص الأخلاقي الذي أنت عليه بشكل كامل.

ترددت معايير القرآن للمساءلة الإلهية في يوم القيامة بداخلي، ولم أستطع أن أجد أي اعتراضات أخلاقية أو عقلانية عليها. الآن، يطرح السؤال نفسه: ماذا يريد مني إله القرآن أن أفعل لأنجح في هذا الاختبار وأُمنح بركات الجنة؟

أشياء يريد بها الإسلام منا للنجاح في المساءلة الإلهية

الإسلام هو الحقيقة الإلهية التي أرسلها الله عبر الأنبياء والرسل. وهو يوفر خارطة طريق محددة للأفراد لضمان أقصى قدر من النجاح في المساءلة الإلهية يوم القيامة.

١- التزكية: تزكية النفس - الهدف الوحيد لجميع البشر

وفقاً للقرآن، فإن الهدف الأساسي لكل إنسان هو "تزكية" أنفسهم؛ فكلما كنت أكثر تزكية، كنت أكثر نجاحاً في يوم القيامة.^{١٩} القرآن كله

^{١٩} الأعلى ٨٧: ١٤، الشمس ٩١: ٩-١٠.

مليء بالتعليمات التي تطالب الناس بتطهير أنفسهم من جميع أنواع الشوائب الأخلاقية:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^{٢٠}

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^{٢١}

٢- الرهبنة غير مسموح بها؛ يجب أن ننخرط في آلية الاختبار في العالم

عندما نفكر في شخص متدين مثالي، قد يتصور الكثير منا الرهبنة أو حياة الرهبان - حياة تتميز بالتخلي عن المساعي الدنيوية لتكريس المرء نفسه بالكامل لأعمال وطقوس العبادة في عزلة. ولكن هل يدعو القرآن إلى طريقة العيش هذه؟ لا! في الآية ٥٧: ٢٧، يتناول القرآن ممارسات الرهبان المسيحيين، حيث يذكر القدير:

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ

فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

فُسِّقُونَ﴾^{٢٢}

وفقاً للقرآن، فإن هذه الحياة الدنيا هي اختبار وضعه الله لاختبار

^{٢٠} الأعلى ٨٧: ١٤.

^{٢١} الشمس ٩١: ٩-١٠.

^{٢٢} الحديد ٥٧: ٢٧.

الأفراد للجنة، وهي عالم أبدي مثالي لأولئك الصالحين والأخيار أخلاقياً. في هذا الاختبار الدنيوي، يرغب إله القرآن من البشر أن يندمجوا تماماً في حياتهم ليثبتوا بشكل قاطع أين يقف كل منهم أخلاقياً. وهذا هو السبب في أن القرآن يقدم تعليمات أخلاقية مفصلة تتعلق بجميع جوانب الحياة. على سبيل المثال، يقدم القرآن إرشادات أخلاقية حول أن تكون ابناً أو ابنة صالحة، زوجاً، رجل أعمال، جاراً، حاكماً، قاضياً، محارباً، وأكثر من ذلك.

إن تحريم الرهبانية أمر منطقي لأنه إذا كان هذا العالم اختباراً وإله القرآن يريدنا أن نخوض هذا الاختبار، فإن الرهبانية تشبه رفض خوض الاختبار عن طريق الخروج من قاعة الامتحان.

عندما يتعلق الأمر بمفهوم كون هذا العالم اختباراً، فهناك اعتراضان شائعان جداً يجب معالجتهما قبل المضي قدماً.

الإجابة على الاعتراضات الشائعة

١- إذا كان الله يعلم كل شيء - فلماذا يختبر الناس؟

هذا سؤال شائع نحتاج إلى معالجته بإيجاز هنا.

أولاً، كلمة تحذير: إن طبيعة الوقت، والطبيعة الدقيقة لله، والديناميكيات الدقيقة لكيفية معرفة الله للمستقبل ومع ذلك لا يتحكم فيه - مثل هذه الأمور ليست مفهومة تماماً لنا في هذا الوقت. يحذر

القرآن من محاولة فهم الطبيعة الدقيقة للأشياء التي تتجاوز ملاحظتنا واستيعابنا الكامل في هذه الحياة. وتحديدًا، تنص الآية ٣: ٧ من القرآن على:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^{٢٣}

لذا، مع وضع التعليمات المذكورة أعلاه في الاعتبار، فمن الواضح أن الناس يختبرون في هذا العالم ليس لكي يحدد الله مكانتهم الأخلاقية، بل ليفهم الأفراد أخلاقهم بأنفسهم قبل صدور الحكم عليهم. وفقاً للقرآن، لا يحكم الله بناءً على علمه بالمستقبل. بدلاً من ذلك، يتم إصدار الحكم بناءً على أفعال الفرد وأعماله.^{٢٤}

إنه أمر منطقي أخلاقياً لأنه إذا أصدر الله حكماً بناءً على علمه فقط دون إعطاء الجميع فرصة لإثبات أفعالهم، فإن أي شخص من مخلوقات الله الواعية والمدركة، والمزودة بحس العدالة والأخلاق، يمكنه بحق إثارة هذا الاعتراض في يوم القيامة - بأنهم لم يُمنحوا حتى

^{٢٣} آل عمران ٣: ٧.

^{٢٤} الملوك ٦٧: ٢.

فرصة لإثبات أنفسهم. وبالفعل، تقتضي العدالة أن يُمنح الشخص فرصة لإظهار قدراته قبل إصدار الحكم عليه.

٢- هل كان بإمكان الله تحقيق أهدافه دون اختبار الأفراد؟

هل كان بإمكان الله أن يحقق هدفه في اختيار الأفراد لجنته دون توظيف آلية اختبار؟ على سبيل المثال، كان بإمكان الله ببساطة أن يخلق أولئك الذين سيدخلون الجنة ويغرس فيهم المعرفة بكيفية وصولهم إلى الجنة دون بدء هذا المخطط الواسع من الاختبار أو تعريض الناس لهذا البلاء. ربما. ومع ذلك، تأمل في المنظور المقدم في القرآن، والذي ينص على أن الله خلق عددًا لا يحصى من الكائنات الواعية ذات الإرادة الحرة - البشر والجن والملائكة وغيرهم ممن لا نعرفهم - وكلهم مزودون بحس الصواب والخطأ، وحس العدالة. ربما كانت هذه هي الطريقة الأمثل لاختيار سكان الجنة مع الحفاظ على جميع جوانب العدالة، وضمان رضا جميع الكائنات الواعية ذات الإرادة الحرة أخلاقياً عن العدل الذي طبقه الله. يؤكد القرآن أنه في يوم القيامة، سيشهد الجميع على كمال العدل الذي نفذته الله.^{٢٥}

^{٢٥} الزمر ٣٩: ٧٥.

كيف تحقق التزكية أو تزكية النفس؟

دعونا نمضي قدماً ونناقش ما يريده إله القرآن مني تحديداً أن أفعله لتزكية النفس، أو التزكية، في هذا العالم لتحقيق أقصى قدر من النجاح في يوم القيامة.

القرآن بأكمله مليء بالتعليمات الأخلاقية، وربما يكون هذا هو أسهل جزء في فهم القرآن. سأحاول تلخيص خارطة طريق القرآن حول كيفية تطهير المرء لنفسه والمجالات التي يتوقع من المرء أن يبذل جهوداً فيها لهذا التطهير.

ببساطة شديدة، الهدف الأسمى للقرآن هو تشجيع البشر على تطهير أنفسهم أخلاقياً في مجالين رئيسيين: علاقتهم مع الله وعلاقتهم مع بعضهم البعض.

سعيًا للتطهير الأخلاقي في علاقتنا مع الله ومع الآخرين، يأمرنا القرآن بالالتزام بإرشادات محددة فيما يتعلق بنظافة البدن ونظافة الطعام الذي نستهلكه. هذا أمر منطقي. في الواقع، من البديهي أن نظافتنا البدنية العامة وأنواع الطعام الذي نأكله تؤثر بعمق على حالتنا النفسية.

لذا، في ضوء نقاشنا حتى الآن، يمكن تقسيم خارطة طريق القرآن لتزكية النفس إلى أربع فئات رئيسية:

١- طهارة البدن.

٢- طهارة الطعام.

٣- تطهير مفهوم المرء عن الله وعلاقته به.

٤- تطهير كيان المرء الأخلاقي، خاصة في سياق تفاعله مع البشر الآخرين.

كلما بذل المرء جهداً أكبر في الفئات المذكورة أعلاه، زاد نجاحه في يوم القيامة. مبدأ القرآن هو أن كل شخص لن يحصل إلا على ما بذل فيه جهداً:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾^{٢٦}

دعونا نناقش هذه النقاط الأربع بإيجاز.

١- طهارة البدن

يساهم الجسم النظيف في عقل نظيف، وتعمل طقوس تنظيف الجسم كتذكير بضرورة تطهير العقل والروح أيضاً.

يؤكد القرآن على أهمية الحفاظ على النظافة البدنية، ويأمر الأتباع بأداء التنظيف الطقسي قبل كل صلاة. وينص في آيات مختلفة، بما في ذلك القرآن ٢: ٢٢٢ و ٩: ١٠٨، على أن الله يريد من الناس التأكد باستمرار من نظافتهم. بالإضافة إلى ذلك، يتطلب القرآن من الأتباع الاغتسال

^{٢٦} النجم ٥٣: ٣٩-٤١.

والتطهر التام بعد التعرض للنجاسات، مثل سوائل الجسم أو الدم الناتج عن الجماع أو الحيض^{٢٧}. كما سنَّ محمد صلى الله عليه وسلم ممارسات تنظيف إضافية كجزء من تقاليد الأنبياء، أو السنة. وتشمل هذه الممارسات ختان المواليد الذكور، وإزالة شعر العانة والإبط، وتقليم شعر الشارب، وغيرها.

تحظى نظافة البدن ونظافة المحيط بأهمية كبيرة لدرجة أن محمدًا صلى الله عليه وسلم أعلن بوضوح شديد:
"الطهور شرط الإيمان."^{٢٨}

٢- طهارة الطعام

ما نأكله لا يؤثر علينا جسدياً فحسب، بل يؤثر أيضاً نفسياً وعاطفياً وروحياً. على سبيل المثال، حتى وقت قريب، كان يُطلب من مشاة البحرية الأمريكية شرب دم الكوبرا أثناء تدريبهم لإثارة مشاعر العدوانية والشراسة.

يبدو أن القرآن يثق في الطبيعة البشرية الموهوبة إلهياً ولا يقدم قائمة مفصلة بأطعمة محددة. بدلاً من ذلك، ينص على مبدأ عام مفاده

^{٢٧} المائدة ٥: ٦.

^{٢٨} مسلم، رقم ٤٣٢.

أنه يجب على أتباعه استهلاك العواشب فقط والامتناع عن أكل آكلات اللحوم^{٢٩}. يهدف هذا التوجيه إلى دفع المزاج البشري نحو الإحسان، حيث يتم صيد العواشب دون جهود عدوانية، واستهلاك لحومها لا يثير ميولاً شرسة أو وحشية في نفسية المرء وعقله.

قتل الحيوانات محرم في الإسلام إلا للدفاع عن النفس أو للطعام. إن السماح بإزهاق حياة حيوان من أجل القوت هو جانب مهم من جوانب الإسلام، يهدف إلى إثارة مشاعر الامتنان الشديد بين البشر. يلتزم المسلمون بترديد "التكبير" قبل ذبح حيوان للطعام. يتكون هذا الدعاء من بضع جمل تشكر الله على السماح بفعل إزهاق حياة حيوان، وبالتالي منح البشر الترف المطبخي والغذائي للحوم.

ملحوظة: إذا كان لديك سؤال عالق حول سبب سماح الله بقتل الحيوانات من أجل الطعام أو الأضحية، فقد تناولت هذا السؤال بالتفصيل في قسم الأسئلة والأجوبة من الكتاب. دعونا نواصل.

أي حيوان بري لاهم يصطاد للطعام محرم في الإسلام، كما هو مذكور في القرآن^{٣٠}. هذا هو السبب في أن لحم الخنزير محرم تحديداً

^{٢٩} المائدة ٥: ١.

^{٣٠} المائدة ٥: ١.

بالاسم في القرآن، وكذلك في الكتب السماوية القديمة. لطالما كان الخنزير مصدرًا للارتباك؛ فهو حيوان قارت، أي أنه يستهلك النباتات واللحوم معًا، وهو حيوان ذو حوافر مثل العواشب، ومع ذلك فهو يصطاد ويأكل مثل آكلات اللحوم. وبناءً على ذلك، يعتبر الخنزير من آكلات اللحوم في القرآن وتمت تسميته تحديدًا كمحرم أكله.

من ناحية أخرى، فإن جميع الحيوانات التي يتم صيدها من البحر مباحة^{٣١}، دون تمييز بين آكلات اللحوم أو العواشب. هذا الإذن يرجع أساسًا إلى أنه، على عكس عملية صيد آكلات اللحوم على الأرض، لا يبذل البشر عادةً أي جهود عدوانية وشرسة للحصول على معظم الحيوانات البحرية - فهي عملية سلبية نسبيًا. لهذا السبب، يسمح القرآن بصيد الأسماك حتى للشخص الذي يرتدي الإحرام وفي رحلة الحج إلى مكة، بينما يحرم الصيد في البر أثناء رحلة الحج.

يأمر القرآن بعدم استهلاك أي لحم لم يذكر اسم الله عليه، أو إذا تم ذبح اللحم باسم آلهة باطلة أو أي شخص آخر غير الله. هذا منطقي - إذا كان المرء يهدف إلى الحفاظ على علاقته مع الله على أساس صحيح وتوجيه كل عواطفه ومشاعره فقط نحو إله واحد، فمن المنطقي تجنب مثل هذا اللحم.

^{٣١} المائدة ٥: ٩٦.

الأشياء الأخرى التي يعتبرها القرآن نجسة تشمل الدم والحيوانات التي ماتت لأسباب طبيعية أو حوادث، أو قتلتها حيوانات أخرى.^{٣٢} يأمر القرآن أتباعه بتجنب المواد التي تغير العقل والحفاظ على عقل صاحبه لاتخاذ قرارات سليمة في الحياة. لهذا السبب، يحرم جميع المسكرات. ومن ثم، فإن أي شيء يسبب "نشوة" محرم، ولا يمكن للمرء استهلاك مثل هذه المواد سواء بكميات صغيرة أو كبيرة. وتشمل هذه المواد الكحول، الماريجوانا، الكوكايين، الميث، والهيروين، من بين أمور أخرى.^{٣٣}

٣- تطهير مفهوم المرء عن الله وعلاقته بالله

يمكن تقسيم هذا القسم أكثر إلى ٤ أجزاء:

أ- أخذ الأمور المتعلقة بالله بجدية تامة وإخلاص.

ب- يجب أن يكون مفهوم الله صحيحًا ومطهرًا من جميع أنواع الشوائب المفاهيمية.

ج- يجب توجيه الحب والولاء والتفاني والطاعة بشكل صارم نحو إله واحد، دون شركاء أو وسطاء على الإطلاق.

^{٣٢} البقرة ٢: ١٧٣، المائدة ٥: ١، الانعام ٦: ١٢١، النحل ١٦: ١١٥.

^{٣٣} النساء ٤: ٤٣.

د- العبادة الشعائرية: تعبيرات جسدية عن حب المرء، وولائه،
وتفانيه، وطاعته لله.
دعونا نناقش هذه النقاط بإيجاز.

أ- أخذ الأمور المتعلقة بالله بجدية تامة وإخلاص:

قراءة واحدة للقرآن من قبل شخص عادي تجعل من الواضح تماماً
أن الله يتوقع من البشر أن ينظروا إلى الوجود بمنتهى الجدية وأن يتأملوا
باستمرار في أسئلة الحياة الكبرى. يتوقع القرآن أن يهتم الفرد بصدق
بما يعتبر جديراً بالاهتمام في سياق الله وقيم الأمور بناءً على استحقاقها.
إذا بدت بعض المعلومات عن الله صحيحة، فإن القرآن يتوقع من المرء
أن يستسلم للحقيقة، حتى لو كانت تتعارض مع رغبات المرء الخاصة، أو
تحيزاته، أو أحكامه المسبقة، أو فوائده الدنيوية. يريد إله القرآن من الناس
أن يأخذوا الأمور المتعلقة بالإله بجدية تامة، والأهم من ذلك، بإخلاص.
هذا أمر منطقي. كما أوضحت في بداية الكتاب، من الإهمال الجنائي
عدم بذل جهد جاد واحد على الأقل في الحياة للعثور على إجابات
معقولة للأسئلة الوجودية.

ب- يجب أن يكون مفهوم الله صحيحاً ومطهرًا من جميع

أنواع الشوائب المفاهيمية

يبدل القرآن جهوداً كبيرة للتأكيد على أهمية امتلاك المفهوم الصحيح

لله. هذا منطقي لأن الغرض من الإسلام هو رعاية علاقة المرء مع الله، وللحصول على علاقة مخلصه، يجب على المرء أن يفهم حقاً من يتعامل معه.

سبب آخر يجعل القرآن يذهب إلى أبعد الحدود لتقديم ما يعتبره المفهوم الصحيح لله هو أنه، وفقاً للقرآن، تم تشويه مفهوم الله بشكل كبير من قبل العديد من الأديان في جميع أنحاء العالم، ويهدف القرآن إلى تصحيح هذه التشوهات. دعونا نحلل بإيجاز بعض النقاط الرئيسية التي يوضحها القرآن عن الله في هذا الصدد.

١ - الطبيعة الدقيقة لله

ما هو الله بالضبط؟ ما الذي يشكل الحقيقة النهائية الأساسية الواعية والذكية والقادرة على كل شيء؟ مما يتكون؟ كيف يمكن أن يوجد أزلياً ويكون غير محدود؟ هل هو طاقة؟ هل هو نور؟ لسوء الحظ، يعلن القرآن أننا لا نستطيع استيعاب الطبيعة الدقيقة لله. الإله الموصوف في القرآن موجود وراء المكان والزمان^{٣٤} وهو فريد تماماً لدرجة أنه لا يوجد شيء في الوجود يمكن أن يكون مثلاً أو تشبيهاً لإدراك جوهره الحقيقي (١١: ٤٢ و ١١٢: ٤) - فهو ليس نوراً ولا طاقة بل

^{٣٤} الحديد ٥٧: ٣.

شيء وراء هذه المفاهيم. هذا المنظور من القرآن منطقي. دعوني أشرح. نحن مخلوقات مقيدة بالتفكير ضمن معايير المكان والزمان. لذلك، إذا كانت هناك حقيقة وراء المكان والزمان - سواء كانت الله أو شيئاً آخر - فإنه يترتب على ذلك أنه لا يمكن أن يكون لها تشبيه أو تمثيل يُعبّر عنها تعبيراً دقيقاً. مهما حاولنا بجد، فنحن غير قادرين أساساً على تخيل أو تصور أو فهم الطبيعة الدقيقة وديناميكيات مثل هذه الحقيقة على أي مستوى.

ومع ذلك، لم يُفقد كل أمل. على الرغم من أننا لا نستطيع فهم الطبيعة الدقيقة لله، كما هو موصوف في القرآن، إلا أنه يمكننا بالتأكيد استيعاب هذه الظاهرة اللامتناهية لله على نطاق محدود. الله غير محدود وغير مقيد، ومع ذلك فنحن نشارك بعض الصفات المحدودة مع الإله. من خلال هذه الصفات، يمكننا البدء في فهم طبيعة الله. نتعلم من القرآن وغيره من الكتب السماوية أن الله هو "شخص"، وليس "شيئاً" - كائن واعي ومدرك يشعر بالسعادة والحب، ويظهر الاستياء، ويتواصل، ويمتلك حساً بالصواب والخطأ وكذلك حساً بالعدالة.

الآن، قد يجادل البعض بأننا ننسب صفات بشرية إلى الله. ومع ذلك، من منظور الله، هذه في الواقع صفات إلهية. وفقاً للتعالم الموجودة في القرآن^{٣٥}، عندما يتم نقل الصفات الإلهية مثل الحياة

^{٣٥} الحجر ١٥: ٢٩.

والوعي والذكاء والعواطف والجمال وحس الصواب والخطأ إلى مادة غير حية، فإنها تصبح بشراً وكل أشكال الحياة الأخرى من حولنا. لذا، أي من هذين المنظورين نعتبره صحيحاً؟ هل نحن من ينسب خصائص بشرية إلى الله، أم أننا كبشر نجسد صفات إلهية؟ لسوء الحظ، هذا ليس سؤالاً يمكن إثباته أو نفيه علمياً؛ لذلك، فهو يعتمد أساساً على الاعتقاد. وبالتالي، فإن الجميع أحرار في تحليل الأدلة المتاحة وتكوين استنتاجاتهم الخاصة. أنا أشارك وجهة نظري في هذا الكتاب، وهي أنه بعد مراجعة ما اعتبره دليلاً، خلصت إلى أنه من المنطقي أكثر الاعتقاد بأنها بالفعل صفات إلهية، والتي عندما تُنقل إلى ترتيبات متنوعة من المادة غير الحية، تؤدي إلى الحياة والوعي والذكاء والقدرة على العاطفة ووجودنا الأخلاقي.

الآن، سنناقش بعض المفاهيم المهمة للغاية التي يوضحها القرآن حول وحدانية الله.

ج- الحب، والولاء، والإخلاص، والطاعة يجب أن توجه حصرياً

لإله واحد مع عدم وجود شركاء أو وسطاء على الإطلاق

التأكيد الشديد على وحدانية الله المطلقة: هذا هو الموضوع المركزي للقرآن وشيء يتم التأكيد عليه من جميع الزوايا في كل صفحة أخرى من صفحات القرآن.

ينص القرآن بوضوح وبشغف شديد على أن الله واحد - وهذه الوجدانية يمكن تقسيمها إلى فئتين:

١- الوجدانية المادية لله - الله لم ينشأ من شيء، ولم ينشأ أي شيء من الله: تنص سورة الإخلاص ١١٢: ٣ على أن الله لم يلد ولم يولد، مما يعني أنه من الخطأ الاعتقاد بأن الله جاء من شيء ما، أو أن الله يتحول إلى شيء مادي. هذا التأكيد يدحض مفاهيم مختلفة، على سبيل المثال:

أ- الاعتقاد المسيحي بأن عيسى كان تجسداً لله في صورة بشرية يتناقض مع هذا البيان. وبالمثل، فإن أي فكرة دينية تشير إلى أن الله اتخذ شكلاً بشرياً أو مادياً على الأرض هي فكرة منفية أيضاً.

ب- الاعتقاد الوثني المكي بأن الملائكة هم بنات الله - مما يعني أنهم مخلوقون من نفس جوهر الله، الذي تجلى في صورة ملائكة - هو اعتقاد مدحوض.

ج- حتى بين المسلمين، هناك فكرة سائدة بأن الكون بأكمله هو جزء من الله - مما يعني أن الله قد تجلى مادياً في شكل الكون وكل ما فيه. ومع ذلك، فإن هذا المفهوم ينفية القرآن. الفهم الصحيح، وفقاً للقرآن، هو أن الكون هو خلق الله وليس تجلياً مادياً لله نفسه.

٢- لا يوجد إطلاقاً شركاء أو رفقاء لله عندما يتعلق الأمر بقرارات الله بشأن إدارة شؤون الوجود: هناك فكرة سائدة بين العديد من

الأديان أنه على الرغم من وجود إله خالق، إلا أن هناك آلهة أخرى تتخذ قرارات بشأن شؤون الوجود. على سبيل المثال، في الهندوسية، الإله الخالق هو براهما، ولكن الإلهين فيشنو وشيفا هما من يديران شؤون الوجود. يتكرر هذا النمط في العديد من الأديان الشركية الأخرى.

حتى داخل الإسلام، توجد رواية تنص على أن هناك بشراً، موتى وأحياء، بلغوا من التقوى درجة أن الله يمنحهم السلطة لاتخاذ قرارات نيابة عنه. ويُعرف هؤلاء الأفراد في هذا التقليد باسم "الغوث" و"الأبدال" و"القطب".

ينفي القرآن أي أفكار تشير إلى أن أحداً يشارك الله في سلطته. وبينما يوجد مفهوم الملائكة في القرآن، فإن اختصاصهم الوحيد هو تنفيذ قرارات الله. القرآن واضح بشكل لا لبس فيه في أن جميع قوى الخلق وسلطة اتخاذ القرار تنتمي لله وحده، ولا يشاركه أحد في هذه السلطة. تؤكد آيات عديدة على هذا المبدأ الحيوي؛ فعلى سبيل المثال، تنص سورة الأعراف ٧: ٥٤ على:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾

علاوة على ذلك - تقول سورة الكهف ١٨: ٢٦:

﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾

٣- يبشر القرآن بضرورة وجود علاقة مباشرة مع الله دون أي وسطاء: في هذا الصدد، يوضح القرآن ثلاثة أمور بشكل مطلق.

أ- يحتاج البشر إلى توجيه عواطفهم الأساسية من الحب والولاء والإخلاص والطاعة حصرياً نحو الله وحده.

ب- الله يسمع الجميع مباشرة.

ج- يحتاج الجميع إلى وضع ثقتهم الكاملة في الله وحده لا غيره.

دعونا نناقش هذه الأمور بإيجاز:

أ- يحتاج البشر إلى توجيه عواطفهم الأساسية من الحب والولاء والإخلاص والطاعة حصرياً لله وحده: العبادة تعني أن يوجه المرء مشاعر شديدة من الحب والولاء والإخلاص والطاعة لشخص ما. يعلن القرآن أن الغرض الأساسي للبشر هو عبادة الله.^{٣٦}

هل توحى هذه الآية بأن البشر مقدر لهم الانخراط إلى الأبد في طقوس عبادة الله؟ ليس الأمر كذلك على الإطلاق. الآية تعني ببساطة أن البشر يجب أن يجعلوا الله هو الهدف الأساسي لحبهم وولائهم وإخلاصهم وطاعتهم. يجب أن تكون كل هذه العواطف الموجهة نحو أي شخص آخر ثانوية. تتناول آيات كثيرة في القرآن هذا الموضوع، لكنني أريد أن أشارك بعض الآيات المحددة هنا. تنص سورة البقرة ٢: ١٦٥ على:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

^{٣٦} الذاريات ٥١: ٥٦.

وتقول سورة غافر ٤٠: ٦٥:

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

إن وجود أي شخص أو أي شيء يحمل مكانة مساوية لمكانة الله، أو نسبة شركاء أو رفقاء له، أو أداء أفعال وطقوس عبادة لأي شخص أو أي شيء غير الله يعتبر "شركاً"، أو "إشراك شركاء مع الله". يحدد القرآن الشرك كأكبر ذنب لن يغفر^{٣٧}. سابقاً، ناقشنا أن الخطأ العفوي سيُغفر. لذا، إذا ارتكب شخص ما الشرك لأنه لم يتعرض أبداً للهداية الحقيقية بشكل كافٍ، فربما يمكن اعتباره خطأ صادقاً ويُغفر. ومع ذلك، إذا تعرض شخص ما للهداية الحقيقية بشكل صحيح ولكنه كان مهملاً تجاهها، أو إذا انخرط في الشرك لأسباب خاطئة أخرى مثل المعتقدات الموروثة، أو المصالح الشخصية أو القبلية، أو بسبب الأنا، فوفقاً لسورة النساء ٤: ٤٨، فإن الشرك هو جريمة لا غفران لها على الإطلاق.

هذا أمر منطقي، فالشرك هو بالفعل أكثر فعل غير أخلاقي يمكن للمرء ارتكابه - فهو يمثل الخيانة القصوى تجاه الله. اسمحو لي أن أوضح:

إذا اكتشفت ظاهرة غير عادية مثل الله، الذي لم يتسبب في ولادتي

^{٣٧} النساء ٤: ٤٨.

من العدم فحسب، بل يرزقني أيضاً ويعرض عليّ الجنة الأبدية لكوني صالحاً، فيجب أن يكون هذا الإله هو مركز كل عبادتي. علاقتي الحقيقية الوحيدة هي مع هذا الإله، وكل علاقتي الأخرى - مثل علاقتي بوالدي وإخوتي وزوجتي وأولادي وأصدقائي - يحددها الله، لأنه هو من قرر أين ولدت. لو اختار الله أن يضعني في زمان ومكان آخر، لما عرفت حتى الأشخاص الذين أعتبرهم الآن قريبين وعزيزين على قلبي. إذا وجدت أن مثل هذا الإله موجود، فسيكون بالفعل أكثر فعل غير أخلاقي وأكبر ظلم إذا اعتبرت أي شيء أو أي شخص مساوياً في الحب والإخلاص والطاعة والولاء لهذا الإله - سواء كان ذلك شخصاً آخر، أو إلهاً آخر، أو حتى مصلحتي الشخصية، أو رغباتي، أو الأنا.

إن الطاعة الصارمة لإله واحد تخدم غرضاً آخر مهماً للغاية: إذا كانت الجنة مكاناً مثالياً، فإن الخضوع الكامل لسلطة عليا واحدة أمر ضروري. وإلا فسينشأ الصراع والتنافر. وبالتالي، لا يمكن أن يكون هناك أي مجال لأي انتهاك لهذا السيادة بأي شكل من الأشكال. لذلك، إذا وجد شخص مذنباً بجريمة الشرك في يوم القيامة، فمن المنطقي أن يُحرم هذا الشخص من المواطنة في الجنة.

ب- يسمع الله الجميع مباشرة: تعلن سورة البقرة ٢: ١٨٦ أن الله

يسمع الجميع مباشرة ولا حاجة لأي وسيط - تقول الآية:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ- أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

دَعَانِ ﴿٤٠﴾

آية أخرى، سورة غافر ٤٠: ٦٠ تقول:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ٤٠.

تذهب سورة ق ٥٠: ١٦ إلى أبعد الحدود لتسليط الضوء على مدى

قرب الله من الجميع بقولها:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ

إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ٥٠.

ج- يحتاج الجميع إلى وضع كل ثقتهم في الله وحده لا غيره: يؤكد

القرآن، في مواضع مختلفة، على وجوب توكل البشر على الله وحده. دعونا

نفحص بعض الأمثلة:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى

اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ٣٨.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٣٩.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ

وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٤٠.

٣٨ التغابن ٦٤: ١٣.

٣٩ آل عمران ٣: ١٥٩ - ١٦٠.

٤٠ هود ١١: ١٢٣.

في ضوء مناقشاتنا حتى الآن، من الواضح أن إله القرآن يريدنا أن نفهم أنه لا أحد على الإطلاق يشاركه أي نوع من القوة أو السلطة. يحتاج البشر إلى توجيه جميع عواطفهم وممارسات العبادة حصرياً لإله واحد. كما يعلن القرآن أن الله قريب جداً من البشر. هو يسمع الجميع مباشرة، ويحتاج البشر إلى وضع كل ثقتهم في الله. كل هذه العوامل تعني أن كل فرد يحتاج إلى علاقة مباشرة مع الله.

هناك ممارسة شائعة تتمثل في تبجيل وعبادة شخصيات مقدسة معينة داخل بعض قطاعات الإسلام. نحن بحاجة إلى تحليل هذه الممارسة بإيجاز في ضوء القرآن قبل المضي قدماً، حيث من المهم معالجة هذا الأمر في القسم الذي نناقش فيه تأكيد القرآن على تطوير علاقة مباشرة مع الله دون أي وسطاء أو شركاء.

أولاً: الممارسة الشائعة لتبجيل وعبادة الأولياء والشخصيات المقدسة

إن وجود معلم ماهر يوجهك في دين الله هو بلا شك أمر مفيد. ومع ذلك، توجد ممارسة شائعة داخل بعض قطاعات الإسلام تتضمن تبجيل شخصيات مقدسة، سواء كانوا متوفين أو أحياء. غالباً ما يخضع المريدون أنفسهم لخدمة هذه الشخصيات ويخصصون طقوس عبادة مقدسة لهم. فعلى سبيل المثال، يصلون لهذه الشخصيات، ويؤدون

طقوس العبادة، ويوزعون الطعام على شرفهم لإرضائهم، ويقومون بذبح القرابين، ويقومون بأعمال خيرية باسمهم. ينخرط الناس في هذه الممارسات لأسباب مختلفة، سأوضحها أدناه. بالإضافة إلى ذلك، سأشرح كيف يدحض القرآن هذه الأسباب.

ثانياً: عبادة الشخصيات المقدسة الميتة أو الحية من أجل قبول الدعاء

يُجل الناس الأولياء والشخصيات المقدسة، سواء كانوا متوفين أو أحياء، لأنهم يعتقدون أن الله مقدس ومتعالٍ للغاية بحيث لا يمكن للبشر العاديين التقرب إليه مباشرة. ومن ثم، فإن هؤلاء الأولياء والشخصيات المقدسة سيستمعون إلى صلواتهم ويجعلونها مقبولة عند الله.

هذا يتعارض مع تعاليم القرآن الواضحة جداً التي ذكرتها أعلاه بأن الله قريب جداً من الجميع. هو يحب كل شخص أكثر من أي شخص آخر. هو يسمع الجميع مباشرة. يحتاج الناس إلى وضع كل ثقتهم في الله - مما يعني أن الناس بحاجة إلى علاقة مباشرة مع الله ويحتاجون إلى الصلاة له مباشرة.

ثانياً، الغرض الأساسي من الإسلام هو تنمية علاقة المرء مع الله. وهذا الغرض يتضرر تماماً إذا اعتقد المرء أن الله بعيد المنال، بينما

الأولياء والشخصيات المقدسة، أحياء أو أمواتاً، هم من يسمعون الصلوات ويضمنون قبولها عند الله. فكر في هذا: إذا افترض المرء أن الله لا يسمع ولا يهتم بالاستماع إلى صلواتهم، بل يعتقد بدلاً من ذلك أن ولياً معيناً، حياً أو ميتاً، يسمع ويمكنه التدخل لقبول تلك الصلوات، فمن يصبح حينها محور حبهم وولائهم وإخلاصهم وطاعتهم؟ الجواب واضح: الشخصية المقدسة المحددة التي يُنظر إليها على أنها قريبة وتهتم بما يكفي للاستماع. والنتيجة المهمة والمؤسفة لهذا الاعتقاد هي أنه، بعلم أو بغير علم، يتم إنزال الله إلى مرتبة ثانوية.

بصرف النظر عن النقاط المذكورة سابقاً، يحظر القرآن صراحة أي شكل من أشكال العبادة الموجهة نحو الأولياء أو الشخصيات المقدسة. في آية معينة، يخاطب القرآن جماعات معينة من اليهود والنصارى الذين يمارسون تبجيل شخصياتهم المقدسة. تقول الآية:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^{٤١}

ثالثاً: عبادة الشخصيات المقدسة الميتة أو الحية للتقرب إلى الله

مبرر آخر يقدمه بعض الأفراد الذين يبجلون الشخصيات المقدسة

^{٤١} التوبة ٩: ٣١.

المتوفاة والحية هو أن خدمة وتبجيل هذه الشخصيات سيقرب المرء من الله. المنطق هو أنه بما أن الأولياء والشخصيات المقدسة قريبون جداً من الله، والله يحبهم، فإن خدمة هذه الشخصيات وعبادتهم ستجعل الله راضياً وتقرب المرء منه.

تقف هذه الفكرة في معارضة مباشرة لتعاليم القرآن التي تؤكد على تطوير علاقة مباشرة مع الله دون وسطاء. علاوة على ذلك، ينص القرآن صراحة على أن الطريق للتقرب من الله أو أن تكون محبوباً من قبله هو من خلال تقوى الله والوعي به. كلما كان المرء أكثر انتباهاً وحرصاً في اتباع أوامر الله في حياته اليومية، كان أكثر حباً له. يتجلى هذا المبدأ بوضوح في الآيات القرآنية التالية:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^{٤٢}

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^{٤٣}

لذا، ينفي القرآن فكرة أن المرء يحتاج لخدمة الشخصيات المقدسة أو عبادة الصالحين للتقرب إلى الله. بدلاً من ذلك، يعلن القرآن أنه كلما كنت أكثر صلاحاً وتقوى لله، كنت أعز وأقرب إلى الله. يحظر القرآن صراحة ممارسة عبادة الشخصيات المقدسة على أمل

^{٤٢} يونس ١٠: ٦٢.

^{٤٣} الحجرات ٤٩: ١٣.

التقرب إلى الله. تؤكد القرآن:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ— مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.^{٤٤}

في هذا السياق، تتطلب آية معينة غالباً ما يتم الاستشهاد بها لتبرير ممارسة تبجيل الشخصيات المقدسة للتقرب إلى الله توضيحاً، على الرغم من رفض القرآن الصريح لهذه الممارسة. الآية المعنية هي سورة المائدة ٥: ٣٥، التي تنص على:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

يجادل الكثيرون ممن يرغبون في تبرير عبادة الشخصيات المقدسة بقوة للتقرب من الله بأن كلمة "الوسيلة" المستخدمة في هذه الآية، والتي تترجم حرفياً إلى "الوسائل" أو "الطرق"، تعني أنه يجب على المرء تبجيل الشخصيات المقدسة كـ "وسيلة" للتقرب من الله. هذا التفسير هو تمطيط كبير ويتناقض تماماً مع تعاليم القرآن العامة حول هذا الموضوع، وخاصة سورة الزمر ٣٩: ٢-٣، التي لا توافق بوضوح على ممارسة

^{٤٤} الزمر ٣٩: ٢-٣.

تجليل الشخصيات المقدسة للتقرب من الله. تنص الآية المعنية، سورة المائدة: ٣٥، ببساطة على أنه يجب على المرء البحث عن طرق أو وسائل للتقرب من الله - طرق مثل تقوى الله، وفعل الخيرات، وتطهير النفس أخلاقياً، وأداء طقوس العبادة.

رابعاً: عبادة الشخصيات المقدسة الميتة أو الحية ليتدخلوا نيابة عن الشخص وينقذوه في يوم القيامة

من الضروري معالجة مفهوم سائد في الإسلام يُعرف باسم "الشفاعة". بشكل عام، يُعتقد أنه إذا بجل فرد ما النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو شخصية مقدسة أخرى متوفاة أو حية، فإنه في حال حكم الله على ذلك الفرد بالنار في يوم القيامة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أو الشخصية المقدسة المعنية ستتدخل وتنقذه من النار. وفقاً للقرآن، فإن هذا المفهوم غير صحيح تماماً.

كل السيطرة في يوم القيامة تنتمي لله وحده. هو من يقرر من سيعاقب في النار ومن سيُدخل الجنة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الله وحده هو الذي يحدد ما إذا كان سيسمح بذلك أم لا.

شفاعة لشخص ما ومن الذي ستقبل منه الشفاعة. تناقش الآيات التالية من القرآن مفهوم الشفاعة. سأذكر بعض الآيات المحددة أدناه لتوضيح هذا المفهوم.

تشمل الآيات المتعلقة بمفهوم الشفاعة: الأنعام: ٦، ٧٠، الأنعام: ٥١، السجدة: ٣٢: ٤، الزمر: ٣٩: ٤٣-٤٤، البقرة: ٢: ٢٥٥، يونس: ١٠: ٣، مريم: ١٩: ٨٧، طه: ٢٠: ١٠٩، سبأ: ٣٤: ٢٣، الزخرف: ٤٣: ٨٦، الانبياء: ٢١: ٢٦-٢٨، المدثر: ٧٤: ٤٦-٤٨.

دعونا نحل بعض الآيات المحددة.

تنص الآية التالية بوضوح على أن جميع الأمور المتعلقة بالشفاعة سيقرها الله وحده:

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾^{٤٥}

تنص الآية التالية من القرآن بوضوح على أن الله وحده هو من يقرر ما إذا كان الشخص يجب أن يخلص عن طريق الشفاعة:

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾^{٤٦}

تشير الآية التالية إلى أن الله هو الذي سيحدد من يُسمح بشهادته، وأن الشخص الذي سيشهد لن يتحدث إلا بالحق:

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^{٤٧}

وبالتالي، وبالنظر إلى كل الآيات المتعلقة بالشفاعة في القرآن، فإن

^{٤٥} الزمر: ٣٩: ٤٤.

^{٤٦} سبأ: ٣٤: ٢٣.

^{٤٧} طه: ٢٠: ١٠٩.

الفهم القرآني الدقيق للشفاعة هو أن أولئك الذين حكم الله عليهم بالنار، لن تُقبل فيهم شفاعة من أحد.^{٤٨}

ومع ذلك، بالنسبة لأولئك الأفراد الذين ليسوا صالحين للغاية للجنة ولا أشراراً بشكل استثنائي للنار، فإن الله هو من يقرر إنقاذ الشخص من النار. يختار الله شخصاً ليتقدم ويقدم شهادة صادقة عن ذلك الشخص، مما يسمح لله بإنقاذه بناءً على هذه الشهادة.

لذلك، يجب أنؤكد مرة أخرى أن المفهوم ليس أن الله سيحكم على شخص بالنار بينما ينقذه شخص آخر. الفهم الصحيح هو أن الله يقرر إنقاذ الشخص ويستخدم الشهادة الحسنة كوسيلة لمنح ميزة إضافية لذلك الفرد من أجل إنقاذه.

إن فكرة الشفاعة المغلوطة سائدة بين المسلمين؛ فهي توحى بأن الله سيحكم على شخص بالنار، ومع ذلك فإن شخصية مقدسة ما ستنقذه. هذا المفهوم يتناقض مع أوامر القرآن الواضحة، وله تداعيات كارثية أخرى. كما نوقش سابقاً، إذا كنت أعتقد أن شخصية مقدسة معينة تستمع إلى دعواتي ويتقبلها الله، فإن مشاعر العبادة الأساسية لدي ستوجه نحو تلك الشخصية المقدسة، وليس نحو الله. هذه القضية

^{٤٨} راجع أيضاً الآيات التالية لمزيد من التوضيح: الأعراف ٧: ٧٣، المدثر ٧٤:

توازي مفهوم الشفاعة المغلوط. إذا كنت أعتقد أن شخصية مقدسة معينة ستنقذني في حال حكم الله علي بالنار، فإن مشاعري الأساسية من الحب والولاء والإخلاص والطاعة ستوجه نحو تلك الشخصية المقدسة وليس نحو الله.

هناك بعض روايات الأحاديث التي ورد فيها أن محمدًا صلى الله عليه وسلم قيل إنه سيسمح له بالشفاعة لبعض الناس. من المنظور القرآني، هذا يعني أنه في يوم القيامة، إذا اختار الله إنقاذ شخص من العقاب، ففي بعض الحالات، سيُسمح لمحمد صلى الله عليه وسلم بتقديم شهادة لصالحه. ستصبح هذه الشهادة حينها وسيلة لخلاصهم. من المهم فهم أن المفهوم ليس أن الله سيحكم على شخص بالنار وسيدخل محمد صلى الله عليه وسلم لإنقاذه. بدلاً من ذلك، الفكرة هي أن الله سيقدر إنقاذ شخص ويستخدم شهادة محمد صلى الله عليه وسلم كوسيلة للقيام بذلك.

د- العبادة الشعائرية - التعبير الجسدي عن حب المرء وولائه وإخلاصه وطاعته لله

بمجرد فهم وقبول المفهوم الحقيقي للإله، وتأسيس العلاقة الصحيحة مع الله، يضع الإسلام حينها المنهج المعتمد إلهياً للتعبير عن إخلاص المرء في تلك العلاقة - وجزء مهم جداً من هذا التعبير هو العبادة

الشعائرية.

يتم التعبير عن علاقة الإنسان بخالقه من خلال أعمال العبادة مثل الصلاة والصيام. هذه الأعمال تثبت علاقة المرء مع الخالق على المسار الصحيح وتعمل كمذكرات بالله، مما يساهم في تطهير النفس من خلال العمل كروادع لميل المرء للانحراف عن طريق الاستقامة.

يمكن للمرء أن يجادل بحق بأن كياناً مثل الله يستحق عمراً من العبادة بدوام كامل في كل دقيقة من اليوم - ومن ثم، فقد حدد الله نفسه الحد الأدنى من العبادة الشعائرية في الإسلام، والتي تسمى "فرض".

شعائر العبادة المفروضة هي المقدار الإلزامي من شعائر العبادة. إذا كان شخص ما يعرف نفسه كمسلم ومع ذلك لا يؤدي صلوات الفرض الأساسية، فسيتم اعتبار ذلك تجاوزاً خطيراً جداً في يوم القيامة.

بعد أداء صلوات الفرض الإلزامية، يكون الأفراد أحراراً في الانخراط في أي عدد من أعمال العبادة التطوعية كما يرغبون للتقرب إلى الله.

فيما يتعلق بتنقية علاقة المرء مع الله، يفرض الإسلام المفهوم الصحيح لله، مع التأكيد على وحدانيته في كل جانب وغياب أي شركاء يشاركونه سلطته. كما يشجع الإسلام على تطوير علاقة مباشرة مع الله، صراحةً بدون وسطاء. ويصف شعائر عبادة معينة إجبارية

وتطوعية كتعبيرات جسدية عن حب المرء وولائه وإخلاصه وطاعته لله.

لننتقل إلى المهمة الأخيرة من المهام الأربع الرئيسية التي يتوقع الإسلام من الناس القيام بها.

٢- تزكية الأخلاق، خاصة في التعامل مع بني البشر الآخرين

بقدر ما يتعلق الأمر بالشخصية والأخلاق والقيم، يهدف القرآن إلى صياغة أتباعه ليكونوا بشرًا صالحين، مستقيمين، مخلصين، صادقين، رحماء، عادلين، كرماء، ومتواضعين. أجد نفسي متفقًا تمامًا مع هذا الجانب من تعاليم القرآن لأن القيم التي يهدف الإسلام إلى غرسها ليست مجرد قيم إسلامية أو دينية، بل هي أسمى القيم الموجودة في جميع المجتمعات والثقافات البشرية عبر الزمن.

القرآن مليء بالإرشادات الأخلاقية؛ ومع ذلك، سأشارككم بعضًا منها مختارة. إله القرآن يتوقع منك أن تصبح:

١- شخصًا صانعًا للسلام ومحبًا للخير للجميع ولا يحمل ضغينة

لأحد - شخصًا يحاول صنع السلام حتى لو تعرض للظلم.^{٤٩}

^{٤٩} حم السجدة ٤١: ٣٤.

- ٢- شخصاً يسيطر على غضبه ويعفو عن الآخرين.^{٥٠}
- ٣- شخصاً يمكنه قانوناً الانتقام لتعرضه للظلم ولكنه يختار العفو بدلاً من ذلك.^{٥١}
- ٤- شخصاً، في موقف يضطر فيه إلى رد فقير، يفعل ذلك بمحبة ولطف شديدين.^{٥٢}
- ٥- شخصاً لا يتبع الصدقة بالمنّ بكرمه والأذى.^{٥٣}
- ٦- شخصاً عادلاً حتى تجاه عدوه.^{٥٤}
- ٧- شخصاً لا يسخر من الآخرين أو يهزأ بهم أو يناديهم بألقاب مؤذية ولا ينبش في عيوب الآخرين.^{٥٥}
- ٨- شخصاً متواضعاً، يتجنب الغرور بأي ثمن، ولا يصبح أبداً شخصاً مفاخرًا.^{٥٦}

^{٥٠} آل عمران ٣: ١٣٣-١٣٤.

^{٥١} النحل ١٦: ١٢٦.

^{٥٢} الضحى ٩٣: ١٠، بنى إسرائيل ١٧: ٢٨.

^{٥٣} البقرة ٢: ٢٦٢-٢٦٣.

^{٥٤} المائدة ٥: ٨.

^{٥٥} الحجرات ٤٩: ١١.

^{٥٦} لقمان ٣١: ١٨.

- ٩- شخصاً لا يطلب المجد الذاتي أو التعالي الشخصي.^{٥٧}
- ١٠- شخصاً يمشي بتواضع شديد، وحتى عندما يتحدث الجاهلون بكلمات مؤذية، يرد بلين وسلام.^{٥٨}
- ١١- شخصاً طيباً وكرماً للغاية تجاه الوالدين، والأقارب، والمحتاجين، واليتامى.^{٥٩}
- ١٢- شخصاً صادقاً وعادلاً للغاية عند التعامل مع الآخرين.^{٦٠}
- ١٣- شخصاً لا يظهر ترددًا عندما يُطلب منه القتال ضد الظلم والاضطهاد.^{٦١}
- ١٤- شخصاً لا يستخدم كلمات بذيئة أو كلمات مهينة لدين آلهة الآخرين على الرغم من إيمانه بأنها باطلة.^{٦٢}
- ١٥- شخصاً لا يغتتاب الآخرين ولا ينم على الناس.^{٦٣}

^{٥٧} القصص ٢٨: ٨٣.

^{٥٨} الفرقان ٢٥: ٦٣.

^{٥٩} بنى إسرائيل ١٧: ٢٣-٢٤.

^{٦٠} بنى إسرائيل ١٧: ٣٥.

^{٦١} النساء ٤: ٧٥.

^{٦٢} الأنعام ٦: ١٠٨.

^{٦٣} الحجرات ٤٩: ١٢.

١٦- شخصاً يقيم العدل وينطق بالحق حتى لو كان ذلك ضد المصالح الشخصية أو مصالح عائلته أو قبيلته أو أمته.^{٦٤}

في الواقع، هذه القيم معترف بها عالمياً كأفضل قيم يمكن للإنسان التمسك بها. من الصعب على أي شخص أن يختلف معها. يحتوي القرآن على العديد من الآيات التي تشرح ما يجب وما لا يجب فعله أخلاقياً للبشر. أريد أن أسلط الضوء على آية خاصة جداً هنا لأنها تحدد خمس فئات من المحرمات الأخلاقية، وجميع الذنوب والجرائم المحرمة في الإسلام تقع تحت هذه الفئات الخمس الرئيسية.

القرآن الكريم، في السورة ٧، الآية ٣٣، يذكر بوضوح أن هناك خمس فئات فقط من الذنوب التي حرمها الله على الجميع، وهي:

١- أي فعل أو سلوك جنسي سري أو علني خارج نطاق الزواج بين رجل وامرأة.

٢- القرآن الكريم يحرم "الإثم". كلمة "إثم" باللغة العربية يمكن أن تعني شيئين: أحد معاني الكلمة هو "الذنب"، مما يشير إلى أن الآية تأمر الناس بتجنب أي شيء يعتبرونه آثماً. استخدام هذه الكلمة في الآية يحمل أيضاً معنى آخر - "الظلم" أو الانتقاص من حقوق شخص ما. لذلك، تعني الآية أن الناس يجب أن يمتنعوا عن ارتكاب المظالم أو

^{٦٤} النساء ٤: ١٣٥.

حرمان الآخرين من حقوقهم المشروعة.

٣- البغي بغير الحق محرم، مما يعني أن الناس يجب أن يمتنعوا عن ارتكاب أي أعمال غير قانونية ضد ممتلكات شخص آخر أو كرامته أو حياته.

٤- مساواة الآخرين بالله (الشرك).

٥- الكذب على الله أو التحدث عنه بغير علم يقيني.

تحدد آية القرآن ٧: ٣٣ خمسة محرمات رئيسية منطقية تماماً من الناحية الأخلاقية. هذه هي المحرمات الخمس الكبرى التي يطلب القرآن من الناس الامتناع عنها، وهي تشمل جميع الذنوب ضمن هذه الفئات الواسعة. فعلى سبيل المثال، يقع التحريم الإسلامي للربا على القروض ضمن الفئة الثانية، لأنه يمثل شكلاً من أشكال الظلم الاقتصادي، بينما تصنف الوصايا الأخلاقية للرجال والنساء تحت الفئة الأولى.

أعتقد أنه من الآمن افتراض أنه لا يمكن لأحد أن يكون لديه أي اعتراضات مبررة على الفئات من ٢ إلى ٥. إنه بالفعل الشيء الصحيح أن يمتنع المرء عما يعتبره حقاً إثمًا - أن يمتنع عن ارتكاب الظلم - أن يمتنع عن إيذاء حياة أي شخص أو كرامته أو ممتلكاته بغير حق.

علاوة على ذلك، من الممكن التجاوز إذا رفض شخص ما الإيمان بالله بسبب عدم رضا عقلائي وفكري عن الحجج المتعلقة به. ومع ذلك، أعتقد أننا نتفق جميعاً على أن الإيمان بالله ثم إشراك شركاء معه دون

أي سبب مبرر ليس بالأمر الجيد إطلاقاً. وبالمثل، يمكننا جميعاً أن نتفق على أن تعمد الكذب على أي شخص، بما في ذلك الله، هو سلوك غير مقبول.

التأكيد الشديد على حصر الأفعال والسلوكيات الجنسية داخل نطاق الزواج: النقطة الأولى التي نوقشت في القرآن ٧: ٣٣ تثير تساؤلاً لدى الكثيرين: لماذا يؤكد الله على تقييد جميع أشكال السلوك الجنسي داخل حدود الزواج بين رجل وامرأة؟ سأقدم إجابة موجزة هنا وأتناول التفاصيل لاحقاً في قسم الأسئلة والأجوبة.

اتحاد الرجل والمرأة هو آلية لجلب بشر جدد إلى هذا العالم. عندما يصل إنسان جديد، فإنه يتطلب قدرًا هائلاً من الرعاية بدءاً من اليوم الأول والاستمرار لمدة ١٥ عاماً أو أكثر. الإنسان ليس مجرد مخلوق مادي ولكنه أيضاً كائن نفسي وعاطفي وأخلاقي وروحي. وبالتالي، فإن الرعاية المكثفة والتنشئة التي يتطلبها الوليد يجب أن تعالج كل هذه الجوانب. يحتاج الإنسان إلى رعاية وتنشئة مادية ونفسية وعاطفية وأخلاقية وروحية، موجهة نحو تعزيز رفاهيته في هذه الحياة، والأهم من ذلك، في الآخرة. ولتلبية هذه الحاجة، أسس الله مؤسسة الوحدة العائلية البيولوجية، المكونة من ذكر بيولوجي وأنثى بيولوجية يجمعهما الزواج. وكما هو موضح في القرآن، يتصور الله وحدة عائلية مستقرة يمكنها توفير تنشئة طويلة الأمد في جميع الأبعاد المذكورة آنفاً.

هذا أمر منطقي؛ فلا توجد وسيلة أفضل من مؤسسة الأسرة المستقرة لتوفير النوع المناسب من التنشئة المادية والنفسية والعاطفية والأخلاقية والروحية لوليد لأكثر من عقد من الزمان.

إن انتشار وقبول الأفعال والسلوكيات الجنسية خارج نطاق الزواج يمثل بعضاً من أخطر التهديدات لمؤسسة الزواج. لذلك، يبذل إله القرآن جهوداً كبيرة للتأكيد على أهمية تقييد جميع أنواع السلوكيات الجنسية داخل نطاق الزواج، وقد جرم بالفعل جميع أشكال النشاط الجنسي خارج نطاق الزواج.

غالباً ما ننظر إلى الزواج من منظور الرجل والمرأة، لكن الله ينظر إلى الزواج من منظور الطفل، الذي يحتاج إلى سنوات من الحب والتفاني والرعاية والتنشئة في مختلف الجوانب. وهذا لكي يتمكن الطفل من التطور بشكل صحيح فيما يتعلق بهذا العالم والآخرة.

وظيفة أخرى بالغة الأهمية لمؤسسة الأسرة هي توفير الرعاية للأفراد عند وصولهم لسن الشيخوخة. الوحدة الأسرية المستقرة هي الآلية المثلى لتلبية الاحتياجات المادية والعاطفية لكبار السن. وبينما تعد دور رعاية المسنين "خطة بديلة" قابلة للتطبيق للكثيرين، وقد يفضلها بعض الأفراد في الدول المتقدمة كـ "خطة أ"، فمن الواضح تماماً - دون الحاجة إلى الاستشهاد بأي بحث - أن دور رعاية المسنين لا يمكنها توفير نفس المستوى من الإشباع النفسي والعاطفي والرعاية

لكبار السن الذي يمكن أن توفره مؤسسة الأسرة المستقرة.
بالنسبة لي، هذا منطقي. إن تطبيع وانتشار الأفعال والسلوكيات الجنسية خارج نطاق الزواج من شأنه أن يضعف مؤسسة الزواج. إذا كان الهدف هو حماية وتقوية الزواج والوحدة الأسرية التي ينتجها، فمن المنطقي تقييد جميع أنواع السلوكيات والأفعال الجنسية بدقة داخل نطاق الزواج. وبغض النظر عن الاستثناءات، عادة ما يقوم الزواج على ركيزة الولاء الجنسي. إذا تم المساس بذلك، فإن المؤسسة بأكملها إما تصبح سامة وبلا روح أو تنهار تمامًا.

ومن ثم، إذا انخرطت في أي شكل من أشكال النشاط أو السلوك الجنسي خارج نطاق الزواج أو روجت له - على سبيل المثال، الانخراط في نشاط جنسي خارج الزواج أو المشاركة في محتوى إعلامي يروج لصور أو حوارات مثيرة جنسياً - فإنك تشن حرباً مباشرة ضد مؤسسة الأسرة التي خلقها الله نفسه. لذلك، تعتبر جميع أشكال النشاط أو السلوك الجنسي خارج نطاق الزواج جرائم خطيرة جداً عند الله، وتترتب عليها عقوبات دنيوية وعواقب وخيمة في الآخرة.

الطلاق مسموح به في الإسلام لكل من الرجال والنساء؛ ومع ذلك، فإن إله القرآن يشجع الأفراد على بذل كل جهد للحفاظ على وحدة أسرية مستقرة. والآثار الضارة للزيجات السامة على الأطفال موثقة جيداً، مما يسלט الضوء على الضرر طويل الأمد، والذي غالباً ما يكون

غير قابل للإصلاح، الذي يعاني منه الأطفال بسبب البيئات الأسرية غير المستقرة وانفصال أو طلاق والديهم.

لذا، إليكم ملخصاً لكل ما ناقشناه حتى الآن في هذا القسم:
لكي ينال المرء فضل الخالق ويدخل الجنة، يريدني القرآن أن أسعى بجد وصدق لمعرفة الحقيقة عن الله والوجود. ويتوقع مني أن أنمي الفهم الصحيح لله وأن أكرس كل حبي وولائي وطاعتي وإخلاصي لله. يريدني القرآن أن أحافظ على نظافتي، وأحافظ على طهارة طعامي مع تجنب المسكرات، وأحافظ على خلقي الأخلاقي من خلال تبني أسمى القيم الإنسانية. لا أعتقد أنني بحاجة إلى مزيد من التوضيح حول سبب عدم وجود أي شيء في هذه التعاليم القرآنية يمكنني الاختلاف معه.

أخيراً، نحتاج إلى معالجة السؤال باختصار: هل يسمح لي إله القرآن بالقتال والانخراط في صراع مسلح، وإذا كان الأمر كذلك، فما هي الظروف؟

إباحة الحرب في الإسلام

لقد ناقشت الأفكار التالية في مكان آخر من الكتاب، ولكن من المهم تسليط الضوء عليها مرة أخرى في هذا القسم بما أننا نناقش ما يتوقعه إله القرآن مني بالضبط لأكون ناجحاً في الآخرة.

عندما يتعلق الأمر باستخدام القوة أو العنف، يسمح القرآن للمسلمين بالانخراط في حرب أو كفاح مسلح لسببين أساسيين.

١- ضد أولئك الذين يرفضون الحقيقة الإلهية بعد أن اتضحت لهم: تأمر الآيات ٩: ٥-٢٠ من القرآن المسلمين بمواجهة المشركين حتى يعتنقوا الإسلام. كما يواجه بمواجهة اليهود والنصارى حتى يسلموا أو يوافقوا على العيش تحت السيادة الإسلامية ودفع الجزية كعلامة على هذا الخضوع.

لقد ناقشنا سابقاً أن هذه الآيات تتعلق مباشرة بالجمهور المعاصر لرسول الله. واستكشفنا كيف أن رسول الله لا يكفي بجلب الهداية للبشرية جمعاء، بل يعمل أيضاً كبرهان أرضي من الله على الحساب الإلهي لجمهوره المباشر. فالرسول يوضح الحق لجمهوره المباشر، وبعد فترة معينة، يكافأ أولئك الذين يقبلون رسالة الرسول هنا في هذا العالم، بينما يواجه أولئك الذين يرفضونها العقاب في هذا العالم. وعندما تُقرأ هذه الآيات في سياقها، فإنها تشير إلى العقاب الإلهي الذي نزل على المتلقين المباشرين لرسالة الرسول، الذين أعلن الله أنهم يرفضون الحق لأسباب خاطئة وغير مبررة.

ومن ثم، فإن هذه الآيات تتعلق حصراً بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومعاصريه المباشرين. وهي لا تنطبق على أي شخص يتبعهم. لذلك، ليس المسلمون ملزمين من الله بمحاربة غير المسلمين لأسباب

تتعلق بالعقيدة، أو لتحويلهم إلى الإسلام، أو بنية إخضاعهم. في الواقع، يصدر القرآن أمراً أبدياً بأنه لا إكراه مطلقاً في أمور الدين: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ يَزِيدُ الْإِيمَانَ إِذَا أُخِذَ فِي الْوَقْفِ وَمَنْ يُنْكِرِ الْإِيمَانَ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ إِنَّهُ كَفُورٌ مُّبِينٌ﴾^{٦٥}

٢- القتال للدفاع عن النفس وضد الظلم والاضطهاد: يسمح القرآن للمسلمين بالانخراط في القتال لأسباب تتعلق بالدفاع عن النفس وضد الظلم الشديد والاضطهاد والفتنة، وخاصة الاضطهاد الديني. والآيات التي تتناول هذه التوجيهات بشكل أساسي تشمل القرآن البقرة ٢: ١٩٠-١٩٣، الحج ٢٢: ٣٩-٤٠ والحجرات ٤٩: ٩-١٠. هذه الأوامر عالمية وتنطبق على جميع المسلمين في كل الأوقات. ومع ذلك، فإن القرآن يشترط أيضاً أن مثل هذه الحرب لا يمكن أن تُخاض إلا تحت حاكم شرعي. تنص الآية ٤: ٥٩ من القرآن على ما يلي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

أوافق على أنه قد تكون هناك استثناءات قصوى حيث يمكن أن يكون مبرراً أخلاقياً حمل السلاح ضد سلطة قائمة أو بدون إذن من سلطة قائمة. ومع ذلك، كأصل عام، تنص الآية ٤: ٥٩ من القرآن بوضوح على أنه يجب على المسلمين طاعة الحكام الشرعيين عليهم. وهذا يعني

^{٦٥} البقرة ٢: ٢٥٦.

أن الصراع المسلح لا يمكن خوضه إلا تحت سلطة الحكومة القائمة. في عصرنا الحالي، السلطة القانونية المقبولة هي حكومة الدولة؛ وبالتالي، سيكون من الصحيح القول إنه مع الاعتراف بوجود حالات لاستثناءات قصوى - كما ورد في التعاليم القرآنية - يُسمح للمسلمين من الله بالقتال للدفاع عن النفس وضد الظلم والاضطهاد والفتنة، ولكن فقط تحت سلطة حكومة بلادهم.

مع وضع النقاط المذكورة أعلاه في الاعتبار، من الضروري الإجابة على سؤالين مهمين للغاية:

١- هل يمكن لأي جماعة مسلمة أن تقاتل مسلمين آخرين لفرض تفسيرهم الخاص لنظام حكومي إسلامي؟
الجواب: في ضوء مناقشتنا السابقة - لا! يُسمح للمسلمين بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم بحمل السلاح فقط للدفاع عن النفس، أو ضد حالات واضحة من الظلم والاضطهاد والفتنة، وحتى في ذلك الحين، فقط تحت قيادة شرعية.

علاوة على ذلك، يصدر القرآن توجيهًا واضحًا بأنه في مسائل الشؤون الجماعية، يجب على المسلمين حل الأمور من خلال التشاور المتبادل - وليس من خلال القوة أو الصراع المسلح. وتوضح الآية ٤٢: ٣٨ من القرآن هذا المبدأ بالكلمات التالية:

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٤٠﴾

في ضوء الآية السابقة، فإن القرارات المتعلقة بالمسائل الجماعية، مثل نوع القيادة التي ستقود الأمة والقرارات المتعلقة بإدارة شؤون الحكومة، يجب أن تُتخذ من خلال التشاور العام.

يمكن لآلية التشاور المتبادل أن تتخذ أشكالاً مختلفة. على سبيل المثال، خلال زمن محمد صلى الله عليه وسلم، كانت تتضمن شكلاً بدائياً من التشاور بين القادة الرئيسيين من قبائل مختلفة. في عالم اليوم، قد يتجلى هذا التشاور في شكل انتخابات رئاسية أو برلمانية، أو طرق أخرى تسمح للناس بالمشاركة في صنع القرار الجماعي من خلال التشاور المتبادل. وبغض النظر عن الشكل الذي يتخذه، فإن القرآن ينص صراحة على أن المسائل الجماعية يجب أن تُقرر من خلال التشاور المتبادل، وليس من خلال القوة.

٢- هل يمكن للحكومات الإسلامية استخدام القوة لفرض تفسيرها الخاص للإسلام على الآخرين؟

الجواب: وفقاً للآية ٢٢: ٤١ من القرآن، فإن حكومة المسلمين مفوضة بالفعل بجمع زكاة المال، ودعوة المسلمين للصلوات الواجبة اليومية، وخاصة صلاة الجمعة، وسن العقوبات الإسلامية لجرائم محددة ورد ذكرها صراحة في القرآن. ومع ذلك، هل يمكن للإسلام أن يمكن الحكومات الإسلامية من فرض تفسيراتها في قضايا مثل الحجاب،

وتهذيب اللحية، والفصل بين الجنسين؟ تظهر أسئلة مثل ما إذا كان يجب ارتداء الحجاب، وما إذا كان يجب أن يغطي الوجه، وما إذا كان يجب إطلاق اللحية وطولها المطلوب، أو ما إذا كان بإمكان الرجال والنساء الدراسة والعمل معاً. هل يمكن لحكومة مسلمة أن تفرض تفسيراتها الأخلاقية الخاصة للإسلام في مثل هذه الأمور؟

الجواب هو "لا" مدوية! دعوني أشرح باختصار.

تعني عبارة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر": "ادعُ الناس إلى ما هو خير وانهمم عما هو شر". هذا التوجيه يحظى بشعبية كبيرة وغالباً ما يُستخدم كمبرر للحكومات لفرض ارتداء غطاء الرأس أو الوجه على النساء واللى على الرجال.

لقد وُجّهت هذه التعليمات للمسلمين في ثلاثة مواضع رئيسية في القرآن: في الآيات ٣: ١٠٤، ٣: ١١٠، و٩: ٧١.

هناك ثلاث نقاط رئيسية يجب فهمها في هذا الصدد:

١- مصطلح "الأمر"، الذي يعني "أن تأمر شخصاً بفعل شيء ما"، يُستخدم أيضاً في القرآن ليعني "دعوة شخص لفعل شيء ما"، كما هو موضح في القرآن ٢: ١٦٩. وبناءً على ذلك، تشير الآية إلى أنه إذا كنت تشغل منصباً في السلطة، كما هو الحال في قوات الشرطة، فيُسمح لك بمنع الناس بنشاط من الانخراط في عمل خاطئ. ومع ذلك، إذا كنت فرداً عادياً، فإن دورك يقتصر على تقديم المشورة والوعظ للآخرين.

٢- الكلمات المستخدمة في هذه الآية للخير والشر هي "المعروف" و "المنكر". إن المعنى الحقيقي لهذه الكلمات يتضمن الأشياء المعروفة عموماً بأنها خير وتلك المعروفة عموماً بأنها شر، سواء من منظور الإسلام أو من منظور الأخلاق الإنسانية العالمية. هذه الكلمات لا تعني أن للحكومات تفويضاً مطلقاً لفرض تفسيرها الخاص للإسلام على الآخرين في جميع الأمور. في الواقع، تشير الآية إلى أن الحكومات يمكنها تعزيز ما هو معروف عموماً بأنه خير في المجتمع، مثل الصدق والنظافة واللطف، مع منع ما يُعرف عموماً بأنه سيء بقوة، بما في ذلك السرقة وعدم الأمانة والاحتتيال والسطو والعنف غير القانوني والظلم.

٣- إذا اختارت الحكومة فرض لوائح محددة بناءً على التعاليم الإسلامية، فيجب أن تحصل على تفويض صريح من القرآن. وهذا يعني أنه لكي تفرض الحكومة ولاية معينة على مواطنيها، يجب أن يكون التوجيه مصرحاً به بوضوح من قبل القرآن. على سبيل المثال، يخول القرآن الحكومات بفرض جمع الزكاة (وهي شكل من أشكال الصدقات)، ومنع أعمال الزنا العلنية، وتطبيق العقوبات المناسبة لأولئك الذين يشاركون في مثل هذه الأعمال.

في هذا السياق، إذا كان القرآن لا يأذن بفرض حكم معين من أحكام الإسلام من قبل الحكومة، فلا يمكن للحكومة فرضه. على سبيل المثال، ما إذا كان يجب على المرأة تغطية رأسها ووجهها، أو ما إذا كان

الرجل ملزماً بإطلاق لحيته، فإن القرآن لا يمنح أي حكومة الحق في فرض تفسيرها لهذه الأمور على الآخرين. فكل فرد حر في اتباع أي تفسير يتفق معه.

شخصياً، وضمن تفسير الإسلام الذي أوافق معه، والذي يقوده حالياً السيد جاويد أحمد غامدي، لا يُلزم الرجال بإطلاق اللحية، ولا تُطالب النساء بتغطية رؤوسهن أو وجوههن (يُعتبر عملاً صالحاً اختياريًا)، ولم يقرر الله الفصل بين الجنسين في التجمعات العامة. بالإضافة إلى ذلك، لا يأذن القرآن لأي حكومة بفرض تفسيرها للإسلام على الأفراد فيما يتعلق بمثل هذه الأمور.

الخاتمة

في رحلتي للبحث عن إجابات مرضية للأسئلة الوجودية، قادي العلم إلى الإيمان بذكاء كامن وراء كل شيء. واسترشاداً بالاعتقاد بأن أي حقيقة إلهية يجب أن تكون سهلة الوصول إليها، استكشفت أبرز تقاليد الدين - التقليد الإبراهيمي. وضمن هذا التقليد، توجهت في البداية إلى القرآن بسبب قابليته للتحقق التاريخي وصرانته التقنية. إن اكتساب معرفة دقيقة حول مصادر الإسلام سمح لي بتحليلها بفعالية. شكلت شخصية محمد صلى الله عليه وسلم، وادعاؤه بأنه رسول من الله، والأحداث المتوالية معه ومع أصحابه أساساً مقنعاً للاعتقاد بأنه

قد يكون بالفعل ينقل حقائق من الإله. لقد سعيت لفهم ما يتوقعه إله القرآن مني وما إذا كان يتماشى مع المبادئ الأخلاقية والعقلانية. في هذا الفصل، أشارككم نتائجي من هذا المسعى.

في أوائل الثلاثينيات من عمري، وصلت إلى نقطة في حياتي حيث أصبح من الواضح أن محمد صلى الله عليه وسلم كان ينقل بصدق اتصاله بالله، والتوجيهات الإلهية التي نقلها كانت منطقية من الناحية الأخلاقية والعقلانية بالنسبة لي. وجدت نفسي مجرداً من الأسباب المبررة لرفض محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة القرآن. لقد توصلت إلى الإيمان بحقيقة الله، والملائكة، والمحاسبة الإلهية بعد الموت، والنار، والجنة، والأنبياء، والرسل، والكتب المقدسة. أدركت أن هذا الإطار بالكامل كان حقيقياً!

لكني لم أكن قد استسلمت تماماً بعد - كانت لدي بعض الأسئلة في ذهني، وقبل الاستسلام الكامل لرسالة الإسلام، كنت بحاجة إلى إيجاد إجابات معقولة لهذه الأسئلة. يجب ذكر رسالة شكر هنا: جنباً إلى جنب مع العديد من الشخصيات الأخرى، بما في ذلك علماء المسلمين التقليديين وحتى العلماء غير المسلمين والأكاديميين والعلماء، كان أحد الأفراد الرئيسيين الذين ساعدوني في الحصول على إجابات لأسئلتني هو السيد جاويد أحمد غامدي. أنا ممتن لله لأنه جعل السيد غامدي مورداً للإجابة على العديد من الأسئلة الإشكالية التي كانت لدي حول

الإسلام والوجود بشكل عام.

استمررت في تلقي إجابات مرضية أخلاقياً وعقلياً لجميع أسئلتني حتى لم يتبق لي أي منها. وأنا أعتبر هذه الإجابات صحيحة ما لم يتم الطعن فيها، لأنني أظل منفتحاً على كوني مخطئاً. ومن ثم، كان ذلك في مكان ما من أوائل عام ٢٠١٩ عندما وصلت إلى نقطة في حياتي حيث تمت الإجابة على جميع أسئلتني الوجودية إلى مستوى مرضٍ، وأدركت أنه لم يعد لدي أي سبب مبرر لرفض الإسلام كحقيقة إلهية. قادني هذا الفهم إلى الاستسلام التام للإسلام، وفهمت لماذا يعني الإسلام "الاستسلام" - لأنه يعني بالفعل أن المرء يستسلم للحقيقة الإلهية عندما يدرك أنها الحقيقة الإلهية.

في الفصل التالي، سأشارككم بعض الإجابات المرضية التي وجدتها لأسئلة مهمة كانت لدي حول الإسلام والوجود.



الفصل السابع (أ)

أسئلة وأجوبة

السؤال ١: كيف يبدو الله؟

ما هو الله بالضبط؟ ما هي الطبيعة الدقيقة لهذه الحقيقة الأساسية المطلقة الواعية والذكية والقادرة على فعل كل شيء؟ مما تتكون؟ كيف يمكنها أن توجد إلى الأبد وتكون لانهائية؟ هل هي طاقة؟ هل هي نور؟ للأسف، يعلن القرآن أننا لا نستطيع معرفة الطبيعة الدقيقة لله في هذا الوقت. ينص إله القرآن على أنه يتجاوز المكان والزمان، وأنه غريب تماماً لدرجة أنه لا يمكن استخدام أي شيء في الوجود كمثل أو تشبيه لاستيعاب طبيعته الحقيقية^٢ - لذا لا، هو ليس نوراً ولا طاقة - هو شيء يتجاوز هذه الأشياء.

يستخدم القرآن التشبيهات لمساعدة البشر على فهم جوانب من العالم الغيبي مثل الجنة والنار والملائكة والروح. ومع ذلك، فإنه ينص

^١ الحديد ٥٧: ٣.

^٢ الشورى ٤٢: ١١، الإخلاص ١١٢: ٤.

بوضوح على أنه لا يوجد تشبيه يمكنه تجسيد الله بشكل كامل -
فطبيعته الحقيقية تتجاوز استيعابنا تماماً.

إنه أمر منطقي. إذا كان الله قد خلق الزمان والمكان ولكنه يتجاوز كليهما، فهذا يعني أننا لا نستطيع أبداً تخيل الحقيقة الفعلية لله بشكل كامل، لأننا مجبرون على التفكير والاستيعاب ضمن إطار الزمان والمكان. كل شيء في واقعنا يوجد في مكان وشكل محددين. وطالما أننا سجناء للزمان والمكان، فإن أي شيء خارج هذه الحدود سيكون غير مفهوم لنا حقاً ومطلقاً.

وهكذا، وفقاً للقرآن، الله لا يشبه أي شيء آخر في الوجود تماماً. وعلى الرغم من أننا نستطيع فهم بعض صفات الله، إلا أننا لا نستطيع استيعاب طبيعته الحقيقية ما دمنا موجودين في هذا الوجود الدنيوي المحدود. فقط في يوم القيامة سنفهم حقيقة طبيعة الله الحقيقية بشكل كامل.

السؤال ٢: لماذا استغرق الله مليارات السنين لخلق الكون والأرض، وماذا كان يفعل الله خلال تلك المليارات من السنين من قبل؟

أولاً، كما ناقشنا سابقاً فيما يتعلق بطبيعة الزمن - الزمن كيان مائع للغاية. مليارات السنين لا تعني شيئاً لفوتون الضوء، لأنه لا يختبر الزمن. وبالمثل، عندما يقترب جسم ما من سرعة الضوء، يتباطأ الزمن بالنسبة

لذلك الجسم - ومن ثم، لا ينبغي لنا أن نفرض تصورنا الخاص للزمن على الكون أو على الله بطرح مثل هذه الأسئلة. ربما استغرق الله مجرد جزء من الثانية لخلق الكون، بينما نحن ندركه على أنه مليارات السنين. يتناول القرآن مسألة كون الزمن مفهوماً نسبياً ويذكر أن يوماً عند الله ليس مثل اليوم المكون من ٢٤ ساعة الذي يختبره البشر.^٣

ثانياً، يقدم القرآن نموذجاً للوجود غير متمحور حول الإنسان. وبناءً على ذلك، فإن إله القرآن لديه الكثير من الأمور الأخرى ليهتم بها غير البشر. على سبيل المثال، يذكر القرآن جنساً من الكائنات الواعية التي تسكن الكون بأكمله وتسبق البشر - هذا الجنس، الذي يخضع لاختباره الخاص للإرادة الحرة، يسمى الجن. ويشير القرآن إلى أنهم خلقوا قبل البشر بفترة طويلة وهم مصنوعون من "مارج من نار" أو "سموم".^٤ وبناءً على ذلك، في نموذج القرآن غير المتمحور حول الإنسان، كانت هناك أنشطة إلهية في الكون قبل خلق البشر.

السؤال ٣: لماذا يعتبر الشرك (إشراك شركاء مع الله) ذنباً لا يغتفر؟

يعتبر الشرك ذنباً لا يغتفر لثلاثة أسباب رئيسية:

^٣ الحج ٢٢: ٤٧.

^٤ الرحمن ٥٥: ١٥، الحجر ١٥: ٢٧.

١. عندما يقول الشخص أن الله شركاء، فإنه يكذب على الله لأنه لا يوجد سبب داخلنا أو حولنا يمكن أن يجعل المرء يتوصل بصدق إلى استنتاج مفاده أن هناك أكثر من إله واحد. في الواقع، تنص الآية ٧: ١٧٢ من القرآن على أن وعياً فطرياً بكوننا مخلوقين من قبل إله واحد قد وُضع داخل جميع البشر. حتى الإلحاد أو رفض الله له بعض الأساس الفكري، لكن إشراك شركاء مع الله ليس له أساس في أي شيء على الإطلاق. ومن ثم، عندما يدعي المرء أن الله قد اتخذ شركاء، فإنه يكذب على الله! إن فعل ربط كذبة بالله هو أعظم ظلم يمكن للمرء أن يرتكبه في حق الله.

٢. إذا كنت أعلم أن الله هو الذي خلقني من عدم، ويرزقني، ويعرض عليّ الجنة الأبدية، ومع ذلك أعطي نفس النوع من الحب والولاء لآخرين وهو حق لله وحده، فإن ذلك هو أعظم وأعمق خيانة لله يمكن للمرء ارتكابها.

٣. هناك أيضاً سبب عملي لعدم غفران الشرك. عندما تعتبر أي شيء أو أي شخص مساوياً لله، فإن ذلك يشبه تحدي سلطة الله. إنه مثل التواجد في جيش والتعهد بالولاء لقائدين للجيش، أو أن تكون مواطناً في دولة وتعلن أن هناك رئيسين أو ثلاثة رؤساء أو رؤساء وزراء لتلك الدولة - وهذا غير مقبول. إذا كانت اللجنة مكاناً مثالياً، فيجب أن يكون هناك خضوع تام لسلطة واحدة قادرة على كل شيء، وأي

تمرد ضد هذه السلطة لا يمكن أن يكون مقبولاً ولو في أدنى حد.
كما تمت مناقشته سابقاً، قد يتم غفران الأخطاء الحقيقية في المعتقد.
على سبيل المثال، قد لا يكون الفرد قد حصل على قدر كافٍ من التعرض،
أو ربما نشأ شخص في بيئة شوهدت عقله وأخلاقه لدرجة أصبح من
المستحيل عليه التعرف على الحقيقة.

السؤال ٤: لماذا نرى العنف بين الحيوانات، ونعاني من الكوارث الطبيعية، ونعاني من أمراض مروعة، ونواجه عيوباً خلقية؟

بالنسبة للعقل الناقد، من المنطقي وجود الشر الذي يصنعه الإنسان
لأن الله منح البشر الحرية في هذا العالم كاختبار، والبشر كثيراً ما يسيئون
استخدام هذه الحرية، مما يسبب الأذى للآخرين. ولكن ماذا عن الكوارث
الطبيعية، والأمراض الفظيعة، والعيوب الخلقية؟ لماذا يسمح الله بمثل
هذا الألم والمعاناة أن يصيب الناس والحيوانات؟ الإجابة المختصرة
هي أن هذه وسائل لاختبار البشر وتقديم دروس لنا للتنقل عبر هذا
الاختبار.

بالنسبة لأولئك الذين توقعوا عالماً خالياً من المعاناة - باستثناء تلك
التي يسببها البشر - فإن القرآن يقدم واقعاً مختلفاً تماماً. العالم المصور
في القرآن معيب وناقص بطبعه للعيش فيه، ومع ذلك فهو مصمم

بشكل مثالي لاختبار البشر. في هذا العالم، تجرى الابتلاءات البشرية من خلال الرخاء والثروة والراحة، وكذلك من خلال الألم والمعاناة والخوف والبؤس.

ثانيًا، من المفترض أن يتعلم البشر من مدرسة هذا العالم، ونحن نتعلم كل شيء من خلال فهم ضده - على سبيل المثال، نصبح مدركين لماهية اللطف عندما نواجه القسوة. لهذا السبب يوجد كمال وإحسان، وكذلك نقص وعنف، في البشر وفي الطبيعة. توصف الجنة بأنها مثالية، بلا معاناة. ومع ذلك، في هذا المجال، من أجل اختبارنا وتعلمنا، هناك مزيج من الإحسان والعنف داخلنا وحولنا.

السؤال ٥: لماذا يسمح الله بإلحاق الألم بالحيوانات من أجل الطعام، وما هو الغرض من الأضحية في الإسلام؟

هذا العالم عالم ناقص، مصمم لاختبار سكانه؛ الألم والمعاناة من بين تلك النواقص. في المقابل، العالم الآخر مثالي. في الجنة، ستكون جميع أشكال الطعام متاحة دون الحاجة للقتل أو إلحاق الألم. لست متأكدًا من مدى صلة هذه النقطة بالعصر الصناعي اليوم، ولكن تاريخيًا، كان قتل حيوان من أجل الطعام حدثًا مهمًا يهدف إلى إثارة مشاعر الامتنان الشديد، لأنه سمح بإزهاق روح للحصول على رفاهية غذائية ولذة طهوية.

عندما لم أكن مؤمناً بالله، ناقشت مع صديقي وحشية سماح الله بقتل الحيوانات من أجل الطعام والذبائح الطقسية. شددت على الألم الذي يلحق بالحيوانات. ومع ذلك، أثار صديقي، وهو مؤمن مخلص، نقطة تستحق الذكر. اقترح أنه إذا كان الله رحيماً وقد أباح قتل حيوانات معينة، فلا بد أنه عدل عتبات الألم لديها حتى لا تعاني بشكل مفرط.

أثار هذا الأمر اهتمامي. من المعروف أن الكثير من الحيوانات لا تشعر بالألم العاطفي كما يشعر به البشر. على سبيل المثال، عندما يُقتل صغير حيوان بواسطة حيوان آخر، قد لا يظهر عليه سوى القليل من الحزن أو لا يظهر أي حزن قبل أن يستأنف الحيوان حياته. من المعروف أن الفيلة وعدد قليل من الأنواع الأخرى تظهر ردود فعل عاطفية أكثر أهمية تجاه موتاهما، ولكن ليوم أو يومين فقط قبل أن تمضي كالمعتاد. إذا كانت الحيوانات لا تعاني من ألم عاطفي بشكل حاد مثلنا، فربما - وهذا مجرد افتراض - بالنسبة لتلك الحيوانات التي أباح الله قتلها، تماماً مثل ألمها العاطفي، فقد يتم أيضاً تقليل تجربتها للألم الجسدي.

هناك أوقات أفكر فيها لماذا لم يبتكر الله خطة حيث يسكن الجنة دون أي معاناة. لكن بعد ذلك أذكر نفسي بأنني مجرد كائن ذو معرفة محدودة. تخيل للحظة أنك كنت الله وخلقت مليارات وتريليونات من الكيانات الواعية بذاتها ولديها حس بالعدالة والأخلاق. ضع في

اعتبارك التريلونات من المعايير التي ستحتاج إلى ضبطها لضمان تلبية جميع جوانب العدالة والأخلاق والقيم لهؤلاء المليارات والمليارات من الكائنات إلى الأبد. مع وضع كل هذا في الاعتبار، ربما كانت هذه هي الخطة المثلى لإرضاء جميع جوانب العدالة.

السؤال ٦: هل ستعوض الحيوانات عن معاناتها؟

أولاً، لا تمتلك الحيوانات حساً واضحاً بالصواب والخطأ؛ لذلك، فهي لا تخضع لأي اختبارات، مما يعني عدم وجود خطر دخول النار بالنسبة لها. وفقاً للقرآن^٥، سيتم حشر الحيوانات أيضاً في يوم القيامة. ومع ذلك، تنص بعض الأحاديث على أن الحيوانات ستتحول إلى تراب بمجرد تنفيذ عدالة الله بالكامل. وفي الوقت نفسه، تشير أحاديث أخرى إلى أن بعض الحيوانات هي من مخلوقات الجنة. على سبيل المثال، هناك حديث في صحيح الجامع يذكر فيه أن محمداً ﷺ أخبر أتباعه باحترام الغنم ووصفها بأنها حيوانات الجنة.^٦

بقدر ما يتعلق الأمر بالرؤية الإسلامية للحياة الآخرة للحيوانات، نفهم من القرآن أن الحيوانات ستُبعث في يوم القيامة. أما فيما إذا

^٥ التكويد ٨١: ٥، المائدة ٥: ٣٨.

^٦ السنن الكبرى، البيهقي، رقم ٤٣٥٧.

كانت تدخل الجنة فسيظل مجهولاً. هل يصل بعضها إلى الجنة؟ هذا غير مؤكد. الطريقة المناسبة للنظر إلى الحيوانات ضمن المخطط الإلهي هي الاعتراف بأنه إذا كان أي منها يمتلك مستوى كافٍ من الوعي لاستحقاق حياة أخرى، فمن المؤكد أنه سيحصل عليها.

الغرض من الأضحية في الإسلام

تُقتل ملايين الحيوانات يومياً من أجل لحومها؛ وقد أباح الإسلام أيضاً قتل حيوانات معينة من أجل الطعام. ومع ذلك، هناك أيضاً ذبح طقسي للحيوانات يحدث بعد حج بيت الله الحرام. الفائدة الدينية لهذه الأضحية هي أن ملايين الفقراء يحصلون على لحوم مجانية - وهي رفاهية طهوية قد لا يحصلون عليها بخلاف ذلك لفترات طويلة من الزمن. لكن الأهمية الدينية لطقس الأضحية هي كما يلي:

الإنسان لديه علاقات متنوعة في الحياة، وهناك طقوس موجودة للتعبير عن حب المرء وتقانيه في هذه العلاقات. في الإسلام، أهم علاقة يمتلكها المرء هي مع الله. العبادة الطقسية هي تعبير عن هذه العلاقة - على سبيل المثال، الصلوات الإلزامية والصيام. الحج والأضحية هما أيضاً من أعمال العبادة التي هي تعبيرات رمزية للدلالة وتمثيل استعداد المرء للتضحية بكل شيء من أجل الله إذا لزم الأمر.^٧

^٧ "الحج كتعبير رمزي عن التضحية | جاويد أحمد غامدي (مع ترجمة

السؤال ٧: لماذا يحتاج الله لاختبار الناس؟ ألا يعلم مسبقاً؟

على الرغم من أن المعلم يعرف أي الطلاب سينجح وأيهم سيرسب، إلا أنه لا يصدر النتائج النهائية بناءً على معرفته فقط ولكنه يسمح للطلاب بأداء الامتحان وإثبات ما يستحقونه.

وفقاً للقرآن، لدينا الحرية في اتخاذ خياراتنا الأخلاقية الخاصة. على الرغم من أن الله لا يملئ أو يسيطر على هذه الاختيارات، إلا أنه مدرك للقرارات التي سنتخذها - على غرار كيف أن المعلم لا يسيطر على أداء الطلاب ولكن يمكنه التنبؤ بكيفية أدائهم في الامتحانات. علاوة على ذلك، نحن البشر نختبر الزمن بطريقة تمنعنا من رؤية المستقبل؛ ومع ذلك، فإن أي كائن ذو أبعاد أعلى يمكنه إدراك الزمن في جميع الاتجاهات. وبما أننا كائنات ثلاثية الأبعاد، فمن المستحيل علينا استيعاب هذا بشكل كامل. إن مفهوم أن الله لا يتحكم في أفعالنا ومع ذلك يعلم المستقبل هو مفهوم مفهوم من حيث المبدأ، على الرغم من أننا لا نستطيع إدراكه تماماً بسبب إدراكنا المحدود للزمن.

إنجليزية) - يوتيوب، " تم الدخول إليه في ٢٥ مايو ٢٠٢٤،

؛ <https://www.youtube.com/watch?v=JLiBWbCiSCw> ؛

شرح الغرض من التضحية بالحيوان لغير المسلمين | جاويد أحمد غامدي، ٢٠١٩،

<https://www.youtube.com/watch?v=MHQ7g1cizLQ>.

السؤال ٨: هل كان بإمكان الله أن يحقق هدفه في اختيار الناس لجنته بدون آلية الاختبار هذه؟

على سبيل المثال، ألم يكن بإمكانه ببساطة خلق هؤلاء الأفراد الذين سيصلون إلى الجنة ومنحهم المعرفة بكيفية تحقيقهم لذلك دون تنفيذ مخطط الاختبار بالكامل وجعل الناس يخضعون لهذه الاختبارات؟ هذا ممكن. ومع ذلك، عند النظر من منظور أنه وفقاً للقرآن، خلق الله العديد من التريليونات من الكائنات الواعية ذات الإرادة الحرة - البشر والجن والملائكة وغيرهم ممن لا نعرفهم - وكلهم منحوا حساً بالصواب والخطأ وحساً بالعدالة، فربما كانت هذه هي الطريقة الأفضل لاختيار سكان الجنة مع الوفاء بجميع معايير العدالة لجميع الكائنات الواعية ذات الإرادة الحرة الموجودة والذين سيولدون في الجنة إلى الأبد. اسمحوا لي أن أعطيكم مثلاً على كيفية استيفاء معيار العدالة من خلال آلية الاختبار هذه: في اختيار سكان الجنة، يخدم هذا الاختبار أيضاً غرض اختيار حكامها. إذا عين الله بعض البشر كحكام للجنة دون تنفيذ آلية الاختبار هذه، فقد يدعي سكان المستقبل بحق أن هؤلاء الحكام، الذين يتمتعون بجميع مزايا وقوى منصبهم، كان يجب أن يخضعوا جسدياً للعملية لإثبات سبب استحقاقهم لهذا المنصب بدلاً من منحه لهم من قبل الله بناءً على علمه المسبق فقط بينما لم يفعلوا شيئاً لاستحقاقه. ومن ثم، فمن العدل أن يتخذ الله قرارات بناءً على

الأفعال بدلاً من علمه بالأحداث فقط.

السؤال ٩: الطبيعة المزدوجة لله - الله ليس كله "لين ورخاء"!

يصور القرآن الله على أنه محب وغفور للصلحين، ولكنه أيضاً قادر للغاية على إلحاق العنف والعذاب والعقاب بالأشرار والأتمين. لذلك، يتم تصوير الله على أنه رحيم ومحب، ولكنه أيضاً شديد ومنتقم. هذه الازدواجية منطقية عند النظر إلى الطبيعة. إذا كان الله قد خلق الطبيعة حقاً، فمن الواضح أن هذا الإله يمتلك الازدواجية المذكورة أعلاه، لأننا نجد في الطبيعة كلاً من الحب والجمال والإحسان، فضلاً عن العنف الشديد والمعاناة.

السؤال ١٠: ما هو قانون الهداية عند الإله؟

تكشف دراسة عابرة للقرآن أن الله قد وضع قوانين محددة لهداية الناس. لقد غرس الله فينا هداية أساسية تشمل حساً بالصواب والخطأ وحساً بكوننا مخلوقين من قبل قوة عليا. كلما زاد اهتمامك بالهداية المغروسة فيك من خلال الاستماع إلى ضميرك الداخلي واتخاذ خيارات الحياة وفقاً لذلك، زادت الهداية التي ستلتقها. وعلى العكس من ذلك، كلما تجنبت هذه الهداية من خلال الانخراط في أفعال خاطئة وتجاهل صوت ضميرك الداخلي، زاد ضلالك. سيأتي وقت يطبع الله فيه على

قلبك وعقلك، وعندها لن تهتدي أبداً مرة أخرى.
يهدي الله أولئك الذين يبذلون جهداً مخلصاً ومستمراً وجاداً لطلب الهداية مع تجنب الملوثة الأخلاقية مثل الغطرسة والتحيزات ويكونون مستعدين لتحليل وقبول الأشياء بناءً على الاستحقاق والعقل. كلما زاد الجهد الذي يبذله المرء في هذه الجوانب، زادت الهداية التي يتلقاها. يذكر القرآن بوضوح أن أولئك الذين يتجاهلون آيات الله باستمرار ولا يتجنبون الغطرسة والتحيزات يصلون إلى نقطة يسمح الله لهم فيها بالبقاء ضالين.

السؤال ١١: ماذا يعني القرآن عندما يخبر الأزواج أن زوجاتهم مثل حقول مزارعهم؟

تنص الآية ٢: ٢٢٣ من القرآن على أن الزوجات بالنسبة لأزواجهن يشبهن حرثهم. يفسر بعض النقاد هذه الآية على أنها مهينة للمرأة، مقترحين أنها تصممهم كملكية للأزواج لاستغلالها. ومع ذلك، فإن هذا المثل يساء فهمه. إنه توازي جميل لأنه بالنسبة للمزارع، فإن وجوده بالكامل مرتبط بأرضه الزراعية. المزارع لا يستغل الأرض بل يربحها، ويحميها، ويبذر البذور فيها، ويعمل بلا كل ليل نهار من أجل سلامتها وصيانتها. إن هموم الأرض الزراعية تبقي المزارع مستيقظاً في الليل، قلقاً. يعمل هذا المثل على تذكير الرجال بواجباتهم تجاه

النساء، بدلاً من إعطائهم رخصة لاستغلالهن. وهذا هو السبب في أن الآية تستمر في تذكير الرجال بوجوب تقوى الله في شؤونهم وتعاملاتهم اليومية.

السؤال ١٢: هل كان خطأ حواء (عليها السلام) أنهما أكلا من الشجرة؟

لا! في جميع الحالات تقريباً التي ورد فيها ذكر آدم وحواء (عليهما السلام) في القرآن، ذكر أن كليهما ارتكب خطأ، بدلاً من إلقاء اللوم على أحدهما دون الآخر. ومع ذلك، هناك حالة واحدة محددة يبدو فيها أن القرآن يحمل آدم مسؤولية الخطأ أكثر من حواء (عليها السلام). تقول الآية ٢٠: ١١٥ من القرآن:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْماً﴾.

السؤال ١٣: هل خلقت حواء (عليها السلام) من ضلع آدم؟

لا! فيما يتعلق بهذه المسألة تحديداً، يقول القرآن:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾^٨

^٨ النساء: ٤: ١.

ومن ثم، يبدو أن القرآن يشير إلى أننا جميعاً منحدرين من آدم، ومن روحه أو من فصيلته، خلق الله حواء (عليها السلام). هناك حديث روي فيه عن محمد أنه قال إن حواء (عليها السلام) خلقت من ضلع آدم:

"يا معشر المسلمين! استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً."^٩

إذا كان نسب هذه الرواية إلى محمد دقيقاً وكان قد أدلى بهذا التصريح حقاً، فمن المتصور أنه كان ينشئ مثلاً مجازياً باستخدام المرأة والضلع للتأكيد على أن للمرأة طبيعة معقدة، ولا ينبغي للرجال أن يحاولوا تشكيلهن بالقوة وفقاً لتوقعاتهم.

السؤال ١٤: ما هي أهمية حديث جبريل؟

إذا أراد المرء أن يفهم ما هو الإسلام من خلال نقاط رئيسية، فهناك قمة التقاليد الأكثر ثباتاً في جميع أدبيات الحديث، والمعروفة باسم حديث جبريل. خلال الأشهر الأخيرة من حياة محمد صلى الله عليه وسلم، دخل رجل غير معروف إلى المسجد بينما كان محمد صلى الله

^٩ البخاري، رقم ٥١٨٥؛ مسلم، رقم ٣٤٦٨.

عليه وسلم يلقي خطبة. ونظراً لأن المدينة كانت مجتمعاً صغيراً حيث كان السكان المحليون وجوهاً مألوفة، فقد كان من الغريب ألا يعرفه أحد. بالإضافة إلى ذلك، لم يظهر على الرجل أي علامات سفر؛ فقد بدا نظراً بشكل ملحوظ، مرتدياً ملابس جديدة تماماً. جلس هذا الغريب بجانب النبي صلى الله عليه وسلم وبدأ يطرح أسئلة عن الدين. وبينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيب، كان الرجل يهز رأسه بالموافقة على الإجابات، مما أدهش الحاضرين. تساءلوا من يمكن أن يكون هذا الرجل الذي يؤكد تفسيرات رسول الله عن دينهم. وعند مغادرة الرجل، كشف محمد صلى الله عليه وسلم للجميع أن هذا كان جبريل في هيئة بشرية، أرسله الله لتوضيح دينهم. تخيل ذلك - أرسل الله جبريل في هيئة بشرية لتبسيط التعاليم الدينية من خلال نقاط مباشرة! أريد أن أشارك هذا الحديث هنا لأنه ملخص ممتاز ومثالي لرسالة الإسلام بأكملها.

سأل جبريل محمداً صلى الله عليه وسلم - "ما هو الإيمان؟" - فأجاب - "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، ولقاء الله يوم القيامة، ورسله، وتؤمن بالبعث يوم القيامة".

سأل جبريل - "ما هو الإسلام؟" - فأجاب - "أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً - وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان". سأل جبريل أيضاً - "ما هو الإحسان (الإتقان)؟" - فأجاب - "أن

تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

سأل جبريل - "متى ستقوم الساعة؟" - فأجاب "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل (بمعنى لا أحد يعرف التاريخ الدقيق) - ولكن سأخبرك عن علاماتها:

١. إذا ولدت الأمة ربتها. (أنا أتفق مع رأي السيد جاويد أحمد غامدي بأن محمد صلى الله عليه وسلم قال بطريقة رمزية إن العبودية كمؤسسة سوف تُلغى في العالم - وهو أمر جيد).

٢. عندما يبدأ الرعاة البدو (العرب) يتناولون في البنيان^{١٠}.
ومن الجدير بالذكر أن كلتا علامتي يوم القيامة اللتين تم التنبؤ بهما في هذا الحديث قد تحققتا تقريباً في نفس العصر: تم إلغاء العبودية رسمياً على مستوى العالم في إعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في عام ١٩٤٨، وبدأ العرب يتنافسون في بناء المباني الشاهقة عالمياً منذ أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

السؤال ١٥: ما هو الإيمان بالغيب؟

هناك اعتقاد شائع بين المسلمين بأن المصطلح القرآني "إيمان بالغيب" أو "الإيمان بالمغيبات" يعني الإيمان الأعمى دون سبب. هذا ليس هو

^{١٠} البخاري، رقم ٤٣، مسلم، رقم ١.

الحال. القرآن يؤكد على استخدام العقل في كل صفحة تقريباً. الإيمان يعني الثقة في شيء بناءً على أدلة، بينما الإيمان الأعمى يعني الثقة دون أي دليل. القرآن يؤكد على الإيمان، أو الثقة، بناءً على الأدلة. الإيمان بالغيب يشير إلى الثقة في وجود إله وعالم غير مرئي، استناداً إلى الأدلة المتاحة.

السؤال ١٦: لماذا الكون شاسع جداً؟

تنص الآية ١٤: ٤٨ من القرآن على أن هذا الكون الحالي هو الشكل البدائي للعالم اللامتناهي والأبدي الذي لم يتشكل بعد. عبارات مبسطة للغاية، إنه المادة الخام المتناثرة للعالم القادم.

السؤال ١٧: لماذا يسمى الإله الله؟

الإله، كما هو مذكور في القرآن، يعرف نفسه باسمين: الرحمن، ويعني الأكثر رحمة، والله، والذي يترجم ببساطة إلى "الإله" باللغة العربية. توجد تسميات مماثلة للإله في الكتاب المقدس أيضاً؛ على سبيل المثال، الكلمة العبرية "إلوهيم" في سفر التكوين ١: ١-٢: ٤ والكلمة الآرامية "إلوي" في مرقس ١٥: ٣٤. وبالتالي، سواء كان الله بالعربية، أو إلوهيم بالعبرية، أو إلوي بالآرامية، فإن كل هذه المصطلحات في لغاتها المعنية تعني "الإله".

يعلن القرآن، في الفصل ٧، الآية ٨٠، أنه يمكن نسب جميع الأسماء الحسنى إلى الله. ومن ثم، يمكن تسمية الله بأي اسم جميل في أي لغة، طالما أنه يتوافق مع صفات الله المذكورة في القرآن.

السؤال ١٨: ما هي أهمية معرفة حدودنا، وهل يمكننا حقاً فهم حقيقة الله والملائكة والروح والعالم القادم؟

لآلاف السنين، جادل البشر حول الطبيعة الحقيقية للميتافيزيقا لكنهم لم يحرزوا أي تقدم حقيقي. بدأ إجماع يتطور قبل بضع مئات من السنين بأنه يجب على البشر قبول حدود ما يمكنهم معرفته، والتخلي عن تركيزنا على ما هو خارج نطاق حواسنا، والتركيز فقط على فهم ما يمكننا ملاحظته وقياسه بشكل موضوعي. أدى قبول حدودنا هذا إلى الثورة العلمية الحديثة.

يتوقع القرآن من البشر قبول حدود ما يمكنهم معرفته ويحذر الناس من أن الطبيعة الحقيقية للروح، والملائكة، والعالم القادم، والطبيعة الفيزيائية الدقيقة لله لا يمكن للبشر معرفتها في هذا الوقت، لأنها خارج نطاق ملاحظتهم وإدراكهم في هذه الحياة الدنيا المحدودة. يسمي القرآن الآيات التي تشير إلى مثل هذه المفاهيم "متشابهات"، وتعني الأشياء التي لا يمكن تفسيرها إلا من خلال الأمثال والتشبيهات. وهو يحذر من محاولة فهم الطبيعة الحقيقية للمتشابهات في الآية التالية:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^{١١}.

السؤال ١٩: إذا كان إله القرآن عالمياً، فلماذا توجد أديان كثيرة جداً؟

إله القرآن - إله عالمي

عادة، تصور العديد من الأديان الله على أنه نشط حصرياً داخل منطقة أو ثقافة معينة. غالباً ما يفشلون في معالجة أسئلة مثل: لماذا كان الله منخرطاً فقط في جزء واحد من العالم لثقافة معينة وغائباً على ما يبدو عن البقية؟

يقدم القرآن إلهاً عالمياً - إلهاً غرس الهداية في البشرية ثم أرسل مذكرات وتفصيل وتصحيحات من خلال الرسل إلى جميع المجتمعات. أخيراً، أرسل هذا الإله رسله إلى جميع المجتمعات كعروض أرضية لحكم الله قبل جعل ظاهرة النبوة حصرية لنسل إبراهيم، بغرض تنشئة الأمم للقيام بعمل الله.

^{١١} آل عمران ٣: ٧.

القرآن يفسر وجود الأديان الأخرى

يوضح القرآن أيضاً وجود جميع الأديان الأخرى. وينص على أن الأديان الأخرى قد ظهرت بسبب مزيج من الأسباب التالية:

١. تنص الآية ٢: ٢١٣ من القرآن على أن البشرية جمعاء كانت تتبع في الأصل نفس الدين، ولكن بمرور الوقت، بدأوا في الاختلاف بسبب البغي المتبادل.

٢. علاوة على ذلك، ينص القرآن على أن الناس بدأوا في عبادة الجن والملائكة والأفراد الأتقياء في مجتمعاتهم، كما هو موضح في القرآن^{١٢}، مخترعين قصصاً وأساطير معقدة حولهم.

السؤال ٢٠: لماذا احتاج الله إلى إرسال الكتب السماوية بشكل متكرر؟

الإسلام ليس رسالة هداية جديدة؛ إنه في الواقع نفس الرسالة التي تم تقديمها للبشرية منذ بدايتها. تطورت هذه الرسالة وتوسعت لتلبي احتياجات التطور الثقافي والمجتمعي البشري، واكتملت أخيراً في القرن السابع. وبناءً على ذلك، أعلن إله القرآن:

﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

^{١٢} الأنعام: ٦: ١٠٠، سبأ: ٣٤-٤٠، التوبة: ٩: ٣١.

السؤال ٢١: ماذا يعني الإسلام؟

الإسلام كلمة عربية تعني "الاستسلام". لذلك، في سياقه القرآني، يعني الإسلام تسليم المرء نفسه لله واعتناق الحق.

السؤال ٢٢: إذا كان من الممكن اشتقاق الأخلاق فقط من الكتب الدينية، فلماذا يوجد ملحدون صالحون أخلاقياً؟

هناك انتقاد شائع من المشككين في الدين يتساءل عن الحاجة إلى كتاب ديني ليكون الشخص أخلاقياً، ويسأل عن سبب وجود ملحدين أخلاقيين إذا كان مثل هذا الكتاب ضرورياً. يعالج القرآن هذا الشك بتأكيد على أن البشر لا يحتاجون إلى كتاب للتمييز بين الصواب والخطأ، لأن هذه المعرفة مغروسة في داخلهم بشكل متأصل^{١٤}. تعمل الكتب السماوية المعطاة من خلال الأنبياء كمذكرات وتفصيل للهداية الأخلاقية الفطرية لدى كل فرد. كما أنها تقدم توجيهاً إلهياً في الحالات التي يتم فيها إفساد البوصلة الأخلاقية البشرية.

^{١٣} المائدة ٥: ٣.

^{١٤} الشمس ٩١: ٧-٨.

السؤال ٢٣: ما هي بعض التنبؤات في القرآن التي تحققت؟

هناك تنبؤات معينة وردت في القرآن حول المستقبل القريب تحققت بشكل معجزي. هذه بعض الأسباب الإضافية التي تعزز إيماني بمصادقية القرآن:

أ- في عام ٦١٥ ميلادي، هاجم كسرى برويز ملك فارس الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية) وسيطر على سوريا وفلسطين وشمال أفريقيا. نهب القدس، وأضرم النار في القبر المقدس، ودمر مدناً عديدة. انتهت الحرب بانتصار ساحق وواضح لبلاد فارس، وبدأت الإمبراطورية البيزنطية محكوم عليها بالفناء. ومع ذلك، توقع القرآن على الفور أنه في غضون بضع سنوات، سينتصر البيزنطيون على الفرس. كما تنبأ بأنه في نفس اليوم، سيفرح المسلمون بنصر منحه الله لهم. يصف الله هذا بأنه وعد منه سيتحقق بالتأكيد.^{١٥}

لقد كان هذا التنبؤ خطيراً للغاية لأنه لو لم يتحقق، لكانت القضية الكاملة لكون القرآن موحى به من عند الله قد أصبحت محل شك. بشكل ملحوظ، بعد تسع سنوات، في عام ٦٢٤ ميلادي، استعادت الإمبراطورية البيزنطية قوتها وحقت نصراً حاسماً ضد بلاد فارس في نفس اليوم الذي حقق فيه المسلمون أول نصر لهم، معركة بدر، ضد

^{١٥} الروم ٣٠: ٢-٧.

مشركي مكة.

- ب- نزلت سورة القصص الآية ٨٥، عندما كان محمد، الذي كان آنذاك داعية وحيداً مع قلة من الأتباع، مضطراً لمغادرة مكة. تنبأ هذه الآية بعودته المضطرة إلى مكة، وهو حدث يؤكد التاريخ بالفعل.
- ج- في أعقاب صلح الحديبية عام ٦٢٨ ميلادي، اعتقد المسلمون أنهم دخلوا في اتفاق كارثي مع المكيين، اتفاق من شأنه أن يضرهم كثيراً في السنوات القادمة. ومع ذلك، توقعت الآية ٤٨: ٢٧ من القرآن سيطرة المسلمين الوشيكة على مكة، وبعد عامين فقط، استولى المسلمون بالفعل على مكة.
- د- تنبأ الآية ٢٤: ٥٥ من القرآن بأن أولئك الذين يدعمون محمداً، رسول الله، سيصبحون حكاماً لإمبراطورية ضخمة كجزء إلهي. تحققت هذه النبوءة حيث انتهى الأمر بأتباع محمد صلى الله عليه وسلم المباشرين، الذين افتقروا في البداية إلى براعة عسكرية كبيرة، كحكام لإمبراطورية شاسعة حقاً تُعرف تاريخياً باسم "الخلافة الراشدة"، والتي ظهرت بعد هزيمة القوتين العظميين في ذلك العصر، الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية. شملت هذه الإمبراطورية أراضٍ تضم دولاً حديثة مثل ليبيا، ومصر، وتركيا، وأرمينيا، وأذربيجان، والقدس، وسوريا، والعراق، والأردن، والمملكة العربية السعودية، واليمن، وعمان، والإمارات العربية المتحدة، وإيران، وأفغانستان، وتركمانستان، وأجزاء من باكستان.

السؤال ٢٤: هل يقتبس القرآن نصوصاً دينية سابقة بشكل غير دقيق؟

جانب آخر رائع في القرآن هو أنه يصحح الأخطاء التاريخية الموجودة في الكتب المقدسة السابقة. والأكثر إثارة للدهشة هو حقيقة أنه لم يكن هناك أي وسيلة لأي شخص للوصول إلى المعلومات التي يقدمها القرآن عند تصحيح هذه الأخطاء التاريخية. لننظر في مثالين:

أ- هامان، كما هو موصف في سفر أستير من الكتاب المقدس (بدءاً من أستير ٣)، كان وزيراً للملك فارسي. في المقابل، يصور القرآن في السورة ٤٠: ٣٦ هامان كوزير لفرعون، مكلف بالإشراف على البناء. بالنسبة لأولئك الذين يعتقدون أن محمداً صلى الله عليه وسلم نقل عن الكتاب المقدس، فقد اعتبر هذا خطأً من محمد صلى الله عليه وسلم. كان من المستحيل تحديد ما إذا كان هامان مع فرعون أو الملك البابلي، حيث أصبحت اللغة المصرية منقرضة. لم يستطع أحد فك رموزها حتى تم اكتشاف حجر رشيد في عام ١٧٩٩ ميلادي. في كتابه "موسى وفرعون في الكتاب المقدس والقرآن والتاريخ"، أشار الباحث الفرنسي موريس بوكاي إلى أنه اكتشف أن "هامان" (الممثل في الهيروغليفية المصرية بـ HMNH) كان لقباً مستخدماً في ظل فراعنة مصر، للدلالة على المسؤول عن مواد البناء.

من المهم ملاحظة أنه بينما هي فكرة شائعة أن رمسيس الأول كان

الفرعون في زمن موسى، لا يوجد دليل تاريخي على ذلك، والقرآن لا يذكر رمسيس بالاسم. لذلك، لنكون أكثر دقة، لا نعرف على وجه اليقين أي فرعون يقصده القرآن في قصة موسى.

ب- الاستخدام التاريخي الصحيح للقب "فرعون": يذكر الكتاب المقدس أن الحكام المصريين الذين تفاعلوا مع يوسف وموسى كانوا يسمون فراعنة.^{١٦}

نحن نعلم أن لقب فرعون أُعطي لملوك مصر في وقت لاحق بكثير، وتحديدًا في عصر الدولة الحديثة (من ١٤٠٠ قبل الميلاد فصاعدًا).^{١٧} على الرغم من أنه من المستحيل تقريبًا تقديم تاريخ دقيق يمكن التحقق منه لوجود النبيين المذكورين، إلا أن هناك إجماعًا عامًا...

إن الإجماع على أن يوسف عاش في مصر خلال فترة المملكة المبكرة، قبل الهجرة الجماعية للبرانيين. أما موسى، من ناحية أخرى، فقد وجد في وقت لاحق بكثير، في وقت استعبدت فيه مصر البرانيين

^{١٦} تكوين ١٢: ١٠-٢٠، ٤١: ١-٥٧.

^{١٧} "فرعون"، في موسوعة تاريخ العالم، ٢٢ مايو ٢٠٢٤،

<https://www.worldhistory.org/pharaoh/#:~:text=The%20Pharaoh%20in%20ancient%20Egypt,and%20means%20%60Great%20House.>

لعدة قرون. لذلك، فمن المرجح جداً أن حكام مصر خلال الفترة المبكرة، أي في زمن يوسف، لم يشار إليهم باسم "الفراعنة". أجد أنه من المثير للاهتمام للغاية أنه على الرغم من أن الكتاب المقدس يشير إلى جميع الملوك المصريين باسم "الفراعنة"، فإن القرآن، في عرض رائع للدقة التاريخية، يسمي حاكم مصر على وجه التحديد في زمن موسى بـ "فرعون"، كما في القرآن^{١٨}، لكنه يشير إلى الحكام خلال عصر يوسف ببساطة باسم "عزيز" أو "ملك"، كما هو موضح في القرآن ١٢: ٥٤.

السؤال ٢٥: إذا كان الله هو الرزاق، فلماذا يوجد جوع وجفاف ومجاعات؟

هذه الإجابة مقسمة إلى ثلاثة أجزاء.

١. يخبرنا القرآن أن الله يختبر المخلوقات من خلال الوفرة والندرة معاً، وبالتالي فإن بعض الناس مقدر لهم حتماً أن يمتلكوا أكثر من غيرهم.
٢. يعمل هذا العالم في دورة من الحياة والموت؛ لذلك، تواجه الحيوانات، على وجه الخصوص، الموت أحياناً بسبب الجفاف والمجاعة.
٣. على المستوى الفردي، يجب على المرء أن يبذل جهداً للحصول على رزق الله. هذا هو قانون الله. على سبيل المثال، يجب على المرء

^{١٨} المؤمن ٤٠: ٢٦.

أن يزرع الأرض، أو يفتح متجرًا، أو يؤدي عملاً معينًا؛ عندها فقط سيتم كسب الرزق. إن كون الله هو الرزاق والمعين لا يعني أنه يمكن للمرء ببساطة أن يجلس خاملاً ويتوقع من الله أن يطر عليه المال أو الأرزاق. ينطبق هذا المبدأ على البشرية جمعاء. إن الله بصفته الرزاق يعني أنه وفر موارد كافية على هذه الأرض لإطعام الجميع. إنها الآن مسؤولية البشرية لبذل جهد لكسب هذا الرزق، والأهم من ذلك، ضمان وصوله إلى الجميع. عوامل مثل السياسة، والسياسات الاقتصادية السيئة، وهدر الطعام الهائل، والسيطرة على الموارد واستغلالها، والقيود على الحدود أو القيود على الحركة تؤدي بكثير من الناس إلى المعاناة من التضور جوعًا والجوع، رغم قدرة الأرض على إطعام أكثر بكثير من ثمانية مليارات شخص.

السؤال ٢٦: لماذا العالم ناقص جدًا؟

هذا العالم ناقص ومعيب في تصميمه، لخدمة غرض اختبار الناس. يذكر القرآن مرارًا وتكرارًا أن الجميع يخضعون للاختبار، إما من خلال الوفرة والازدهار والأوقات الجيدة أو من خلال الندرة والخسارة والأوقات العصيبة. وهكذا، يمكن القول بدقة إنه بينما هذا العالم ناقص للعيش، فإنه مصمم بشكل مثالي للاختبار. وفقًا للقرآن، الجنة هي العالم الكامل، المخلوق للحياة الأبدية.

السؤال ٢٧: ما هي توجيهات القرآن لأولئك الذين يريدون التبشير برسالة الله.

يوفر القرآن إرشادات مفصلة لأولئك الذين يرغبون في التبشير برسالة الله. القرآن ١٦: ١٢٥ يطالب تحديداً بأداب معينة وينص على: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وتشترط الآية كذلك أن يكتفي الناس بالتبشير برسالة الله بأفضل طريقة وتمنعهم من إصدار الأحكام على الآخرين في أمور الإيمان:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^{١٩}.

حتى محمد صلى الله عليه وسلم قيل له مراراً في القرآن أن واجبه هو فقط إيصال الرسالة بوضوح؛ وإعلان الحكم متروك لله وحده. عندما يكون رسول الله حياً في العالم، يعلن الله الحكم في أمور الإيمان هنا على الأرض. الآن، ولأنه لن يكون هناك رسول من الله على الأرض، فإن جميع أمور الإيمان سيحكم فيها الله في يوم القيامة، وليس لأحد الحق في إصدار أي حكم أو عقوبة على أي شخص في هذا العالم في أمور الإيمان.

علاوة على ذلك، يوضح القرآن بجلاء في فقرات مختلفة، مثل القرآن

^{١٩} النحل ١٦: ١٢٥.

١٤: ٤، أن الدور الأساسي للمبشر هو نقل الحقيقة بأفضل ما لديه من قدرات. ومع ذلك، ليس من سلطة المبشر ضمان هداية الآخرين؛ بل إن الله هو الذي يحدد من ينال الهداية ومن لا ينالها. يقرر الله مدى الهداية الممنوحة لكل فرد بناءً على عوامل مختلفة، بما في ذلك الإخلاص الذي يتبع به الشخص بوصلته الأخلاقية، وجدية وإخلاص وإصرار الباحث، وأمانة وصدق الفرد، وقدرة الشخص على الترفع عن جميع التحيزات عند تحليل الحقائق.

السؤال ٢٨: هل القرآن مخصص لتقديم تفسيرات علمية للظواهر الطبيعية؟

عندما يعلق القرآن على الشمس والقمر والنجوم وغيرها من الظواهر الطبيعية، فإنه لا يحاول توضيح العلم الكامن وراء هذه الظواهر. وبدلاً من ذلك، فإنه يهدف إلى مخاطبة ما رآه عرب القرن السابع بأعينهم، وبالتالي استنهاض ملكاتهم الفكرية للتأمل في الله والآخرة. على سبيل المثال، في القرآن ٣٦: ٤٠، يخاطب عرب القرن السابع، ويحثهم على مراقبة كيف أن الشمس لا تدرك القمر والعكس صحيح، مما يشجع على التفكير في الأسئلة الوجودية. هذه الفقرة ليست مخصصة لتعليمه أو تعليم قراء القرآن في المستقبل عن علم الفلك أو الفيزياء الفلكية. وبالتالي، فإن الرؤية الصحيحة للقرآن هي أنه ليس كتاب علم، ولا

يدعي ذلك. ومع ذلك، عندما تكون هناك معلومات في القرآن ذات آثار علمية — مثل تفاصيل حول الأكوان المتعددة أو أصل الإنسان — فإن العلم الراسخ والقرآن لا يتعارضان.

السؤال ٢٩: لماذا يذكر القرآن اللذات الجسدية في الجنة للرجال، وماذا ستنال النساء؟

القرآن ٤٣: ٣١، إلى جانب العديد من الآيات الأخرى، ينص بوضوح على أن أولئك الذين في الجنة — رجالاً ونساءً — سينالون كل ما يتمنون. ومن المضمن أصلاً أن المرء لا يمكنه تمني أي شيء ظالم أو شرير. لذلك، وبغض النظر عما إذا كنت رجلاً أو امرأة، فستنال كل ما ترغب فيه في الجنة.

يذكر القرآن على وجه التحديد إشباع الرغبات الجسدية للرجال، حيث كانوا الجمهور الأساسي أثناء نزول الوحي، لكونهم محور الجهود السياسية والعسكرية للإسلام. طُلب من هؤلاء الرجال ممارسة ضبط النفس الشديد بينما كان مطلوباً منهم في الوقت نفسه خوض الحروب وأداء واجبات شاقة أخرى للإسلام.

لا ينظر الإسلام إلى الرغبة الجنسية على أنها شر بطبيعتها؛ ومع ذلك، فإن التعبير عن الرغبة الجنسية يقتصر بشكل صارم على الزواج

في هذه الحياة الدنيا لحماية مؤسسة الأسرة، كما تمت مناقشته سابقاً. في الجنة، ستكون مؤسسة الأسرة رغبة اختيارية وليست ضرورة بشرية، ومن ثم لن تكون هناك قيود على الرغبة الجنسية.

السؤال ٣٠: كيف يصف القرآن الجنة، وهل هذه الأوصاف حرفية أم رمزية؟

يؤكد القرآن بشكل أساسي أن الجوهر الحقيقي للحياة القادمة — الجنة، النار، طبيعة الله، الملائكة، وما إلى ذلك — لا يمكن فهمه تماماً في الوقت الحاضر. لذلك، فهو يستخدم أوجه التشابه والقياسات ليقدم للبشر لمحة عما قد يكون عليه العالم المستقبلي.

بينما يقدم بياناً مبدئياً بأن الجنة هي مكان لأقصى درجات القناعة واللذة والإشباع والسلام والسعادة، يقدم القرآن أيضاً تفاصيل، تنص على أنه سيكون هناك أنهار من لبن وعسل في الجنة وأن الناس سيرتدون الحرير والحلي. تم نقل هذه التفاصيل المحددة مع وضع الجمهور المعاصر في الاعتبار، مما يعكس تصورهم لما تشمله الرفاهية والوفرة.

إن المبادئ التي تحكم الجنة أبدية وخالدة؛ على سبيل المثال، سينال المرء كل ما يتمناه، وسيكون هناك رضا وقناعة تامة. ومع ذلك، فإن تفاصيل الجنة الموضحة في القرآن وُضعت مع وضع الجمهور المعاصر في الاعتبار.

السؤال ٣١: لماذا اختار الله اللغة العربية لإيصال رسالته الأخيرة؟

لأن المتلقين المباشرين لرسالة الله في ذلك الوقت كانوا يتحدثون العربية.^{٢٠}

السؤال ٣٢: لماذا الله غير مرئي؟

حتى يكون للناس حرية الاختيار. حرية الاختيار هذه هي في صميم اختبار الحياة الذي نخضع له. الهدف الكامل من هذا الاختبار هو معرفة ما إذا كنا سنختار أن نكون صادقين وصالحين أم غير أمناء وأشرار. إنه أمر منطقي لأنه إذا كانت مثل هذه الظاهرة الكلية القدرة مثل الله (جنباً إلى جنب مع الملائكة) مرئية وتُحاسب الناس فوراً، فسيؤدي ذلك بالتأكيد إلى المساس بحرية الإنسان في فعل أي شيء يريده. فكر في هذا المثل التبسيطي المفرط: إذا كان شرطي المرور واقفاً مباشرة أمام إشارة المرور، فلن يعبر أي شخص عاقل في الإشارة الحمراء.

علاوة على ذلك، كيف يمكن لأي شخص أن يكون لديه خيار رفض الله ورسالته إذا كان بإمكانه رؤية الله مباشرة؟ لذلك، لمنح الناس حرية الاختيار، فإن الله وملكوته بالكامل ليسوا مرئيين بشكل مباشر.

^{٢٠} يوسف ١٢: ٢، حم السجدة ٤١: ٣.

ومع ذلك، هناك آيات داخلنا وحولنا تعلن عن وجودهم.

السؤال ٣٣: هل البشر هم مركز الوجود؟

نحن البشر غالباً ما نشعر بأننا مميزون، وهذا الشعور بالأهمية الذاتية ينعكس بشكل متكرر في العديد من الأيديولوجيات الدينية التي تضع البشرية في طليعة ومركز الوجود.

هذا المفهوم شائع أيضاً بين العديد من المسلمين الذين يعتقدون خطأ أن القرآن يشير إلى البشر باسم "أشرف المخلوقات"، والتي تترجم إلى أكثر خلق الله تكريماً وتفوqاً. ومع ذلك، فإن هذه العبارة لم تذكر في أي مكان في القرآن. يذكر القرآن ١٧: ٧٠ أنه على الرغم من أن الله قد فضل البشر على "كثير" من خلقه، إلا أن ذلك لا يعني أن البشر مفضلون على جميع مخلوقات الله. علاوة على ذلك، يذكر القرآن وجود الملائكة والجن، الذين هم متفوقون جسدياً بكثير على البشر. كانت القصة الكاملة لمطالبة الله للملائكة والجن بقبول سيادة البشر على الأرض لمعرفة أي من هذه المخلوقات سيطيع أمره، رغم كونهم متفوقين جسدياً على البشر. كان الاعتراض الرئيسي لإبليس — الشيطان — هو رفضه السجود للبشر، مستشهداً بتفوقه الجسدي. يوضح القرآن، في سورة الجن، أنه بعيداً عن البشر، يخضع الجن أيضاً لاختباراتهم الأخلاقية الخاصة. لذلك، وفقاً للقرآن، فإن نظام الوجود ليس متمركزاً حول

الإنسان على الإطلاق.

في الجوهر، على الرغم من أن القرآن ينص على أن البشر هم أكثر تميزًا من الكثير من مخلوقات الله، إلا أنه يقدم نموذجًا للوجود غير متمركز حول الإنسان.

السؤال ٣٤: ما هو موقف الإسلام من المثلية الجنسية والتحول الجنسي؟

قبل أن نخوض في هذا النقاش، من الضروري أن نفهم أن هذا الأمر هو موضوع نقاش حاد بين الليبراليين والمحافظين. هناك أفراد واسعو المعرفة والإنجازات على كلا جانبي الطيف فيما يتعلق بهذه القضية، وجميع الأطراف يدعون أن لديهم أبحاثًا علمية تدعم وجهات نظرهم. إذا كنت ليبراليًا في مسائل التوجه الجنسي والهوية الجندرية، فيمكنك العثور على مواد بحثية تدعم وجهة نظرك. وبالمثل، إذا كنت محافظًا في هذه القضايا، فستجد أيضًا مواد بحثية تدعم موقفك.

الإسلام والتحول الجنسي

يجادل مؤيدو التحول الجنسي بأن الجنس البيولوجي والهوية الجندرية هما مفهومان منفصلان تمامًا. وهم يؤكدون أن الكروموسومات والأعضاء الجنسية والسمات البيولوجية الأخرى لا تحدد الجندر؛ وبدلاً

من ذلك، فإنهم يرون الجندر كحالة ذهنية وبناء اجتماعي. الإسلام لا يضع مثل هذه التمييزات — إذا كنت ذكراً بيولوجياً، فأنت ذكر؛ وإذا كنت أنثى بيولوجية، فأنت أنثى. يعامل القرآن هذا الأمر كمسألة مفهومة ولا يتطرق تحديداً إلى مسألة ما إذا كان يمكن للمرء أن يحدد جنساً مختلفاً عن جنسه البيولوجي. ومع ذلك، هناك أحاديث معينة تتناول هذه القضية مباشرة وتنهى الرجال عن التشبه بالنساء والعكس صحيح.^{٢١}

ومع ذلك، هناك إجماع عام بين علماء المسلمين على أنه ينبغي السماح للأفراد الذين يعانون من خلل بيولوجي بالخضوع لجراحة تأكيد الجندر. وعلى العكس من ذلك، إذا لم تكن هناك تشوهات بيولوجية وكان اختبار الفرد لهوية جندرية مختلفة نفسياً بحثاً، فمن وجهة نظر الإسلام، يتم التعامل معه كاضطراب نفسي.

الإسلام والمثلية الجنسية

عند تناول المثلية الجنسية، ينص القرآن صراحة على أنها خاطئة، لا سيما في سياق قوم لوط، نبي الله. ولكن لماذا تعتبر آثمة؟ السبب الرئيسي هو أن القرآن يحظر تماماً جميع أشكال النشاط الجنسي خارج

^{٢١} البخاري، رقم ٥٨٨٥، أبو داود، رقم ٤٠٩٨ و ٤٠٩٩.

نطاق الزواج بين ذكر بيولوجي وأنثى بيولوجية. يعمل هذا الحظر على حماية وتعزيز مؤسسة الأسرة. على الرغم من أننا ناقشنا سابقاً لماذا يحرص إله القرآن بشدة على حماية مؤسسة الأسرة، سأكرر ذلك هنا للسياق.

إن اتحاد الرجل والمرأة يعمل كآلية لجلب بشر جدد إلى هذا العالم. منذ اليوم الأول، يحتاج هؤلاء البشر الجدد إلى رعاية هائلة، تمتد إلى ١٥ عاماً على الأقل أو أكثر. إن الكائن البشري ليس مجرد كيان جسدي ولكنه يشمل أيضاً أبعاداً نفسية وعاطفية وأخلاقية وروحية. وبالتالي، فإن الرعاية والتنشئة المكثفة التي يحتاجها المولود الجديد يجب أن تعالج كل هذه الفئات. يحتاج الإنسان إلى رعاية جسدية ونفسية وعاطفية وأخلاقية وروحية لتعزيز رفاهيته في هذه الحياة، والأهم من ذلك، في الآخرة. لقد أنشأ الله مؤسسة وحدة الأسرة البيولوجية، التي تتكون من ذكر بيولوجي وأنثى بيولوجية متحدتين في الزواج. وفقاً للقرآن، يريد الله وحدة أسرية مستقرة يمكنها توفير ورعاية هذا الإنسان الجديد في جميع المجالات المذكورة أعلاه بفعالية.

وظيفة أخرى بالغة الأهمية لمؤسسة الأسرة هي رعاية الأفراد عند وصولهم إلى سن الشيخوخة. مؤسسة الأسرة المستقرة هي أفضل آلية لتوفير الرعاية الجسدية والعاطفية لكبار السن. في حين أن دور رعاية المسنين هي خطة بديلة قابلة للتطبيق للكثيرين، وقد يفضلها بعض

الأفراد في البلدان المتقدمة كخيار أول، فمن الواضح — دون الحاجة إلى الاستشهاد بأبحاث محددة — أن دور رعاية المسنين لا يمكنها توفير نفس المستوى من الإشباع النفسي والعاطفي والرعاية التي توفرها مؤسسة الأسرة المستقرة.

لذلك، لحماية وتعزيز مؤسسة الأسرة البيولوجية، يعتبر أي سلوك جنسي خارج نطاق الزواج بين ذكر بيولوجي وأنثى بيولوجية خطيئة. من خلال تعليمي للقرآن، تعلمت أنه إذا كنت مسلماً يعرف نفسه على أنه ثنائي الجنس أو مرن جندياً، فإن قبول خطة الله واختيار المغايرة الجنسية، إلى جانب التماهي مع جنسك البيولوجي، يُنظر إليه كقرار شخصي، يُتخذ عموماً دون الحاجة إلى مساعدة خارجية.

ومع ذلك، إذا كنت متحولاً جنسياً أو مثلياً وتشعر أن ميولك متأصلة لدرجة أنه لا يملك السيطرة عليها بغض النظر عن جهودك، فأنا أتعاطف معك، فهي بالفعل اختبار ومحنة كبيرة. يتوقع منك إله القرآن أن تدير رغباتك. إذا بدا هذا التوقع من الله متطلباً للغاية، فاعلم أنك لست وحدك؛ فالعديد من الأفراد المغايرين جنسياً يخضعون أيضاً لتمارين شاقة من ضبط النفس في مسائل الجنس والألفة. فكر في متطلب الحصر الجنسي والعاطفي لزوجك — على سبيل المثال، يتطلب الأمر قدراً هائلاً من ضبط النفس في الزيجات المغايرة، خاصة إذا كان الزواج يفتقر إلى الإشباع العاطفي أو الجنسي. ومع ذلك، تظل الحقيقة — إذا

كنت تعرف نفسك كمتحول جنسي قهري أو مثلي الجنس، فإن تحدياتك فريدة، ويجب على المجتمع أن يكون متسامحاً ويقدم كل مساعدة ممكنة لتخفيف معاناتك ومعالجة مخاوفك. إذا فشلت في قمع هذه الرغبات وارتكبت خطايا في هذه الفئة، فإن القرآن يتوقع منك إخفاء تلك الخطايا وعدم التباهي بها. ومع ذلك، كن على دراية أيضاً بأن القرآن لا يحكم عليك بالنار الأبدية بسبب هذه الخطايا. استمر في السعي من أجل الامتناع، واطلب المغفرة، وحافظ على جوانب أخرى من حياتك بأفضل ما لديك من قدرات فيما يتعلق بتعاليم الله. استمر في الصلاة، وأعطِ للصدقات، واجتهد لتكون شخصاً متواضعاً وجيداً.

كمسلم، إذا قابلت شخصاً متحولاً جنسياً أو مثلياً، رغم أنني لا أتفق مع أيديولوجيتهم، إلا أنني لا أزال أحترم حقهم في اتخاذ خياراتهم الشخصية. سأعاملهم بنفس الاحترام الذي أعامل به أي شخص آخر. يمتد هذا النهج ليشمل الأشخاص الذين أعرفهم والذين يشاركون سرّاً أو علناً في سلوكيات يحرمها الإسلام. على سبيل المثال، يشارك العديد من معارفي في علاقات جنسية خارج إطار الزواج، أو يقامرون، أو يشربون الكحول. رغم أنني لا أتفق مع هذه الخيارات لأنها تتعارض مع معتقداتي الأخلاقية والدينية، إلا أنني أحترم حقهم في اتخاذ هذه القرارات بأنفسهم. في الواقع، إن إله

لقد منح القرآن الناس الخيار لاتخاذ قراراتهم الخاصة بمحض إرادتهم. ومع ذلك، فإن بعض الأفعال، عندما تُرتكب علناً وبشكل تحدٍ لها عواقب دنيوية في الإسلام. أود أن أتناول بإيجاز العقوبة الدنيوية للمثلية الجنسية في الإسلام. في الإسلام، تعتبر جميع الأنشطة الجنسية، سواء كانت مغايرة أو مثلية، التي تحدث خارج نطاق الزواج بين ذكر وأنثى خطايا. إذا ارتكبت هذه الخطايا في السر، فإن القضية تبقى حصرياً بين الفرد والله. ومع ذلك، إذا ارتكبت هذه الخطايا علناً وبلا حياء، فيلزم وجود أربعة شهود عدول لتسجيل قضية. وإذا أكد التحقيق وقوع الخطيئة، فإنها تصبح حينها جريمة يعاقب عليها القانون الإسلامي. ينطبق هذا المعيار على جميع الأنشطة الجنسية خارج نطاق الزواج، بما في ذلك الأفعال المغايرة والمثلية على حد سواء.

لا يحدد القرآن أي عقوبة دنيوية للمثلية الجنسية. ويمكن الاستنتاج أن عقوبة الزنا في القرآن تنطبق على كل من الأفعال المغايرة والمثلية. وبناءً على ذلك، يتفق جميع الفقهاء على أن المثلية الجنسية هي خطيئة وجريمة في آن واحد، لكنهم يختلفون اختلافاً كبيراً في عقوباتها المقررة. هذه التباينات كانت موجودة دائماً في التراث الفقهي الإسلامي فيما يتعلق بطبيعة وشدة العقوبات الدنيوية لهذه الجريمة. تشير بعض تقارير الحديث إلى أن بعض صحابة محمد صلى الله عليه وسلم اعتقدوا أن

عقوبة الزنا المثلي يجب أن تكون أشد من عقوبة الزنا المغاير. ومع ذلك، أدت تقارير حديث أخرى بفقهاء مرموقين مثل الإمام الشافعي والإمام أحمد إلى استنتاج أن عقوبة الزنا المثلي يجب أن تكون مثل عقوبة الزنا المغاير. واعتبر علماء مثل أبو حنيفة أن عقوبة الزنا المثلي يجب أن تكون أقل شدة من عقوبة الزنا المغاير، موصيًا بأن تُترك العقوبة لتقدير القاضي (تعزير) بدلاً من أن يملئها الحكم الإلهي أو "الحد".^{٢٢}

هناك تقارير في أدبيات الحديث تشير إلى أن محمدًا صلى الله عليه وسلم قرر عقوبة الإعدام للمثلية الجنسية^{٢٣}. يجب أن نعود إلى مبدأنا في فهم الحديث من خلال الإطار الذي وفره القرآن. وكما نوقش سابقًا، وفقًا للقرآن ٥: ٣٢، لا يمكن تنفيذ عقوبة الإعدام إلا في حالات القتل أو الجرائم المصنفة كـ "فساد في الأرض". عندما يُرتكب الزنا باستمرار وعلانية وتحدٍ رغم المحاولات المتكررة لوقفه، فإنه يُصنف كجريمة تحت فئة الفساد في الأرض. تخبرنا أدبيات الحديث أن محمدًا صلى الله عليه

^{٢٢} "عقوبة الشذوذ الجنسي - الإسلام سؤال وجواب"، تم الدخول إليه في ٢٥ مايو ٢٠٢٤.

<https://islamqa.info/amp/en/answers/38622>

^{٢٣} الترمذي، رقم ١٤٥٦؛ أبو داود، رقم ٤٤٦٢؛ ابن ماجه، رقم ٢٥٦١. — اكتشاف في الله وللإسلام ويوم القيامة 365 —

عليه وسلم أصدر عقوبة الإعدام للزنا المغاير عندما وقع في هذه الفئة. لذلك، يمكن للمرء أن يستنتج منطقياً أنه إذا كانت نسبة هذه الرواية إلى محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة، فإنه، تماماً مثل الزنا المغاير، يأمر بعقوبة الإعدام للزنا المثلي إذا ارتكبت الجرائم علناً وتحدياً و باستمرار.

باختصار، أي سلوكيات أو أفعال مغايرة أو مثلية خارج حدود الزواج بين رجل وامرأة تعتبر كبائر، وتستوجب عقوبة شديدة يوم القيامة. إذا تم ممارسة هذه السلوكيات والأفعال علناً و باستمرار وتحدياً، فإن الخطيئة تتصاعد لتصبح جريمة تحمل عقوبة دنيوية.

السؤال ٣٥: لماذا ينص القرآن على أن كل المجد والحمد لله؟

هناك مقاطع كثيرة في القرآن تذكر عبارات مثل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

الكلمة العربية التي تُترجم غالباً بـ "Praise" هي "الحمد". وهذا المصطلح يشمل ما هو أكثر من مجرد مدح شخص ما؛ إنه ينطوي على تقديم الشكر والامتنان بالمعنى الشمولي.

وبالتالي، تنقل هذه الآيات حقيقة أساسية: بما أن الله هو خالق كل شيء وممده، فإن كل الامتنان ينتمي أساساً لله.

في مواضع أخرى، حيث يعلن القرآن أن كل الحمد والمجد لله، فإنه

يعبر عن حقيقة أساسية عن الله. دعني أوضح.

عندما ننظر إلى هذا الأمر من منظور إنساني، يبدو غريباً أن يقول شخص ما: "كل المدح لي". نشعر بهذا لأنه، بالنسبة للبشر، كون الشخص مستحقاً للمدح هو أمر ذاتي. ومع ذلك، عندما ننظر إلى هذا من منظور الله، فإن عبارة "كل المجد والحمد لله" ليست عبارة ذاتية بل هي تعبير عن حقيقة أساسية وحرفية. تخيل لو كان هناك إله حقاً، فمن الحقيقة المطلقة أن كل المجد والحمد يتميان بالفعل لله لأن الله خلق كل شيء!

علاوة على ذلك، عندما لا نمدح الله مباشرة بل نمدح أي شيء آخر، فإننا لا نزال نمدح الله لأنه هو من خلقه. وهكذا، فهي حقيقة حرفية أن كل الحمد — سواء كان مباشراً أو غير مباشر — ينتمي حصرياً لله.

السؤال ٣٦: هل كان بإمكان الله خلق كل شيء دون خلق جهنم؟ هل جهنم أبدية؟

تخدم جهنم بعض الأغراض الحيوية والتي لا مفر منها. بالنسبة لي، كان مفهوم العقوبات الإلهية منطقياً. بدا من المنطقي أن يحتاج المرء إلى التكفير عن خطاياهم وجرائمهم من خلال شكل من أشكال العقاب في هذا العالم أو الآخر، ثم يتم إطلاق سراحه بمجرد

تطهيره من خطاياہ. أحد أغراض جهنم هو أن تكون مكانًا يمكن فيه لأولئك الذين تستحق أفعالهم العقاب أن يكفروا عن ذنوبهم قبل دخول الجنة. وهكذا، كان لا بد لله من خلق جهنم كشكل من أشكال المطهر المؤقت.

ولكن ماذا عن مفهوم جهنم الأبدية؟ دعونا نخلله بإيجاز. إذا كانت جرائمك شنيعة لدرجة لا يمكن لأي قدر من التطهير أن يبرر إطلاق سراحك، فقد يبدو الموت الأبدي مناسبًا. ومع ذلك، فإن فكرة المعاناة الأبدية كعقاب أزعجتني — فمهما كانت الجريمة المرتكبة في هذا العالم، فإنها تظل محدودة. كيف يمكن لشخص أن يعاني إلى ما لا نهاية وإلى الأبد من أجل جريمة محدودة؟ ربما أكون مخطئًا. ربما يستحق المجرم بؤسًا أبديًا إذا كان، وهو سليم العقل، مذنبًا بأفعال شنيعة مثل التعذيب والاغتصاب وقتل طفل، ارتكبت بالكامل بدافع الشهوة.

تنص القرآن ٩٢: ١٥ بوضوح على أن أشد العذاب في جهنم محجوز للأكثر شرًا وشقاءً. كما يعلن القرآن بشكل لا لبس فيه أن أولئك المحكوم عليهم بجهنم الأبدية سيقيمون فيها إلى الأبد. ومع ذلك، هناك نص في القرآن يشير إلى أنه بعد أن يتلقى الجميع عقابهم المستحق، فإن جهنم، مع جميع سكانها، قد يتم استئصالها نهائيًا وإخضاعها للموت الأبدي من قبل الله. ففي النهاية، كون المرء "عدمًا" إلى الأبد هو شكل من أشكال العقاب في حد ذاته.

تنص القرآن:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾^{٢٤}

لذا، تشير هذه الآيات إلى أن الأفراد الأكثر شرًا وشقاءً، بمجرد تركهم في جهنم، سيقفون هناك طالما بقيت جهنم موجودة. ثم يذكر الله أنه إذا شاء خلاف ذلك، فلهذه القدرة على التصرف — أي إذا قرر القضاء نهائياً على جهنم مع جميع سكانها، فيمكنه فعل ذلك بالتأكيد. والآن يطرح نفس السؤال حول الجنة — هل يمكن لله أن يفني الجنة إذا شاء؟ في الآية التالية مباشرة، يطمئننا الله أن لا، فالجنة أبدية ودائمة ولن تفنى أبداً.

تواصل القرآن ١١: ١٠٨ النقاش من الآيات السابقة:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ﴾.

هناك احتمال ضئيل بأن تفنى جهنم نهائياً ويُمنح جميع سكانها الموت الأبدي. ومع ذلك، فإن أفكاراً مثل "جهنم هي مطهر مؤقت" أو "إمكانية إفناء جهنم وسكانها الدائمين" لا ينبغي أن تسبب تنهيدة

^{٢٤} هود ١١: ١٠٦-١٠٧.

ارتياح لأي شخص. وذلك لأن الشخص الذي ينتهي به الأمر في جهنم سيضطر إلى تحملها لما يعلمه الله من تريليونات وتريليونات السنين قبل أن يُمنح أي فرج.

السؤال ٣٧: من هو الشيطان؟ هل نرتكب الخطيئة بسبب الشيطان؟

تنص القرآن ١٢: ٥٣ بوضوح على أن الميل لارتكاب الشر يكمن داخل البشر. توضح الآية أن جزءًا من نفوسنا يحثنا باستمرار على الانخراط في ارتكاب الأخطاء. في النهاية، قرارنا هو ما إذا كنا سنستسلم لهذا الجانب من أنفسنا أو نقاومه.

ينص القرآن بوضوح على أن لنا عدوًا لدودًا من جنس الجن. الجن كائنات واعية متفوقة جسديًا وأكثر قوة من البشر. وفقًا لسورة الأعراف ٧: ٢٧، يمكنهم رؤيتنا من حيث لا نراهم — وهذا قد يوحي بأن الجن قد يكونون كائنات من أبعاد أعلى.

يخضع جنس الجن أيضًا لاختباره الخاص في حرية الإرادة والأخلاق. مثلنا تمامًا، يشكلون مجتمعات وتضم أفرادًا صالحين وآخرين خبيثين. ومع ذلك، هناك جني واحد بعينه يدعى إبليس، ذكر في سورة الكهف ١٨: ٥٠، مع ذريته، أعلنوا خصومًا للبشرية. عداوتهم للبشر نابعة من طردهم من قبل الله بسبب رفض إبليس الخضوع للبشر كما أمره الله.

برر إبليس عصيانه بالادعاء بالتفوق على البشر، لكونه خُلق مما اعتبره جوهرًا أسمى. كان هذا الغرور والاعتقاد التمييزي هو ما أدى إلى طرده^{٢٥}. بعد هذا الطرد، تعهد إبليس وذريته بإغواء أكبر عدد ممكن من البشر لارتكاب المعاصي، بهدف منعهم من دخول جنة الله.

القوة الوحيدة التي يمتلكها إبليس وذريته هي غرس الأفكار في عقولنا، وحثنا على ارتكاب أفعال خاطئة. ومع ذلك، فالأمر متروك لنا تمامًا سواء استمعنا وأطعنا هذه الأفكار، أو قاومناها ورفضناها. وبناءً على ذلك، في يوم القيامة، عندما يحاول الناس إلقاء اللوم على إبليس في أخطائهم، فإنه سيرد:

﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي﴾^{٢٦}

ومن هنا، فإن القدرة والميل لفعل الشر يكمنان في داخلنا، وقرارنا هو فعل الشر أو الامتناع عنه. الشيطان وذريته لا يمكنهم إلا غرس الأفكار والآراء في عقولنا ومحاولة استغلال نقاط ضعفنا لتحريضنا على فعل الشر.

^{٢٥} الأعراف ٧: ١٢، ص ٣٨: ٧٦.

^{٢٦} إبراهيم ١٤: ٢٢.

السؤال ٣٨: لماذا يحتاج الله عبادة الجميع؟

تنص القرآن ٥١: ٥٦ على أن الإنس والجن خلقوا ليعبدوا الله. ومع ذلك، هذا لا يعني أن البشر والجن مُطالبون بالانخراط المستمر في طقوس العبادة. الطقوس هي مجرد شكل واحد من أشكال التعبير عن العبادة. العبادة مصطلح شمولي يشمل معانٍ مثل الحب، والولاء، والإخلاص، والامتنان، والطاعة. لذلك، ينص القرآن على أن الإنس والجن خُلقوا ليعيشوا مع الاعتراف بأنهم صنعة الله وأن الله هو الذي أمدهم بكل شيء. في المقابل، تتطلب الأخلاق الأساسية أن يكونوا متواضعين وممتنين، بدلاً من أن يكونوا متمردين ومتكبرين تجاه الله.

السؤال ٣٩: ما هي المبادئ التوجيهية التي يجب أن أتبعها كممثل/فنان؟

بدءًا من عام ٢٠١٤، بدأت أفكر في أن الإسلام قد يكون هو الحق. أستخدم عبارة "قد يكون" لأنه، على الرغم من أن الإسلام أجاب على العديد من أسئلتِي الوجودية، إلا أنه كان لا يزال هناك العديد من الاستفسارات التي لم يُجب عليها. خلال هذه الفترة، لعب السيد جاويد أحمد غامدي دورًا حاسمًا في رحلتي للبحث عن أجوبة لهذه الأسئلة العالقة. لا أستطيع تحديد الوقت بالضبط، لكنه كان في حدود ٢٠١٨-٢٠١٩ عندما أدركت أن جميع أسئلتِي قد تمت معالجتها، وانتقلت من

الاعتقاد بأن الإسلام "قد يكون" الحقيقة الإلهية إلى الاقتناع بأن الإسلام "هو حقًا" الحقيقة الإلهية. كان هذا الإدراك نقطة تحول في حياتي.

في عام ٢٠١٩، سجلت مقطع فيديو لأعلن للجمهور أنني استنتجت أن الإسلام، والكتب المقدسة، والأنبياء، والرسل، والملائكة، ويوم القيامة — كل هذا حق! وأعلنت أنني سأعزل التمثيل لفترة طويلة جدًا من أجل تعلم المزيد والدعوة عما أؤمن الآن أنه الحقيقة الإلهية من الله.

في هذه الرسالة المصورة، والتي لا تزال مرفوعة على قناتي على يوتيوب، ذكرت شيئين على وجه التحديد:

١. قلت بوضوح إن اعتزالي للتمثيل لا ينبغي أن يُفسر على أنني تركت الفن لأن الإسلام يحرم الفن، وأوضحت تمامًا أن تفسير الإسلام الذي توصلت إليه لا يحرم أي شكل من أشكال الفن مثل الموسيقى، والرسم، والنحت، والتمثيل. بدلاً من ذلك، فإنه يضع حدودًا أخلاقية معينة وضعها الله يمكن للمسلم من خلالها الانخراط في كل هذه الأشكال الفنية.

٢. قلت أيضًا إنني لست متأكدًا متى أو ما إذا كنت سأعود إلى التمثيل لأنه الآن، وبصفتي شخصًا مهتمًا بشدة بالمساءلة أمام الله يوم القيامة، لا يمكنني العمل إلا في مشاريع تقع ضمن الحدود الأخلاقية

التي وضعها الله، ولا توجد مشاريع كثيرة يتم إنتاجها بالكامل ضمن هذه الحدود الأخلاقية الإلهية خاصة عندما يتعلق الأمر بالأفلام. وتعهدت أيضاً بأنه إذا لم أجد مشاريع تقع ضمن الحدود الأخلاقية لله، فسوف أمتنع عن العمل، حيث أن الله قد وفر لي وسائل أخرى لأعيش حياتي براحة نسبية.

ومع ذلك، وعلى الرغم من وضوح وعدم الغموض في النقاط المذكورة في الرسالة المصورة، امتلأت الصحف والقنوات الإخبارية في اليوم التالي بعناوين تقول: "حمزة علي عباسي يترك الفن من أجل الإسلام". أعتقد أن هذا حدث بسبب وجود اعتقاد متجذر في مجتمعي بأن الإسلام يحرم جميع أشكال الفن، وربما أيضاً لأن الكثير من الناس لم يستمعوا إلى الرسالة المصورة كاملة.

وفقاً لتفسير الإسلام الذي أؤمن بأنه الحق، والذي يتبناه السيد جاويد أحمد غامدي في العصر الحديث، يُسمح للرجال والنساء بالدراسة والعمل معاً، والانخراط في أشكال فنية مختلفة، بشرط التزامهم بالحدود الأخلاقية التي وضعها الله. يفصل القرآن بإسهاب في هذه الحدود الأخلاقية؛ ومع ذلك، فقد اخترت الآية ٧: ٣٣ من القرآن لذكرها هنا لأنها تحدد هذه الحدود الأخلاقية بوضوح.

تحرم هذه الآية ما يلي:

١. جميع أشكال السلوك الحميم أو الجنسي يجب أن تقتصر بدقة

على الزواج وتُمارس بخصوصية خلف الأبواب المغلقة.
ومن ثم، سواء كان ذلك في كلمات أغنية، أو حوارات في فيلم أو
دراما، أو ملابس الفنانين، أو تفاعلاتهم، فإن أي شيء ولو كان جنسياً
عن بعد غير مسموح به إطلاقاً في الإسلام.

وهذا يعني أنني كممثل، لا يمكنني المشاركة في أي أنشطة تتطلب
مني ارتداء أو فعل أو قول أي شيء يكون حتى عن بعد ذو طبيعة
جنسية. بالإضافة إلى ذلك، لا يمكنني لمس أي امرأة بأي شكل من
الأشكال الحميمة أو الجنسية. وفيما يتعلق بملابس النساء، وفي ضوء
آيات معينة من سورة النور سأناقشها لاحقاً، يجب ألا يرتدين أي شيء
ضيّق أو يكشف أجسادهن بأي شكل من الأشكال من الرقبة إلى المعصمين
وصولاً إلى الكاحل. وإذا اضطرت المرأة لارتداء المجوهرات أو غيرها
من الزينة، فعليها التأكد من تغطيتها، باستثناء ما يظهر على الوجه
واليدن والقدمين. وإذا لم تتمكن من تغطية الزينة، فإن أقل ما يمكنها
فعله هو التأكد من أن زينتها لا تبرز مناطقها الحساسة أو تلفت الانتباه
إلى هذه المناطق. فعلى سبيل المثال، لا ينبغي لها ارتداء القلائد التي
تبرز أو تلفت الانتباه إلى منطقة الصدر.

٢. الظلم محظور.

سواء كان ذلك في كلمات أغنية أو قصة فيلم، إذا كان أي شيء
ضمن شكل فني يبرر أو يجد الظلم، فهو محظور.

٣. إيذاء حياة شخص آخر أو ممتلكاته أو كرامته بشكل غير قانوني محظور.

إذا كان أي عنصر من عناصر الفن يروج أو يمجد إلحاق الأذى غير القانوني بحياة شخص ما أو ممتلكاته أو كرامته، فإن هذا الفن محظور. العنف بحد ذاته ليس محظوراً؛ ومع ذلك، إذا تم تصوير العنف بطريقة تمجد أو تبرر السلوكيات والأفعال غير القانونية وغير الأخلاقية، فهو محظور. ٤. الشرك بالله محظور.

إذا كان أي شكل فني يروج أو يمجد الشرك - ممارسة إشراك شركاء مع الله أو عبادة آلهة متعددة - فإن هذا الفن محظور. ٥. الكذب على الله محظور.

إذا كان أي شكل فني ينشر أفكاراً خاطئة عن الله، فإن هذا الشكل الفني محظور.

وبصرف النظر عن هذه المحرمات الخمسة، يقول القرآن أيضاً في مواضع متعددة أنه إذا تم فعل أي شيء على حساب أي فريضة دينية، فإن ذلك يصبح عملاً غير قانوني. على سبيل المثال، التجارة هي نشاط مشروع تماماً في الإسلام، ولكن إذا تمت التجارة مع إهمال فريضة دينية، فإن القرآن في سورة ٦١ الآية ١١ قد نهى عن هذه التجارة. وينطبق الشيء نفسه على أي شكل من أشكال الفن؛ إذا انخرط المرء في أي شكل فني مع إهمال أي واجب ديني، فهذا إثم.

نقطة أخرى مهمة للغاية هي أنني كمسلم، لا يمكنني تأييد استخدام أي مادة حرمها الله - على سبيل المثال لا يمكنني تأييد استهلاك الكحول. أيضاً، التفسير السائد للإسلام في مجتمعي يعتقد أن الإسلام يجعل الفصل بين الجنسين إلزامياً، وجميع الآلات الموسيقية محظورة، ورسم أو نحت الكائنات الحية محظور، والمرأة المسلمة المثالية يجب ألا تخرج من المنزل، ويجب أن تغطي نفسها من الرأس إلى أخمص القدمين، ولا يسمع صوتها أحد من خارج الأسرة! التفسير الذي توصلت إلى الموافقة عليه ينفي كل هذه الأفكار، وسأشرح هذه النقاط بالتفصيل في قسم لاحق.

إنه صراع مستمر لمحاولة الالتزام بهذه الإرشادات لأن الكثير من الأشياء التي حرمها الله أصبحت طبيعية جداً في الوقت الحاضر في وسائل الإعلام. ومن ثم، كلما شعرت أنني كنت بعلم أو بغير علم جزءاً من شيء قد يتجاوز الحدود التي وضعها الله، أذكر نفسي بالآية القرآنية التي تقول إن الله سيغفر صغائر الذنوب: القرآن ٣١:٤:

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ﴾^{٢٧}

الفصل السابع (ب)

أسئلة وأجوبة بناءً على ما تعلمته من جاويد أحمد غامدي

أريد أن أعيد التأكيد على ما ذكرته في بداية الكتاب - أنا لست طالباً عالمياً ليد السيد جاويد أحمد غامدي. أنا مجرد شخص عادي وجد بعض الإجابات على أسئلي من خلال تعاليم السيد غامدي. إذا ارتكبت أي أخطاء في فهمي أو في شرحي لما تعلمته وفهمته من السيد غامدي، فهو لا يتحمل أي مسؤولية عن هذه الأخطاء.

للمرغبين في استكشاف المزيد من تفاصيل الإجابات التي أشاركها أدناه، أوصي بالاطلاع على كتب ومقاطع فيديو السيد جاويد أحمد غامدي عبر منصات مختلفة على الإنترنت. تشمل بعض الأعمال البارزة كتبه: "ميزان"، "مقامات"، "برهان"، و"الإسلام"، بالإضافة إلى سلسلة محاضراته المرئية "الرد على ٢٣ سؤالاً..." و"محاضرات دالاس"، المتاحة على قناته الرئيسية على يوتيوب، "مركز غامدي للتعليم الإسلامي".

دعونا نعيد النظر في الفهم الصحيح لمصادر الإسلام التي تعلمتها من السيد جاويد أحمد غامدي. على الرغم من أننا ناقشنا هذا بالتفصيل في قسم سابق، فمن المهم تحليل هذه النقطة بإيجاز مرة أخرى لتنشيط فهمنا قبل الغوص في قسم الأسئلة والأجوبة.

مصادر الإسلام

ينص القرآن صراحةً في مناسبات متعددة على أن الله نقل رسالته ودينه فقط من خلال رسله والكتب السماوية. وبما أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو خاتم رسل الله، فإن أي عقيدة أو ممارسة تعتبر جزءًا من دين الله يجب أن يكون لها دليل واضح على موافقة محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا يعني أنه لكي يتم إدراج أي شيء في الدين أو استبعاده منه، يجب أن يكون هناك دليل واضح على أنه تمت الموافقة عليه من قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

نقل محمد صلى الله عليه وسلم تعاليم الله من خلال القرآن والسنة.

يؤكد القرآن أنه يجب أن يكون العدسة الأساسية التي يتم من خلالها فهم جميع الأدبيات الدينية الأخرى. لكي يُعتبر الشيء حلالًا أو حرامًا، يجب أن يسمح القرآن به أو يحرمه، إما مباشرة أو من حيث المبدأ. إذا كان القرآن يمثل النظرية، فإن السنة تجسد الجانب العملي

لهذه النظرية. لقد نُقل كل من القرآن والسنة جماعياً عن النبي صلى الله عليه وسلم عبر الأجيال حتى يومنا هذا. كل الإسلام محتوى في القرآن والسنة.

المفتاح لفهم القرآن هو الاقتراب منه من خلال استيعاب مقدمته الصحيحة أولاً. القرآن هو البلاغ المحفوظ من الله، والذي يظهر حكمه الإلهي على الأرض من خلال محمد صلى الله عليه وسلم، آخر رسله. ويحتوي على:

- تفاصيل حول كيفية مواجهة جميع البشر للمساءلة الإلهية في يوم القيامة وكيفية تحقيق النجاح في تلك المساءلة.
- سرد الله للأحداث وتعليماته للمؤمنين مع تكشف الأحداث مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.
- أوامر الله بشأن القوانين والهداية للبشرية.
- القرآن هو سجل للوحي الذي أنزله الله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والموجه نحو اليهود والنصارى والوثنيين.
- رواية الله لكيفية رعايته لأمة من ذرية إسرائيل، وكيف نشروا رسالة الله في جميع أنحاء العالم، ولماذا أنهى الله عهده معهم.
- أوامر الله وكيف أقام أمة جديدة لتبليغ رسالته إلى العالم من خلال محمد صلى الله عليه وسلم.
- في القرآن، يخبرنا الله أيضاً كيف أطلق حكمه على الأرض قبل

محمد صلى الله عليه وسلم من خلال رسل آخرين.

• تعليمات حول العقوبات والمكافآت لأولئك الذين يعارضون الرسول

ويدعمونه.

يؤكد القرآن أنه مكتوب بلغة عربية مبينة وقد تم شرحه بوضوح، مما يجعله سهل الفهم. لذلك، يجب أن يلتزم تفسير القرآن بقواعد فهم اللغة السائدة. على سبيل المثال، عند تمييز معاني الآيات القرآنية، يجب على المرء مراعاة المعاني الأكثر فهماً للكلمات، والدلالات المستمدة من بنية الجملة، والسياق.

بالإضافة إلى ذلك، لا يمكن فهم الآيات القرآنية في معزل. بدلاً من ذلك، يجب فهمها بالاقتران مع جميع الآيات الأخرى المتعلقة بموضوع معين. على سبيل المثال، عند تحليل ما يقوله القرآن عن علاقة المسلم بغير المسلمين، يجب مراعاة جميع الآيات المتعلقة بهذا الموضوع لتكوين رأي صحيح.

كشخص عادي، كانت الطريقة الأكثر فعالية لتحليل النص القرآني هي أولاً فهم مقدمته الصحيحة، كما ذكرنا سابقاً، ثم قراءة ترجمة مباشرة من البداية إلى النهاية. كلما واجهت شيئاً لم أفهمه في النص، كنت أحده وأستشير الآراء العلمية على الإنترنت أو من الكتب. إذا ظل شيء ما غير مفهوم، كنت أسعى للتواصل مع العلماء والخبراء لمناقشة الأمر معهم. بالإضافة إلى ذلك، أثناء قراءة الترجمات،

حرصت على التمييز بين الترجمة والتفسيرات الإضافية المكتوبة في الحواشي والأقواس، لأن هذه عادة ما تكون آراء المترجمين الخاصة أو تفسيراتهم للنص.

تتكون كتب الحديث من تقارير عن أفعال وأقوال النبي محمد صلى الله عليه وسلم، نُقلت ليس من خلال النقل الجماعي كالقرآن والسنة، بل من خلال تقارير فردية. إنها سجل تاريخي لحياة محمد صلى الله عليه وسلم ويجب فهمها من خلال عدسة القرآن والسنة. يحتوي هذا السجل التاريخي على تفسيرات وتطبيقات للدين كما هو موضح في القرآن والسنة ولكنه لا يقدم أي تشريعات جديدة للدين. جميع أحكام الإسلام تصدر مباشرة أو من حيث المبدأ من خلال القرآن والسنة فقط.

تعتبر تاريخ الصحابة المقربين لمحمد صلى الله عليه وسلم موردًا هامًا لفهم تفسيراتهم للإسلام. ومع ذلك، فإن هذه السجلات التاريخية قد وصلت إلينا عبر تقارير فردية ويجب تمحيصها وفهمها ضمن إطار القرآن والسنة.

دعونا ننتقل الآن إلى قسم الأسئلة والأجوبة.

السؤال ١: هل محمد ﷺ هو آخر رسول وني من عند الله؟

نعم - ينص القرآن والحديث بوضوح على أن محمدًا صلى الله عليه

وسلم هو آخر رسول ونبي من عند الله، ولن يأتي نبي أو رسول بعده. بينما تنبأت الكتب السماوية السابقة، مثل العهد القديم والعهد الجديد، وحتى الكتب الهندوسية، بقدوم المسيح والنبي الأخير، الذي يعتقد المسلمون أنه محمد صلى الله عليه وسلم، فإن القرآن لا يتنبأ بقدوم أي أنبياء أو رسل آخرين بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الواقع ينص بوضوح وبشكل لا لبس فيه في آية واحدة على أن النبوة قد انتهت بمحمد صلى الله عليه وسلم.

القرآن ٣٣: ٤٠ يتناول هذا الأمر بوضوح شديد ويقول:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

الكلمة المستخدمة للخاتم هي ﴿خاتم﴾، والتي تعني عادةً وضع ختم على شيء ما أو إنهاء شيء ما. لذلك، تم إعلان محمد صلى الله عليه وسلم بوضوح شديد كخاتم أو خاتمة النبوة.

يعلن القرآن أن رسالة الله ودينه قد اكتملا بمحمد صلى الله عليه وسلم، مما ينفي الحاجة إلى أي أنبياء أو رسل إضافيين. يقول القرآن ٥: ٣:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

يتم تعزيز هذا المفهوم بشكل أكبر من خلال العديد من الأحاديث

الصحيحة التي أعلن فيها محمد صلى الله عليه وسلم أن جميع أشكال النبوة والرسالة قد انتهت معه. دعونا نخلل بعضها أدناه.

١. رُوي عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة؟" قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين".^١

٢. رُوي عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قُضيت على الأنبياء بست: (١) أُعطيت جوامع الكلم، (٢) ونُصرت بالرعب، (٣) وأُحلت لي الغنائم، (٤) وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، (٥) وأُرسلت إلى الخلق كافة، (٦) وخُتم بي النبيون".^٢

٣. رُوي عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: "... ولا نبي بعدي".^٣

٤. رُوي عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي

^١ البخاري، رقم ٣٥٢٥، مسلم، رقم ٢٢٨٧.

^٢ مسلم، رقم ٥٢٣.

^٣ مسلم، رقم ١٨٤٢، ٢٤٠٤.

بعدي".^٤

٥. رُوي عن محمد ﷺ أنه قال: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات"، قالوا: "وما المبشرات؟" قال: "الرؤيا الصالحة".^٥

يزعم البعض أن القرآن ٣٣:٤٠ يعلن فقط انتهاء الأنبياء المرشحين، مما يشير إلى أنه لا يزال هناك مجال للأنبياء الذين سيبدشرون بنفس شريعة محمد صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك، فإن صياغة الآية واضحة جداً، وهناك تعزيز هائل من أدبيات الحديث، لدرجة أنه ببساطة لا يوجد مجال لهذا التفسير للآية.

السؤال ٢: لماذا انتهت جميع أشكال الرسالة والنبوة بمحمد ﷺ؟

حتى بالنسبة للشخص العادي، فإن دراسة القرآن ستوضح أن الله هدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف من خلال محمد صلى الله عليه وسلم. وبما أن الأهداف الثلاثة قد تحققت بنجاح، فقد انتهت النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم. دعونا نناقش بإيجاز ماهية هذه الأهداف الثلاثة وكيف تم إنجازها.

١. إقامة أمة جديدة لممارسة رسالة الله وتبليغها للعالم: أعفى

^٤ البخاري، ٣٤٥٥، مسلم، رقم ١٨٤٢.

^٥ البخاري، رقم ٦٥٨٩.

الله بني إسرائيل من واجبهم في إعلان رسالته واختار إقامة أمة جديدة من بين ذرية إسماعيل. وقد تحقق هذا الهدف عندما أقام الله أمة بأكملها من خلال محمد صلى الله عليه وسلم، تتألف من أكثر من مائة ألف فرد تم تهيئتهم وتدريبهم بشكل شامل لمهمتهم الإلهية.

٢. تزويد البشرية بأكثر الأدلة الدنيوية إقناعاً على يوم القيامة: كما نوقش سابقاً، يطلق الله عرضاً دنيوياً لحكمه من خلال رسله إلى مرسلهم المباشرين. الهدف الأساسي من هذا العرض هو تقديم دليل دنيوي قاطع على الحكم الإلهي الذي ينتظر كل البشر بعد الموت. في حالة محمد صلى الله عليه وسلم، حدث هذا العرض الدنيوي للحكم الإلهي على نطاق عالمي واسع في وقت كان فيه التاريخ يُسجل بدقة، مما يجعله حقيقة تاريخية. وسواء كان المرء يؤمن بأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان ملهماً إلهياً أم لا، فباستثناء بعض منظري المؤامرة المتطرفين، لا يمكن إنكار أن الأحداث الكبرى التي شارك فيها محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المقربون قد حدثت بالفعل.

لقد تحقق هدف الله في توفير وحفظ دليل قاطع على الحكم الإلهي للبشرية، حيث تم حفظ الأحداث التي تظهر الحكم الإلهي في تاريخ البشرية الراسخ.

٣. حفظ الهداية الإلهية لجميع الأجيال القادمة: يعلن القرآن ٥: ٣ أن الهداية الإلهية للبشرية قد اكتملت بمحمد صلى الله عليه وسلم.

لذلك، ليست هناك حاجة لهداية جديدة. هذه الهداية الإلهية قد تم حفظها ونقلها تماماً كـ "قرآن" على نطاق واسع حقاً خلال حياة محمد صلى الله عليه وسلم. كما تم حفظ "السنة" ونقلها جماعياً إلى أكثر من مائة ألف من الأتباع المباشرين. ومن ثم، فإن هدف إكمال وحفظ الهداية الإلهية للبشرية جمعاء قد تحقق أيضاً من خلال محمد صلى الله عليه وسلم.

السؤال ٣: كيف ينظر الإسلام إلى السلطة الدينية ودور محمد ﷺ في توجيه المؤمنين؟

الله ليس مرئياً بشكل مباشر في هذا العالم، مما يسمح بحرية الاختيار كجزء من الاختبار، لكن القرآن يذكر حالات مختلفة يواجه فيها الله الناس بشكل غير مباشر عن طريق غرس الأفكار مباشرة في عقولهم^٦ أو من خلال الملائكة الذين ينزلون البركات باستمرار على الصالحين^٧. ومع ذلك، يحدد القرآن أيضاً أن الأفراد الذين يتصل بهم الخالق مباشرة لغرض توجيه الآخرين هم الأنبياء والرسل. بما أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو آخر نبي ورسول، فهو السلطة

^٦ الأنفال ٨: ٢٤.

^٧ حم السجدة ٤١: ٣٠.

المطلقة فيما يريد الله حقاً. بمعنى آخر، محمد هو المصدر النهائي لتعاليم الله. أي شيء يعتبر جزءاً من الإسلام، أو مستبعداً منه، يجب أن يكون له دليل واضح على أنه قد عُلم من قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

علاوة على ذلك، يجب على كل من يتبع محمداً صلى الله عليه وسلم، بغض النظر عن معرفتهم أو إنجازاتهم، الاعتراف بخطئهم كطلاب لدين الله، قادرين على التفسيرات الصحيحة وغير الصحيحة. لا أحد بعد محمد صلى الله عليه وسلم يمكنه أن يدعي العصمة في تعاليمه عن الإسلام أو يؤكد نفسه كمرجع في الإسلام.

في هذا الصدد، هناك حديث مهم جداً يجب مشاركته، نهى فيه محمد ﷺ بصرامة عن أي إضافة أو ابتكار في الإسلام لم يثبت من خلال القرآن أو السنة:

"إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة".^٨

السؤال ٤: ما هي المعجزات في الإسلام؟

قد يختبر الناس معجزات إلهية في حياتهم الشخصية. ومع ذلك،

^٨ مشكاة المصابيح، رقم ١٣٤.

فإن القراءة المباشرة للقرآن تكشف أن إظهار المعجزات الإلهية للأفراد العاديين كان تمريناً مخصصاً تحديداً لأنبياء ورسل الله. تم القيام بذلك لجذب انتباه الأفراد وإثارة دهشة عميقة، مما مكن الرسل والأنبياء من إيصال رسالة الله بفعالية. وبما أن هذا الدور قد انتهى بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلن يكون هناك معجزات للبشر بعد الآن. وبناءً على ذلك، وفقاً للقرآن، فإن أي شخص يدعي القيام بمعجزات إلهية فمن المرجح أنه إما كاذب أو مخدوع.

في رأيي الشخصي، بعد قراءة القرآن، فإن أي شخص يدعي رؤية الملائكة أو أرواح الأولياء أو القيام بمعجزات بعد محمد صلى الله عليه وسلم هو إما كاذب، أو يعاني من مشاكل نفسية، أو يتعرض للخداع من قبل الجن ليعتقدوا أنهم يرون الملائكة والأولياء.

السؤال ٥: ما هي أهمية الأحداث التي وقعت بعد محمد ﷺ؟

كمسلم، أؤمن بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد نقل دين الله للبشرية من خلال القرآن والسنة، والتي تشمل جميع الأوامر والنواهي الأخلاقية التي يجب على أتباعها لضمان نجاحي في المسألة الإلهية يوم القيامة. تم تفصيل هذه المبادئ وتطبيقها بشكل أكبر في أدب الحديث. وضمن أدب الحديث هذا، يوجد حديث محدد تم فيه وضع الدين بأكمله في نقاط موجزة؛ ويُعرف هذا الحديث المحدد

بحديث جبریل. أحصر تركيزي في هذا الإطار—أنا ألتزم بصرامة بالأوامر والنواهي الواضحة في الإسلام. وبما أنني لست طالباً للتاريخ ولا أكاديمياً، فأنا لا أشارك في دراسة الأحداث التي وقعت بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم.

إن الأحداث التي تلت زمن محمد صلى الله عليه وسلم، والتي أدت إلى انقسامات كبيرة بين المسلمين، لا صلة لها بخلاصي الأبدي أو هلاكي. فعلى سبيل المثال، وفقاً لتعاليم القرآن والسنة، لن يسألني أحد يوم القيامة عن كنت أعتقد أنه يجب أن يخلف محمداً صلى الله عليه وسلم أو أي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كنت اعتبره صالحاً أو متفوقاً في المرتبة على الآخرين.

السؤال ٦: هل يُعتبر محمد ﷺ أفضل من جميع الأنبياء الآخرين؟

النعته هو قصيدة تُلقى في مدح محمد صلى الله عليه وسلم. لقد نشأت في باكستان وأنا أستمع إلى نعت مشهور جداً يسمى "شاه مدينة"، والذي يعني "سلطان المدينة". ويبدأ بالبیت التالي:

شاہِ مدینہ یثرب کے والی

سارے نبی تیرے در کے سوالی

"يا سلطان المدينة، يا حامي يثرب، كل الأنبياء فقراء على أعتاب

بابك."

إن الاعتقاد بأن محمداً صلى الله عليه وسلم متفوق على جميع الأنبياء الآخرين هو مفهوم سائد بين المسلمين في شبه القارة. ومع ذلك، فإن كلاً من القرآن والحديث يحبطان المسلمين بوضوح وصراحة عن إجراء مقارنات بين الأنبياء.

يعلن القرآن في سورة ٢، الآية ٢٥٣، أن الله قد رفع بالفعل بعض الأنبياء درجات فوق بعض. وتذكر الآية كذلك، كأمثلة، أن الله كلم موسى صلى الله عليه وسلم مباشرة وأعطى أوضح اليينات لعيسى صلى الله عليه وسلم، مع تزويده بالدعم المستمر من الروح القدس، جبريل. ومع ذلك، فقد أمر المسلمون بوضوح في القرآن بأن يؤمنوا بجميع أنبياء الله كحملة للرسالة الإلهية وألا ينغمسوا في ممارسة التفريق بينهم:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَ

إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ

النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^٩

يملك محمد صلى الله عليه وسلم العديد من الصفات المرموقة كني. فعلى سبيل المثال، ورد عنه في حديث أنه تميز بست خصال

^٩ البقرة ٢: ١٣٦.

مقارنة بالأنبياء الآخرين.

كما في صحيح مسلم، رقم ٥٢٣:

"نقل عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: "فُضِّلْتُ عَلَى

الأنبياء بست: (١) أُعْطِيتُ جِوَامِعَ الْكَلَمِ؛ (٢) وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ؛ (٣)

وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ؛ (٤) وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا؛ (٥)

وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً؛ (٦) وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ."

بينما يقر بأن بعض الأنبياء يحتلون رتباً أعلى من غيرهم، إلا أن

محمدًا صلى الله عليه وسلم نفى بشغف وتكرار أن رتبته كانت الأعلى

بين الأنبياء.

يسجل صحيح مسلم أن رجلاً جاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم

وخاطبه بعبارة "يا خير البرية". فقاطعه محمد صلى الله عليه وسلم

وصحح له قائلاً: "ذاك إبراهيم - عليه السلام".^{١٠}

وفي صحيح البخاري رقم ٣٢٣٤ وجامع الترمذي رقم ٣٢٤٥، نقل

عن محمد صلى الله عليه وسلم قوله: "لا ينبغي لأحد أن يقول إني خير

من يونس بن متى، ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب".

وفقاً لصحيح مسلم (رقم ٢٣٧٣)، وجه محمد صلى الله عليه وسلم

أتباعه بعدم الادعاء بأنه متفوق على موسى صلى الله عليه وسلم.

^{١٠} رقم ٢٣٦٩.

وأوضح كذلك أنه في يوم القيامة، عندما يُبعث، سيجد موسى صلى الله عليه وسلم قائماً بالفعل بجانب عرش الله.

علاوة على ذلك، وجه محمد أتباعه صراحة بالامتناع عن المقارنة بين الأنبياء واعتبار أحدهم متفوقاً على الآخرين. ونُقل عنه قوله:

"لا تخيروا بين الأنبياء."^{١١}

في الجوهر، رفع الله بعض الأنبياء فوق بعض في جوانب مختلفة، ومع ذلك أُمر المسلمون بعدم إجراء مقارنات بينهم. نال محمد صلى الله عليه وسلم العديد من الأوسمة والامتيازات كني، لكنه لم يعلن نفسه قط متفوقاً على الأنبياء الآخرين. في الواقع، عبر عن عكس ذلك.

السؤال ٧: لماذا كان جميع الأنبياء في الشرق الأوسط؟

لقد ناقشت هذا بالتفصيل أثناء استكشاف محمد صلى الله عليه وسلم كرسول من الله. يعلن القرآن أن الأنبياء أُرسلوا إلى كل أمة ومجتمع حتى زمن إبراهيم عليه السلام^{١٢}. بعد إبراهيم عليه السلام، أصبحت مهمة النبوة حصرية في ذريته بغرض رفع الأمم لنشر رسالة الله^{١٣}.

^{١١} البخاري، رقم ٢٢٨.

^{١٢} يونس ١٠: ٤٧، بني إسرائيل ١٧: ١٥، القصص ٢٨: ٥٩.

^{١٣} العنكبوت ٢٩: ٢٧، آل عمران ٣: ٣٣.

ويذكر القرآن أن بعض الأنبياء مذكورون في صفحاته، ولكن هناك الكثير ممن لا يعلمهم إلا الله^{١٤}. كما يوضح أن سبب سرد قصص أنبياء معينين من الشرق الأوسط هو أن جمهور القرآن المباشر — مشركي العرب وأهل الكتاب — كانوا على دراية مسبقة بقصص هؤلاء الأنبياء.^{١٥}

السؤال ٨: لماذا كان لمحمد ﷺ زيجات متعددة؟

يعترض الكثير من منتقدي الإسلام على تعدد زيجات محمد صلى الله عليه وسلم، بحجة أن الشخص الذي يدعي أنه مقدس كونه نبياً من عند الله لا ينبغي له أن يتزوج من عدة نساء.

أجد هذا الاعتراض غير صحيح للأسباب التالية:

١. وفقاً للقرآن، لا يوجد شيء غير مقدس أو خاطئ أخلاقياً في الانجذاب إلى الجنس الآخر طالما أن كل ما هو حميمي وجنسي محصور في حدود الزواج.

٢. كان مفهوم زواج الرجال لمرات متعددة ممارسة طبيعية جداً في عصر محمد صلى الله عليه وسلم وثقافته؛ وتستمر هذه الممارسة

^{١٤} الفرقان ٢٥: ٣٨، إبراهيم ١٤: ٩.

^{١٥} القمر ٥٤: ٤.

كعرف في العديد من الثقافات والمجتمعات اليوم. حتى ألد خصوم محمد صلى الله عليه وسلم من عباد الأصنام في مكة لم يقدموا أي اعتراضات أخلاقية على هذا الجانب من حياته.

٣. على الرغم من أن تعدد الزوجات كان شائعاً، إلا أن محمداً صلى الله عليه وسلم تزوج للمرة الأولى في سن ٢٥ وظل وحيد الزوجة لمدة ٢٤ عاماً حتى توفيت زوجته خديجة. وبناءً على ذلك، قضى محمد صلى الله عليه وسلم كامل شبابه وفيّاً لامرأة واحدة، مما يثبت أنه لم يكن رجلاً مدفوعاً بالشهوة.

٤. بما أن تعدد الزوجات للذكور كان هو السائد في عصر محمد صلى الله عليه وسلم وثقافته، حيث لم يكن هناك حد لعدد المرات التي يمكن للرجل أن يتزوج فيها، فقد تزوج محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات بعد وفاة زوجته الأولى. وبالنظر إلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم قاد حركة اجتماعية وأيديولوجية وعسكرية وسياسية هامة، فقد هدفت معظم هذه الزيجات إلى تلبية احتياجات مهمته. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن جميع النساء اللاتي تزوجهن محمد صلى الله عليه وسلم كنّ إما مطلقات أو أرامل، باستثناء عائشة (رضي الله عنها).

إذا كنت ترغب في تحليل الأسباب الكامنة وراء كل زيجة من زيجات محمد صلى الله عليه وسلم، يرجى مراجعة بودكاست الخاص

بي بعنوان "محاورة الإسلام مع حمزة علي عباسي - الحلقة ١٠"، المرفوع على قناة يوتيوب "مركز غامدي للتعليم الإسلامي". هذا البودكاست متاح باللغة الأردنية مع ترجمة باللغة الإنجليزية.

بالنظر إلى السياق الذي ذكرته أعلاه، أنا شخصياً لا أجد أي شيء اعتراضاً على زواج محمد صلى الله عليه وسلم عدة مرات. نعم، كان سيكون الأمر مزعجاً لو أنه أساء معاملة أي من زوجاته. ومع ذلك، لا يوجد أي دليل على الإطلاق يشير إلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يعامل زوجاته بشكل جيد. في الواقع، حظيت زوجاته بأقصى درجات الاحترام من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه على حد سواء. وتؤكد الأدلة من القرآن أن جميع زوجاته عوملن بشكل جيد جداً من قبل محمد صلى الله عليه وسلم. دعوني أناقش هذا الدليل بإيجاز.

في القرآن^{١٦}، يخبر الله زوجات محمد صلى الله عليه وسلم أنه بسبب دورهن كزوجات له، سيخضعن لقيود خاصة نظراً للظروف المضطربة المحيطة بنضال الإسلام. وقبل فرض هذه القيود، أُعطين خيار الرحيل عن طريق الطلاق إذا فضلن عدم الالتزام بهذه الشروط. وفي حال اخترن الرحيل، كان سيتم تزويدهن بتعويض مادي كريم والسماح لهن

^{١٦} الأحزاب ٣٣: ٢٨-٣٤.

بالذهاب بطريقة كريمة. ومع ذلك، لم تغادر أي منهن؛ بل قبلن طواعية هذه القيود الإضافية، على الرغم من امتلاكهن خيار الرحيل الودي. ويعد هذا دليلاً دامعاً على أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يظلم زوجاته. فبعد كل شيء، فإن رغبتهن في قبول مثل هذه القيود الإضافية الصارمة، مع علمهن بقدرتهن على الخروج بأمان، تشير سؤالاً هاماً: كيف يمكنهن الطاعة بمثل هذه السهولة، من خلال أمر إله يدي زوجهن أنه نبيه، إذا كنَّ يتعرضن للاضطهاد أو المعاملة السيئة؟

السؤال ٩: هل يبرر القرآن العنف المنزلي؟

غالباً ما تُنتقد الآية ٤: ٣٤ من القرآن كآية تبرر العنف المنزلي وتمنح الأزواج حرية استخدام القوة البدنية ضد زوجاتهم. شكلت هذه الآية التحدي الأكبر بالنسبة لي داخل الإسلام، واستغرق الأمر سنوات لإيجاد إجابة مبررة أخلاقياً وعقلانياً.

يشير الفحص الدقيق لهذه الآية، إلى جانب سياقها، بوضوح إلى أن فعل استخدام القوة البدنية ضد الزوجة يعتبر عملاً إجرامياً بشكل عام. ومع ذلك، فإنه مسموح به كإجراء متطرف في حالات نادرة بشكل استثنائي كمحاولة أخيرة لإنقاذ الزواج. يأتي هذا مع الشرط الصارم بأن العقاب البدني يجب ألا يترك أي علامات أو إصابات على الجسد.

تحليل سورة النساء ٢: ٣٢:

كما نوقش سابقاً بالتفصيل، يعتبر القرآن مؤسسة الزواج والأسرة أهم مؤسسة خلقها الله لتوفير الرعاية البدنية والروحية والعاطفية والنفسية طويلة الأمد لكل من الصغار وكبار السن.

يبدل القرآن قصارى جهده لحماية مؤسسة الأسرة. فعلى سبيل المثال، تضعف قوة وحدة الأسرة في المجتمعات التي يتم فيها تطبيع العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج ولا تعتبر من المحرمات. ونتيجة لذلك، جرم الإسلام جميع أشكال السلوك والأفعال الجنسية خارج إطار الزواج.

هناك جريمة أخرى مهلكة لكل مؤسسة، بما في ذلك الزواج، وهي "التمرد". وسواء كان الأمر يتعلق بالدولة، أو الجيش، أو البيروقراطية، أو عالم الشركات، أو العلاقات الزوجية، فإن التمرد لا يتم التسامح معه لأن قبول حتى الحد الأدنى منه يضمن تدمير المؤسسة. وهذا هو السبب في أن أكثر الدول ليبرالية تسن عقوبات شديدة القسوة على أعمال التمرد. على سبيل المثال، في النرويج، المعروفة بامتلاكها لبعض القوانين الأكثر تساهلاً بين الدول الحديثة، يمكن أن تتراوح أحكام السجن لأعمال التمرد من ٦ إلى ٢١ عاماً.^{١٧}

^{١٧} "قانون العقوبات - الفصل ١٧. حماية استقلال النرويج والمصالح الوطنية
— اكتشافنا لله وللإسلام ويوم القيامة 398 —

كل مؤسسة تحتاج إلى قائد لتوجيهها. فبدون رأس، لا يمكن لأي مؤسسة أن تعمل بفعالية. وقد عين القرآن الأزواج كرؤساء للأسرة. دعوني أوضح ذلك.

النساء والرجال متساوون في نظر الله. ومع ذلك، عندما يدخلون في الزواج، يسند القرآن مسؤولية أكبر للزوج—خاصة في الأمور المالية. ونظرًا لهذه المسؤولية الكبيرة، يعين القرآن الزوج رئيسًا لمؤسسة الأسرة. وتعني هذه الرتبة المرتفعة للزوج شيئًا واحدًا: عندما يكون هناك طريق مسدود في قرار متعلق بالأسرة، حيث لا يستطيع الزوج والزوجة الوصول إلى أرضية مشتركة، يكون للزوج القول الفصل.

لا يجد القرآن أي مشكلة في أن تكسب المرأة المال وتختار المساهمة في الأسرة. ومع ذلك، فإن مساهمتها اختيارية، مما يعني أنها تستطيع الاحتفاظ بجميع مكاسبها ولا تتحمل عبء المسؤولية المالية للأسرة. ومن ناحية أخرى، يجب على الزوج الوفاء بالاحتياجات المالية للأسرة كالالتزام. بالإضافة إلى ذلك، هناك أصوات داخل الإسلام تقترح أن منصب رئيس الأسرة يمكن أن ينتقل إلى الزوجة إذا اشترطت في عقد

الأساسية الأخرى - لوفداتا، " تم الدخول إليه في ٢٧ مايو ٢٠٢٤،

<https://lovdata.no/dokument/NLE/lov/2005-05-20-28/KAPITTEL2-2#%C2%A7116>.

الزواج أنها ستتولى المسؤوليات المالية للأسرة. ومع ذلك، يوضح القرآن أن الزوج يتحمل مسؤولية أكبر، وبالتالي، يُمنح سلطة أكبر في اتخاذ القرار كرئيس لمؤسسة الأسرة.

إن التوجيه القرآني الذي يمنح الزوج رتبة أعلى من زوجته ليس عملاً من أعمال التمييز بين الجنسين. فكما ذكر سابقاً، الرجال والنساء متساوون في نظر الله. فقط ضمن حدود الزواج تختلف الرتب بين الأدوار والمسؤوليات المحددة لمنصبي الزوج والزوجة.

ومن الجدير بالذكر أنه ضمن نفس مؤسسة الأسرة التي يُمنح فيها الزوج رتبة أعلى من الزوجة، تُمنح الأم رتبة أعلى من الأب فيما يتعلق بالأبناء.^{١٨}

لذا، فإن الأمر لا يتعلق بالجنس، بل بحقوق ومسؤوليات العلاقات المختلفة داخل مؤسسة الزواج.

الآن، دعونا نتفحص الآية ٤: ٣٤ من القرآن. تتناول هذه الآية وضعاً متطرفاً يتضمن زوجة مذنبه "بالنشوز"، وهو ما يعني التمرد الصريح. المصطلح يعني أن الزوجة تظهر مثل هذا التمرد المتطرف والمستمر، مما يسبب إزعاجاً كبيراً ويهدد بتعطيل وحدة الأسرة بأكملها.

في مثل هذا الموقف، يُنصح الزوج أولاً ببذل جهد مستمر للتحديث

^{١٨} مسلم، رقم ٦١٨١.

معها—قد يحتاج هذا إلى القيام به على مدى فترة طويلة، ربما تمتد لعدة أسابيع أو أشهر. إذا استمر التمرد، يُنصح الزوج بإنهاء كل تفاعل مع الزوجة للتأكيد على خطورة الموقف. ومن المهم ملاحظة أن كلاً من الزوج والزوجة يتمتعان بحرية ترك بعضهما البعض خلال هذا الوقت. ومع ذلك، إذا استمر تمرد الزوجة ولم يغادر أي من الزوجين، فعندئذ كملجأ أخير لإنقاذ الزواج، يُسمح للزوج باستخدام القوة البدنية. وهنا تجب ملاحظة ثلاثة أشياء:

١. يُسمح باستخدام القوة البدنية فقط كإجراء تصحيحي، على غرار الكيفية التي قد يوبّخ بها الوالد أو المعلم طفلاً يسيء التصرف بشكل خفيف. يجب ألا يترك أي علامة أو إصابة على الجسد؛ وإلا، يصبح الفعل جريمة جنائية يعاقب عليها القانون. وقد صدرت هذه الإرشادات من قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ووفقاً لحديث، وجه بأن أي توبيخ بدني للزوجة لا ينبغي أن يترك أي علامة أو إصابة على الجسد.^{١٩}

٢. إن السماح بالقوة البدنية هو خيار، وليس فريضة إلهية؛ لذلك، إذا رأت المجتمعات أن الرجال سيئون استخدام هذا الخيار، فإن للحكومات السلطة لسن قوانين تزيل هذا الخيار من الرجال تماماً.

^{١٩} ابن ماجه، رقم ١٨٥١.

٣. يجوز للزوج أن يمارس حقه في التأديب البدني فقط إذا كان هناك احتمال واقعي بأن ذلك قد ينقذ الزواج. قد يتساءل المرء عما إذا كان استخدام القوة البدنية من قبل الزوج تجاه الزوجة، التي تظهر سوء سلوك مستمر وصارخ، من المرجح أن يؤدي إلى تفاقم الوضع وتسريع فسخ الزواج بدلاً من منعه. ومع ذلك، يعتبر القرآن صالحاً لجميع الأزمان والثقافات. قد تكون هناك سيناريوهات في سياقات ثقافية معينة، تاريخية ومعاصرة، حيث يمكن لاستخدام القوة البدنية أن يساعد في تصحيح سوء سلوك الزوجة الصارخ والحفاظ على الزواج.

إذا كان هناك نشوز من جانب الزوج، فقد وضع الله مبادئ توجيهية للمرأة في القرآن^{٢٠}. وفي هذه الآيات، يأمر الله المرأة بأن تحاول حل الأمر، وإذا لم يمكن تسويته بالوسائل السلبية واستمر الزوج في النشوز، فعندئذ تُنصح المرأة بترك الزوج. ومع ذلك، لا يُقترح أن تحاول الزوجة اتخاذ إجراء تأديبي بدني على الزوج، للسبب التالي:

لقد قرر الله أن الرجال والنساء متساوون في نظره. ومع ذلك، في سياق الزواج، حيث يتولى الرجال والنساء أدوار الزوج والزوجة، يحتل الزوج رتبة أعلى من الزوجة للأسباب التي نوقشت سابقاً. ينظر القرآن

^{٢٠} النساء ٤: ١٢٨-١٣٠.

إلى الزواج بصرامة كمؤسسة ويفرض أن يتم حكمها وفقاً للمعايير والقوانين التي تنطبق على أي مؤسسة أخرى.

في هذا السياق، تماماً كما يمكن لرائد رفيع المستوى في الجيش أن يوبخ نقيباً أدنى رتبة ولكن ليس العكس، وكما يمكن للمدير التنفيذي أن يوبخ مديراً إدارياً وليس العكس، فكذلك في مؤسسة الزواج يرى عادةً أن الزوج يمكنه توبيخ الزوجة، وليس العكس.

الآن فكر في السيناريو البديل - إذا كان الضابط ذو الرتبة الأعلى يسيء التصرف، فبالرغم من أن الضابط ذو الرتبة الأدنى لا يمكنه توبيخ الضابط ذو الرتبة الأعلى، إلا أنه حري في الاستقالة من المنظمة. وبالمثل، إذا كان الزوج مذنباً بالنشوز، فللزوجة الحق في ترك الزوج أو الاستقالة من الزواج إذا لم يعدل الزوج سلوكه.

لقد أدرك محمد صلى الله عليه وسلم جيداً أن هذا السماح باستخدام القوة البدنية بشرط ألا تسبب ندوباً أو إصابات، كان المقصود منه أن يكون إجراءً نادراً للغاية في مواقف استثنائية. ومن المحتمل أيضاً أنه علم أن الكثير من الرجال سيسيئون استخدام هذا السماح لتبرير العنف المنزلي. لذلك، كان محمد صلى الله عليه وسلم يعظ باستمرار ضد ضرب النساء. فعلى سبيل المثال، ورد أن محمد صلى الله عليه وسلم قال:

"لا تضربوا إماء الله ولا تغلظوا لهن."^{٢١}

وفي مكان آخر، ورد أنه قال:

"خياركم خياركم لنسائهم."^{٢٢}

قبل أن تنتقل إلى الأسئلة القليلة القادمة، من المهم أن نذكر هنا أنه كلما تحدثت مع العديد من زملائي المسلمين حول أوامر نقاب الوجه، والحجاب، والفصل بين الجنسين، والموسيقى، والفنون في الإسلام، فإن الإجابة الشائعة تبدأ دائماً بمونولوج مستفيض حول فوائد نقاب الوجه، والحجاب، والفصل بين الجنسين وأضرار الموسيقى والفنون. أوضح دائماً في هذه اللحظة أن استفساري الأساسي ليس عن الفوائد أو الأضرار الاجتماعية والأخلاقية والثقافية المحتملة لهذه الأشياء. استفساري الأساسي هو معرفة ما هي أوامر الله في هذه المجالات فيما يتعلق بإباحتها أو تحريمها.

السؤال ١٠: هل يحرم الإسلام الموسيقى وغيرها من أشكال الفن؟

ملاحظة هامة: للحصول على إجابات مفصلة حول هذا الموضوع

^{٢١} أبو داود، رقم ٢١٤٤.

^{٢٢} الترمذي، رقم ١١٦٢.

مع المراجع، يرجى مشاهدة سلسلة الفيديو بعنوان "الرد على ٢٣ سؤالاً - الغناء والموسيقى - جاويد أحمد غامدي" على قناة يوتيوب "مركز غامدي للتعليم الإسلامي".

الموسيقى وأشكال الفن الأخرى ليست محرمة في القرآن

لكي يعتبر الشيء محرماً أو حراماً في الإسلام، يجب إما أن يكون محرماً مباشرة في القرآن أو محرماً من حيث المبدأ في القرآن. فعلى سبيل المثال، يحرم القرآن صراحة كل نشاط جنسي خارج إطار الزواج. ومن ناحية أخرى، فإن أحد أمثلة تحريم شيء من حيث المبدأ هو تحريم القرآن للمسكرات. لذلك، وفقاً لهذا المبدأ، فإن أي شيء يسبب السكر - سواء كان في شكل سائل أو مدخن أو قابل للحقن - محرم بكميات كبيرة وصغيرة على حد سواء. مثال آخر هو مبدأ القرآن ضد "الظلم"؛ وبالتالي، فإن أي نشاط محدد يسبب أي نوع من الظلم لأي شخص هو محرم. وفي حالة الموسيقى وأشكال الفن الأخرى، لا يوجد مكان في القرآن يحرم الموسيقى أو الآلات الموسيقية أو أي شكل آخر من أشكال الفن بشكل مباشر أو من حيث المبدأ.

الموسيقى وأشكال الفن الأخرى ليست محرمة في أدب الحديث

بقدر ما يتعلق الأمر بالأحاديث، لا يوجد حديث صحيح يعلن فيه

محمد صلى الله عليه وسلم حظراً كاملاً على الآلات الموسيقية. في الواقع، هناك العديد من الأحاديث الصحيحة حيث يوافق محمد صلى الله عليه وسلم على الغناء والرقص. ووفقاً لهذه الأحاديث، استمع محمد صلى الله عليه وسلم وزوجاته وأصحابه إلى المغنين والمغنيات في مناسبات مختلفة. وعلاوة على ذلك، هناك العديد من الأحاديث التي يشجع فيها محمد صلى الله عليه وسلم على الغناء والموسيقى في حفلات الزفاف والمهرجانات مثل العيد. وبينما يحذر محمد صلى الله عليه وسلم أتباعه من الأضرار المحتملة للموسيقى في العديد من هذه الأحاديث، إلا أنه لا يحرمها تماماً. فيما يلي بعض الأمثلة:

• استمع محمد صلى الله عليه وسلم وزوجته عائشة (رضي الله عنها) إلى أغنية مغنية. وفي نهاية الأداء، حذر محمد صلى الله عليه وسلم من الأضرار المحتملة للموسيقى والغناء بقوله: "إن الشيطان قد نفخ في منخري هذه المغنية".^{٢٣}

• أدت مغنية أغنية لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.^{٢٤}

• يقال إن الناس غنوا ورقصوا ابتهاجاً عند عودة محمد صلى الله

^{٢٣} أحمد، رقم ١٥٧٢٠.

^{٢٤} أحمد، رقم ٢٣١١.

عليه وسلم منتصرًا من الحرب.^{٢٥}

• طلب محمد صلى الله عليه وسلم من زوجته عائشة (رضي الله عنها)، وهي في طريقها إلى حفلة زفاف، التأكد من ترتيب مغنية للحدث.^{٢٦}

• شجع محمد صلى الله عليه وسلم على غناء الأغاني في العيد رغم اعتراض أبي بكر على الآلات الموسيقية.^{٢٧}

المفهوم الخاطئ بأن استخدام "الدف" فقط هو المسموح به

في الأحاديث المذكورة أعلاه، عادة ما يرافق المغنين استخدام الدف كآلة موسيقية. وقد أدى ذلك بالعديد من علماء المسلمين إلى تكوين رأي مفاده أن الدف وحده هو المباح بينما الآلات الموسيقية الأخرى ليست كذلك. ولكي يكون هذا المنظور دقيقًا، يجب أن تكون هناك آية قرآنية أو حديث ينص صراحة على أن جميع الآلات الموسيقية محرمة، مع كون موافقة محمد صلى الله عليه وسلم على الدف استثناءً خاصًا لهذه القاعدة. ومع ذلك، لا يوجد نص في القرآن أو الحديث يعلن بوضوح أن جميع الآلات الموسيقية محرمة. وبالتالي، لا يوجد أساس

^{٢٥} السنن الكبرى، رقم ٤٢٣٦.

^{٢٦} ابن ماجه، رقم ١٩٠٠.

^{٢٧} البخاري، رقم ٩٥٢.

للاعتقاد بأن جميع الآلات الموسيقية محظورة في الإسلام، باستثناء الدف وحده. علاوة على ذلك، يتم تحدي هذا المفهوم بشكل أكبر من خلال حديث مثير للاهتمام حيث يتأمل محمد صلى الله عليه وسلم في واقعة من شبابه، قبل تلقي النبوة، حيث حماه الله من ارتكاب ذنب من خلال الانخراط في الاستماع إلى موسيقى الدف و "آلات موسيقية أخرى" في حفلة زفاف. تشير هذه الحكاية إلى أن الآلات الموسيقية، بخلاف الدف، ليست آثمة بطبيعتها؛ وإلا كيف يمكن لله أن يستخدمها كوسيلة لمنع الذنب؟ دعونا نخلل هذا الحديث بعجالة. في صحيح ابن حبان (رقم ٦٢٧٢)، يشرح محمد ﷺ لصديقه أنه قبل وقت طويل من تلقي النبوة، خلال أيام شبابه، همّ بارتكاب ذنب مرتين، لكن الله نجاه. يشرح محمد صلى الله عليه وسلم أنه في مناسبتين منفصلتين، حاول الذهاب إلى تلك التجمعات التي "اعتاد شباب مكة الذهاب إليها". يمكن أن يشير محمد صلى الله عليه وسلم إلى تلك الأنواع من التجمعات التي تتضمن ترفيه البالغين مثل المسكرات والقمار والنساء. يوضح محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أنه بينما كان في طريقه، في المرتين تشتت انتباهه بالموسيقى والغناء في حفلة زفاف تقام في أحد المنازل. فضل يستمتع بتلك الموسيقى والغناء حتى غلبه النوم ولم يصل إلى التجمعات التي كان ذاهباً إليها، وهكذا حماه الله من الوقوع في الإثم. يذكر تحديداً أنه في

حفلات الزفاف هذه كان هناك غناء بـ "الدفوف" و "آلات موسيقية أخرى" (مزامير بالعربية).

باختصار، الآلات الموسيقية والغناء وغيرها من أشكال الفن ليست محرمة بشكل مباشر أو أساسي في القرآن أو الحديث. في الواقع، هناك أحاديث عديدة يسمح فيها محمد صلى الله عليه وسلم بالغناء واستخدام الدف، من بين آلات موسيقية أخرى.

هناك مقاطع معينة في القرآن والحديث تفسرها بعض شرائح المجتمع الإسلامي كأوامر تحرم الآلات الموسيقية وجميع أشكال الفن. ومع ذلك، عند الفحص الدقيق، يتبين أن هذه المقاطع هي تعليمات لتجنب الاستخدام غير القانوني وغير الأخلاقي للآلات الموسيقية وأشكال الفن الأخرى، بدلاً من فرض حظر شامل عليها. دعونا نحلل بإيجاز هذه الآيات القرآنية والأحاديث.

أ - تحليل آيات من القرآن قدمت لإثبات أن الإسلام يحرم

الموسيقى والغناء:

في القرآن، هناك في المقام الأول ثلاثة مقاطع غالباً ما يتم الاستشهاد بها كدليل على أن الله قد حرم الموسيقى. ومع ذلك، عند الفحص الدقيق، فإن هذه الآيات في الواقع تحرم إساءة استخدام الموسيقى وأشكال الفن الأخرى، بدلاً من فرض حظر شامل عليها.

١. تنص القرآن ٣١: ٦:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَتَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

يشير مصطلح "لهو" إلى أي شيء يشتت انتباه الناس أو يسليهم،
مثل الشعر أو الرياضة أو الموسيقى أو الرقص أو أي نشاط آخر يمكن
أن يشغل الأفراد. أولئك الذين يجادلون بأن الإسلام يحرم الموسيقى
يدعون أن "اللهو" في هذا السياق يشير تحديداً إلى الموسيقى. ومع ذلك،
فإن هذا التفسير معيب لأن كلمة "لهو" تظهر في أماكن أخرى متنوعة
في القرآن، بما في ذلك سورة الأنعام الآية ٣٢، والعنكبوت الآية ٦٤،
والأنبياء الآية ١٧، والأعراف الآية ٥١. في كل حالة، يتم استخدام "لهو"
للدلالة على التشتيت والتسلية، وليس بالضرورة الموسيقى أو الغناء.
وبالرغم من أن الموسيقى يمكن أن تكون شكلاً من أشكال التشتيت،
إلا أن القرآن لا يستخدم كلمة "لهو" حصرياً للإشارة إلى الموسيقى
فحسب، بل يوظفها بشكل أوسع للإشارة إلى أي شيء قد يصرف
الناس عن الالتزامات الدينية. علماء أجلاء مثل الطبري والزمخشري،
وحتى المودودي - وهو شخص يرى الموسيقى محرمة في الإسلام -
جميعهم ترجموا "لهو" على أنها أشياء تسلي وتشتت انتباه الناس، وليس
تحديداً كموسيقى.

ومع ذلك، نزلت هذه الآيات عندما قام زعماء مكة المشركون
بنشر المغنين والراقصين لصرف الناس عن الاستماع إلى دعوة محمد

صلى الله عليه وسلم للقرآن. وحتى لو سلمنا بأن هذه الآية بالذات تعني الغناء والرقص، فهي بوضوح تعالج إساءة استخدام هذه الفنون، بدلاً من إعلان حظر كامل عليها. تقترح الآية أن أي شكل من أشكال الفن يستخدم لصرف الناس عن الواجبات الدينية هو استخدام غير مشروع للفن. في الواقع، يعلن القرآن أن أي نشاط، مباح في الأصل، يصبح غير مشروع إذا تداخل مع الواجبات الدينية. خذ التجارة، على سبيل المثال، وهي نشاط مشروع تماماً وفقاً للإسلام. تنص القرآن ٦٢: ١١ على أنه إذا صرفت التجارة الشخص عن واجباته الدينية، فإن هذا النشاط التجاري يصبح آثماً.

لذا، باختصار، هذه الآيات لا تتناول تحديداً الموسيقى أو الغناء، بل تشير بدلاً من ذلك إلى أي نشاط يخدم كمشتت أو مصدر للتسلية. ومع ذلك، إذا فسر المرء كلمة "لهو" لتعني الموسيقى والغناء، فحتى عندها، لا تعلن الآية حظراً مطلقاً على الفن. بل تشير إلى أن الموسيقى أو الغناء أو الفن يصبح إشكالياً إذا انخرط الناس في هذه الأنشطة إلى الحد الذي يهملون فيه واجباتهم الدينية.

٢. القرآن ١٧: ٦٤: تخبر هذه الآية بأن الشيطان قد مُنح الحرية في تحريض الناس بصوته. تنص الآية:

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَعْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ

إِلَّا غُرُورًا».

كلمة "صوت" مشتقة من "صوت"، وتعني حرفياً "صوت". بالنسبة لأولئك الذين يعتبرون الموسيقى محرمة في الإسلام، يجادلون بأن "صوت الشيطان"، كما هو مذكور في الآية، يشير إلى الموسيقى والغناء. ومع ذلك، هذا ليس صحيحاً لأنه، أولاً، حتى طالب اللغة العربية المبتدئ يمكنه بسهولة إدراك أن الكلمة المستخدمة في الآية، والبناء، وسياق الجملة كلها توضح أن صوت الشيطان هنا يشير إلى وساوسه التي تدعو الناس إلى الشر. ثانياً، علماء مسلمون مشهورون مثل الطبري، والزمخشري، وشاه عبد القادر، والمودودي لم يترجموا هذه الكلمة كغناء أو موسيقى.

٣. القرآن ٥٣: ٥٩-٦١: تخاطب هذه الآيات الأفراد الذين يستخفون ويهزؤون بآيات القرآن بينما يستمرون في الانغماس بعمق في الملاهي. يؤكد العديد من المؤمنين أن الموسيقى والغناء محرمان في الإسلام، مفسرين الكلمة العربية "سامدون" المستخدمة في هذه الآية بمعنى "تسلية" على أنها تعني تحديداً الموسيقى والغناء. ومع ذلك، لم يحدد أي مترجم متميز هذه الكلمة صراحة على أنها تدل على الموسيقى والغناء. في معناها الحرفي، يمكن أن تشير "سامدون" إلى أي نشاط ترفيهي، بما في ذلك الرياضة.

ثانياً، إذا سلمنا جدلاً بأن القرآن يقصد الموسيقى والغناء بكلمة

"تسلية" في هذه الآية، فإنه لا يزال يؤكد أن الانخراط في الموسيقى والغناء أثناء الغفلة عن القرآن والاستهزاء به هو المحرم. لذلك، يكرر القرآن أن أي نشاط، سواء كان تجارة أو فناً، يُمارس مع إهمال الواجبات الدينية للفرد هو حرام. هذه الآيات لا توجي بحظر شامل للموسيقى والفن.

ب - تحليل بعض الأحاديث المقدمة لإثبات أن الإسلام يحرم الموسيقى والغناء:

هناك عدة روايات يتم الاستشهاد بها كدليل على أن جميع أنواع الآلات الموسيقية محرمة. دعونا نفحصها بإيجاز.

الحديث رقم ١:

في البخاري ٥٥٩٠، ورد أن محمد صلى الله عليه وسلم قال: "ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف". هذا الحديث لا يحرم جميع أشكال الجماع والحرير والآلات الموسيقية، بل فقط تلك الأنواع التي تعتبر غير مشروعة في الإسلام. اسمحو لي أن أوضح:

ينص هذا الحديث على أن الناس سيعتبرون أربعة أشياء حلالاً وهي محرمة في الإسلام. دعونا نفحص ما إذا كانت هذه العناصر الأربعة محرمة تماماً في الإسلام أم أنها محرمة بشروط فقط.

١. المسكرات: جميع أشكال المسكرات محرمة تماماً في القرآن، كما هو موضح في القرآن ٥: ٩٠. وبالتالي، يذكر الحديث أن الناس سيستهلكون علانية أنواعاً مختلفة من المسكرات.

٢. الجماع: ليس كل أنواع الجماع محرمة في الإسلام، حيث أن العلاقات الجنسية بين الزوج والزوجة مشروعة. لذلك، لا يشير الحديث إلى أن جميع أشكال الجماع محرمة وأن الناس سيعلمونها حلالاً من تلقاء أنفسهم. بدلاً من ذلك، يشير الحديث إلى أن الناس سيعتبرون أنواع الجماع المحرمة في الإسلام - مثل الجماع خارج إطار الزواج - حلالاً.

٣. الحرير: الحرير محرم على الرجال ولكنه حلال تماماً للنساء. لذلك، لا يوجي الحديث بأن جميع أنواع الحرير محرمة وأن الناس سيجعلونها حلالاً لأنفسهم. بل إن الحديث يعني أن الرجال سيلبسون الحرير علانية، وهو أمر محرم في الإسلام.

٤. الآلات الموسيقية: ناقشنا أعلاه أنه وفقاً للقرآن والحديث، فإن الآلات الموسيقية ليست محرمة تماماً، ولكن استخدامها غير المشروع هو المحرم. ومن ثم، فإن هذا الحديث يذكر أن الناس سيستمعون بحرية بنوع الأغاني والموسيقى التي تحتوي على أشياء محرمة في الإسلام.

الحديث رقم ٢:

في حديث آخر سجل في مسند أحمد (رقم ٤٥٣٥)، أن محمد صلى

الله عليه وسلم وهو مسافر على جمل، سمع شخصاً يعزف على الناي. وضع أصابعه في أذنيه وطلب من رفيقه الاستمرار في الاستماع إلى الناي وإخباره عندما يتلاشى الصوت. أولئك الذين يدعون أن الإسلام يحرم الآلات الموسيقية يجادلون بأنه بما أن محمد صلى الله عليه وسلم وضع أصابعه في أذنيه عند سماع الناي، فإن هذا الفعل يعد دليلاً على أن الآلات الموسيقية محرمة.

يطرح السؤال نفسه: إذا كان الناي آلة موسيقية محرمة وكان الاستماع إليه يعتبر خطيئة، فلماذا طلب محمد صلى الله عليه وسلم من رفيقه الاستمرار في الاستماع؟ لماذا لم يأمره بسد أذنيه، واقترح أن يفتحا آذانهما معاً بعد السفر لمسافة أبعد قليلاً لتجنب خطيئة الاستماع إلى آلة محرمة؟ هل طلب محمد صلى الله عليه وسلم من عازف الناي التوقف، أو أعلن في المدينة أن الناي آلة محرمة؟ الجواب هو لا!

بما أن الأحاديث تفتقر عادةً إلى المعلومات السياقية، فمن قبيل التكهن إلى حد كبير تحديد سبب انزعاج محمد صلى الله عليه وسلم من الناي. الفرضية الأكثر قبولاً هي أن محمد صلى الله عليه وسلم، المعروف بتلاوة القرآن والانخراط في أعمال عبادة أخرى خلال رحلاته، ربما وجد الناي مشتتاً، مما قد يفسر سبب سد أذنيه.

الحديث رقم ٣ و ٤ و ٥:

في أحاديث أخرى (مسند أحمد، رقم ٨٧٨٣، مسند أحمد، رقم

٧٥٦٦، والسنن الكبرى، رقم ٩٤٨٣)، يبدو أن محمد صلى الله عليه وسلم يعبر عن ازدرائه للأجراس، خاصة تلك المعلقة تحت أعناق المشية، ويذكر أيضاً أن الملائكة تنفر من الأجراس. وقد استخدم هذا كدليل للإشارة إلى أن الآلات الموسيقية محرمة. أولاً، لا يعتبر الجرس آلة موسيقية حقيقية. ثانياً، يبدو أن هذه الأحاديث، مثل الحديث المذكور أعلاه، تعكس حالات كان فيها محمد صلى الله عليه وسلم منزعاً وانقطعت عبادته، بدلاً من إعلان حظر لجميع الآلات الموسيقية.

ج- تحريم عمل اللوحات والمنحوتات للكائنات الحية

إن النهج الصحيح تجاه الإسلام والفن هو أن الإسلام لا يحرم الفن تماماً؛ بل يحرم أشكال الفن التي تتضمن عناصر محرمة في الإسلام. هذا الفهم يجب أن يطبق على الأحاديث التي يبدو أنها تحظر رسم أو نحت الكائنات الحية. توجد هذه الأحاديث بشكل أساسي في البخاري، أرقام: ٥٩٥١، ٥٩٥٧، ٥٩٥٤، وفي مسلم أرقام: ٢١٠٩، ٢١١٠.

عند النظر إليها ضمن الإطار الكامل للقرآن — خاصة من خلال عدسة القرآن ٧: ٣٣ — يتضح أن تصوير الكائنات الحية قد أُدين من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لأنه في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع، كان الرسم والنحت يمارسان في المقام الأول لغرض عبادة

الأصنام. لا يوجد إطلاقاً أي حظر ضد هذه الأشكال الفنية إذا لم تكن مخصصة لعبادة الأصنام وإذا لم تكن تحتوي على أي شيء محرم في الإسلام.

د- القيود الأخلاقية على الموسيقى والغناء وجميع الأشكال

الفنية الأخرى

عند هذه النقطة، يطرح سؤال: إذا كان الإسلام يبيح جميع أشكال الفن ولكن بشروط أخلاقية معينة، فما هي تلك الشروط بالضبط؟ على الرغم من أن القرآن بأكمله مليء بهذه الأوامر والنواهي الأخلاقية، سأشارك مكاناً خاصاً جداً في القرآن حيث تم شرح هذه المبادئ التوجيهية الأخلاقية بإيجاز — وهو السورة ٧، الآية ٣٣. في هذه الآية، تم تحريم الأشياء التالية:

١. أي نوع من السلوك أو الفعل الجنسي خارج نطاق الزواج: سواء كان ذلك في كلمات أغنية، أو حوارات في فيلم أو دراما، أو ملابس الفنانين، والتفاعلات بين الفنانين — إذا كان الأمر مثيراً جنسياً أو ذا طبيعة جسدية حميمة من قريب أو بعيد، فهو غير مسموح به إطلاقاً في الإسلام.

٢. الظلم محرم: سواء كان ذلك في كلمات أغنية أو قصة فيلم، إذا كان أي عنصر من عناصر الفن يبرر أو يمجد الظلم، فهو محرم.

٣. يُحرم إلحاق الضرر بحياة أي شخص أو ماله أو كرامته بغير حق: إذا كان أي جانب من جوانب العمل الفني يروج أو يمجّد إلحاق ضرر غير قانوني بحياة أي شخص أو ممتلكاته أو كرامته، فإن هذا الفن محرم.

٤. الشرك بالله محرم: إذا كان أي شكل من أشكال الفن يروج أو يمجّد الشرك — ممارسة إشراك شركاء مع الله أو عبادة آلهة متعددة — فإن هذا الفن محرم.

٥. الكذب على الله محرم: أي شكل من أشكال الفن ينشر أفكاراً خاطئة عن الله فهو بالتالي محرم.

بصرف النظر عن المحرمات الخمسة التي تمت مناقشتها سابقاً، إذا تمت ممارسة أي شكل من أشكال الفن أو الاستمتاع به على حساب فريضة دينية، فإنه يصبح فعلاً غير قانوني، حتى لو وقع هذا الشكل الفني ضمن القيود الخمسة المذكورة آنفاً.

لذا، باختصار، لا القرآن ولا الحديث يحظران الموسيقى أو أي شكل فني آخر بشكل صريح؛ هما يحظران فقط استخدامها الخاطيء. جميع أشكال الفن مباحة في الإسلام طالما أنها لا تشمل أي شيء محرم في الإسلام.

السؤال ١١: هل يفرض الإسلام لباساً معيناً للمرأة، وهل يوجب تغطية الرأس أو الوجه؟

يمكن تقسيم الإجابة على هذا السؤال إلى ثلاثة أجزاء:

١. قواعد اللباس للمرأة في سورة النور: القرآن في هذه الآيات المحددة يحدد مبادئ تتعلق بلباس المرأة. وهو لا يجعل تغطية الوجه والرأس فريضة على النساء.

٢. آيات من سورة الأحزاب: تُستخلص آيات معينة من سورة الأحزاب لتبرير نقاب الوجه والقيود الاجتماعية المفروضة على النساء. ومع ذلك، عند النظر إليها في سياقها، فإن هذه الآيات تتناول تحديداً تعليمات مخصصة فقط لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم وتحدد تدابير مؤقتة لعامة النساء المسلمات في ظل ظروف محددة. صدرت هذه التوجيهات على خلفية مرحلة مضطربة بشكل خاص في تطور الإسلام، تعرضت خلالها أسرة النبي صلى الله عليه وسلم لحملة افتراء شرسة وتعرضت النساء المسلمات للمضايقة والتحرش في شوارع المدينة. وبناءً عليه، أهدف إلى توضيح أن مجموعة واحدة من الآيات في سورة الأحزاب تقدم تعليمات حصراً لزوجات النبي وليست مخصصة لعامة النساء المسلمات، بينما تفرض المجموعة الأخرى من الآيات تدبيراً مؤقتاً للنساء المسلمات في وضع استثنائي، وليس المقصود منها أن تكون سياسة أبدية لجميع النساء في جميع الأوقات.

دعونا نناقش هاتين النقطتين واحدة تلو الأخرى.

١- قواعد اللباس للمرأة في سورة النور:

تمت مناقشة قواعد لباس المرأة في القرآن ٢٤: ٣٠-٣١، وبينما يناقش كيف يجب أن يتصرف الرجال والنساء في تفاعلاتهم، يصدر القرآن في سورة النور تعليمات أخلاقية محددة لكلا الجنسين بهدف تطهير تفاعلاتهم من أي شوائب أخلاقية. في هذا السياق، أمر كل من الرجال والنساء بأن ينظروا إلى بعضهم البعض بمنتهى الاحترام، وهو ما لخصه مصطلح "غض البصر"، ويجب عليهم الامتناع عن أي نوع من السلوك أو الفعل الجنسي، وهو ما أكدته الأوامر "بحفظ الفروج".

"حفظ الفروج" هو مصطلح واسع يشمل الأمرين التاليين:

أ- لا يُسمح بأي اتصال جنسي أو حسي أو حميم من أي نوع دون زواج.

ب- لا ينبغي ارتداء الملابس التي تجذب الانتباه إلى العورات. لذلك، من الضروري تغطية العورات والمناطق المحيطة بها بشكل كافٍ. بالنسبة لكل من الرجال والنساء، تعتبر منطقة الحوض عورة؛ بالإضافة إلى ذلك، بالنسبة للنساء، يعتبر الصدر أيضاً عورة. وعلى هذا النحو، تلتزم النساء بتغطية كل من الصدر والمنطقة المحيطة به، وكذلك الحوض والمناطق المحيطة به.

يشير التحليل أعلاه إلى وجوب تغطية النساء لأنفسهن من الرقبة إلى الكاحل بملابس ليست ضيقة ولا شفافة — وهذا هو الحد الأدنى الأساسي المطلوب. إذا اختارت النساء تغطية رؤوسهن أو حتى وجوههن لكسب مزيد من الرضا من الله، فإن هذا القرار جدير بالثناء. ومع ذلك، فيما يتعلق بأوامر الله الواجبة، فهي كما ذكر سابقاً.

هناك توجيه إضافي للنساء يتعلق بارتداء المجوهرات أو الزينة حول منطقة الصدر التي قد تبرز أو تجذب الانتباه إلى صدورهن. ويطلب منهن تغطية جيوبهن (صدورهن) بقطعة ثياب وإخفاء الزينة الأخرى عن الجمهور، باستثناء تلك التي تلبس في اليدين والقدمين والوجه. في القرآن ٢٤: ٦٠، يُلاحظ أن النساء القواعد (كبار السن) يُمنحن التخفيف الذي يسمح لهن بوضع ثيابهن الخارجية في الأماكن العامة، بشرط ألا يكون هناك تعمد لإظهار الزينة والجمال.

المصطلح المستخدم في القرآن ٢٤: ٣١ لغطاء هو ﴿يُخْمَرْنَ﴾، والذي يترجمه البعض غالباً على أنه "غطاء الرأس". وبناءً على ذلك، يتم الاستشهاد بهذه الآية كثيراً لدعم الحجة القائلة بأنه بما أن الله يوجه النساء المسلمات لتغطية صدورهن بخمرهن، فإن هذه الأغشية كانت مستخدمة بالفعل بين النساء المسلمات ويجب الاعتراف بها كواجب شرعي من الله. هذا التفسير يدفع العديد من المسلمين إلى الاعتقاد بأنه فريضة إلهية على النساء تغطية رؤوسهن في جميع الأوقات، وهو أمر غير دقيق.

تستند هذه القضية إلى أساس ضعيف لأن القرآن، أولاً، ابتداءً من ٢٤: ٣٠ وما بعدها، يناقش الموضوع المحدد لكيفية تصرف الرجال والنساء إذا اختلطوا، لكنه لا يصدر تعليمات واضحة بوجوب تغطية النساء لرؤوسهن أو وجوههن في جميع الأوقات. لا توجد آية واحدة تنص صراحة على: "يا أيها النساء المؤمنات، يجب عليكن التأكد من تغطية رؤوسكن (أو وجوهكن) في جميع الأوقات عند التعامل مع الآخرين".

ثانياً، استخدم القرآن العبارة العربية ﴿بِخُمْرِهِنَّ﴾ عند أمر النساء بتغطية الزينة أو المجوهرات على صدورهن. لا يوجد دليل لغوي أو تاريخي لا لبس فيه يشير إلى أن مصطلح "بِخُمْرِهِنَّ" يشير حصرياً إلى غطاء الرأس. هذا المصطلح يعني عموماً أي شيء يغطي، وليس غطاء الرأس تحديداً. في السياق المحدد لهذه الآية، يمكن أن يشير إلى أي شكل من أشكال التغطية — ثوب خارجي، أو شال، أو حتى غطاء للرأس. ومع ذلك، فإنه لا يعني نوعاً معيناً من الغطاء. وبالتالي، فإن التفسير الأكثر منطقية للآية يشير إلى أنه إذا كانت المرأة ترتدي زينة — لا سيما في منطقة الصدر — فيجب عليها تغطية هذه الزينة بشال أو خمار.^{٢٨}

^{٢٨} لمناقشة مفصلة حول معنى المصطلح يرجى الاطلاع على: "خمار"، تم اكتشافه في الله وللإسلام ويوم القيامة 422 —

لذا، باختصار، فيما يتعلق بملابس النساء، ينص القرآن على أنه إذا كانت المرأة لا ترتدي زينة، فيجب أن تكون مغطاة بشكل مناسب من الرقبة إلى الكاحل، ويجب ألا تكون الملابس ضيقة أو شفافة على الإطلاق. هذا هو الالتزام الأساسي والإلزامي تماماً. إذا اختارت أي امرأة الذهاب إلى أبعد من ذلك بتغطية رأسها أو وجهها، فهذا أمر محمود، لكن الفريضة الإلزامية التي ذكرتها للتوتستند إلى القرآن ٢٤: ٣٠-٣١. إذا كانت المرأة ترتدي زينة تجذب الانتباه إلى عورتها، ولا سيما الصدر، فيجب عليها تغطية هذه الزينة في الأماكن العامة، باستثناء ما ظهر منها في يديها وقدميها ووجهها.

٢. آيات من سورة الأحزاب: دعونا نقسم هذا القسم إلى فئتين فرعيتين.

- أ- تعليمات مخصصة حصراً لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم.
- ب- تعليمات لعامة النساء المسلمات كتدبير مؤقت في وضع استثنائي.

الدخول إليه في ٢٧ مايو ٢٠٢٤،

<https://quransmessage.com/articles/a%20deeper%20look%20at%20the%20word%20khimar%20FM3.htm>.

سأشرح هذه النقاط بإيجاز.

أ- تعليمات مخصصة حصراً لزوجات النبي: هناك آيات محددة في سورة الأحزاب — أساساً ٣٣: ٣٢-٣٣ و ٥٣: ٣٣ — نزلت في وقت كان فيه الصراع من أجل الإسلام في ذروته. خلال هذه الفترة، بدأ معارضو محمد صلى الله عليه وسلم حملة افتراء واسعة النطاق ضد بيته، واستهدفوا زوجاته على وجه التحديد. علاوة على ذلك، كان بعض المنافقين يضايقون النساء المسلمات في المدينة.

مع مراعاة السياق بأكمله، ففي الآيات المذكورة في سورة الأحزاب، وُضعت قيود إضافية محددة على زوجات محمد صلى الله عليه وسلم، مع التأكيد على أن هذه القيود الإضافية لا تنطبق على عامة النساء المسلمات. قبل فرض هذه القيود الإضافية، سألهن الله عما إذا كن غير راغبات في قبول هذه الأعباء الإضافية — فبإمكانهن الانفصال ودياً عن محمد صلى الله عليه وسلم دون أي مرارة ويكون كعامة النساء المسلمات. ومع ذلك، اختارت زوجات النبي قبول هذه القيود الإضافية. تشمل هذه القيود:

- حاجتهن إلى ملازمة البيوت وعدم الخروج دون أن يرافقهن أحد أفراد الأسرة من الذكور.
- إذا احتجن إلى التحدث مع رجل ليس من أفراد الأسرة المباشرين، فيجب عليهن فعل ذلك من وراء حجاب واستخدام نبرة صوت صارمة.

• لا يمكنهن الزواج مرة أخرى بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم.
• إذا دعي شخص كضيف لتناول الطعام في منزل النبي صلى الله عليه وسلم، فعليه أن يصل عندما يكون الطعام جاهزاً ويغادر فور الانتهاء من وجبته. ويُمنع الضيوف من البقاء جالسين لفترات طويلة.
لقد اعتبر العديد من علماء الإسلام أن القيود الإضافية الصادرة خصيصاً لزوجات محمد صلى الله عليه وسلم يجب أن تؤخذ كقيم مثالية لجميع النساء المسلمات. وجهة النظر هذه معيبة لأن القرآن يحذر تحديداً من أن هذه القيود الإضافية مخصصة فقط لزوجات محمد صلى الله عليه وسلم في سياق وضع فريد بشكل استثنائي.

يتبنى العديد من العلماء داخل الإسلام وجهة النظر القائلة بأن القيود المذكورة خاصة بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم وليست مخصصة لعامة النساء المسلمات. هذا الرأي مدعوم من قبل مفكرين إسلاميين أوائل مثل الإمام أحمد، وأبو داود، وابن قتيبة، والقاضي عياض، وابن بطل، وهشام بن الكلبي. وبالمثل، فإن علماء معاصرين مثل محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ومحمد شايع، وعبد الحليم يتبنون أيضاً هذا المنظور.

يوضح القرآن أن هذه التدابير الإضافية محددة ليس لعامة النساء المسلمات بل لزوجات محمد صلى الله عليه وسلم. يوضح العالم الإسلامي المعاصر الدكتور أمير جازدار في كتابه "أحكام الحجاب

والاختلاط " أنه لا يوجد على الإطلاق أي دليل يشير إلى أن عامة النساء المسلمات في زمن محمد صلى الله عليه وسلم اعتبرن هذه الآيات كقيم مثالية لأنفسهن، ولا يوجد أي دليل يشير إلى أن هذه التعليمات فُرضت عليهن.

وكما ناقشنا من قبل، فإن محتوى الحديث يكون أكثر شمولاً وفهماً عندما يتم تفسيره في ضوء القرآن، وليس العكس. هناك رواية في كتب الحديث حيث تتجنب زوجات محمد صلى الله عليه وسلم الظهور أمام رفيق أعمى للنبي صلى الله عليه وسلم. على الرغم من أن هذا يعتبر رواية ضعيفة، إلا أن مثل هذه الأحاديث — حيث تتخذ زوجات النبي تدابير قصوى للبقاء بعيداً عن الأنظار — غالباً ما يتم الاستشهاد بها كدليل على أنه لا ينبغي للمرأة المسلمة أن تكون مرئية لأي شخص باستثناء أسرتها المباشرة، على الرغم من أن القرآن لم يصدر مثل هذا الأمر. ومع ذلك، عندما تُعرض هذه الروايات من خلال عدسة سورة الأحزاب، يتضح أن هذه الحوادث لم تكن تظاهراً لقيم مثالية لجميع النساء المسلمات لاتباعها. في الواقع، كانت هذه جهوداً من قبل زوجات محمد صلى الله عليه وسلم للالتزام بقيود إضافية محددة كانت حصرية لهن وغير قابلة للتطبيق على عامة النساء المسلمات.

ب- تعليمات لعامة النساء المسلمات كتدبير مؤقت في وضع

استثنائي: الاستشهاد الثاني في سورة الأحزاب المستخدم لتبرير نقاب الوجه والحجاب كفرائض إلهية هو الآية ٣٣: ٥٩. هنا، أُمرت النساء المسلمات بتغطية أنفسهن بجلباب عند الخروج. تشير بعض الدوائر المسلمة إلى أن هذا يعني تغطية كل شيء ما عدا اليدين والقدمين والعينين. ومع ذلك، عندما تُقرأ هذه الآية في سياقها — من الآيات ٥٨ إلى ٦٢ — يصبح من الجلي أن هذه التعليمات صدرت كتدبير مؤقت في وضع طارئ، في المقام الأول لتحديد الهوية وليس كتوجيه أخلاقي لتحقيق الطهارة. دعوني أفصل في ذلك.

تصف الآيات سيناريو حيث كانت النساء المسلمات في المدينة يتعرضن للمضايقة والإيذاء من قبل بعض المنافقين. قبل اتخاذ إجراء ضد الجناة، نُصحت النساء المسلمات بتغطية أنفسهن برداء طويل. كان هذا التمييز بوضوح كنساء مسلمات، مما يضمن عدم وجود غموض أو عذر لأي شخص ليدعي أنه أخطأ بينهن وبين شخص آخر. حتى لو لم يتوقف المتحرشون بعد هذه الإجراءات القصوى، فسيؤمر محمد صلى الله عليه وسلم بالقبض عليهم وإعدامهم بلا رحمة.

ومن ثم، فإن الدرس الوحيد الذي يمكن استخلاصه من هذه الآيات هو أنه إذا نشأ وضع مماثل في الأوقات الحالية، فيمكن اتخاذ تدبير مؤقت مماثل. ومع ذلك، تظل الحقيقة هي أن هذه الآيات تتعلق بتدبير طارئ في وضع طارئ وليست أمراً أبدياً للنساء المسلمات

بتغطية أنفسهن من الرأس إلى أخمص القدمين في جميع الأوقات. للحصول على إجابات مفصلة حول هذا الموضوع تحديدًا مع المراجع، يرجى مشاهدة سلسلة الفيديو بعنوان "الرد على ٢٣ سؤالاً - الحجاب (البردة) - جاويد أحمد غامدي" على منصة يوتيوب "مركز غامدي للتعليم الإسلامي".

السؤال ١٢: هل يفرض الإسلام الفصل بين الجنسين؟

من المنطقي تمامًا القول بأنه من أجل تجنب أي سوء سلوك جنسي محتمل، لا ينبغي للرجال والنساء الخلوة معًا. لقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم بشدة الرجال والنساء عن الاجتماع في خلوة. ووفقًا لحديث، قال:

"ألا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان".^{٢٩}

ومع ذلك، عندما يتعلق الأمر بالتجمعات العامة مثل مأدبة عشاء للأصدقاء، أو حفل زفاف، أو عمل ودراسة الرجال والنساء معًا في المكاتب والجامعات فماذا يأمر القرآن في هذه السيناريوهات؟ أحد المفاهيم السائدة في الإسلام هو الفصل بين الجنسين — الاعتقاد بوجود الفصل بين الرجال والنساء في المناطق الجماعية العامة. لدهشتي،

^{٢٩} الترمذي، رقم ٢١٦٥.

وجدت أن القرآن ينص على خلاف ذلك في الواقع. أولاً، لا يُطلب الفصل بين الرجال والنساء في أقدس مسجدين في الإسلام في مكة والمدينة. بالإضافة إلى ذلك، لا يوجد فصل بين الجنسين خلال فريضة الحج والعمرة. ثانياً، يتناول القرآن مباشرة قضية الفصل بين الجنسين ويذكر في ٢٤: ٦١ أنه عندما يزور المسلمون بيوت أهلهم وأصدقائهم في وليمة، فالأمر متروك لهم ليختاروا ما إذا كان سيأكلون منفصلين أو معاً. تشير هذه الآية إلى أنه يُسمح للرجال والنساء بالاختلاط في كل من المناسبات العائلية وتجمعات الأصدقاء. وهكذا، يبدو أن إله القرآن لم يشرع الفصل بين الجنسين؛ بل ترك هذا القرار لتقدير المسلمين، بشرط التزامهم بالمبادئ التوجيهية الأخلاقية المتعلقة بالتفاعلات بين الجنسين كما وردت في القرآن ٢٤: ٣٠-٣١.

السؤال ١٣: هل يحرم الإسلام المصافحة بين الرجال والنساء؟

إنها مسألة اختيار شخصي وأعراف ثقافية، والإسلام لا يصدر أوامر محددة بشأن الامتناع عن مصافحة الجنس الآخر. وفي هذا الصدد، يتم تقديم حديثين مشهورين. في أحدهما، روي عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيطة من حديد خير له من أن يمس"

امرأة لا تحل له.^{٣٠}

عندما يُفهم الحديث من خلال القرآن، ومن التوجيهات الصادرة في سورة النور فيما يتعلق بآداب السلوك في المواقف التي يجب أن يتفاعل فيها الرجال والنساء، يصبح من الواضح أن الحديث يتناول فعل لمس المرأة بطريقة غير لائقة بنوايا خاطئة. إن لمس كف المرأة لفترة وجيزة للمصافحة كعرف ثقافي، أو، على سبيل المثال، قيام الطبيب بفحص نبض المرأة لأغراض طبية، لا يشملهم معنى هذا الحديث.

عند هذه النقطة، غالباً ما يجادل بعض أصدقائي المسلمين بأنه إذا لم يكن هناك تحريم عام على جميع أشكال اللمس، فإن العناق وتقبيل الحدين كتحية بين الجنسين يجب أن يكون مقبولاً. ردي هو أنه خارج نطاق الزواج، فإن جميع أشكال الاتصال الشهواني محرمة في الإسلام. لذلك، يجب تجنب أي لمس ذو طبيعة شهوانية أو يمكن أن يؤدي إلى إثارة شهوانية كإجراء احترازي.

حديث آخر مقدم هو البخاري (رقم ٢٥٦٤)، حيث ذكر أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يمس يد امرأة قط أثناء أخذ بيعة منها. ولا ينبغي تفسير ذلك على أنه توجيه ضد المصافحة. وبما أن اليد تحتاج إلى الإمساك بها لفترة طويلة أثناء البيعة، فمن الواضح أن محمداً صلى

^{٣٠} المعجم الكبير، الطبراني، رقم ١٦٩١٠.

الله عليه وسلم اتخذ هذا الإجراء الاحترازي لتجنب الفتنة، بدلاً من إصدار توجيه ضد المصافحة.

هناك حجة أخرى مقدمة وهي أنه لا توجد حالات مسجلة لرجال يصافحون نساءً في زمن محمد صلى الله عليه وسلم. وردي هو أنه ربما ببساطة لم تكن تلك عادة تلك الثقافة. إذا كان العرف داخل ثقافة ما هو المصافحة أو ضرب القبضة كشكل من أشكال التحية، فيبدو أن الإسلام ليس لديه اعتراضات على ذلك.

كلمة تحذير، بالرغم من ذلك - الإسلام يحرم بشدة جميع أنواع السلوكيات والأفعال الحميمة والجنسية إلا مع الزوج. ومن ثم، إذا كان شخص ما يعتقد أن مصافحة الجنس الآخر قد تثير مشاعر حميمة أو جنسية، فعلى هذا الشخص أن يمتنع عن ذلك.

السؤال ١٤: هل يوجب الإسلام على الرجال المسلمين إطالة اللحى؟

ملاحظة هامة: للحصول على إجابات مفصلة حول هذا الموضوع مع المراجع، يرجى مشاهدة سلسلة الفيديو بعنوان "الرد على ٢٣ سؤالاً - اللحية (دارهي) - جاويد أحمد غامدي" على قناة اليوتيوب "مركز غامدي للتعليم الإسلامي".

لا يوجد نص في القرآن يوجب تحديداً على الرجال المسلمين إبقاء

اللحية كفريضة دينية.

إذا رغب شخص ما في الاحتفاظ بلحية طويلة حباً لمحمد صلى الله عليه وسلم لأن لحيته كانت له، فهذا أمر رائع. ومع ذلك، فإن السؤال هو ما إذا كان الإسلام يجعل من الواجب على الرجال المسلمين إطالة اللحية.

تسمى اللحية سنة النبي فقط لأن محمداً صلى الله عليه وسلم نفسه كان له لحية. وكما ناقشنا من قبل، فإن السنة هي جانب الدين الذي يضم الأفعال التي أقرها محمد صلى الله عليه وسلم كجزء من الإسلام. مجرد ارتداء محمد صلى الله عليه وسلم لشيء ما، أو ركوبه لجمل، أو أكله لنوع معين من الطعام، لا يجعله تلقائياً سنة أو جزءاً من الدين. لكي يعتبر الفعل سنة، يجب أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد أقره ونقله على نطاق واسع كجزء من الدين.

غالباً ما تُفسر بعض الأحاديث على أنها تعني أن محمداً صلى الله عليه وسلم أوجب اللحية الطويلة للرجال المسلمين. في هذه الروايات، يوجه محمد صلى الله عليه وسلم أتباعه لتمييز شعر وجوههم عن شعر المشركين وأهل الكتاب بإطالة لحاهم وقص شواربهم.^{٣١}

بما أن هذا الحديث لا يوفر سياق سبب إدلاء محمد صلى الله عليه

^{٣١} مسلم، رقم ٦٠٣ و٦٢٥، البخاري، رقم ٥٨٩٣.

وسلم بتصريحه، فيجب علينا تحليل المسألة في ضوء القرآن. عندما يُنظر إلى الحديث من منظور القرآن، كما ينبغي، يصبح السياق واضحًا. دعني أشرح بإيجاز.

إن الرهبان، من بين أهل الكتاب - المسيحيين واليهود - حتى يومنا هذا، لا يقصون لحاهم أو شواربهم. شواربهم الطويلة عادة ما تغطي منطقة الشفة بأكملها، وهو أمر يخالف بوضوح معايير النظافة الجسدية، خاصة عند الأكل. في المقابل، اعتاد المشركون، وخاصة قاداتهم، قص لحاهم قصيرة وإبقاء شوارب طويلة ذات أطراف منحنية للأعلى كدليل على الكبرياء. ولا تزال هذه الممارسة منتشرة في العديد من الثقافات اليوم، خاصة في جنوب آسيا. يأمر القرآن المسلمين بالسعي لتحقيق النظافة الجسدية والامتناع عن جميع أشكال التكبر. لذلك، عندما يتم تفسير هذه الأحاديث في سياق القرآن، يصبح من الواضح أن محمدًا صلى الله عليه وسلم قدم هذه الإرشادات لتعزيز النظافة الجسدية والقضاء على أي علامات للتكبر في مظهر المرء.

المنظور الصحيح لهذه المسألة هو أن إطالة اللحية لا تعتبر سنة؛ بل إن قص الشارب هو السنة. الإسلام لا يفرض على المسلمين الالتزام بأي نمط محدد لشعر الوجه. ومع ذلك، إذا اختار الرجل المسلم إطالة شعر وجهه، فإن إبقاء الشارب قصيرًا يتماشى مع سنة النبي. والهدف من هذه الممارسة هو تعزيز النظافة وتجنب أي مظاهر للتكبر.

ببساطة، الإسلام لا يتطلب الالتزام بلحية طويلة. أنت حر في حلق وجهك أو الحفاظ على أي طول للحية ترغب فيه. ومع ذلك، إذا اخترت إبقاء لحية طويلة، فإن الإسلام يلزمك بإبقاء شاربك قصيراً.

السؤال ١٥: ما هي بعض المفاهيم الخاطئة حول أول وحي لمحمد ﷺ وغار حراء؟

ملاحظة هامة: للحصول على إجابات مفصلة حول هذا الموضوع مع المراجع، يرجى مشاهدة سلسلة الفيديو بعنوان "الرد على ٢٣ سؤالاً - واقعة الوحي الأولى، غار حراء" لجاويد أحمد غامدي، المتوفرة على قناة اليوتيوب "مركز غامدي للتعلم الإسلامي".

تنص القصة الشهيرة عن وحي محمد صلى الله عليه وسلم الأول أنه قبل تلقي الوحي:

• اعتاد محمد صلى الله عليه وسلم زيارة غار حراء سعياً وراء التنوير والتأمل في الأمور الوجودية.

• كان في اضطراب شديد بعد تلقي الوحي، غير متأكد مما حدث له، وغالباً ما فكر في الانتحار بسبب المحنة حتى تدخل جبريل.

تستند هذه القصة بأكملها إلى رواية من سلسلة رواة واحدة موجودة في البخاري رقم ٦٩٨٢. في هذه الرواية، ينقل ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير، الذي كان ابن أخت زوجة محمد صلى الله عليه

وسلم، عائشة (رضي الله عنها). بحسب الزبير، فقد سمع هذه الرواية من عائشة (رضي الله عنها).

هناك قضايا عديدة في رواية ابن شهاب الزهري. دعونا نناقش هذه المشاكل باختصار.

١- من المعروف أن ابن شهاب الزهري يروي البلاغات: على سبيل المثال، يروي الزهري حادثة محاولة محمد صلى الله عليه وسلم الانتحار كمعلومات وصلت إليه دون سلسلة متصلة من الرواة.

٢- القرآن يقول أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يسع قط وراء التنوير أو المعرفة الدينية: وفقًا للرواية، مارس محمد صلى الله عليه وسلم "التحنت" في غار حراء، وهو ما يفسره الكثيرون على أنه تأمل وبحث عن إجابات لأسئلة الحياة الكبرى. ومع ذلك، فإن القرآن ٢٨: ٨٦ والقرآن ١٠: ١٦ يشيران بوضوح إلى أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن يسعى للحصول على معرفة دينية أو تنوير ولم يكن معروفًا بالوعظ عن هذه الأمور.

ثم يطرح السؤال - إذا كان محمد صلى الله عليه وسلم لا يبذل جهودًا لنيل المعرفة الإلهية أو التنوير من خلال التأمل، فما هو نوع العبادة التي يشير إليها هذا "التحنت" المذكور في الرواية؟ ماذا كان يفعل محمد صلى الله عليه وسلم في غار حراء خلال زيارته؟ سأشرح قريبًا ما يعنيه التحنت فعليًا.

٣- تجربة الوحي الأول لموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن تكون مختلفة بشكل متناقض: في القرآن، الآية ٧٣: ١٥، يُعرف محمد صلى الله عليه وسلم بأنه نبي شبيه بموسى. وُصفت حادثة وحي موسى الأول في القرآن في الآيات ٢٠: ٩-٣٦ و ٢٧: ٧-١٢. في هذه المقاطع، يطمئن الله موسى بإخباره أن المرسلين لا ينبغي أن يخافوا في حضرة الله، ويتم إعلام موسى بوضوح بما يحدث له وما تستلزمه مهمته.

من ناحية أخرى، عندما تم الاتصال بمحمد صلى الله عليه وسلم للمرة الأولى، لم يكن لديه أي فكرة عما كان يحدث وكان مرعوبًا حتى النخاع. إذا كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولًا مثل موسى، فلماذا كان الاتصال الأول واضحًا وهادئًا لموسى، بينما كان مربكًا ومخيفًا جدًا لمحمد؟ لماذا يكشف الله كل تفاصيل دوره ومهمته لموسى، مطمئنًا إياه بأن الرسل لا ينبغي أن يخافوا في حضرة الله، بينما يُترك محمد صلى الله عليه وسلم يشعر بالربح والارتباك التام، دون أي فهم لما يحدث؟

٤- ابن هشام لا يأخذ برواية ابن شهاب الزهري الشهيرة في سيرته: ابن هشام هو أحد أوائل كتاب سيرة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد بنى عمله على سيرة سابقة كتبها ابن إسحاق. عندما يصل كتاب ابن هشام إلى نقطة وحي محمد الأول، فإنه يدرج رواية الزهري فقط حتى النقطة التي يذكر فيها الزهري أن محمدًا صلى الله عليه وسلم بدأ يرى

الرؤى الصادقة قبل الوحي الأول وبدأ يفضل العزلة. بعد ذلك، يقدم ابن هشام رواية مختلفة من سلسلة رواة أخرى لشرح حادثة وحي محمد صلى الله عليه وسلم الأول. هذه الرواية البديلة تبدو أكثر منطقية من رواية الزهري، لأنها خالية من التناقضات المذكورة في النقاط الثلاث أعلاه. في سيرته، في الفصل المعنون "كيف بُني رسول الله صلى الله عليه وسلم"، يقتبس ابن هشام رواية عن وهب بن كيسان الذي سمعها من عبد الله بن الزبير، ابن أخت عائشة (رضي الله عنها)، الذي سمعها بدوره من عبيد بن عمير بن قتادة الليثي.

دعونا الآن نحلل بإيجاز الرواية التي استخدمها وهب بن كيسان والتي استعملها ابن هشام ونفحص كيف أنها أكثر منطقية.

تحليل رواية وهب بن كيسان ولماذا هي خالية من جميع التناقضات الموجودة في رواية الزهري: يكتب هشام أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان يعتكف في غار حراء للتحنف - وهو تصحيح لكلمة التحنث المذكورة في رواية الزهري. يوضح هشام أن هذا كان اعتكافًا خلال شهر رمضان، وهو طقس يتضمن الصيام والعبادة. شارك محمد صلى الله عليه وسلم في هذه العبادة كاتباع لدين حنيف، وهو تراث من معتقدات وممارسات إبراهيم الذي كان سائدًا في الجزيرة العربية. غالبًا ما كان محمد صلى الله عليه وسلم يأخذ زوجته وأطفاله معه إلى الجبال، وفي نهاية هذه العبادة الطقسية، كانوا يطعمون الفقراء.

تستمر هذه الرواية، واصفة أنه في عام الوحي، بدأ محمد صلى الله عليه وسلم يرى رؤى نبوية. خلال هذا العام الهام، وبينما كان يمارس الاعتكاف في غار حراء، رأى رؤيا ظهر فيها شخص، يقدم له كتابًا ملفوفًا بقطعة حرير. أمره هذا الشخص بقراءة بضع آيات من الكتاب، والتي ستصبح فيما بعد الآيات الخمس الأولى من سورة العلق. عند استيقاظه، كان محمد صلى الله عليه وسلم غير متأكد من معنى الرؤيا، ومع ذلك فقد تذكر الآيات بوضوح. ثم خرج من الغار ورأى نفس الشخص من رؤياه يظهر في الأفق. صرح هذا الشخص بوضوح أن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد تم تعيينه رسولاً لله وقدم نفسه على أنه الملاك جبريل، مما لم يترك لديه أي شعور بالخوف أو اليقين.

توضح الرواية كذلك أن محمدًا صلى الله عليه وسلم استمر في النظر إلى جبريل حتى نادته مجموعة من الرجال، كانت قد أرسلتهم خديجة (رضي الله عنها) من معسكرها عند سفح الجبل. قص محمد صلى الله عليه وسلم الحادثة لخديجة (رضي الله عنها). لا يوجد ذكر لأي ذعر أو اضطراب في هذا التبادل. ثم ذهبت خديجة (رضي الله عنها) لمشاركة تفاصيل هذا اللقاء مع ابن عمها، ورقة بن نوفل، الذي كان عالمًا نصرانيًا. في هذه الأثناء، عاد محمد صلى الله عليه وسلم إلى غار حراء لإكمال اعتكافه. بعد الانتهاء من اعتكافه، ذهب إلى الكعبة لأداء طواف. كان خلال هذا الطواف أن التقى بورقة، الذي طمأنه بأنه

قد تم اختياره بالفعل رسولاً لله.

في تسلسل الأحداث التي رواها وهب بن كيسان، لا يوجد خوف ولا ارتباك وبالتأكيد لا توجد حالات لمحاولات انتحار. علاوة على ذلك، لم يشارك محمد صلى الله عليه وسلم في مهام غامضة للبحث عن التنوير في غار حراء. بدلاً من ذلك، انخرط في صيام وعبادة طقسية في عزلة (اعتكاف)، متبعاً تقاليد الدين الحنيف - وهي مجموعة من المعتقدات والممارسات الإبراهيمية التي كان يلتزم بها الكثيرون في الجزيرة العربية في ذلك الوقت. تبدو هذه النسخة من الأحداث أكثر مصداقية وتفتقر إلى التناقضات الموجودة في رواية ابن شهاب الزهري.

السؤال ١٦: كم كان عمر عائشة (رضي الله عنها) عندما

تزوجت محمداً ﷺ؟

ملاحظة: لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، يرجى الرجوع إلى الفصل المعنون "عمر السيدة عائشة (رضي الله عنها)" في كتاب "ميزان" لجاويد أحمد غامدي.

هناك اعتقاد شائع بأن عائشة (رضي الله عنها) كانت في السادسة من عمرها عندما تزوجت محمداً صلى الله عليه وسلم وأن الزواج تم الدخول فيه عندما كانت في التاسعة. هذا الرأي مدعوم بروايات موجودة في كتب الحديث، مثل صحيح البخاري (رقم ٥١٣٤ و ٧٠).

ومع ذلك، هناك أيضاً أحاديث صحيحة ضمن نفس الأدبيات تناقض بوضوح فكرة أن عائشة (رضي الله عنها) كانت بين السادسة والتاسعة من عمرها وقت زواجها من محمد صلى الله عليه وسلم. دعونا نفحص بعض هذه الأمثلة.

زواج الأطفال يخالف أوامر القرآن الصريحة

تنص سورة النساء ٤: ٦ على أن المسؤولين عن أموال اليتامى يجب أن يختبروهم وقيمهم حتى يبلغوا سن النكاح. فإذا وجدوا منهم رشداً وحسن تقدير، فإنه يجب تسليم أموالهم إليهم.

وبالتالي، فإن القرآن ٤: ٦ يساوي بوضوح بين سن الزواج والسن الذي يكون فيه الشخص ناضجاً بما يكفي لاتخاذ قرارات سليمة بشأن حياته وأمواله. وهذا ينفي بشكل قاطع مفهوم زواج الأطفال.

الآن، دعونا نفحص أدبيات الحديث التي تثبت بشكل قاطع أن عائشة (رضي الله عنها) لم تكن في السادسة من عمرها عندما تزوجت محمداً صلى الله عليه وسلم.

تحليل أدبيات الحديث التي تنفي فكرة أن عائشة (رضي الله

عنها) كانت بين ٦ إلى ٩ سنوات عندما تزوجت محمداً ﷺ:

١- وفاة خديجة (رضي الله عنها)، ترك محمد صلى الله عليه وسلم

وحيداً ليرعى شؤون المنزل والأطفال جنباً إلى جنب مع ضغوط أداء

مهامه كنبى لله. اقترحت خولة بنت حكيم، التي كانت رفيقة مقربة لمحمد صلى الله عليه وسلم، أن يتزوج مرة أخرى لكي يتولى شخص ما رعاية المنزل والأطفال. ولهذا الغرض، اقترحت اسمين—أحدهما سودة بنت زمعة (رضي الله عنها)، التي كانت أرملة مسنة، والاسم الآخر كان عائشة (رضي الله عنها). تضع هذه الرواية علامة استفهام كبيرة حول كون عائشة (رضي الله عنها) في السادسة فقط عند زواجها من محمد ﷺ وفي التاسعة عند الدخول بها. يُقال إن ابنة محمد صلى الله عليه وسلم فاطمة (رضي الله عنها) كانت تبلغ من العمر حوالي ٥ إلى ١٠ سنوات وقت عرض الزواج على عائشة (رضي الله عنها). كيف يمكن لخولة أن تقترح طفلة في السادسة من عمرها لتعتني بأطفال محمد صلى الله عليه وسلم والمنزل؟^{٣٢}

٢- وفقاً لكبار كتاب السيرة الأوائل لمحمد صلى الله عليه وسلم مثل ابن إسحاق وابن هشام، كانت عائشة (رضي الله عنها) من أوائل الناس الذين اعتنقوا الإسلام. نُقل عن ابن إسحاق قوله إن عائشة (رضي الله عنها) أسلمت عندما كان ١٨ شخصاً فقط قد اعتنقوا الإسلام، ويقول ابن هشام إن عائشة (رضي الله عنها) أسلمت في نفس وقت

^{٣٢} انظر للتفاصيل: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، المجلد ١٠ (القاهرة:

مكتبة الخانجي، ٢٠٠١)، ٥٧؛ أحمد، رقم ٢٥٢٤١.

أشخاص مثل أبو عبيدة الجراح (رضي الله عنه). اعتنق أبو عبيدة الجراح وغيره من أوائل المسلمين الإسلام حوالي عام ٦١١-٦١٢ ميلادي، بينما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة (رضي الله عنها) في عام ٦٢٠ ميلادي. يطرح السؤال هنا: إذا كانت عائشة (رضي الله عنها) في السادسة من عمرها وقت الزواج من محمد صلى الله عليه وسلم، فمن الناحية التقنية لم تكن قد ولدت بعد في عام ٦١٢ ميلادي. وحتى لو ولدت مع هامش خطأ سنة أو سنتين، فستكون رضيعة وليست في وضع يسمح لها بقبول رسالة الإسلام^{٣٣}. هذا لا يبدو منطقيًا.^{٣٤}

٣- وفقاً لرواية البخاري، فصل "جمع القرآن" - (رقم ٤٨٧٦، ٤٩٩٣)، تقول عائشة (رضي الله عنها) إنها كانت "جارية" عندما نزلت سورة القمر ٥٤: ٤٦. والجارية في اللغة العربية الكلاسيكية تعني فتاة شابة في سن المراهقة أو أكبر^{٣٥}. نزلت سورة القمر ٥٤: ٤٦ في عام ٦١٧

^{٣٣} انظر: ابن إسحاق؛ يحيى بن شرف النووي، كتاب تهذيب الأسماء واللغات، المجلد ٢، (لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت.)، ٣٥١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، المجلد ١، (دمشق: دار الخير، ١٩٩٩)، ٦٠٤.

^{٣٤} انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، [فصل: 'ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه']، دار الخير، دمشق (١٩٩٩)، المجلد ١، ص. ٦٠٤.

^{٣٥} انظر مداخل 'جارية' في لسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط — اكتشاف في الله وللإسلام ويوم القيامة 442 —

ميلادي، قبل خمس سنوات من هجرة محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في عام ٦٢٢ ميلادي. إذا كانت عائشة في السادسة من عمرها عند زواجها من محمد في عام ٦٢٠ ميلادي، فهذا يعني أنها كانت طفلة تبلغ من العمر ٣ سنوات عندما نزلت الآية ٤٦:٥٤، ولم تكن بأي حال من الأحوال "جارية"!

٤- تُقدم مجموعة أخرى من الأحاديث لدعم الادعاء بأن عائشة (رضي الله عنها) كانت طفلة عندما تزوجت محمداً صلى الله عليه وسلم. تشمل هذه الروايات سنن ابن ماجه، رقم: ١٩٨٢، صحيح مسلم، رقم: ١١٧، صحيح مسلم، رقم: ٨٣، وصحيح البخاري، رقم: ١٥٧. في هذه الروايات، تذكر عائشة (رضي الله عنها) أنها كانت تلعب بالعرائس (العب) في حضور محمد صلى الله عليه وسلم. للوهلة الأولى، قد يفترض المرء أن عائشة (رضي الله عنها) لا بد أنها كانت طفلة بما أن الأطفال عادة هم من يلعبون بالعرائس. ومع ذلك، هناك حديث صحيح آخر يتحدى افتراض أن عائشة (رضي الله عنها) كانت طفلة خلال هذا الوقت، مشيراً بدلاً من ذلك إلى أن استمتاعها بصنع والعب بالعرائس امتد إلى منتصف أو أواخر سن المراهقة. اسمحو لي أن أشرح

للفيروز آبادي.

باختصار. أولئك الذين يؤكدون أن عائشة (رضي الله عنها) كانت في السادسة من عمرها عندما تزوجت محمدًا صلى الله عليه وسلم يشيرون إلى عام ٦٢٠ ميلادي كعام الزواج. تروي رواية موثوقة في أبي داود أن محمدًا صلى الله عليه وسلم اكتشف عرائس عائشة (رضي الله عنها) في خزانة بعد عودته من غزوة تبوك أو خيبر. لاحظ العرائس خلف ستار وسأل: "ما هذه؟" فأجابت عائشة (رضي الله عنها): "هذه عرائسي". ثم سأل محمد صلى الله عليه وسلم عن غرض آخر، فأوضحت عائشة (رضي الله عنها) أنه فرس بجناحين^{٣٦}. تذكر الرواية أن الحادثة التي اكتشف فيها محمد صلى الله عليه وسلم عرائس عائشة لأول مرة وقعت إما بعد غزوة تبوك أو غزوة خيبر. وقعت غزوة تبوك في عام ٦٣٠ ميلادي؛ لذلك، إذا كانت عائشة في السادسة من عمرها عندما تزوجت محمدًا صلى الله عليه وسلم، لكانت في السادسة عشرة في ذلك الوقت. وعلى العكس من ذلك، إذا وقع هذا الحدث بعد غزوة خيبر في عام ٦٢٨ ميلادي، لكانت عائشة (رضي الله عنها) في الرابعة عشرة من عمرها. وهكذا، بافتراض أن عائشة (رضي الله عنها) كانت في السادسة من عمرها وقت زواجها من محمد صلى الله عليه وسلم في

^{٣٦} أبو داود، الأرقام ١٦٠، ٤٩١٤، ٤٩٣٢.

عام ٦٢٠ ميلادي، فقد كانت بين ١٤ إلى ١٦ عاماً عندما واجه محمد صلى الله عليه وسلم عرائسها لأول مرة. لا ينبغي اعتبار ذكرها للعب بالعرائس في حضور محمد صلى الله عليه وسلم مجرد ذكرى من طفولتها، بل كإشارة إلى أحداث وقعت في منتصف إلى أواخر سن المراهقة. من المحتمل أن عائشة (رضي الله عنها) استمرت في شغفها بصنع العرائس وغيرها من المقتنيات والانشغال بها حتى أواخر سن المراهقة. وتستمراهتمامات مماثلة بين العديد من الشباب اليوم، الذين غالباً ما يواصلون استمتاعهم بالعرائس والشخصيات الكرتونية في أواخر سن المراهقة وما بعدها.

تقدير العمر الصحيح لعائشة (رضي الله عنها) عندما تزوجت محمداً صلى الله عليه وسلم: في هذه المرحلة، يطرح السؤال: ما هو العمر الفعلي لعائشة (رضي الله عنها) عندما تزوجت محمداً صلى الله عليه وسلم؟ داخل أدبيات الحديث، هناك دليل واضح على أن عائشة (رضي الله عنها) كانت في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمرها وقت زواجها من محمد صلى الله عليه وسلم وحوالي ١٨ أو ١٩ عاماً عندما تم الدخول بالزواج. اسمحو لي أن أشرح باختصار.

نحن نعلم أن عائشة (رضي الله عنها) كانت أصغر بعشر سنوات من أختها أسماء (رضي الله عنها). ويُقال إن أسماء (رضي الله عنها)

ولدت قبل هجرة محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة عام ٦٢٢ ميلادي بـ ٢٧ عامًا. وهذا يضع ولادة أسماء (رضي الله عنها) حوالي عام ٥٩٥ ميلادي، وبناءً على ذلك، ولدت عائشة (رضي الله عنها) حوالي عام ٦٠٥ ميلادي. هذه المعلومات تحدد عمر عائشة (رضي الله عنها) بحوالي ١٥ أو ١٦ عامًا عندما تزوجت محمدًا صلى الله عليه وسلم في عام ٦٢٠ ميلادي و ١٨ أو ١٩ عامًا عندما تم الدخول بالزواج في عام ٦٢٣ ميلادي.^{٣٧}

بالإضافة إلى ذلك، من المعروف والشائع أن أسماء (رضي الله عنها) توفيت عام ٦٩٢ ميلادي عن عمر يناهز ٩٧ إلى ٩٨ عامًا. وهذا يعني أن أسماء (رضي الله عنها) كانت تبلغ من العمر ٢٥ إلى ٢٦ عامًا في عام ٦٢٠ ميلادي. ومن ثم، إذا كانت عائشة (رضي الله عنها) أصغر بعشر سنوات من أسماء (رضي الله عنها)، فإن عائشة كانت تبلغ من العمر ١٥ إلى ١٦ عامًا في عام ٦٢٠ ميلادي عندما تزوجت محمدًا صلى الله عليه وسلم.

أدبيات الحديث علم معقد: هذا المجال من المعرفة واسع، ويحتوي

^{٣٧} إن حقيقة أن عائشة كانت أصغر من أسماء بعشر سنوات وأن أسماء ولدت قبل الهجرة بـ ٢٧ سنة قد شهد بها: يحيى بن شرف النووي، كتاب تهذيب الأسماء واللغات، المجلد ٢، (لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٣٢٨-٣٢٩.

على روايات يعتبرها بعض العلماء صحيحة بينما يعتبرها آخرون ضعيفة. من الممكن العثور على مادة تدعم أي موقف يفضله المرء في هذه المسائل. يقدم ابن كثير مثلاً هاماً على الاستخدام المرن لأدبيات الحديث. فمن ناحية، يقبل الأحاديث التي تثبت أن أسماء (رضي الله عنها) كانت أكبر بـ ١٠ سنوات من عائشة (رضي الله عنها)، مما يعني أن عائشة (رضي الله عنها) كانت في السادسة عشرة عندما تزوجت محمداً صلى الله عليه وسلم في عام ٦٢٠ ميلادي. ومع ذلك، يقبل ابن كثير أيضاً تلك الأحاديث التي تدعي أن عائشة (رضي الله عنها) كانت في السادسة من عمرها وقت زواجها ويوافق على فكرة أنها كانت في السادسة^{٣٨}. وهذا يوضح الطبيعة المعقدة لأدبيات الحديث. إن أدبيات الحديث التي تُستخدم لدعم فكرة أن عائشة (رضي الله عنها) كانت في السادسة من عمرها عندما تزوجت محمداً صلى الله عليه وسلم، تحتوي نفس هذه الأدبيات أيضاً على مادة وافرة لدعم الادعاء بأنها كانت في السادسة عشرة من عمرها وقت زواجها من محمد صلى الله عليه وسلم و١٩ عندما تم الدخول بالزواج. وهذا هو السبب في أنه من المهم للغاية تفسير الحديث من خلال عدسة القرآن وليس العكس.

^{٣٨} أبو الفداء، ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد ٨، (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٨٦)، ٩١، ١٣١.

الأسباب المحتملة للخلط في عمر عائشة: يبرز حينها السؤال: ما هو السبب المحتمل لوجود روايات في كتب الحديث تنص على أن عائشة (رضي الله عنها) كانت في السادسة من عمرها وقت الزواج من محمد صلى الله عليه وسلم بينما تحتوي نفس كتب الحديث على الكثير من المعلومات التي تنفي هذه الفكرة تمامًا؟ ربما يتعلق الأمر بكيفية نطق العرب لأرقامهم. في اللغة العربية، الرقم ٦ ينطق "سته" و١٦ ينطق "سته عشر". وبالمثل، ٩ تنطق "تسعة" و١٩ تنطق "تسعة عشر". والموازي لذلك في الأرقام الإنجليزية هو قول ١٦ كـ "سته-عشرة" و١٩ كـ "تسعة-عشرة". من الممكن أن عائشة (رضي الله عنها) أو ناقلي الحديث اللاحقين اعتبروا جزء العقد (العشرة) شيئاً يعرفه الجميع بالفعل ولم يسجلوه. على سبيل المثال، إذا كان من المفهوم مسبقاً أن الشخص يتحدث عن القرن العشرين وذكر أن حدثاً معيناً وقع في سنة ٨٣، فأنت تعلم تلقائياً أن الشخص يعني أن الحدث وقع في عام ١٩٨٣، وليس ٨٣ قبل الميلاد أو ٨٣ ميلادي. وبالتالي، فمن المتصور أن عائشة (رضي الله عنها) أو الناقلين اللاحقين كانوا ببساطة يسلطون الضوء على السنة الدقيقة للزواج مع افتراض أن مصطلح "عشر" أو جزء العقد معروف مسبقاً.

السؤال ١٧: ما هي قصة خلق البشرية حسب القرآن، وهل ارتكب أبناء آدم وحواء (عليهما السلام) زنا المحارم لتوسيع الجنس البشري؟

يناقش القرآن جوانب مختلفة من خلق الإنسان. ففي آية ما، يؤكد أن البشر خلقوا من ماء، بينما في آية أخرى يدعي أننا جبلنا من طين. ولأن القرآن ينص على أن البشر خلقوا من طين، فقد تصور العلماء القدماء غالباً أن الله نحت الإنسان الأول كتمثال ونفخ فيه الروح. هناك بعض الروايات الضعيفة المنسوبة لمحمد صلى الله عليه وسلم والتي تستخدم لدعم هذه الفكرة. ومع ذلك، عند دراستها بعقل متفتح، يبدو أن القرآن يقدم قصة مختلفة تماماً عن ظهور البشر المعاصرين، وهي قصة يبدو أنها مدعومة بما نعرفه عن أصولنا.

تحليل سورة السجدة ٣٢: ٢-٩ لفهم أصول الإنسان

يذكر القرآن أصول الإنسان في مواضع مختلفة، ولكن تحديداً في سورة السجدة ٣٢: ٧-٩، التي توجز مراحل التطور البشري في تسلسل. ﴿بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾.

إلى جانب الآية المذكورة سابقاً، تؤكد سورة الأنبياء ٢١: ٣٠ أن جميع

الكائنات الحية خلقت من ماء، بينما تنص سورة الفرقان ٢٥: ٥٤ على أن البشر خلقوا من ماء. وعند النظر إليها بالاقتران مع الآيتين الأخريين المذكورتين أعلاه، تساعد سورة السجدة ٣٢: ٧-٩ في تقسيم قصة الخلق البشري إلى ثلاث مراحل.

المرحلة ١: الأسلاف الأوائل للبشر خرجوا مباشرة من قشرة الأرض:
بدأت عملية الخلق البشري في برك طينية من الماء، مع ظهور أشكال حيوانية بشرية بدائية من الأرض، على غرار كائن يخرج من بيضة مدفونة في الأرض. وفقاً للآيات القرآنية، يمكن للمرء أن يستنتج أن الأسلاف الأوائل للبشر—في البداية في شكل حيواني فقط، مجردين من الروح—جاءوا مباشرة من الأرض. ويبدو أن هذه العملية تحاكي ما يحدث في رحم الأم، حيث تجري داخل قشرة الأرض، مما يؤدي إلى خلق أشكال حيوانية بدائية للبشر وربما أنواع أخرى أيضاً.

إن الأمر ليس سحرياً ولا غير مفهوم. فكر في هذا: نحن نستهلك نفس المواد الخام الموجودة في الطبيعة، مثل الأحماض الأمينية، والحديد، والكالسيوم. ومن المثير للاهتمام أن هناك مصنعاً داخل جسم الأنثى يحول هذه المكونات الأساسية إلى كائنات حية. يشير القرآن إلى أن هذه العملية نفسها حدثت داخل الأرض، حيث تحولت المكونات الأساسية للحياة الموجودة في الطين والماء إلى كائنات حية.

هل تبدو لك فكرة ظهور أشكال حيوانية بدائية من الأرض سخيفة؟ لا ينبغي أن تكون كذلك، لأن هذا المفهوم له سابقة تاريخية. خذ على سبيل المثال "الانفجار الكامبري"، وهو حدث رائع موثق في السجلات الأحفورية. حدث هذا منذ حوالي ٥٠٠ مليون سنة، مما يمثل فترة ظهرت فيها معظم المجموعات الحيوانية الكبرى فجأة في السجل الأحفوري. أنا لا أقترح أن الأشكال البشرية البدائية ظهرت خلال الانفجار الكامبري. بل أهدف إلى توضيح أن أحداثاً مثل الانفجار الكامبري تدعم الاحتمال—من الناحية العلمية—بأن التصوير القرآني للأسلاف البيولوجيين الأوائل للبشر وهم يخرجون من الأرض بالقرب من برك طينية من الماء قد لا يكون بعيد المنال كما يبدو.

المرحلة ٢: مر الشكل الحيواني للبشر بتطور بيولوجي ربما عبر أجيال عديدة: ينص القرآن على أنه بمجرد ظهور أسلاف البشر الذين يشبهون الحيوانات من الأرض، تم إنتاج نسلهم من خلال الوسائل المعتادة للتكاثر الجنسي. ثم، كما تقترح سورة السجدة ٣٢: ٩، خضع نسل هذا الشكل الحيواني البشري لعملية تطور تدريجي، ربما امتدت لأجيال عديدة، حتى وصلوا إلى حد الكمال (التسوية).

يمكن استنتاج أن القرآن يدعم التطور بين الأنواع من خلال النص على أن الأشكال البدائية للأنواع الحيوانية ظهرت مباشرة من الأرض.

ولاحقاً، تكاثرت من خلال الوسائل البيولوجية وخضعت لعملية تطور تدريجي بمرور الوقت. وبالفعل، توجد أدلة على وجود مخلوقات بشرية بدائية مثل "رامابيثيكوس" و"أسترالوبيثيكوس" و"هومو إريكتوس" (الإنسان المنتصب). علاوة على ذلك، يشير السجل الأحفوري إلى أن "الهومو سابينز" (الإنسان العاقل) الحديث بيولوجياً تطور نتيجة للتطور التدريجي من هذه النسخ البدائية السابقة.

هناك إجماع بين العلماء على أن أقدم سلف بشري معروف، وهو أقدم مخلوق بشري بيولوجي بدائي معروف، وجد منذ ٤,٢ مليون سنة.^{٣٩} وحتى حوالي ٣٠٠,٠٠٠ سنة مضت، تطور البشر البدائيون إلى إنسان عاقل قديم—الأسلاف المباشرين للإنسان العاقل الحديث—ومنذ حوالي ١٦٠,٠٠٠ سنة، ظهرت أول مجموعة من الإنسان العاقل الحديث بيولوجياً.

لذا، فإن القرآن لا يدعم التطور الدارويني من خلية واحدة؛ ومع ذلك، يبدو أنه يؤيد مفهوم التطور بين الأنواع، مفترضاً أن الأسلاف

^{٣٩} كيت وونغ، "الكشف عن وجه أقدم سلف بشري"، ساينتيفيك أمريكان، ٢٦ نوفمبر ٢٠١٩،

<https://www.scientificamerican.com/article/the-face-of-the-earliest-human-ancestor-revealed/>

الأوائل لهذه الأنواع خرجوا مباشرة من الأرض.

المرحلة ٣ - بمجرد اكتمال التطور البيولوجي - تم نقل الروح إلى البشر: أخيراً، تنص سورة السجدة ٣٢: ٩ على أنه بمجرد وصول البشر إلى مرحلة الاكتمال البيولوجي، تم منحهم الروح، وبعد ذلك أصبحوا أفراداً متميزين بذكاء وجماليات وأخلاق بارزة. ويدعم هذا المفهوم أيضاً ما نفهمه عن واقعنا—اسمحوا لي أن أشرح باختصار.

بمجرد تطور النوع البشري إلى إنسان عاقل حديث منذ حوالي ١٦٠,٠٠٠ سنة، حدث تحول ملحوظ في السلوك. هناك نظريتان سائدتان فيما يتعلق بظهور السلوك البشري الحديث. الأولى تقترح أن هذه الحادثة السلوكية تطورت تدريجياً على مدى فترة طويلة. والثانية تفترض حدوث تحول مفاجئ منذ حوالي ٥٠,٠٠٠ سنة. في كلا السيناريوهين، من المتفق عليه على نطاق واسع أنه بعد وصول البشر إلى الحادثة البيولوجية، سرعان ما أظهروا علامات الحادثة السلوكية. شمل ذلك ممارسات مثل دفن موتاهم، وإبداع الفن، والتزين بالحلي، وبناء المعابد للعبادة.^{٤٠} ومن

^{٤٠} لتحليل مفصل للنظرية القائلة بأن الحادثة السلوكية ظهرت فجأة لدى البشر منذ حوالي ٥٠,٠٠٠ سنة، انظر كلاين، ريتشارد ج. "التشريح، اكتشافي
— اكتشافي لله وللإسلام ويوم القيامة 453 —

ثم، يبدو من المعقول أن البشر حققوا حداثة بيولوجية، ولاحقاً، أدى انتقال الروح إلى إحداث هذه التغيرات السلوكية أيضاً.

هل ارتكب أبناء آدم وحواء (عليهما السلام) زنا المحارم لتوسيع الجنس البشري؟

لا، لأنه وفقاً للقرآن، لم يكن آدم وحواء (عليهما السلام) البشر الوحيدين في عالم يخلو من الآخرين. في السرد الذي يقدمه القرآن، كان البشر الحديثون بيولوجياً موجودين ولكنهم كانوا أقرب إلى الأشكال الحيوانية، يفتقرون إلى الأرواح. اختار الله فردين من هؤلاء البشر ومنحهما الجوهر الإلهي المعروف بالروح البشرية. ويمكن استنتاج أن ذرية آدم وحواء (عليهما السلام) قد نالت أيضاً هذا الجوهر الإلهي. ومع تكاثر أبناء آدم وحواء (عليهما السلام) مع آخرين أعضاء من نوعهم لم يمتلكوا الروح، قاموا بنقل هذا الجوهر الإلهي إلى ذريتهم. وعلى مر

للإله، الإسلام ويوم القيامة ٣٣٥ السلوك، وأصول الإنسان الحديث. " مجلة ما قبل التاريخ العالمي ٩ (١٩٩٥): ١٦٧-١٩٨؛ انظر أيضاً: "الانتقال إلى السلوك الحديث | تعلم العلوم في نيتشر"، تم الدخول إليه في ٢٧ مايو ٢٠٢٤،

<https://www.nature.com/scitable/knowledge/library/the-transition-to-modern-behavior-86614339/>

آلاف السنين، أدى ذلك إلى امتلاك البشرية جمعاء لها. للمزيد من التلخيص، ينص القرآن على أن الأشكال البيولوجية الأولية للبشرية نشأت من الأرض. وهذا يذكرنا بأحداث مثل الانفجار الكامبري، الذي يظهر في تاريخنا البيولوجي فترات تبدو فيها أشكال الحياة المعقدة وكأنها تظهر فجأة. بالإضافة إلى ذلك، يوضح القرآن أن هذه الأشكال البشرية البدائية تكاثرت جنسياً وخضعت لتطور بيولوجي واسع النطاق عبر أجيال عديدة - وهو ادعاء يبدو مدعوماً بالسجل الأحفوري. في النهاية، يصف القرآن كيف أنه بمجرد اكتمال الشكل البيولوجي البشري، اختار الله فردين ونفخ فيهما الروح. ويتمشى هذا التأكيد مع الأدلة من تاريخنا عندما بدأ البشر الحديثون بيولوجياً في إظهار الحداثة السلوكية.

ملاحظة موجزة حول فكرة القرآن عن الدماغ مقابل الروح

ولماذا تبدو صحيحة

يدعم القرآن مفهوم ثنائية الجسد والروح البشرية. ويذكر أن الجسد والدماغ هما من خلق هذا العالم، بينما الروح - "الأنا" التي تختبر كل شيء - ليست من هذا العالم الأرضي وتنتمي إلى بعد أعلى. فكرة أن الدماغ والروح متميزان يتم التأكيد عليها من خلال ملاحظات مناطق الدماغ المنفصلة حيث تتم معالجة المدخلات البيئية. ومع ذلك، يبدو

أنه لا يوجد موقع محدد في الدماغ حيث تتقارب هذه المدخلات في تجربة واحدة موحدة هي "أنا"!

يبدو أن الروح تؤثر على الدماغ والعكس صحيح، حيث يمكن للعقل أن يؤثر على الدماغ المادي، مع قدرة مجرد الأفكار على تغيير البنية الفيزيائية للدماغ. نحن نعلم أيضاً أن الدماغ المادي يمكن أن يغير العقل، حيث يمكن أن يؤدي تلف أجزاء معينة من الدماغ إلى تغيير شخصياتنا ووجهات نظرنا. لقد ناقشنا هذا بالتفصيل في القسم الذي يتناول نقاش العقل مقابل الدماغ.

السؤال ١٨: هل كان آدم وحواء (عليهما السلام) في الجنة قبل المجيء إلى الأرض؟

لا ينص القرآن في أي مكان على أن آدم وحواء (عليهما السلام) ولدا في السماء ثم طردا إلى الأرض. بدلاً من ذلك، يذكر أنهما كانا في "الجنة"، والتي تترجم إلى "garden" باللغة الإنجليزية. وبما أن "الجنة" هي أيضاً مصطلح يستخدم في الإسلام للفردوس، إلى جانب مصطلحات أخرى مثل "بهشت" و"فردوس"، فمن المفهوم الشائع أن وجود آدم وحواء في الجنة يشير إلى أنهما خلقا في الفردوس ثم طردا بعد ذلك إلى الأرض. هناك أسباب كثيرة للاستنتاج من القرآن أن آدم وحواء (عليهما

السلام) خلقا هنا على الأرض:

السبب ١: ينص القرآن في ٢: ٣٠ على أن الله أعلن خطته لخلق البشر على الأرض كخلفاء له، مما يشير إلى أن الله أراد أن يتم خلق البشر على هذا الكوكب. بالإضافة إلى ذلك، تدعم آيات عديدة في القرآن ذلك، حيث تنص على أن البشر خلقوا من ماء وطين. فعلى سبيل المثال، توضح الآيات ٣٢: ٧-٩ في القرآن هذا المفهوم بشكل أكبر.

السبب ٢: ثانياً، تنص الآية ١٤: ٤٨ في القرآن على أن عالم الآخرة، بما في ذلك الجنة والنار، لم يتشكل بعد. وتوضح الآية أنه عندما يحين وقت الحساب للبشرية، فإن هذا العالم والكون بأسره سيتحول إلى عالم جديد حيث سيتم محاسبة الناس ومجازاتهم على أعمالهم. وبالتالي، فإن عالم الآخرة، بما في ذلك الجنة، لم يتحقق بعد.

تشير هذه الآيات بوضوح إلى أن آدم وحواء (عليهما السلام) خلقا هنا على الأرض. وكلمة "جنة" المستخدمة في آيات مثل ٢: ٣٥، المتعلقة بآدم وحواء (عليهما السلام)، تشير ببساطة إلى بستان أو غابة وفيرة بالطعام والماء والمأوى، وليس الفردوس السماوي.

ينبع سبب آخر لسبب اعتقاد الكثيرين بأن آدم وحواء (عليهما السلام) كانا في الفردوس في السماء من تفسيرات آيات مثل ٢: ٣٦، حيث قيل لآدم وحواء (عليهما السلام) "اهبطوا" أو "انزلوا" من الجنة التي كانا فيها. وهذا المصطلح "اهبطوا" لا يعني بالضرورة أن آدم وحواء (عليهما السلام)

أُمرُوا بالنزول من السماء إلى الأرض؛ بل إن هذه الكلمة توجد أيضاً في أماكن أخرى في القرآن، كما في ٢: ٦١، لتعني ببساطة الانتقال للداخل أو للخارج. وهكذا، وبالنظر إلى السياق الكامل المذكور أعلاه، فإن آدم وحواء (عليهما السلام) في ٢: ٣٦ يؤمران بمغادرة البستان بدلاً من النزول من السماء إلى الأرض.

وتجدر الإشارة إلى أن القرآن يؤكد وجود مكان يسمى "جنة المأوى" في ٥٣: ١٥. بالإضافة إلى ذلك، تشير آية أخرى في القرآن، ٣٢: ١٩، إلى أنها إما عالم مادي أو روحي، تعمل كمكان ترحيب للأرواح البارة حقاً - مكان يتم الاحتفاظ به فيه وإعطائهم نوعاً معيناً من الحياة قبل البعث النهائي في يوم القيامة.

السؤال ١٩: ما هي الشجرة المحرمة التي أكل منها آدم وحواء (عليهما السلام)، ولماذا كانت محرمة؟

يتضح من القرآن ٧: ٢٠-٢٢ أن آدم وحواء (عليهما السلام) مُنعا من إقامة علاقات جنسية. تذكر هذه الآية أن الشيطان قدم لهما اقتراحاً ليكشف عن سوءاتهما المخفية. وعلاوة على ذلك، تنص الآية على أنه بعد الأكل من الشجرة، أصبحا مدركين لجنسهما - أجزائهما الخاصة - وبدأ في تغطية أنفسهما بأوراق الشجر. وعلى الرغم من كونهما زوجاً وزوجة، إلا أن هذا القيد قد فرض عليهما كاختبار لتوضيح عواقب

عصيان الله.

السؤال ٢٠: لماذا يُسمح للرجال بأربع زوجات، ولماذا لا يُسمح للنساء بتعدد الأزواج؟

خلق الله حواء لآدم (عليهما السلام) وليس أربعاً، مما يشير بوضوح إلى أن العلاقة المثالية في نظر الله هي زوج واحد وزوجة واحدة. علاوة على ذلك، في القرآن ٤: ٣، حيث يتم ذكر الإذن بأربع زيجات، فإن إله القرآن يثبط تعدد الزوجات ويعزز في الواقع الزواج الأحادي. دعوني أوضح ذلك بإيجاز.

تنص الآية ٤: ٢-٣ في القرآن على:

﴿وَأَتُوا التَّيْتَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا. وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي التَّيْتَى فَإِنْ كُنَّ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَّةَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ... ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾.

السماح المشروط بتعدد الزوجات للرجال: أولاً، كان من المعتاد للرجال الزواج من نساء متعدّدات قبل ١٤٠٠ عام في جميع الثقافات تقريباً، بما في ذلك العرب. ولا يزال هذا هو العرف في العديد من المجتمعات اليوم. لذلك، ليس القرآن هو من بدأ ممارسة تعدد الزوجات؛ فقد كان منتشرًا بالفعل في جميع المجتمعات البشرية تقريبًا. والمنظور المناسب هو أن

القرآن لم يحرم الممارسة الموجودة بالفعل لزواج الرجال عدة مرات، ولكنه بدلاً من ذلك وضع حداً أقصى لها وهو أربعة.

ثانياً، تقرأ الآية ٤: ٣ في القرآن بصعوبة العدل بين الزوجات المتعددات وبالتالي توصي الرجال بالزواج من واحدة فقط. ومن الواضح أنه حتى في الحالات التي توجد فيها حاجة حقيقية للرجال للزواج أكثر من مرة، فإن إله القرآن ينصحهم بشدة بالزواج من واحدة فقط.

لذا، فإن القرآن يسمح للرجال بالزواج أكثر من مرة ولكنه يفرض أيضاً شرطاً بضرورة معاملة زوجاتهم بالعدل - وهذا يشمل العدل المالي والعاطفي. هناك مواقف قد يكون فيها مبرراً للرجل أن يتزوج أكثر من مرة. على سبيل المثال، إذا كانت المرأة لا تستطيع إنجاب الأطفال وكان الرجل يرغب في ذرية، أو إذا كانت المرأة تعاني من مرض يمنعها من تلبية الاحتياجات الجسدية لزوجها. في مثل هذه الحالات، يبدو من المبرر أخلاقياً والأقرب إلى الإنصاف أن يتزوج الرجل مرة أخرى دون موافقة الزوجة الأولى.

قد يتضمن سيناريو آخر رجلاً لا يواجه أي من التحديات القائمة على الحاجة المذكورة سابقاً ولكنه يرغب في الزواج عدة مرات لمجرد أنه يرغب في نساء متعددات. في هذه الحالة، يتطلب العدل إبلاغ كل امرأة مسبقاً بنيتة في الزواج عدة مرات، ويجب على كل امرأة الموافقة

على هذا الترتيب قبل الزواج من هذا الشخص. إذا لم يتم إبلاغ المرأة مسبقاً في هذه الحالة المحددة، فإن ذلك يشكل عملاً فادحاً وصارخاً من الظلم العاطفي. من المهم ملاحظة أن أي شكل من أشكال الظلم - سواء كان مالياً أو عاطفياً - محظور تماماً في الإسلام.

علاوة على ذلك، يمنح الإسلام المرأة الحق في اشتراط ألا يتخذ الزوج زوجة أخرى في عقد الزواج. فإذا خالف هذا الشرط، يعتبر الزواج مفسوخاً.^{٤١}

من الحقيقة أن بعض الرجال قد استغلوا هذه الآلية لتلبية شهواتهم الخاصة. من الضروري اتخاذ تدابير لضمان أن يكون لدى الرجال أسباب مبررة للزواج أكثر من مرة. يمكن للدول سن قوانين لتنظيم الإذن بتعدد الزوجات ومطالبة الرجل بتبرير أسبابه في المحكمة إذا كان يرغب في الزواج أكثر من مرة. لا يمكن للمرأة أن يكون لها أزواج متعددون: فالإسلام ينظر إلى الزواج كمؤسسة - في الواقع، يراه كأهم مؤسسة - والمؤسسة لا يمكن أن يكون لها إلا رأس واحد. يحدد الإسلام الرجل

^{٤١} "إذا اشترطت ألا يتزوج بأخرى، فهل عليه الالتزام بذلك؟ - الإسلام سؤال وجواب"، تم الدخول إليه في ٢٧ مايو ٢٠٢٤،

<https://islamqa.info/en/answers/143120/if-she-stipulated-that-he-shouldnot-take-another-wife-does-he-have-to-adhere-to-that>

كرأس لمؤسسة الأسرة لأنه يُعطى مسؤولية أكبر - وخاصة المسؤولية المالية.

لا يُسمح للنساء بممارسة تعدد الأزواج للأسباب التالية: يمكن أن يكون للدولة رأس واحد فقط، مثل رئيس الوزراء أو الرئيس، ومع ذلك قد يكون لها العديد من الوزراء. وبالمثل، يمكن أن يكون للشركة مدير تنفيذي واحد فقط، ومع ذلك العديد من المديرين التنفيذيين. وبنفس الطريقة، يمكن أن يكون للأسرة في الإسلام رأس واحد، وهو الزوج، وربما زوجات متعددة، ولكن ليس العكس. لا يمكن لأي مؤسسة أن تزدهر برؤوس متعددة؛ لذلك، بما أن الإسلام ينظر إلى الزواج والأسرة كمؤسسة ويخصص الرجل كرأس لهذه المؤسسة، فإنه لا يسمح للمرأة بالزواج من عدة رجال. ومع ذلك، فقد أصر إله القرآن على أن الأسرة المثالية يجب أن تتكون من زوج واحد وزوجة واحدة، كما تمثل في امتلاك آدمّ لزوجة واحدة، وتصر الآية ٤: ٣ في القرآن أيضاً على أن الرجال يجب أن يتزوجوا بامرأة واحدة فقط؛ وإلا فإنهم يخاطرون بارتكاب الظلم.

وبالتالي، إذا كانت المرأة في وضع مبرر حيث تحتاج إلى الزواج من رجل آخر، فإن الحل الوحيد لها هو ترك زوجها لتتزوج من هذا الرجل الآخر.

السؤال ٢١: لماذا تُحظر جميع أشكال السلوك الجنسي بدقة خارج الزواج بين الرجل والمرأة، ولماذا تُعتبر كبائر وجرائم خطيرة؟

البشر ليسوا مجرد مخلوقات مادية؛ نحن كائنات نفسية وعاطفية وروحية أيضاً. عندما يولد طفل، يحتاج هذا المولود الجديد العاجز تماماً إلى رعاية وتربية مستمرة وطويلة الأمد في كل هذه الجوانب، ومن المحتمل أن يمتد ذلك لأكثر من عقد. لقد أمر الإله الإبراهيمي بأن وحدة الأسرة، التي تتكون من رجل وامرأة - أب وأم - هي المؤسسة التي خلقها الله بنفسه. هذه المؤسسة ليست فقط لجلب بشر جدد إلى العالم، بل الأهم من ذلك، لتوفير الرعاية البدنية والعاطفية والنفسية والروحية الأساسية التي يحتاجها الطفل حتى يصل إلى مرحلة النضج. وبالمثل، عندما يصل البشر إلى سن الشيخوخة، فإنهم يحتاجون أيضاً إلى دعم بدني وعاطفي، والأسرة المستقرة هي المؤسسة المثالية لتوفير هذه الرعاية. حتى أفضل دور رعاية المسنين لا يمكن مقارنتها بالإشباع العاطفي الذي يمكن أن تقدمه الأسرة المستقرة. لهذا السبب، يبذل القرآن قصارى جهده لحماية مؤسسة الزواج والأسرة.

تم تصميم طقوس الزواج بأكملها لتوفير أساس متين للعلاقة من خلال تشجيع كل من الرجل والمرأة على الاستثمار بعمق في هذه المؤسسة. وبحضور عائلاتهم ومجتمعهم، يعلنون علناً مسؤوليتهم الكاملة تجاه بعضهم

البعض. يعد الطرفان، والله شاهد عليهما، بالبقاء صادقين ومخلصين في الاتحاد الذي يدخلان فيه.

هناك العديد من العناصر الضرورية لزواج قوي، مثل الاحترام المتبادل ورابطة الثقة. ومع ذلك، أعتقد أن الإخلاص الجنسي هو يمكن القول الجانب الأكثر أهمية لزواج مستقر ودائم. وغالباً ما يُعتبر الأساس الذي يقوم عليه الزواج. لحماية مؤسسة الأسرة، قضى إله القرآن بضرورة حصر جميع أنواع السلوكيات والأفعال الجنسية في الزواج. يُعتبر أي سلوك أو فعل جنسي خارج الزواج جريمة يعاقب عليها القانون في الإسلام وخطيئة كبرى تهدد خلاص المرء في يوم القيامة. لذلك، سواء كان المرء متزوجاً أو غير متزوج، سوياً أو مثلياً، فإن الانخراط في سلوك جنسي مع أي شخص خارج الزواج بين رجل وامرأة محظور تماماً ويُعتبر خطيئة كبرى وجريمة خطيرة، ويترتب عليه عواقب دنيوية وخيمة إذا اكتُشف. تصنف آيات عديدة في القرآن، مثل القرآن ٧: ٣٣، العلاقات الجنسية خارج الزواج كخطيئة كبرى. إن الإصرار على هذه الخطيئة يعرض الشخص للعذاب الأبدي لأنها تضر مباشرة بالمؤسسة الاجتماعية، التي خلقها الله نفسه، والمعدة لرفاهية الأطفال وكبار السن.

من المنطقي أن يتلقى المولود الجديد مثل هذه الرعاية المعقدة والطويلة الأمد والمكرسة، ولرفاهية كبار السن، لا يمكن لأي مؤسسة أخرى أن

تحل محل الأسرة المستقرة. وبالفعل، توفر الأسرة المستقرة البنية التحتية المثلى للتغذية البدنية والعاطفية والنفسية والروحية للطفل من المهد إلى الرشد. ومن المنطقي تقييد جميع أنواع السلوكيات والأفعال الجنسية ضمن حدود الزواج لتعزيز مؤسسة الأسرة. ومن الصحيح حقاً أنه في أي مجتمع يتم فيه تطبيع السلوك الجنسي والحميم خارج الزواج، فمن المرجح أن تعاني مؤسسة الأسرة.

من المعروف أن الأسر غير المستقرة والبيوت المحطمة لها تأثير مدمر على الأطفال. هناك وفرة من الأبحاث المتاحة التي تشير إلى أن الأطفال من مثل هذه الأسر يعانون من آثار سلبية عميقة وطويلة الأمد على شخصياتهم.

ملاحظة موجزة حول الإخلاص الجنسي في الزواج والمواد الكيميائية في أجسامنا: هناك مبرر كيميائي للحد الصارم من جميع السلوكيات الجنسية والحميمة وحصرها في نطاق الزواج لتعزيز هذه المؤسسة. الدوبامين والسيروتونين، وهما مادتان في الجسم تثيران مشاعر اللذة والسعادة، يتم إفرازهما خلال أنشطة مختلفة مثل التمارين الرياضية، وإكمال المهام، وتناول الطعام. والمصدر الرئيسي لإطلاق هذه المواد الكيميائية هو الإشباع الجنسي والعاطفي.

فيما يتعلق بالحميمية الجنسية والجسدية والعاطفية، إذا تم إفراز هذه المواد حصرياً خلال التفاعل مع الزوج/الزوجة، فيمكن أن يؤدي

ذلك إلى تقوية العلاقة الزوجية بشكل كبير. وعلى العكس من ذلك، فإن إطلاق هذه المواد الكيميائية من خلال وسائل أخرى - مثل مشاهدة المواد الإباحية، أو الإعجاب الجنسي بالآخرين، أو الانخراط في الحميمة الجسدية خارج الزواج - يمكن أن يضعف الرابطة الخاصة مع الشريك. قد يؤدي الانخراط في مثل هذه السلوكيات، التي تحفز أيضاً الدوبامين والسيروتونين، قريباً إلى جعل العلاقة مع الزوج تبدو أقل جاذبية، حيث تغطي عليها المكافآت المكثفة من هذه المصادر الأخرى.

ومن ثم، ومن بين أسباب أخرى، فإن طبيعة المواد الكيميائية في أجسامنا تقتضي أن نقيّد بصرامة جميع أنواع السلوكيات والأفعال الجنسية تجاه زوجنا. وهذا يقوي الميثاق الغليظ ويزيد من احتمال إنشاء مؤسسة أسرية مستقرة.

السؤال ٢٢: لماذا يُعطى الزوج درجة أعلى من الزوجة؟ هل يعني ذلك أن الرجال متفوقون على النساء في الإسلام؟

الرجال ليسوا متفوقين على الإطلاق على النساء في الإسلام. تشير الآية ٣٣: ٧٣ في القرآن إلى أن الرجال والنساء متساوون في نظر الله، وتنص الآية ٤٩: ١٣ بوضوح على أن البشرية خلقت من ذكر وأنثى، وأن الأكرم عند الله هو الأكثر تقوى ووعياً بالله. في الإسلام، ليس الجنس،

ولا العرق، ولا سلالة الدم، ولا اللون هو الذي يحدد الأفضلية، بل التقوى والوعي بالله. النساء والرجال متساوون في عيني إله القرآن؛ ومع ذلك، ضمن مؤسسة الزواج، يُعطى الأزواج درجة أعلى من زوجاتهم للأسباب التالية.

تماماً مثل مؤسسة الدولة أو أي منظمة أخرى، ينظر الإسلام إلى الزواج كمؤسسة محورية، وبالتالي يضع حقوقاً ومسؤوليات محددة لأعضائها. يأمر الله كلاً من الرجال والنساء بأن يكرسوا أنفسهم جسدياً وعاطفياً فقط وبصدق لأزواجهم. إذا كسبت الزوجة دخلاً، فهو مالها الخاص، وهي ليست ملزمة بالمساهمة به في صيانة الأسرة. ومع ذلك، يتحمل الزوج مسؤولية الصيانة المالية للأسرة. لذلك، إذا لم يتم تلبية نفقات الأسرة المشروعة، فإن الزوج وحده هو الذي يلام ويُحاسَب. ونظراً لهذه الدرجة الأكبر من المسؤولية، يُمنح الزوج درجة أعلى في عملية صنع القرار في الأسرة. وفي حالة حدوث طريق مسدود في القضايا، يُمنح الزوج الصوت الحاسم.

من المهم ملاحظة أن الإسلام يخصص حصة أكبر من الميراث للرجال، مسترشداً بمبدأ أن الرجال قد أعطوا مسؤولية الإعالة المالية للأسرة.

هذا ليس تمييزاً بين الجنسين، كما ذكر سابقاً لأن الرجال والنساء يعتبرون متساوين في نظر الله. إنما فقط عندما...

إن توزيع الأدوار والمسؤوليات الموكلة إلى منصبي الزوج والزوجة عند الدخول في عقد الزواج ينشئ تراتبية. فبما أن الزوج مثقل بمسؤوليات أثقل؛ فإنه بالتالي يحمل رتبة أعلى في اتخاذ القرار الأسري. وبالمثل، وضمن نفس المؤسسة الأسرية، تُمنح الأم رتبة أعلى من الأب فيما يتعلق بالأطفال^{٤٢}. وبذلك، فإن الأمر لا يتعلق بالجنس بقدر ما يتعلق بالحقوق والمسؤوليات داخل مؤسسة الزواج.

إنه لأمر منطقي -سواء كان ذلك في دولة، أو شركة تجارية، أو في هذه الحالة، أسرة- أن من يتحمل المسؤولية الأعلى يجب أن يتمتع أيضاً بنفوذ أكبر في عملية اتخاذ القرار. كما أنه من المنطقي إلقاء المسؤولية المالية على عاتق الرجل لأن الرجال، أولاً، غير ملزمين بالمتطلبات الجسدية للحمل وإرضاع الأطفال طبيعياً. ثانياً، في ماضي البشرية وحاضرها، وبغض النظر عن استثناءات قليلة جداً في العصر الحديث، كان كسب العيش في الغالب مهمة شاقة للغاية من الناحية الجسدية والتي اعتبر الرجال أكثر ملاءمة لها. بالإضافة إلى ذلك، كانت حماية الأسرة أو الدولة من التهديدات الخارجية ولا تزال تُعتبر وظيفة الرجل لأن الجيوش تتكون في الغالب من الرجال، وقبل عصر البنادق، كانت حماية الأسرة أو القبيلة مهمة متطلبة جسدياً للغاية ومخصصة للرجال.

^{٤٢} مسلم، رقم ٦١٨١.

ومن ثم، يبدو من المعقول أنه، بعيداً عن الاستثناءات، يضع القرآن مبدأً عاماً يقضي بإلقاء مزيد من المسؤولية على الزوج، وبالتالي يمنحه رتبة أعلى في اتخاذ القرار الأسري.

ينشأ سؤال: إذا تحملت المرأة المسؤولية المالية للأسرة، فهل يمكنها أن تصبح رئيسة لمؤسسة الأسرة؟ أعتقد أنها تستطيع ذلك. إذا تولت المرأة رسمياً المسؤولية المالية الكاملة للأسرة وتنازل الرجل عنها لها، فعندئذ يمكنها بالفعل أن تكون رئيسة لمؤسسة الأسرة.

السؤال ٢٣: هل يقدم القرآن نظاماً سياسياً؟

نعم، يقرر الإسلام عقوبات معينة ويفوض الحكومات الإسلامية بجمع ضريبة الزكاة. بالإضافة إلى ذلك، يضع الإسلام مبادئ عامة لأنظمة السياسة والحكم، لكنه لا يقرر نظاماً محدداً. دعوني أوضح ذلك.

إذا كان المقصود بـ "النظام السياسي" إطاراً مفصلاً يصف كيفية انتخاب الممثلين للمناصب، والمسؤوليات التي سيتحملونها، وآلية انتقال السلطة، وطبيعة العلاقات بين السلطات التنفيذية والقضائية والتشريعية، إلى جانب الصلاحيات التي يتمتع بها الحاكم، فإذن لا! لا توجد أي من هذه التفاصيل في القرآن. بهذا المعنى، فإن القرآن لا يخطط لنظام سياسي بالتفصيل.

ومع ذلك، يضع القرآن مبادئ معينة يجب على المجتمعات أن تبني أنظمتها وسلوكها عليها. هذه المبادئ هي توجيهات عامة، ويبدو أن إله القرآن قد ترك التفاصيل لعقول الناس. على سبيل المثال، يوجه القرآن ٤٢: ٣٨ المسلمين إلى أن يقرروا شؤونهم الجماعية من خلال التشاور المتبادل. وهذا يعني ضمناً أن الأفراد المسؤولين عن اتخاذ القرارات في الشؤون العامة يجب أن يتم اختيارهم من خلال التشاور العام، كما يجب أن يتم انتقال السلطة أيضاً من خلال هذه العملية. ومع ذلك، لم يتم تحديد طريقة معينة للتشاور العام، مما يترك للمسلمين استخدام عقولهم لاختيار شكل مناسب. على سبيل المثال، قد يختارون نظاماً رئاسياً، أو نظاماً برلمانياً، أو يطورون أي نظام آخر يلبي الاحتياجات الفريدة لكل مجتمع وثقافة.

تشمل المبادئ العامة الأخرى التي يجب على المجتمع المسلم اتباعها قيماً عالمية مثل ضمان العدالة، وتعزيز القيم الطيبة، والنهي عن الشر، ورعاية الأقل حظاً، وحماية الحريات الدينية والحماية من الاضطهاد. إلى جانب المبادئ المحددة التي يتوقع من المسلمين بناء نظامهم السياسي عليها، يفرض الإسلام أيضاً عقوبات معينة لجرائم محددة. سنناقش تفاصيل هذه العقوبات في القسم التالي.

ومن ثم، فإن الإسلام لا يفرض أي نظام سياسي محدد ولكنه يضع مبادئ عامة معينة يجب على المسلمين بناء نظامهم عليها، ويقرر عقوبات

محددة لجرائم معينة.

السؤال ٢٤: هل الإسلام يعارض الديمقراطية؟

لا! القرآن ٣٨:٤٢ يأمر المسلمين بأن يقرروا شؤونهم الجماعية من خلال التشاور المتبادل. وكما نوقش أعلاه، فإن القرآن يوكل إلى المسلمين استخدام عقولهم لتحديد الأساليب المحددة لإشراك الناس في عمليات اتخاذ القرار في الجماعة الإسلامية. قد تشمل الخيارات نظاماً رئاسياً، أو نظاماً برلمانياً، أو تطوير آلية أخرى.

السؤال ٢٥: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - هل يمكن

للحكومات فرض الإسلام علي؟

هذه الآية من القرآن شائعة جداً وغالباً ما تستخدم كمبرر للحكومات لفرض غطاء الرأس أو الوجه على النساء والحي على الرجال. عبارة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" تترجم إلى "دعوة الناس إلى ما هو خير ونهيهم عما هو شر".

هذا الأمر موجه في المقام الأول إلى المسلمين في ثلاثة مواضع في القرآن: ١٠٤:٣، ١١٠:٣، و٧١:٩.

هناك ثلاثة مفاهيم رئيسية يجب فهمها في هذا الصدد:

١- الكلمة المستخدمة لـ "دعوة الناس إلى" هي "أمر"، والتي تعني

"أن تأمر شخصاً ما بفعل شيء ما". وقد استخدمت أيضاً في القرآن بمعنى "دعوة شخص للقيام بشيء ما"، على سبيل المثال، في القرآن ١٦٩:٢. لذلك، فإن الآية تعني ضمناً أنك إذا كنت في منصب سلطة، مثل الشرطة، فيمكنك منع الناس بالقوة من ارتكاب خطأ ما. إذا كنت شخصاً عادياً، فإن اختصاصك هو فقط نصح الناس وتحذيرهم.

٢- الكلمات المستخدمة في هذه الآية للخير والشر هي "معروف" و"منكر". معاني هذه الكلمات تشير إلى الأشياء المعترف بها عالمياً كخير والأشياء المعترف بها عالمياً كشر، من منظور الإسلام ومنظور الأخلاق الإنسانية العالمية. وبالتالي، فإن هذه الكلمات لا تشير إلى أن الحكومات لديها سلطة غير مقيدة لفرض تفسيرها للإسلام على الآخرين في جميع الأمور. في الواقع، تشير الآية إلى أن الحكومات يمكنها تعزيز ما هو معروف عموماً كخير في المجتمع، مثل الصدق والنظافة واللطف، ويمكنها منع الأعمال المعترف بها عالمياً كضارة بالقوة، مثل السرقة وعدم الأمانة والاحتتيال والسطو والعنف غير القانوني والظلم.

٣- إذا أرادت الحكومة فرض شيء ما على الآخرين من منظور الإسلام، فيجب أن يكون لديها تفويض واضح من القرآن، بمعنى أن القرآن يجب أن يعطي تفويضاً واضحاً للحكومة لفرض ذلك الشيء المعين على الآخرين. على سبيل المثال، يعطي القرآن تفويضاً واضحاً للحكومات لفرض جمع ضريبة الزكاة من الناس، ووقف الناس عن ارتكاب الزنا العلني،

ومعاقبتهم إذا فعلوا ذلك، وما إلى ذلك.

في هذا السياق، إذا لم يأذن القرآن بإنفاذ حكم شرعي معين من قبل الحكومة، فلا ينبغي إنفاذه. على سبيل المثال، القرارات المتعلقة بتغطية النساء لرؤوسهن ووجوههن، أو إلزام الرجال بإطلاق اللحية، لا تمنح حقوق الإنفاذ لأي حكومة وفقاً للقرآن. لذلك، الجميع أحرار في اتباع التفسير الذي يتفقون معه دون فرض حكومي.

بشكل شخصي، في تفسير الإسلام الذي أتفق معه، والذي يقوده حالياً السيد جاويد أحمد غامدي، الرجال غير ملزمين بإطلاق اللحية، والنساء غير ملزمات بتغطية رؤوسهن أو وجوههن (يعتبر عملاً صالحاً اختياريًا)، ولم يأمر الله بالفصل بين الجنسين في الفعاليات العامة. القرآن لا يأذن لأي حكومة بفرض تفسيرها للإسلام على الأفراد في مثل هذه الأمور.

السؤال ٢٦: ما هي العقوبات الإسلامية المختلفة؟

يقرر القرآن عقوبات دنيوية لجرائم معينة لثلاثة أسباب رئيسية:

١. لبيان شدة بعض الخطايا والجرائم.
٢. لخلق ردع في المجتمع فيما يتعلق بهذه الجرائم والخطايا.
٣. هذه العقوبات هي تجسيد للغضب الإلهي الذي يلحق بالشخص الذي يرتكب مثل هذه الجرائم الخطيرة حتى بعد قبول وجود الله وعقد

ميثاق البر مع الله بقبول الإسلام.

يوجب القرآن أن يقوم المجتمع المسلم بإنفاذ العقوبات المقررة إلهياً لجرائم معينة. هذه العقوبات القاسية تنطبق فقط على المسلمين وتعلق بجرائم محددة. ومع ذلك، للمسلمين حرية تقدير عقوبات أقل إذا رأوا أن الجاني يستحق اللين.

تنص الآية ٣٢:٥ من القرآن على أن عقوبة الإعدام لا يمكن فرضها إلا في جريمتين: القتل وجرائم "الفساد في الأرض". مصطلح الفساد في الأرض، ويعني إحداث الفوضى في الأرض، يشمل جميع الجرائم التي تضر بأموال الآخرين وحياتهم وكرامتهم، بما في ذلك الاغتصاب والسطو المسلح والإرهاب والاختطاف.

يحدد القرآن عقوبات معينة للجرائم التالية:

١- الجماع خارج نطاق الزوجية: يسمى الجماع بالتراضي بدون زواج "زنا" في اللغة العربية ويعتبر جريمة وخطية خطيرة للغاية. يسعى القرآن إلى تحريم كل نشاط جنسي خارج نطاق الزواج؛ وبناءً عليه، تقرر الآية ٢:٢٤ من القرآن عقوبة ١٠٠ جلدة إذا ثبتت هذه الجريمة. من المهم ملاحظة أن القضية لا يمكن تسجيلها ضد شخص ما إلا إذا كان هناك أربعة شهود عدول رأوا الفعل يحدث. بعد تسجيل القضية، يجب إجراء تحقيق سليم لإثبات الجريمة بما لا يدع مجالاً للشك قبل تنفيذ أي عقوبة. بالنسبة لحالات الاغتصاب، التي تندرج تحت فئة الفساد

في الأرض، لا يشترط وجود أربعة شهود لتسجيل القضية. لا يفرق القرآن على أساس الحالة الاجتماعية للفرد الذي يرتكب الزنا عندما يتعلق الأمر بالعقوبة. وهذا يعني أن الجاني، سواء كان متزوجاً أو غير متزوج، سيتلقى الجلد. تُنفذ هذه العقوبة بعد تحقيق شامل بمجرد تسجيل القضية وبحضور أربعة شهود عدول شاهدوا الفعل مباشرة. لأن محمداً صلى الله عليه وسلم طبق عقوبة الإعدام على بعض الأفراد فيما يبدو أنها جريمة زنا، نشأ تصور خاطئ بأن عقوبة الإعدام إلزامية للأفراد المتزوجين الذين يرتكبون هذا الفعل. ومع ذلك، عند الفحص الدقيق لهذه الحالات، يصبح من الواضح أن محمداً صلى الله عليه وسلم أصدر عقوبة الإعدام ليس لمجرد أن الجناة كانوا متزوجين، ولا فقط بسبب جريمة الزنا، بل لجرائم مثل الاغتصاب والسلوك الجنسي الفاضح والمتحدي والمستمر، المصنف كفساد في الأرض.^{٤٣}

٢- القذف: يشير إلى شهادة الزور بشكل عام، وبشكل خاص، يتعلق باتهام شخص ما كذباً بممارسة الجماع خارج نطاق الزوجية. يعتبر هذا الفعل جريمة تستوجب العقوبة، ويخضع القاذف للجلد.

^{٤٣} يُنظر للتفصيل: جاويد أحمد غامدي، "عقوبة الرجم"، كتاب "برهان"، ترجمة: عثمان فاروق، ط. ١، أمريكا: مركز غامدي للتعلّم الإسلامي (GCIL)، المورد، أبريل ٢٠٢٦م.

٣- السرقة: وفقاً للقرآن، السرقة جريمة تستوجب العقوبة، وإذا لم تكن هناك مسوغات للين، فإن العقوبة الدنيوية القصوى المقررة هي قطع يد السارق. ومع ذلك، إذا كان الجاني يستحق مراعاة اللين، فيجوز تطبيق عقوبة أقل.

٤- القتل: العقوبة الأرضية القصوى للقتل هي عقوبة الإعدام، ما لم يكن المجرم يستحق أي لين.

٥- الحاربة أو الفساد في الأرض: كما نوقش سابقاً، حددنا أنواع الجرائم التي تندرج تحت هذه الفئة. العقوبة الدنيوية القصوى لهذه الجرائم هي الإعدام ما لم يُعتبر الجاني مستحقاً للين.

لا يذكر القرآن أي عقوبة للردة والتجديف (سب الذات الإلهية/ المقدسات)، فإذا رغب المسلمون في التشريع بشأن هذا الأمر، فهذا من شأنهم. ومع ذلك، يجب عليهم الالتزام بالأمر القرآني بأن عقوبة الإعدام لا يمكن فرضها إلا وبشكل حصري للقتل أو الفساد في الأرض.

السؤال ٢٧: هل يوجب الإسلام عقوبة الإعدام كعقوبة

للتجديف (سب المقدسات)؟

للحصول على مراجع وتحليل مفصل للمحتوى في هذا القسم، يرجى الرجوع إلى كتاب جاويد أحمد غامدي "مقامات"، وتحديدًا الفصل المعنون بـ "عقوبة التجديف".

القرآن واضح للغاية في أن عقوبة الإعدام لا يمكن تطبيقها إلا على

جرميتين فقط: القتل والفساد في الأرض. وكما نوقش أعلاه، فإن الفساد في الأرض يشمل جميع الجرائم التي تخلق فوضى في المجتمع وتسبب ضرراً لحياة الناس وأموالهم وسمعتهم، مثل الاغتصاب والسطو المسلح والتمرد والاختطاف وأعمال الإرهاب.

أولئك الذين يدعون إلى عقوبة الإعدام يزعمون أن فعل التجديف يندرج تحت فئة "المحاربة"، أي "محاربة الله ورسوله"، وكذلك تحت فئة "الفساد في الأرض". وذلك لأن الاستهزاء بمحمد صلى الله عليه وسلم وإهانته والإساءة إليه يشكل عملاً من أعمال محاربة رسول الله وإلحاق ضرر غير عادل باحترام شخص ما. هذا الحجة صحيحة منطقياً، ومع ذلك، فإن مصطلحي المحاربة والفساد في الأرض يشيران إلى أن المجرم يجب أن يكون مستمراً وغير نادم في سلوكه المهين والمسيء على الرغم من كل محاولات المجتمع والسلطات لحل الأمر سلمياً. فقط في ظل هذه الظروف تندرج مثل هذه الجريمة تحت الفئات الشديدة للمحاربة أو الفساد في الأرض.

يشير مؤيدو عقوبة الإعدام إلى حوادث محددة أصدر فيها النبي صلى الله عليه وسلم عقوبة الإعدام على أفراد معينين. ومع ذلك، عند الفحص الدقيق، يتضح أن هؤلاء الأفراد لم يعاقبوا حصرياً لإهانة محمد صلى الله عليه وسلم، بل أيضاً لجرائم أخرى. على سبيل المثال، كان أبو رافع عدواً سيئ السمعة للإسلام حرض الناس وقادهم لمهاجمة

المدينة خلال غزوة الخندق. وكان كعب بن الأشرف مسؤولاً عن تحريض المكيين ضد المسلمين ومحمد صلى الله عليه وسلم، وحثهم على مهاجمة المدينة بعد غزوة بدر، وبدأ حملات تشهير عديدة ضد نساء مسلمات بارزات. ووفقاً لبعض الروايات، فقد خطط سراً لاغتيال محمد صلى الله عليه وسلم، على الرغم من وجود اتفاق سلام مع المسلمين. وقتل عبد الله بن خطل عبده وفر من المدينة هرباً من العقوبة. كل هؤلاء الأفراد ارتكبوا جرائم إضافية إلى جانب إهانة محمد صلى الله عليه وسلم. علاوة على ذلك، وفقاً لقانون القرآن المتعلق بالرسول، والذي نوقش سابقاً، كان كل هؤلاء الأفراد مذنبين أيضاً برفض رسول حي من عند الله بغير حق. بالنسبة للمشركين، كانت العقوبة الإلهية لهذه الجريمة هي الإعدام. لذلك، من الواضح أنه لم يُحكم على أحد بالإعدام لمجرد إهانة محمد صلى الله عليه وسلم، بل لمجموعة من الجرائم.

يتم تقديم حديثين في هذا الصدد حيث قطع عمر (رضي الله عنه) رأس شخص لاستهزائه بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويُروى أن محمداً صلى الله عليه وسلم قال: "اقتلوا من سب الأنبياء". هذه الروايات تعتبر ضعيفة عند معظم خبراء الحديث ولا يمكن تقديمها كحجج لدعم عقوبة الإعدام في التجديف.

يتم تقديم رواية عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه)، وهو صحابي

لمحمد صلى الله عليه وسلم، في هذا السياق للإيحاء بأن الله شرع عقوبة الإعدام للتجديف. يذكر فيها:

أي مسلم يسب أو يستهزئ بمحمد صلى الله عليه وسلم أو أي نبي آخر من أنبياء الله يصبح مذنباً برفض رسول الله. وهذا يشكل ردة، وسيُطلب من الفرد التوبة. فإذا تابوا، فسيُعفى عنهم؛ وإذا لم يفعلوا، فسيتم إعدامهم. وإذا انخرط غير مسلم في هذه الأفعال، فإنه يكسر اتفاق السلام بيننا وسيكون أيضاً عرضة للإعدام.^{٤٤}

عندما ننظر إلى هذه المسألة من خلال عدسة قانون الله كما يتعلق بالأنبياء، والذي ناقشناه سابقاً بالتفصيل، يصبح من الواضح أن ابن عباس (رضي الله عنه) كان يشير تحديداً إلى المتلقين المباشرين لرسائل النبي. في سياق قوانين الله الخاصة المتعلقة بالأنبياء، فإن أولئك من بين المتلقين المباشرين للنبي الذين يرفضونه ويضطهدونه يخضعون لعقوبة دنيوية. في حالة محمد صلى الله عليه وسلم، حُكم على المشركين بالإعدام، بينما خضع أهل الكتاب للحياة تحت الخضوع. لذلك، فإن أي شخص من بين المتلقين المباشرين لمحمد صلى الله عليه وسلم رفضه بعد قبول رسالته في البداية أصبح عرضة لنفس العقوبات المخصصة للمعارضين، وأولئك الذين خرقوا معاهدة السلام مع المسلمين خضعوا

^{٤٤} ابن قيم، زاد المعاد، المجلد ٥ (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠١٩)، ٣٧٩.

أيضاً للعقوبة وفقاً لقوانين الله مع الرسل.
ومن ثم، لا يقرر الإسلام أي عقوبة لمجرد فعل التجديف (سب المقدسات). ومع ذلك، يمكن للمسلمين التشريع لمعاقبة هذه الجريمة تحت بند المحاربة والفساد في الأرض، ولكن هذه الفئات تنطبق فقط عندما يتصرف مرتكب الإساءة والإهانات علانية وبشكل عام ومستمر، ولا يتوقف عن الإهانات، أو يعتذر، أو يصلح طرق تعامله رغم كل المحاولات السلمية.

السؤال ٢٨: متى يمكن للمسلمين قتال الآخرين؟

يأذن القرآن للمسلمين بالمشاركة في صراع مسلح لثلاثة أسباب رئيسية. دعونا نحلل هذه الأسباب بإيجاز.

١. في القرآن ٥:٩، ورد أن الله يأمر المسلمين بالاشتباك القتالي مع المشركين حتى يعتنقوا الإسلام، بينما تنص الآية ٩: ٢٩ من القرآن على أن الله يوجه المسلمين لمواجهة اليهود والنصارى حتى يسلموا أو يوافقوا على دفع الجزية التي تعني الخضوع والتواضع. لقد ناقشنا بالفعل بالتفصيل أن الأمر بالقتال وإنزال العقوبات الإلهية على المشركين واليهود والنصارى كان مقصوراً على المخاطبين المباشرين لرسول، وفقاً لسنة الله القرآنية، عندما يكون الرسول موجوداً في العالم. محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر رسول، مما يعني أنه لن يكون هناك المزيد من

المظاهر الدنيوية لحكم الله - لا مزيد من العقوبات الإلهية في هذا العالم للمخاطبين المباشرين لرسول. لذلك، لا يمكن للمسلمين بعد محمد صلى الله عليه وسلم قتال غير المسلمين بناءً على معتقداتهم فقط.

٢. في القرآن، الآيات ٢: ١٩٠-١٩١، يُسمح بالقتال بدقة للدفاع عن النفس.

٣. في القرآن ٤: ٧٥ والقرآن ٢٢: ٣٩-٤٠، يُسمح بالحرب ضد الظلم والاضطهاد الواضح والعلني. كان السبب الأول حصرياً لمحمد صلى الله عليه وسلم وجمهوره المباشر. السببان الثاني والثالث يتعلقان بجميع المسلمين؛ ووفقاً لهذه الأسباب، لا يمكن للمسلمين حمل السلاح إلا في حالة الدفاع عن النفس أو ضد الظلم والقهر والاضطهاد الواضح والعلني. ومع ذلك، يجب أن يحدث هذا أيضاً تحت قيادة زعيم أو حاكم شرعي، كما جاء في القرآن:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.^{٤٥}

إذا رأى الناس أن من يتولون السلطة عليهم لا يقومون بعملهم بشكل صحيح وشعروا بالحاجة إلى تغييرهم، فيجب عليهم اللجوء إلى النضال السلمي لتغيير الحكام بموجب المبدأ التوجيهي للآية ٤٢: ٣٨، التي تنص

^{٤٥} النساء ٤: ٥٩.

على أن المسلمين يجب أن يقرروا شؤونهم الجماعية عن طريق الشورى المتبادلة.

أنا أفهم أن استثناءات متطرفة قد توجد حيث قد يكون من المبرر حمل السلاح ضد الحكام، ولكن فيما يتعلق بالقاعدة العامة، فإن ما ذكر أعلاه هو مشيئة الله كما ورد في القرآن.

السؤال ٢٩: هل العبودية مسموح بها في الإسلام؟

لا! دعني أشرح.

تحريم جلب عبيد جدد بعد الحرب: في الإسلام، لا يمكن استعباد الشخص الحر. كانت الطريقة الوحيدة الأخرى للحصول على العبيد هي من خلال الحرب. فإذا نشب صراع لأي سبب من الأسباب، فإن المنتصرين كانوا يستعبدون أسرى الحرب. يوجه القرآن في الآية ٤٧: ٤ بوجوب إطلاق سراح أسرى الحرب إما بالفداء أو بالمنّ (دون مقابل). لقد أغلقت هذه الآية فعلياً الباب أمام اكتساب عبيد جدد.

وبالتالي، لا يمكن للمسلمين استعباد شخص حر، ولا يمكنهم خلق عبيد جدد من خلال الحرب.

ماذا عن العبيد الموجودين بالفعل؟ في زمن محمد صلى الله عليه وسلم، كان هناك عدد لا يحصى من العبيد في كل منزل تقريباً - رجال ونساء، صغاراً وكباراً، جنباً إلى جنب مع الأطفال. ثار التساؤل: ماذا

يجب أن نفعل بهؤلاء العبيد الموجودين؟ اسمحوا لي أن أشرح بإيجاز علاج القرآن لهذه القضية.

خطة القرآن لإدارة العبيد الموجودين وتشجيع حريتهم مع الاستقلال الاقتصادي: لم يفرض القرآن إنهاءً فورياً لكل العبودية لأنه في عالم أقل تطوراً، كان من الممكن أن يؤدي مثل هذا التحريم الشامل إلى كارثة إنسانية، مما يترك مئات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال من جميع الأعمار معوزين، وتكون آفاقهم الوحيدة للبقاء هي التسول أو البغاء. لذلك، بالنسبة للعبيد الموجودين، حافظ القرآن على الوضع الراهن مع إصدار توجيهات واسعة لتحسين ظروفهم وتعزيز حريتهم من خلال الاستقلال الاقتصادي.

تفرض الآية ٢٤: ٣٣ من القرآن إبرام اتفاقيات رسمية مع العبيد (المكاتبة)، مما يمنحهم خيار الحرية إذا أظهروا القدرة على إعالة أنفسهم اقتصادياً. يأمر الله المسلمين بتقاسم جزء من ثروتهم مع العبيد لمساعدتهم على نيل الاستقلال الاقتصادي.

يعتبر القرآن فعل عتق الرقاب عظيماً جداً في البر لدرجة أنه شرع كوسيلة للمسلمين لمغفرة ذنوبهم^{٤٦}. كما نص القرآن على أن أحد مصارف الزكاة، أو الصدقة المفروضة، هو عتق العبيد.^{٤٧}

^{٤٦} النساء ٤: ٩٢، المجادلة ٥٨: ٣.

^{٤٧} التوبة ٩: ٦٠.

تأمر الآية ٤: ٣٦ من القرآن المسلمين بمعاملة عبيدهم بإحسان ومعروف. كان من المعتاد أن يقيم الرجال علاقات جنسية مع إماءهم. أقر القرآن هذه الممارسة، وفي الآية ٢٤: ٣٢، شجع المسلمين، رجالاً ونساءً، على الزواج من عبيدهم إذا كان ذلك ممكناً.

كما أوضح محمد صلى الله عليه وسلم المبادئ التوجيهية القرآنية من خلال تفصيل حقوق العبيد، حيث نقل التعليمات التالية لأصحابه: "...أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون. ولا تكلفوهم

ما لا يطيقون؛ فإن كلفتموهم فأعينوهم." ^{٤٨}

على الرغم من ممارسة العبودية على نطاق واسع في العالم الإسلامي بعد محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أن الحقيقة هي أن إله القرآن أغلق الباب أمام اكتساب عبيد جدد وأمر بإدارة العبيد الموجودين للتخلص التدريجي من هذه الممارسة دون التسبب في أزمة إنسانية.

السؤال ٣٠: لماذا لم يتزوج محمد ﷺ مارية القبطية،

وكيف عاملها وفقاً للتعاليم الإسلامية؟

أهدي لمحمد صلى الله عليه وسلم فتاة أمة تدعى مارية القبطية من قبل حاكم الإسكندرية في عام ٦٢٨-٦٢٩ ميلادي. في الوقت نفسه

^{٤٨} البخاري، رقم ٣٠، مسلم، رقم ١٦٦١.

تقريباً، تزوج محمد صلى الله عليه وسلم من آخر زوجاته، ميمونة (رضي الله عنها). تميزت هذه الفترة أيضاً بقبول زوجات محمد صلى الله عليه وسلم طوعية لقيود إضافية على أنفسهن ردّاً على حملات الافتراء من قبل أعداء محمد صلى الله عليه وسلم. وسروراً بتفانيهن، أمر الله محمداً في القرآن ٣٣: ٥٢ بأنه لا يمكنه الزواج من أي نساء أخريات، ولا يمكنه تطليق أي من زوجاته. وربما لهذا السبب، لم يتزوج محمد صلى الله عليه وسلم مارية القبطية (رضي الله عنها) بل عاملها وفقاً لأوامر القرآن المتعلقة بإدارة العبيد الموجودين.

فيما يتعلق بمسألة لماذا لم يرجع محمد صلى الله عليه وسلم الهدية إلى الحاكم أو يمنح مارية (رضي الله عنها) حريتها ويسمح لها بالزواج من شخص آخر، فنحن ما زلنا غير متأكدين. من المحتمل أن مارية (رضي الله عنها) نفسها لم تكن ترغب في مثل هذا الترتيب، مفضلة الهيبة المرتبطة بعلاقتها برسول الله، أحد أقوى الرجال في العالم. ما هو مؤكد هو أن محمداً صلى الله عليه وسلم عاملها معاملة حسنة وفقاً لتعاليم القرآن. وقد أنجبت له ابناً، إبراهيم، الذي توفي مأساوياً في مهده. وقد نالت مارية (رضي الله عنها) نفس الاحترام الذي نالته زوجات محمد صلى الله عليه وسلم وشرفت بلقب "أم المؤمنين".

السؤال ٣١: هل شهادة المرأة تساوي نصف شهادة الرجل؟

هناك تصور سائد داخل الإسلام بأنه في المحكمة، تعتبر شهادة المرأة بنصف مصداقية شهادة الرجل.

الآية المستخدمة لتبرير ذلك هي القرآن ٢: ٢٨٢. في هذا المقطع الطويل نوعاً ما، يأمر الله المسلمين عندما يصدر شخص قرضاً لآخر، بوجوب توثيق التفاصيل في عقد ملزم وإشهاد رجلين من بينهم على هذا الاتفاق. فإذا لم يتوفر رجلان، فيجب أن يقوم رجل وامرأتان بدور الشهود. ويقدم القرآن مبرراً لإدراج امرأتين، موضحاً أنه إذا ترددت إحداها أو نسيت، فيمكن للأخرى أن تدعمها. هذا الاحتياط، الذي قرره الله، يتناول تحديداً عقود القروض ضمن ثقافة يغلب عليها الذكور حيث كان من غير المألوف أن تسافر النساء مع القوافل التجارية أو يشاركن في المعاملات المالية. لا يناقش القرآن الإدلاء بالشهادة ضد جريمة في المحكمة. يوضح مصطفى خطاب، وهو عالم مشهور في القرآن:

"بشكل عام، هناك فرق بين الإشهاد والإدلاء بالشهادة أمام القاضي. تتحدث الآية ٢: ٢٨٢ عن الإشهاد على عقد دين، وليس الإدلاء بالشهادة. لفهم سياق هذه الآية تماماً، نحتاج إلى أن نضع في اعتبارنا أنه قبل ١٥٠٠ عام لم تكن النساء يشاركن عادةً في المعاملات التجارية أو يسافرن مع قوافل التجارة، وبالتالي، لم تكن كل امرأة تمتلك الخبرة للإشهاد على عقد دين. وحتى لو توفرت امرأتان وقت توقيع العقد، فربما لا

تتمكن الشاهدة الرئيسية من تذكر تفاصيل العقد أو المثول أمام القاضي بسبب ظروف قاهرة مثل الحمل أو الولادة. في أي من هذه الحالات، ستكون المرأة الثانية بمثابة نسخة احتياطية. يرى بعض العلماء أن امرأة واحدة يمكن أن تكون كافية كشاهدة طالما أنها موثوقة. أما بالنسبة للإدلاء بالشهادة، فيمكن إصدار حكم بناءً على الشهادة المتاحة، بغض النظر عن عدد الشهود أو جنسهم. على سبيل المثال، عادة ما يتم تأكيد بداية شهر رمضان برؤية الهلال، بغض النظر عن جنس الشخص الذي يرى الهلال. أيضاً، أعلى شكل من أشكال الشهادة في الإسلام هو أن يشهد شخص بأنه سمع رواية (أو حديثاً) عن النبي صلى الله عليه وسلم. يُقبل الحديث الصحيح من قبل جميع المسلمين بغض النظر عن جنس الراوي. علاوة على ذلك، إذا اتهم زوج زوجته بالزنا وليس لديه شهود، فيجب على كل زوج أن يشهد خمس مرات بأنه يقول الحقيقة وأن الطرف الآخر يكذب. كلتا الشهادتين متساويتان^{٤٩}.^{٥٠}

ملاحظة مهمة: هناك بعض الأحاديث المقتبسة لإثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن النساء ناقصات عقل ودين. عند الفحص الدقيق لهذه الأحاديث، يتضح أن محمداً صلى الله

^{٤٩} النور ٢٤: ٦-١٠.

^{٥٠} تعليق مصطفى خطاب على ٢: ٢٨٢ في ترجمته للقرآن بعنوان "القرآن الواضح".

عليه وسلم لا يشير إلى أن النساء لديهن عقل أو قيمة دينية أقل مقارنة بالرجال. في الواقع، يشير محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن الله قد وضع عبئاً أقل على عقل المرأة فيما يتعلق بالأمور الدنيوية وعبئاً أقل عليهن فيما يتعلق بالالتزامات الدينية. على سبيل المثال، في الأمور الدنيوية، لم يكلف الله النساء بالمسؤولية المالية للأسرة. وبالمثل، فيما يتعلق بالمسائل الدينية، فإن للمرأة عموماً التزامات أقل؛ فهن غير مطالبات بحضور المساجد لصلاة الجمعة، ولا يتوقع منهن المشاركة في الحروب، وهن معفيات من الصلاة المفروضة والصيام أثناء الحيض، ومع ذلك فإنهن لا يزلن ينلن الثواب على هذه الأعمال.

لمزيد من التفاصيل والمراجع حول ما ذكرته للتو، يمكنك مشاهدة البودكاست الخاص بي بعنوان "حوار في الإسلام مع حمزة علي عباسي - الحلقة ١١"، المتاح على قناة يوتيوب "مركز غامدي للتعلم الإسلامي". في هذه الحلقة، أناقش بالتفصيل المفاهيم الخاطئة المذكورة أعلاه المتعلقة بالنساء.

السؤال ٣٢: ما هي الظروف المحيطة بحادثة بني قريظة، وكيف يمكن الرد على مزاعم ارتكاب محمد ﷺ فظاعة لا يمكن تبريرها؟

للحصول على كافة التفاصيل والمراجع المتعلقة بالمناقشة أدناه،

يرجى مشاهدة "الرد على ٢٣ سؤالاً - الجزء ٨٣ - إتمام الحجة - جلاويد أحمد غامدي" على قناة يوتيوب "مركز غامدي للتعلم الإسلامي".
إن واقعة قتل رجال بني قريظة هي حدث نوقش بكثافة بين نقاد الإسلام، ويُنظر إليه على أنه فظاعة لا يمكن تبريرها ضد اليهود من قبل محمد صلى الله عليه وسلم. دعونا نستكشف بإيجاز ماهية هذا الحدث، والظروف التي أدت إليه، وما إذا كانت تصرفات محمد صلى الله عليه وسلم يمكن اعتبارها مبررة.

كانت المدينة موطناً لثلاث قبائل يهودية بشكل أساسي: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة. عندما أصبح محمد صلى الله عليه وسلم حاكماً للمدينة، دخل في عقد سلام مع هذه القبائل. نص هذا الاتفاق على أن يدافعوا بشكل متبادل عن المدينة وقيموا علاقة تقوم على الإخلاص وحسن النية تجاه بعضهم البعض، والثقة المتبادلة.^{٥١}

أول من انتهك هذا الاتفاق كان بنو قينقاع. ففي أعقاب غزوة بدر، اشتد عدائهم للمسلمين. وقعت مناوشات، جُردت خلالها امرأة مسلمة من ملابسها في سوق بني قينقاع، وقُتل يهودي ومسلم وسط أعمال العنف. توجه محمد صلى الله عليه وسلم إلى بني قينقاع

^{٥١} سيرة ابن هشام وأيضاً انظر تعليق أبو الأعلى المودودي على سورة الأحزاب (س ٣٣) في تفهيم القرآن.

لتذكيرهم بالتزاماتهم في المعاهدة، لكن القبيلة ردت بالتهديد بمزيد من العنف. أُعدم زعيم القبيلة كعب بن الأشرف على يد المسلمين. شملت جرائمه السفر إلى مكة لتحريض مشركي مكة ضد المسلمين في المدينة والتآمر سرّاً لاختيال محمد صلى الله عليه وسلم، كل ذلك بينما كان ملزماً بمعاهدة سلام واتفاقية دفاع مشترك مع المسلمين. تم التعامل مع بقية بني قينقاع ببلين ونُفوا من المدينة.

القبيلة الثانية، بنو النضير، انتهكت ميثاقها مع المسلمين بعدم الدفاع عن المدينة خلال غزوة أحد. بالإضافة إلى ذلك، حاولوا سرّاً اغتيال محمد صلى الله عليه وسلم من خلال التخطيط لإسقاط حجر ثقيل من الأعلى بينما كان جالساً تحت منحدر صخر. ونظراً لهذه الانتهاكات، أصدر محمد صلى الله عليه وسلم إنذاراً مدته عشرة أيام لمغادرة المدينة. وعندما تجاهلوا الإنذار، حاصرهم المسلمون حتى استسلامهم. ورغم هذه الأفعال، أظهر المسلمون اللين؛ فسمحوا للقبيلة بالرحيل من المدينة ولكن منعوهم من أخذ أسلحتهم.

ثبت أن هذا اللين المتكرر كان كارثياً، لأنه بعد النفي، لعب بنو النضير دوراً حاسماً في حشد جيش ضخم ضد المسلمين، وحاصروا بلدة المدينة بـ ١٠,٠٠٠ جندي مجهزين تجهيزاً كاملاً مما نتج عنه غزوة الخندق في عام ٦٢٧ ميلادي. هددت هذه المعركة وجود الإسلام بالكامل، حيث كان إجمالي عدد المسلمين في المدينة بالكاد يبلغ بضعة آلاف.

في هذا المنعطف الحرج، ظهر غدر القبيلة اليهودية الثالثة، بنو قريظة. فخلال المعركة، وبينما كان المسلمون يدافعون عن المدينة، دخلت القبيلة في مفاوضات سرية مع الجيش الغازي. بعد انتهاء المعركة، لم يتم التعامل مع بني قريظة بنفس اللين الذي تم تقديمه سابقاً لبني قينقاع وبني النضير. كانت هناك مخاوف من أنه إذا تم نفي قبيلة قريظة، فقد ينضم رجالهم إلى صفوف العدو ويجمعوا قوة أكبر لمهاجمة المدينة. وبناءً على ذلك، تم إعدام جميع الرجال في سن القتال.

ماذا عن النساء والأطفال؟ من المفهوم مدى صعوبة السؤال فيما يتعلق بكيفية التعامل مع مئات النساء والأطفال الذين يكرهونك لقتلك رجالهم البالغين. ماذا يجب أن يفعل بهم؟ كان القرآن ٤: ٤٧ قد أصدر في وقت سابق أمراً يتعلق بأسرى الحرب بعد غزوة بدر بوجوب فدائهم أو إطلاق سراحهم بالمنّ (إحساناً) - ولكن من سيأخذهم؟ وفقاً لدبليو مونتغمري وات ودانيال سي بترسون، تشير الأدلة إلى أن أفراداً من قبائل يهودية أخرى، ربما بنو النضير، دفعوا الفدية لهؤلاء الأسرى وضمنوا إطلاق سراحهم.^{٥٢}

^{٥٢} انظر للتفاصيل: وات، و. مونتغمري، النبي ورجل الدولة، (كلكتا: ١٩٦١)، ١٧٠-١٧٦؛ دانيال سي بترسون، محمد، نبي الله، (شركة ويليام بي إيردمانز للنشر، ٢٠٠٧)، ١٢٥-١٢٧.

يعترف مونتغمري أيضاً بأن تصرفات محمد صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة كانت استجابة لمواقف حرجة، وليست محاولات لتطهير المدينة من اليهود ببساطة بسبب عقيدتهم. يكتب:

"إن استمرار وجود عدد قليل من اليهود على الأقل في المدينة هو حجة ضد وجهة النظر التي يطرحها أحياناً بعض العلماء الأوروبيين بأنه في السنة الثانية بعد الهجرة اعتمد محمد سياسة إخراج جميع اليهود من المدينة لمجرد أنهم يهود، وأنه نفذ هذه السياسة بصرامة متزايدة. لم تكن طريقة محمد اتباع سياسات من هذا النوع. كان لديه نظرة متوازنة لأساسيات الوضع المعاصر ولأهدافه طويلة المدى، وفي ضوء ذلك شكل خطته اليومية وفقاً للعوامل المتغيرة للأحداث الجارية. لم تكن مناسبات هجماته على أول قبيلتين يهوديتين أكثر من مجرد مناسبات؛ ولكن كانت هناك أيضاً أسباب عميقة كامنة. كان اليهود بشكل عام من خلال انتقاداتهم اللفظية للوحي القرآني يحاولون تقويض أساس المجتمع الإسلامي وكانوا يقدمون أيضاً دعماً سياسياً لأعداء محمد ولخصومه مثل المنافقين. وطالما تخلى اليهود عن هذه الأشكال من النشاط العدائي، سمح لهم محمد بالعيش في المدينة دون مضايقة."^{٥٣}

إن سلسلة الأحداث المتعلقة ببني قريظة لها روايات عديدة بتفاصيل

^{٥٣} وات، النبي ورجل الدولة، ١٧٥.

متفاوتة. حتى إن بعض العلماء، بمن فيهم بركات أحمد ووليد ن. عرفات، ينكرون حدوث عملية إعدام واسعة النطاق.

التاريخ شيء شائك للغاية. يمكن أن يكون لحدث في التاريخ تقارير متعددة ومتضاربة حول سبب وكيفية حدوثه، مع عدم وجود وسيلة للتأكيد القاطع لرواية على أخرى. تأمل حدث ٩/١١ المأساوي. الغالبية العظمى تعتقد أن القاعدة كانت مسؤولة، لكن عدداً كبيراً من الناس، وخاصة داخل المجتمع الإسلامي، يعتقدون أنه تم تديره من قبل اليهود أو وكالة المخابرات المركزية لخلق مبرر لمهاجمة الدول الإسلامية. وهذا هو السبب في وجوب التمسك بالأجزاء المعترف بها عالمياً من التاريخ عند تكوين رأي، دون الخوض في التفاصيل الدقيقة التي يمكن أن تكون مختلفة تماماً وغالباً ما تكون متضاربة.

ما نعرفه عن الحدث المتعلق ببني قريظة هو أن عدداً كبيراً من رجالهم في سن القتال أمر بإعدامهم. ومن المؤكد أيضاً إلى حد ما أن قبيلتين يهوديتين سبقت قريظة تم نفيهما من المدينة المنورة. إذا كانت الروايات التي قدمها المؤرخون المسلمون حول خيانة (قينقاع) و(النضير) السابقة دقيقة، وإذا كان صحيحاً أنهم حشدوا جيشاً لمهاجمة المدينة بعد نفيهم، فحينئذٍ أعتقد أنه في الصراع العنيف من أجل البقاء في جزيرة العرب قبلية في القرن السابع، كانت أفعال محمد صلى الله عليه وسلم تجاه قريظة مبررة. إن التساهل الذي أظهر سابقاً للقبيلتين اللتين كانتا

مذنبتين بخيانة صارخة، أدى إلى عواقب كارثية هددت وجود الإسلام والمسلمين ذاته. ولو أظهر التساهل مرة أخرى ونُفِيت قبيلة قريظة فحسب، لكان هناك خوف حقيقي من أن ينضم رجالهم في سن القتال إلى صفوف بني النضير ووثنيي العرب ويشنوا هجوماً أكبر على المدينة المنورة. يبدو أن التساهل تجاه قينقاع والنضير قد شجع على الخيانة من جانب قريظة، وكان القصد من فعل الإعدام الجماعي هذا إرسال رسالة عواقب وخيمة ليكون بمثابة رادع لأي شخص يفكر في خطط غادرة مماثلة في المستقبل.

السؤال ٣٣: هل تأمر الآيات القرآنية المسلمين بتجنب مصادقة غير المسلمين، وكيف ينبغي فهم هذه الآيات في سياقها؟

تبدو بعض الآيات في القرآن وكأنها تدعم فكرة أنه لا ينبغي للمسلمين مصادقة غير المسلمين. ومع ذلك، عند النظر إليها في سياقها، فإن هذه الآيات تخاطب تحديداً مجموعات معينة من غير المسلمين الذين عاصروا محمداً صلى الله عليه وسلم ولا تملّي موقفاً دائماً تجاه جميع غير المسلمين.

خذ القرآن ٥: ٥١ على سبيل المثال، الذي يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ

أُولِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّاهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾.

عند النظر إليها في السياق مع الآية التالية، فإن القرآن لا يدعو إلى سياسة دائمة تجاه جميع غير المسلمين، بل يخاطب تحديداً مجموعة مختارة من غير المسلمين الذين كانوا في صراع مباشر مع أتباع محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت. وهي تحذر المسلمين من أن هناك في صفوفهم منافقين يخشون الهزيمة ويرغبون في تحالفات مع هؤلاء غير المسلمين المعادين. ويذكر القرآن كذلك أن هؤلاء المنافقين سيندمون على أفعالهم عندما يمنح الله النصر للمسلمين. هذا السياق موضح في القرآن:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أُولِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّاهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾^{٥٢}.

هذا الأمر يزداد وضوحاً في ٦٠: ٨-٩:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمُ

^{٥٢} المائدة ٥: ٥١-٥٢.

مَنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٩﴾

لقد ناقشنا بالفعل بالتفصيل الآيتين القرآنتين ٩: ٥ و ٩: ٢٩. هاتان الآيتان تأمران المسلمين بقتال وقتل وإخضاع غير المسلمين ما لم يعتنقوا الإسلام. وفقاً لقانون الله، عندما كان الرسول موجوداً في العالم، كان هذا عقاباً إلهياً مقدراً لأولئك الذين رفضوه لأسباب غير مبررة، وقتلوه، واضطهدوه. هذه الآيات تخاطب تحديداً معاصري محمد صلى الله عليه وسلم ولا تملّي سياسة دائمة للمسلمين تجاه غير المسلمين. وفقاً للقرآن، فإن جميع البشر هم من نسل آدم وحواء (عليهما السلام)، وبهذه الطريقة، الجميع عائلة. غير المسلمين ليسوا أهدافاً للغزو والحكم بل هم رفقاء في البشرية يجب حبهم والتعايش معهم وإيصال رسالة الله إليهم بمنتهى الاحترام وحسن النية.

السؤال ٣٤: هل كان المعراج رحلة جسدية؟

إذا كان هناك حقاً إله كلي القدرة، فهل يمكن لهذا الإله أن يمكن رجلاً من ركوب حصان مجنح والارتقاء إلى أبعاد أعلى؟ بالتأكيد، الله يستطيع فعل ذلك. ومن المعتقد الشائع أن محمداً صلى الله عليه وسلم

صعد جسدياً إلى السماوات على حصان مجنح خلال رحلة المعراج. ومع ذلك، فإن فحصاً أدق للقرآن والحديث يكشف أن التجارب المنسوبة لمحمد صلى الله عليه وسلم في سياق المعراج لم تكن جسدية. لقد كانت في الواقع أربع حالات متميزة من الأحلام والرؤى النبوية الصادقة لأحداث حقيقية، والتي دمجها ناقلو الحديث المتأخرون في حالة واحدة من المعراج ووصفوها كحدث جسدي مادي. دعوني أناقش باختصار هذه الحالات الأربع.

الحالة الأولى مذكورة في سورة الإسراء، الآية ١، التي تقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وتؤكد الآية ٦٠ من نفس السورة أن هذا كان "رؤياً". حلم النبي ليس كحلم الشخص العادي - فهو يحتوي على الحقيقة، وأحياناً تظهر حرفياً وأحياناً يتم تصويرها من خلال القياس أو الرمزية.

في رأيي، فإن التفسير الأكثر ملاءمة لهذا الحلم، الذي قدمه جاويد أحمد غامدي، يشير إلى أنه من خلال إظهار المسجد في مكة والمسجد في القدس لمحمد صلى الله عليه وسلم، فقد أُرِي بشكل مجازي أن محمداً صلى الله عليه وسلم وأتباعه المباشرين سيمتلكون هذين المعلمين ذوي الأهمية الإلهية.

يجادل الكثيرون بأن الكلمة العربية "رؤياً" في هذه الآية لا تشير إلى

حلم أو رؤية بل إلى رؤية شيء ما جسدياً وبشكل شخصي. هذه الحجة معيبة لأن كلمة "رؤيا" استخدمت مرات عديدة في القرآن لتعني حلمًا أو رؤية - على سبيل المثال، في سورة الصافات الآية ١٠٥، سورة يوسف الآيات ٤٣ و ٥ و ١٠٠، وسورة الفتح الآية ٢٧. وفي أدبيات الحديث، وردت كلمة "رؤيا" مرات عديدة، وفي كل مرة كانت تُستخدم للدلالة على حلم أو رؤية.

الحالة الثانية تتعلق بصعود محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء ولقائه بمختلف الأنبياء. من البخاري، رقم ٧٥١٧، يتضح أن هذا كان حلمًا نبويًا لمحمد صلى الله عليه وسلم بينما كان نائمًا في المسجد في مكة. تصف هذه الرواية المنسوبة لصحاب النبي أنس بن مالك (رضي الله عنه)، كيف جاء جبريل مع ملكين آخرين إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وغسلوا قلبه وأجزاء جسده، ثم رافقوه إلى السماء. هناك، التقى محمد صلى الله عليه وسلم بجميع الأنبياء وبالله نفسه. وخلال هذه الزيارة، رأى محمد صلى الله عليه وسلم أشياء كثيرة في السماء وتلقى التعليمات للصلوات الخمس اليومية. تذكر الرواية صراحة أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان نائمًا في المسجد، مما يشير إلى أن هذه الحالة كانت حلمًا وليست رحلة جسدية.

الحالتان الثالثة والرابعة من سورة النجم ٥٣: ١-١٨، حيث يؤكد الله لخصوم محمد صلى الله عليه وسلم أنه ليس واهمًا. وبالفعل، فقد

رأى محمد صلى الله عليه وسلم الملاك جبريل مرتين في صورته الحقيقية، حرفياً بعينه الحقيقيتين. هاتان الحالتان من سورة النجم تمثلان رؤى حقيقية شوهدت بالعين، على عكس الأحلام النبوية الموصوفة في الحالتين الأولى والثانية.

كل هذه أربع حالات متميزة، قام بعض المؤرخين وناقلي الأحاديث لاحقاً بدمجها في رواية واحدة للحدث الشهير المعروف بالمعراج.

السؤال ٣٥: هل يشير القرآن إلى المسلمين كأمة؟

لا، القرآن لا يعرف المسلمين كأمة. على الرغم من أن العديد من المسلمين قد يرغبون في العيش تحت دولة واحدة موحدة - وكما أرغب أنا أيضاً في أن يتحد المسلمون ويشكلوا أمة قوية واحدة - فإن الله في القرآن لا يفرض التزاماً دينياً على المسلمين للسعي للعيش تحت حاكم أو دولة واحدة. بدلاً من ذلك، يصف القرآن المسلمين بأنهم "أخوة" في القرآن ٤٩: ١٠. الإسلام ليس أيديولوجية وطنية بل هو رسالة عالمية للبشرية جمعاء؛ يمكن لأي شخص اعتناق الإسلام ويصبح جزءاً من الأخوة الإسلامية.

السؤال ٣٦: هل يمكن إعلان من يعرف نفسه كمسلم بأنه غير مسلم أو كافر؟

للحصول على ردٍّ مفصّل، يرجى الرجوع إلى قائمة التشغيل بعنوان

"الرد على ٢٣ سؤالاً - التكفير - جاويد أحمد غامدي"، المتاحة على قناة يوتيوب (مركز غامدي للتعليم الإسلامي).

يستخدم القرآن مصطلح "كافر"، والذي يعني ببساطة "الرافض"، لأولئك الذين رفضوا الإسلام. كما ينطبق أيضاً على أولئك الذين، رغم معرفتهم بالحقيقة في قلوبهم، يرفضونها لأسباب خاطئة. لقد استكشفنا هذا المفهوم بالتفصيل في الفصل الخامس.

ولكن، ماذا عن الأفراد الذين يدعون أنهم لا يرفضون الإسلام ويعرفون أنفسهم كمسلمين، ومع ذلك يحملون معتقدات تنتهك بوضوح التعاليم الإسلامية؟ ماذا لو برروا معتقداتهم الخاطئة باستخدام القرآن والسنة والحديث، وأصرروا على أنهم مسلمون؟ هل هناك آلية رسمية في القرآن تفوض علماء المسلمين بطرد هؤلاء الأفراد من الإسلام وتسميتهم كفاراً أو رافضين؟ الجواب هو لا. دعوني أوضح.

هناك مجموعات وطوائف مختلفة داخل الإسلام تعرف نفسها كمسلمين ولكنها تحمل آراء مختلفة تماماً عن بعضها البعض - آراء تعتبرها الطوائف المعارضة منافية تماماً للتعاليم الأساسية للإسلام. على سبيل المثال:

تعتقد إحدى المجموعات أن زعيم المسلمين يتم تعيينه مباشرة من قبل الله. وتؤكد مجموعة أخرى أن المسلمين مأمورون من الله باختيار زعيمهم من خلال الشورى. وترى مجموعة ثالثة أن الله قد عين أرواح

الأنبياء والأولياء لإدارة شؤون الوجود واتخاذ القرارات نيابة عن الله. وعلى العكس من ذلك، ترفض مجموعات أخرى هذه المعتقدات بشدة، مشيرة إلى أن الله لم يضع مثل هذا التسلسل الهرمي وصرح بوضوح في آيات قرآنية مختلفة أنه لا أحد يشاركه في سلطته. بالإضافة إلى ذلك، تدعي إحدى المجموعات أن النبوة انتهت بمحمد صلى الله عليه وسلم بطريقة تجعل الأنبياء المستقبليين لن يأتوا بأي شريعة إلهية جديدة وسيكونون خاضعين للشريعة المعطاة من خلال محمد صلى الله عليه وسلم، بينما تؤكد مجموعات أخرى أن جميع أشكال النبوة انتهت بمحمد صلى الله عليه وسلم. في كثير من الأحيان، يقوم أعضاء داخل كل مجموعة بتسمية الآخرين كفارًا، وبالتالي يحاولون طردهم من الإسلام. يطرح السؤال نفسه: هل شرع الله آية يمكن من خلالها طرد شخص ما من الإسلام؟ الجواب هو لا.

فقط الله ورسوله وخاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم كان لديهم السلطة لتحديد من هو أوليس مسلمًا حقيقيًا. يمتلك الله هذه السلطة لأنه وحده يعلم ما في قلب الشخص، وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم هذه السلطة لأنه كان على اتصال مباشر مع الله.

بعد محمد صلى الله عليه وسلم، إذا آمن شخص يعرف نفسه كمسلم بشيء يخالف بوضوح التعاليم الإسلامية الأساسية، فمن المستحيل تحديد ما إذا كان هذا الشخص مخطئًا بصدق أو يعتقد باطلاً

عمدًا لأسباب خاطئة. لذلك، لا يملك الآخرون سوى الصلاحية للإشارة إلى الخلل في معتقد هذا الشخص ولكن ليس لديهم سلطة لطرد هذا الشخص من الإسلام.

دعوني أستفيض فيما أناقشه من خلال أمثلة شخصية:

هناك مجموعات من المسلمين يعتقدون أن الأولياء والأنبياء لهم نصيب في سلطة الله ويديرون شؤون الخلق نيابة عنه. إنهم يدعون هؤلاء الأولياء ويقدمونهم كما ينبغي أن يقدموا الله وحده. في نظري، معتقدتهم يتناقض مباشرة مع الفكرة القرآنية بأن الله لا يشارك سلطته مع أحد. هل يمكنني وصم المسلمين الذين يحملون هذا المعتقد بالكفر؟ لا!

هناك مجموعات من المسلمين يعتقدون مفهوم "الحقيقة المحمدية"، الذي يقترح أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان في الأساس جوهر الله متجليًا في صورة بشرية. ويتبنى آخرون فكرة "وحدة الوجود"، التي تفترض أن الكون بأسره وكل ما فيه هي أجزاء من الله تجلت ماديًا. بالنسبة لي، فإن مثل هذه المعتقدات تناقض تمامًا تعاليم القرآن حول وحدانية الله وتفردته، ولكن هل يمكنني وصم هؤلاء المسلمين بالكفر؟ لا!

يعتقد بعض المسلمين أن مختلف الأولياء والشخصيات المقدسة قد عُينوا مباشرة من قبل الله لإرشاد الناس وأن الله يتواصل معهم لهذا

الغرض. هذه الفكرة تتناقض تماماً مع المفهوم القرآني بأن الله يهدي الناس فقط من خلال الاتصال المباشر بالأنبياء والرسل. ولكن هل أعطاني الله السلطة لو صم المسلمين بمثل هذه المعتقدات بالكفر؟ لا!

هناك مجموعات من المسلمين يعتقدون أن انقطاع النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم يعني أنه لن يكون هناك المزيد من الأنبياء المرشحين، على الرغم من أن الأنبياء غير المرشحين الذين يلتزمون باتباع القانون والدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا يزال بإمكانهم الظهور. هذا الاعتقاد يعارض مباشرة تعليم القرآن الصريح، المدعوم بالعديد من الأحاديث، بأن جميع أشكال النبوة قد انتهت بمحمد صلى الله عليه وسلم. هل لي الحق في وصم أتباع هذا المفهوم بالكفر؟ لا!

يحذر القرآن والحديث بشدة من فكرة طرد الناس من حظيرة الإسلام ووصمهم بالكفر. ينص القرآن في مواضع مختلفة على أن الله وحده هو الذي يعلم من هو المهتدي حقاً ومن هو الضال، كما في القرآن ١٦: ١٢٥:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

ومن ثم، يصر القرآن على أن يقتصر البشر على تعليم بعضهم البعض الإسلام فقط ولا ينبغي أن يصبحوا قضاة في أمور العقيدة ليعنونا من هو المسلم حقاً ومن ليس كذلك.

يأمر القرآن ٤٩: ١١ المسلمين بعدم مناداة الآخرين بألقاب مسيئة،

وهو ما يفسره مفسرون بارزون مثل الطبري وعكرمة ومجاهد على أنه يشمل مناداة من يعرف نفسه كمسلم بالكفر.

تحظر أحاديث عديدة ممارسة إعلان زملائهم المسلمين كغير مؤمنين. على سبيل المثال:

١. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال لمسلم يا كافر، فهو كقتله، ومن لعن مؤمناً فهو كقتله".^{٥٥}

٢. روي عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أيما امرئ قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه".^{٥٦}

وفقاً للقرآن والحديث، فمن الواضح أن الحكم في أمور العقيدة سيسلمه الله يوم القيامة. أما فيما يتعلق بهذا العالم، فيجب تسمية الناس وفقاً لكيفية تسميتهم لأنفسهم. فقط أولئك الناس يمكن تسميتهم بغير مسلمين أو كفار الذين يسمون أنفسهم كفاراً. أولئك الذين يسمون أنفسهم مسلمين لا يمكن وصمهم بغير مسلمين، حتى لو بدت بعض معتقداتهم معيبة. إذا كانت لدى مجموعة من المسلمين معتقدات معيبة، فإن المسلمين الآخرين يمكنهم فقط محاولة تعليمهم بشأن معتقداتهم

^{٥٥} جامع معمر بن راشد، رقم ١٩٧١٠.

^{٥٦} مسلم، رقم ٦٠.

المعيب ولكن لا يمكنهم أن يصبحوا قضاة في أمور العقيدة ويعلنوهم غير مسلمين أو كفاراً.

السؤال ٣٧: هل كان طوفان نوح حدثاً عالمياً وهل أمر بأخذ زوج من كل أنواع الحيوانات على متن السفينة؟

بينما توجد أدلة مقنعة تشير إلى احتمال وجود طوفان عالمي في الماضي، فإن القرآن يشير بوضوح إلى أن الطوفان في زمن نوح لم يكن حدثاً عالمياً. كان نوح رسولاً من الله، وكما نوقش سابقاً، فإن عقاب الله الدنيوي يستهدف عادةً أولئك الذين يرفضون رسالة الرسول مباشرة.

لذلك، كان طوفان نوح عقاباً مخصصاً للرافضين من بين مخاطبيه المباشرين، مما يشير إلى أنه كان طوفاناً إقليمياً وليس عالمياً. بناءً على ذلك، لا ينبغي تفسير الأمر المعطى لنوح بإحضار الحيوانات على متن السفينة حرفياً على أنه يشمل جميع أنواع الحيوانات في جميع أنحاء العالم. بل كان أمراً بجمع كل الحيوانات اللازمة لاستدامة نوح وزملائه الركاب. للتوضيح، فكر في سيناريو تستعد فيه لمغادرة المطار لقضاء عطلة؛ عندما تخبر صديقاً لك بضمان حزم جميع الملابس اللازمة، فإنك تقصد جميع الملابس اللازمة للرحلة، وليس كل قطعة ملابس في العالم.

السؤال ٣٨: هل سألنا قبل أن نلقى في اختبار الحياة هذا؟
إذا كانت الإجابة بنعم، فلماذا لا نتذكر اتخاذ هذا الاختيار؟

هناك آيتان من القرآن يجب النظر فيهما في هذا الشأن.

١. القرآن ٧: ١٧٢: تقول هذه الآية أن أرواح جميع البشر خلقت دفعة واحدة قبل المجيء إلى هذا العالم وجعلوا يشهدون بأن الله هو خالقهم.

٢. القرآن ٣٣: ٧٢: تؤكد هذه الآية أن البشرية اتخذت خياراً لخوض هذا الاختبار.

تشير هذه الآيات إلى أن وجودنا في هذه الحياة كان خياراً اتخذناه لنكون في هذا الاختبار. وهذا يثير تساؤلات، مثل لماذا لا نتذكر أحداث ما قبل العالم هذه والطبيعة الدقيقة لوجودنا قبل دخول هذا العالم. يذكر علماء مثل السيد جاويد أحمد غامدي أن ذكريات هذه الأحداث قد حُذفت من عقولنا الواعية لغرض هذا الاختبار. وهذا أمر منطقي لأنه إذا تذكرنا بوضوح ماهية الله وقرارنا بالمجيء إلى هنا للاختبار، فسيتم المساس بعنصر حاسم في الاختبار الدنيوي. هذا العنصر هو حرية الاختيار — لقبول الله واستحضاره أو إنكاره والغفلة عنه. كيف يمكن لأي شخص أن يرفض شيئاً رآه بوضوح بنفسه؟ لذلك، في هذا الوجود، بينما توجد آيات الله في داخلنا وحولنا، فقد مُحيت الذكريات الحرفية لهذه الأحداث لغرض الاختبار.

الله أو إنكار الله والغفلة عنه. كيف يمكن لأي شخص أن يرفض شيئاً يتذكره بوضوح ويرى نفسه حرفياً فيه؟

ومن ثم، في هذا الوجود، هناك آيات الله في داخلنا ومن حولنا، لكن الذكريات الحرفية لهذه الأحداث قد مُسحت لغرض الاختبار.

معتقدي الشخصي في هذا الأمر: أود أن أقدم استنتاجاً شخصياً حول هذه المسألة، وهو معتقد يشاركه فيه الدكتور ريجان أحمد يوسف، وهو صديق لي وعالم إسلامي أيضاً. كما يُعرف باسمه المستعار الشهير، أبو يحيى. بما أن القرآن ينص على أن جميع أرواح البشر خُلقت في وقت واحد قبل دخول هذا العالم، وينص أيضاً على أننا اخترنا الخضوع لاختبار هذا العالم، فيمكن الاستنتاج بحق أننا اخترنا أيضاً تفاصيل الاختبار الذي نرغب في مواجهته. وهذا يشير إلى أننا قبل دخول هذا العالم، قرنا الطبيعة الدقيقة لجميع الظروف الجيدة والسيئة التي سنواجهها.

ملاحظتي الشخصية حول هذا الأمر والتي تفسر وجود ذوي الإعاقة الذهنية ووفاة الأطفال: إذا اخترنا بأنفسنا أن نُختبر ونواجه المسألة الإلهية، فيمكن الاستنتاج بشكل معقول أن بعض الأرواح اختارت طريقاً أكثر أماناً. لقد رغبوا في دخول الجنة ولكنهم تجنبوا خطر مواجهة المسألة الإلهية يوم القيامة. قد تدخل هذه الأرواح العالم إما كأفراد من ذوي الإعاقة الذهنية أو كأطفال يموتون قبل بلوغ سن الرشد. ولأنهم ليسوا قادرين تماماً على أن يكونوا مسؤولين عن قراراتهم

الأخلاقية، فلن يواجهوا المساءلة الإلهية يوم القيامة. ومع ذلك، سيظلون ينالون مكانة المواطنين الأساسيين في الجنة. في هذا المخطط الإلهي، هم يخدمون كاختبار للأشخاص من حولهم، وقد يتحمل البعض معاناة دنيوية في هذا الدور.

السؤال ٣٩: لماذا من الضروري أن يعمل الشخص بما يعتقد بصدق أنه الحق، حتى لو كان ذلك المعتقد خاطئاً؟

لقد ناقشنا هذه النقطة بالفعل، ولكن نظراً لأهميتها القصوى، أشعر أنها بحاجة إلى ذكرها بإيجاز مرة أخرى في هذا القسم. إن إله القرآن يريد من الناس أن يعملوا بصدق بناءً على ما يعتقدون بصدق أنه الحق، حتى لو كانوا مخطئين في معتقداتهم. إن صدق الاعتقاد والعمل له أهمية قصوى عند الله.

هذا المبدأ موضح في القرآن ٢: ١٨٧. دعني أشرح بإيجاز. في هذه الآية، وفي معرض تعليقه على قلة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، يقول القرآن إنهم اعتقدوا خطأً أن الله قد حرم الجماع بين الزوجين طوال شهر رمضان، حتى أثناء الليل بعد الإفطار. ورغم هذا الاعتقاد، فقد جامع هؤلاء الصحابة زوجاتهم ليلاً بعد إفطارهم. ويوضح القرآن أن هؤلاء الصحابة كانوا مخطئين في اعتقادهم بأنه لا يجوز للزوج والزوجة الجماع في ليالي رمضان بعد الإفطار. ومع

ذلك، يخاطب الله أيضاً هؤلاء الصحابة الذين، رغم اعتقادهم الخاطئ، اعتقدوا بصدق أنهم يرتكبون فعلاً خاطئاً بمجامعة زوجاتهم تحت الاعتقاد الخاطئ بأنه محرم. المبدأ هو أنه إذا كنت تعتقد بصدق أن الله قد حرم شيئاً ما، فلا ينبغي لك فعله، حتى لو كنت مخطئاً في هذا الاعتقاد. إليك الترجمة الحرفية للآية:

﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ- عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ- ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^{٥٧}

يقول السيد المودودي في تعليقه على هذه الآية في تفسيره "تفهم القرآن":

"على الرغم من عدم وجود نص قاطع في الأيام الأولى يحرم الجماع بين الزوج وزوجته خلال ليالي رمضان، إلا أن الناس افترضوا عموماً أن هذا غير مسموح به. وعلى الرغم من الشعور بأن فعلهم إما غير مسموح به أو على الأقل غير مرغوب فيه، إلا أنهم كانوا في

^{٥٧} البقرة ٢: ١٨٧.

بعض الأحيان يقتربون من زوجاتهم. مثل هذه الخيانة للضمير يمكن أن تشجع على نزعة آثمة. لذلك، يوجبهم الله أولاً على افتقارهم إلى النزاهة، فهذا هو ما كان اعتراضياً. أما الفعل في حد ذاته، فقد أوضح الله أنه مباح تماماً. ومن ثم، يمكنهم الانخراط في الجماع كفعل مشروع تماماً وغير مثقل بمشاعر الذنب.^{٥٨}

يوضح المثال المذكور أعلاه أن القرآن يريد من الناس أن يعملوا بناءً على ما يعتقدون بصدق أنه الحق الإلهي، حتى لو كانوا مخطئين في معتقداتهم. ومع ذلك، يجب أن نذكر أنفسنا هنا بأن القرآن يتوقع أيضاً من الناس أن يكونوا دائماً مستعدين للإصغاء بصدق وجدية لأي شيء عن الله والدين يبدو أنه منطقي بدرجة كافية، وأن يحكموا على الأمور بناءً على جدارتها من خلال الترفع عن جميع الانحيازات عند تحليل أي معلومات حول الله والدين. يجب أن نذكر أنفسنا أيضاً أنه في يوم القيامة، سيتم غفران الأخطاء الحقيقية والصادقة، ولكن الإهمال المتعمد والفشل في قبول الحق لأسباب خاطئة لن يتم التسامح معه.



الخاتمة

إن طبيعة نفسي والواقع من حولي غالباً ما دفعتني للتساؤل: من أين أتى كل شيء، وعمّ يدور كل هذا؟ العديد من الأسئلة كانت تطارد عقلي باستمرار، مثل ما إذا كان هناك هدف موضوعي وراء الوجود أم لا يوجد هدف على الإطلاق. كنت أنحي هذه الأسئلة جانباً للتركيز على اهتمامات ومساعي أكثر إلحاحاً في الحياة. كانت الأمور تسير بشكل رائع! ومع ذلك، فإن فكرة المساءلة الإلهية كانت تقلقني بشكل متزايد. كنت أسمع عن المساءلة الإلهية بعد الموت، والمكافآت الإلهية، والعقوبات كل يوم. سواء في التلفزيون، أو وسائل التواصل الاجتماعي، أو في الصحف، أو من الأصدقاء والعائلة، كانت هذه الأفكار تواجهني بطريقة أو بأخرى، وكانت تزيد من قلقي. ماذا لو كان هناك بعض الحقيقة في هذه الأفكار؟ ماذا لو كان الله موجوداً بالفعل؟ والأهم من ذلك، ماذا لو كان هناك حقاً مساءلة إلهية، حيث سأحاسب بناءً على سلوكي في هذه الحياة، وسيحدد ذلك الحكم نتيجة دائمة لي، خيراً كانت أم شراً؟

هذه احتمالات خطيرة. كلما سمعت أكثر، شعرت بضرورة التحقيق في هذه الأفكار بجدية، للوصول إلى استنتاج منطقي وعيش حياتي وفقاً لذلك. إذا لم يكن هناك إله ولا مساءلة إلهية، فليس لدي ما أقلق بشأنه ويجب أن أجعل المنافع والملاذات الدنيوية الفورية هي مساعي الوحيد. ومع ذلك، إذا كان الاحتمال الآخر — وهو أن هناك بالفعل إلهًا ومساءلة إلهية — يبدو أكثر ترجيحًا، فإن النجاح في تلك المساءلة الإلهية يجب أن يكون اهتمامي الأساسي. ومرة أخرى، كنت أعلم أن الحصول على إجابات قاطعة في هذا المجال أمر صعب، لكنني كنت بحاجة للوصول إلى استنتاج معقول لأن عيش الحياة دون معالجة هذه القضية، بالنظر إلى مدى خطورتها، شعرت أنه إهمال إجرامي.

في البداية، وبسبب تأثري بالخطب الحماسية لأنصار الإلحاد الجديد، خلصت إلى أنه لا يوجد إله، ولا إله يعني عدم وجود مساءلة إلهية. وتدرجياً، بدأت الاعتبارات العقلانية ترعجني من منظور عقلائي. في واقع حال من الله، ما زلت مضطراً للإيمان بنوع من المادة الأولية كسبب أول لكل شيء. ومن المثير للتفكير أن هذه المادة الأولية تحتوي بطريقة ما على جميع المكونات اللازمة لتتكشف بمرور الوقت كوعي ذاتي مثلي ومثلث. نحن نمتلك العقل، والحس الأخلاقي، وتقدير الجماليات. يمكننا استيعاب كل من الجمال والبشاعة. علاوة على ذلك، فإن هذا الواقع الأساسي يتكشف في العالم الذي نعيش فيه، وهو عالم غني ومتنوع — اكتشافي لله وللإسلام ويوم القيامة 512 —

بما يكفي لتلبية جميع جوانب وعينا وحواسنا، وتوفير الجمال والموسيقى ومجموعة متنوعة غنية من الأذواق والألوان وكل شيء آخر نحتاجه و نرغب فيه.

علاوة على ذلك، فإن الجانب الأكثر لفتاً للنظر في الواقع من حولنا هو أنه مفهوم ومفيد لنا بشكل رائع. فهو يوفر لنا جميع أنواع المواد والأدوات لإنجاز كل ما نختاره — من العصر الحجري إلى العصر الصناعي، ومن أحلامنا في الطيران، إلى عصور المعلومات والفضاء. لقد تمكنا من فهم الواقع ببراعة وتحقيق كل ما نخطط له من الموارد التي يوفرها الواقع من حولنا. كيف يمكن للمادة الجامدة أن تؤدي إلى كل هذا فقط من خلال عمليات وصدف طائشة؟

كان أحد الأسباب المهمة لميلي الأولي نحو الإلحاد هو اعتقادي بأن مفاهيم مثل الله، والروح، والآخرة كانت مجرد أفكار دينية، تم دحضها بشكل قاطع من قبل العقول غير الدينية في العلوم والطب والتخصصات الأخرى. كنت أعتقد أن الإيمان بمثل هذه الأفكار يعني السير ضد العلم والحقائق الراسخة في "العالم الحقيقي". لكن ثبت أنني كنت مخطئاً عندما عثرت على أبحاث ونظريات واكتشافات لأفراد غير دينيين يدافعون عن إمكانية وجود عقل وراء خلق كل شيء — وهو ما بدا لي مثل "الله" — وفكرة أنه يمكن أن يكون لي وجود منفصل عن دماغي المادي — وهو ما يشبه "الروح" — وأني قد أستمر في الوجود بعد موت الجسد،

وهو ما يشبه "الآخرة". وبينما أقر بأن مثل هذه النظريات ليست حقائق مثبتة، فقد أثار اهتمامي حقيقة أن أفراداً غير دينيين، بما في ذلك بعض الذين يعرفون أنفسهم كملحدين أو لا أدرين، يدافعون عن معقولة مثل هذه الأفكار. لقد حطم هذا اعتقادي بأن مفاهيم مثل الله والروح والآخرة كانت مجرد أساطير دينية تم تكذيبها بالإجماع وبشكل قاطع من قبل العالم غير الديني.

علاوة على ذلك، فإن اكتشافات مثل الحمض النووي (DNA)، الذي يحتوي على تعليمات مشفرة لإنتاج الحياة والكائنات الحية، تشير إلى إمكانية وجود ذكاء وراء كل شيء. بالإضافة إلى ذلك، تدعي أصوات علمية مرموقة أنها حققت اكتشافات نظرية تشير إلى أن المعلومات المشفرة قد تكون مدمجة في نسيج الواقع ذاته. المصدر الوحيد المعروف للتعليمات في شكل كود اليوم هو العقل البشري. وبالتالي، فإن الاستنتاج الأكثر منطقية هو أنه إذا كانت هناك تعليمات في شكل كود تتيح العمليات الأساسية للطبيعة، فمن المرجح أنها نشأت من عقل أيضاً. مجرد أننا لا نعرف من أين أتى ذلك العقل أو ما هو حقيقته لا ينبغي أن يقودنا إلى نفي التفسير الأكثر وضوحاً.

أصبح من الصعب بشكل متزايد بالنسبة لي الحفاظ على الاعتقاد بأن كل شيء هو نتيجة لعمليات طائشة وغير موجهة. بدت فكرة أن بعض الذكاء قد يكون وراء كل شيء أكثر ملاءمة كتفسير. ومع ذلك،

رغم كل العلامات التي تشير إلى وجود خالق ذكي، هل لا يزال من الممكن أن يكون كل شيء نتيجة لعملية خيالية طائشة تفوق فهمنا؟ نعم، في عالم الاستنتاجات، كل شيء ممكن! أؤكد على كلمة "استنتاج" لأن كلاً من الملحدين والمؤمنين يضعون استنتاجات. لا يمكن للملحد أن يدعي أنه نفى موضوعياً جميع احتمالات وجود الله، ولا يمكن للمؤمن أن يقدم كائناً ملموساً مثل الله يمكننا رؤيته والتحدث معه مباشرة. كلاهما يقدم مجموعة من الحقائق والحجج ويحاول إثبات وجهات نظره من خلال الاستنتاج. ومع ذلك، فقد ازداد ميلي نحو الإيمان بقوة أكبر، حيث يمتلئ التاريخ البشري بادعاءات بأن هذا الذكاء قد اتصل بنا مرات لا تحصى لإرشادنا.

مع تحطم معتقدي السابق — بأن النخبة المثقفة غير الدينية قد نفت بشكل قاطع الأفكار الدينية مثل الله والروح والآخرة — أصبحت منفتحة على استكشاف الأديان. كان هدفي هو التحقيق في حججهم فيما يتعلق بوجود وهوية الذكاء الخالق، والأهم من ذلك، تقييم الحقيقة وراء إمكانية المساءلة الإلهية بعد الموت.

اكتشفت أنه يمكن تصنيف الأديان بشكل واسع إلى نوعين. أولاً، الأديان الصوفية، حيث يدعي الأفراد بلوغ التنوير واكتشاف الحقائق المطلقة حول الواقع من خلال التفكير العقلاني والتأمل واكتساب المعرفة والحكمة. كما أدرج الفلسفة في هذه الفئة. ثانياً، الأديان المنزلة، حيث

يدعي الأفراد أنهم تعرضوا للاتصال المباشر من قبل ذكاء أعلى كشف عن معلومات عنا وعن واقعنا. وجدت الأديان المنزلة لتكون تركيزي الأساسي في التحقيق لأن فرضيتها الأساسية هي أن الذكاء الذي خلق كل شيء قد كشف عن حقائق حول هدفنا والآخرة.

سمحت للمنطق السليم بإرشادي، معتقداً أنه إذا كان هناك حق إلهي في العالم، فيجب أن يكون الوصول إليه سهلاً لشخص عادي مثلي ليس عالماً ولا يطمح لأن يكون كذلك. ومن ثم، قررت التركيز على التقليد الأكثر شعبية للأديان المنزلة — التقاليد الإبراهيمية، التي تضم أكثر من ٤ مليارات تابع في جميع أنحاء العالم، وهو ما يمثل أكثر من نصف سكان العالم.

ضمن طيف الأديان الإبراهيمية، اخترت استكشاف القرآن لعدة أسباب:

١. على عكس الكتب المقدسة مثل الفيدا والعهد القديم والجديد، التي لا يمكن تحديد أصولها بشكل قاطع، فمن المنطقي أن نخلص إلى أن القرآن هو بالفعل نفس الوثيقة التي سلمها محمد صلى الله عليه وسلم لأتباعه على أنها كلام الله.

٢. القرآن محفوظ بلغته الأصلية.

٣. الأحداث المحيطة بنزول القرآن موثقة جيداً في التاريخ. حتى لو كان المرء لا يؤمن بأن محمداً ﷺ كان رسولاً من الله، فمن الصعب

إنكار — ما لم يكن المرء من أصحاب نظرية المؤامرة المتطرفين — أنه كان هناك بالفعل شخص في الجزيرة العربية لديه الادعاءات الواردة في القرآن، والذي غزا شبه الجزيرة العربية وانتهى الأمر باتباعه المباشرين بغزو نصف العالم المتحضر تقريباً.

إن الادعاء بأن القرآن هو كلام الله المباشر، وتوفره بلغته الأصلية، والتحقق التاريخي من الوثيقة والأحداث المحيطة بأصولها جعلها نقطة البداية الأكثر ملاءمة لبحثي في الأديان المنزلة.

لاقت التعاليم الأساسية للقرآن صدى لدي، بفضل العمل الرائع لعلماء التيار السائد الذين جعلوا الإسلام مفهوماً لعامة الناس مثلي. ومع ذلك، واجهت العديد من القضايا المنطقية والأخلاقية داخل الإسلام والتي ظلت دون حل لفترة طويلة. كان ذلك عندما عثرت على السيد جاويد أحمد غامدي، الذي لم تحل رؤاه هذه القضايا فحسب، بل عرفتني أيضاً على المفهوم القرآني لما هو "الرسول" حقاً.

أصبح أقوى دليل مفرد على المسألة الإلهية والسبب الأكثر إقناعاً لي لأخذ القرآن بجدية بالغة.

إن فهم مفهوم "الرسول" أمر أساسي لاستيعاب التعريف الحقيقي والواقعي للقرآن. بمجرد أن حللت القرآن مع وضع هذا السياق الدقيق في الاعتبار، كشف عن كنز من الرؤى التي أجابت على جميع أسئلتني الوجودية. سمحوا لي أن أشارككم هذا التعريف.

وفقاً للقرآن، يمتلك البشر هداية أساسية مغروسة في داخلهم، وتستكمل تفاصيلها من خلال اتصال إلهي مباشر. نحن نمر باختبار في هذا العالم لإظهار كيف نمارس إرادتنا الحرة، مما يعني أننا نتمتع بحرية كاملة في الاختيار فيما يتعلق بالقرارات الأخلاقية. عندما نسي الناس هذه الهداية أو حرفوها، أرسل الله أنبياءه إلى جميع الأمم لإرشادهم للعودة إلى الحق. إن رفض رسالة النبي أو قبولها لم يكن يترتب عليه عواقب دنيوية.

ومع ذلك، عندما استمر الناس في إنكار الهداية الإلهية والمساءلة بعد الموت، أظهر الله مساءلته الإلهية هنا على الأرض مرات عديدة عبر التاريخ البشري كدليل قاطع على المساءلة الإلهية بعد الوفاة. يتم إنشاء هذه المحكمة الإلهية على الأرض من خلال "الرسول". الرسول هو نبي يتصل به الله مباشرة، ولكن ما يرفع النبي إلى مرتبة الرسول هو المسؤولية الإضافية المتمثلة في تنفيذ حكم الله هنا على الأرض. في هذه الحياة، بينما يكافأ أولئك الذين يعتنقون رسالته في الوقت الحاضر. من خلال الرسول، يوضح الله الحق لجمهوره المباشر: أولئك الذين يرفضون الرسول يُعاقبون في هذه الحياة، بينما يكافأ أولئك الذين يعتنقون رسالته في الوقت الحاضر.

في الجوهر، يعمل الرسول كمحكمة حكم إلهية لجمهوره المباشر. القرآن هو البلاغ المحفوظ من الله—سجل كيف أطلق الله المساءلة

الإلهية على الأرض من خلال رسوله الأخير، محمد صلى الله عليه وسلم. وهو يقدم حسابات مفصلة لكيفية محاكمة الأمم السابقة من خلال رسلهم، ويحدد الخطة الدقيقة خطوة بخطوة للحكم الإلهي ليتكشف للجمهور المباشر لمحمد صلى الله عليه وسلم. لقد شهد التاريخ أحداثاً تتكشف بدقة كما نص عليها القرآن، ووقعت على نطاق عالمي ليشهدها البشر جميعاً.

تعزز عدة عوامل مصداقية القرآن والإسلام:

١. يتوافق القرآن بشكل متسق مع الكتب السابقة. تتوافق روايات العهدين القديم والجديد مع تصوير القرآن لرسول الله، مثل نوح وإبراهيم ولوط وموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام جميعاً). لم تكن الأحداث المتعلقة بهذه الشخصيات أفعالاً عشوائية من الغضب الإلهي، بل كانت، وفقاً للقرآن، حالات منسقة للغاية من إطلاق الله لمظاهر أرضية لحكمه الإلهي لغرضين: الأول، لتقديم أقوى دليل على يوم القيامة، والثاني، لرفع الأمم لممارسة رسالة الله وتبليغها للعالم.

٢. لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم خلفية عسكرية أو سياسية، ومع ذلك يصدر القرآن استراتيجيات عسكرية وسياسية لا تشوبها شائبة أدت إلى انتصارات كاملة—ولم ينسب محمد ﷺ الفضل لنفسه في هذه الانتصارات، مصرّاً على أنه كان مجرد اتباع لأوامر الله.

٣. رغم افتقاره للتعليم الرسمي في الدراسات الدينية أو الدعوة، إلا أن القرآن يخوض في مناظرات عميقة بين الأديان تتسم بالرصانة الفكرية والأساس الواقعي.

٤. رغم كونه أمياً وليس لديه خلفية في الشعر، أنتج محمد ﷺ تحفة لغوية وشعرية في القرآن على مدى ٢٣ عاماً. ومن المذهل أن العديد من الآيات نزلت وتليت استجابة لأحداث فورية.

٥. لم يصبح شكسبير وعلامة إقبال شاعرين عبقرين بين عشية وضحاها. القادة مثل جورج واشنطن، وجناح، وغاندي لم يبرزوا كشخصيات عظيمة في لحظة، ولم يظهر العباقرة العسكريون مثل الإسكندر الأكبر وجنكيز خان فجأة كنماذج يحتذى بها في الاستراتيجية. خضع كل من هؤلاء الأفراد لتطور تدريجي في مجالات براعتهم. في المقابل، يبدو أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يمر بمثل هذا التطور. قبل سن الأربعين، لم يُظهر أي اهتمام بطلب العلم أو المشاركة في مناقشات حول السياسة أو الفلسفة أو الشؤون العسكرية أو الدين أو الشعر. ثم، وبشكل مفاجئ، بدأ في إنتاج القرآن—وهو تحفة تشمل كل هذه الموضوعات. وهذا يثير تساؤلات مهمة حول أصول القرآن، مما يشير إلى أنه لم يكن نتاج عقل محمد صلى الله عليه وسلم الخاص. علاوة على ذلك، لا يوجد دليل يشير إلى أنه كان لديه فريق من الخبراء في هذه المجالات المتنوعة يصيغون له القرآن، غالباً استجابة لظروف

محددة. معاً، تقدم هذه النقاط حجة مقنعة بأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد يكون بالفعل يقول الحقيقة بشأن اتصاله بذكاء أعلى.

٦. يحتوي القرآن على تنبؤات دقيقة حول أحداث مستقبلية، من سيطرة المسلمين على مكة، والنبوة حول حكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم المباشرين لإمبراطورية عظيمة، إلى النبوة المعجزة بانتصار بيزنطة على فارس، وكلها تحققت كما كان متوقعاً.

٧. هناك تنبؤات في كتب مقدسة أخرى يبدو أنها تتماشى تماماً مع شخصية وحياة محمد صلى الله عليه وسلم.

أجد أنه من المعجز حقاً أن كتاباً أُعطي منذ ١,٥٠٠ عام من قبل ساكن صحراء أرمي يمكنه معالجة الاستفسارات الوجودية لشخص في القرن الحادي والعشرين مثلي بهذه الطريقة المقنعة.

أدت هذه العوامل المجتمعة بي إلى استنتاج أن الإسلام هو الحق الإلهي، واستسلمت له. اسم "الإسلام" نفسه يعني الاستسلام للحق والله. ومع ذلك، ما زلت منفتحاً على التصحيح، وسأحافظ على هذا الانفتاح طوال حياتي.

فيما يتعلق بوجود الله، تعتبر التجربة الشخصية أيضاً سبباً قوياً لإيمان الكثيرين بالله. يبلغ المليارات من الناس عبر مختلف الأديان والأيديولوجيات عن حالات من الشعور بالوجود الإلهي في حياتهم. بينما لا أقدم التجربة الشخصية كدليل على وجود الله نظراً لكونها

ذاتية، فإنني أؤكد أنني شعرت بوجود الله في حياتي. أجد أنه كلما كان المرء واعياً ومدرّكاً لإرشادات الله وأكثر انخراطاً في أعمال العبادة الطوعية، زاد شعوره بوجود الله.

في بداية هذا الفصل، شاركت أسباني لكتابة هذا الكتاب. سأختم بسببي الأخير: إن اكتشاف إله القرآن يعني اكتشاف خالقي. وجدت أن علاقتي الحقيقية الوحيدة التي سأمتلكها على الإطلاق هي مع خالقي؛ وكل العلاقات الأخرى ثانوية. عائلتي وأصدقائي وحتى هويتي الذاتية كانت ستكون مختلفة لو ولدت في مكان آخر. علاقتي الحقيقية الوحيدة هي مع الواحد الذي خلّقني من العدم قبل الحمل بي في رحم أمي. أرغب في جعل خالقي سعيداً وفخوراً بي. إلى جانب الأعمال الصالحة الأخرى، فإن مشاركة رسالته مع الآخرين هي شيء يستحق حقاً الثواب عنده، ولهذا السبب أسعى لمشاركة ما أعتقد أنه رسالة الله. وسواء وصلت إلى الكثيرين أو القليلين، فهذا لا يهم؛ فالله يقدر الفعل البسيط المتمثل في مشاركة رسالته، وآمل وأدعو أن تظل نواياي مخلصّة.

أريد أن أؤكد أنني لست عالماً أو أكاديمياً؛ أنا مجرد شخص عادي طرح أسئلة وجودية باستمرار ووجد إجابات مرضية في النهاية. سواء اتفقت معي أو اختلفت، فأنا ممتن لوقتك واهتمامك. ومع ذلك، أحثك على استكشاف القرآن بتعريفه الصحيح، كما ذكرت طوال هذا الكتاب. يدعي القرآن أنه أسهل كتاب للوصول إليه. يؤكد القرآن أنه

أيسر كتاب يهتدى به، وأن رسالته في غاية الوضوح والبساطة: إن هناك إلهاً سيحاسب جميع الناس بعد الموت في هذه الدنيا. وسيسأل كل إنسان عن أعماله التي قدمها في حياته الدنيا.

ويتوقف الفوز في ذلك الحساب على طهارة النفس وحسن الخلق، وعلى مدى جديتك في التعامل مع ما يتعلق بالله، وعلى إخلاصك في طلب الحقيقة. كما يعتمد على مقدار ما بنيت عليه معتقداتك من دليل واستحقاق، لا من هوى أو تحيز، وعلى صالح أعمالك، وصلاح النية التي دفعتك إلى القيام بها.

فالأخطاء التي تقع عن إخلاص واجتهاد تغفر، أما التماذي في الباطل واقتراف الشر عن عمد وإصرار، فسيجازى عليه بأشد العقاب.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. (البقرة ٢: ٢٨١)

شكرًا لكم.



هل الله موجود؟ هل هناك حياة بعد الموت؟ وهل الدين مجرد نتاج للخيال البشري، أم هو انعكاس للحقيقة العظمى؟ بدأت رحلة حمزة علي عباسي الفكرية من هذه الأسئلة الأساسية التي تنشأ وتدور في ذهن صاحب الوعي يوماً ما؛ يسرد هذا الكتاب حكاية رحلة فريدة، من الإلحاد والريب إلى اكتشاف الله والإسلام والآخرة (رحلة فريدة واستثنائية). يُعرف مؤلف الكتاب بممثل وشخصية بارزة، انطلق يحقق تساؤلات الحياة البسيطة. وخلال مسيرته بين الفكر العلمي والفلسفي والحوارات الدينية، قارن جميع معتقداته السابقة، وأعاد فيها النظر، وتعمق في الدراسات والأبحاث العلمية الموثقة حتى اكتشف في النهاية حقيقة غيّرت مجرى حياته. هذا الكتاب ليس مجرد سرد لثورته الفكرية والذاتية، بل هو دعوة إلى تفكير عميق لمن أراد أن يكتشف حقيقة الهدف للحياة والآخرة؛ وقد كتبت هذه السطور بأسلوب بسيط واستدلال منطقي، وبنمط يمكن للإنسان العادي فهمه، وهي تستطيع أن تثير أسئلة جديدة. ولو أردت أن تمهد جسراً بين الحياة والإيمان، فهذا الكتاب لك (في خدمتك).

حمزة علي عباسي من أبرز الأسماء في باكستان في مجالي السينما والتلفزيون، فهو ممثل ومخرج تلفازي، وفنان مبدع، وقد حظي بالعديد من الجوائز على المستويين الوطني والدولي. وُلد حمزة في ٢٣ يونيو ١٩٨٦ في ملتان، بباكستان، وكانت حياته رحلة فريدة استثنائية. فمن نجاحه في الالتحاق بالخدمات المدنية الباكستانية إلى أن شقّ لنفسه مكانة متميزة مرموقة في عالم



الفن والترفيه، كانت كل خطوة في مسيرته عبارة عن الجهد والمثابرة والقرارات غير التقليدية. بعد حصوله على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة قائد أعظم بإسلام آباد، قرر الالتحاق بالخدمة المدنية، ونجح في اجتياز الإختبار CSS الشاق التنافسي، لكن القدر دفعه إلى اتجاه آخر، حيث اكتشف مواهبه الإبداعية والفطرية، وصنع لنفسه هوية فنية بوصفه فناناً جريئاً ومؤثراً.

G

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا